الوطن العربى

دراسة فى الواقع والمشكلات

دكتور

محمد سالم إبراهيم مقلد

٢٠٠٢

ملتزم النشر والتوزيع
دار الفكر العربى
٩٤ ش عباس العقاد . مدينة نصر . القاهرة
ت ٢٧٥٢٩٨٤ فاكس ٢٧٥٢٧٣٥

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" صدق الله العظيم

"هود ٨٨"

إهداء

إلى أمى وأبى . . فى أكرم جوار .

المحتـــــــــوى

الموضوع | الصفحة

المقدمة

انطوت صفحات القرن العشرين وبدأ القرن الحادى والعشرون وأمامنا نحن العرب هموم عضال ، إذ أن العرب والمسلمين جميعاً فى قفص الاتهام ، أمام ادعاءات لا أخر لها من قبل مغرضين لا أخر لهم ولا نعرف مداهم ، فقد اتهمونا بالبدائية وأرضنا مهد الحضارات فى بابل بالعراق ومصر واليمن والشام والمغرب ، وأرضنا مهد الرسالات جميعها منذ وقت سادت فيه الهمجية الدنيا بأثرها ، والأمر المفجع هو أن كثيراً من العرب وذوى الجذور العربية ، والذين نالوا حظاً من ثقافات غربية وشرقية تناست هذه الجذور مصدقةً ما ادعاه المدعون عن حضارات العرب .

ومن العجيب والمريب أن نتهم نحن العرب كما كان من قبل بالإرهابيين والدمويين فى وقت يعرف فيه العالم أننا الآن عراة الصدور تماماً أمام ترسانات حربية شرقية وغربية لا قبل لنا بها ، وفوق ذلك نواجه ادعاءات شرسة وصلت مداها من قبل الصهيونية ومن عاونهم فى شتى أرجاء العالم حتى أصبحنا فى كافة العيون والعقول المخربين والمدمرين والخطرين على حضارة اليوم وأمنها وتقدمها وحريتها .

ومن العجيب أيضاً أن نواجه نحن العرب مشاكل سكانية على مساحة شاسعة إذ تعانى دول من اكتظاظ سكانى وأخرى من تخلخل سكانى ولا نجد نحن العرب مصرفاً للعمالة الزائدة التى تمثل مشاكل مشوبة بالخطورة ، تهدد كيان البناء العربى الاجتماعى والاقتصادى والإنمائى ، ذلك فى وقت لا يتعدى سكاننا نحن العرب خمسة بالمائة من جملة سكان العالم على عشر اليابسة كلها ، والأعجب من ذلك أننا نمتلك من الأرض الطيبة والخصبة مساحات شاسعة من أرض السودان والعراق وتونس والجزائر والسعودية والمغرب وغيرها ولا يتعدى المنزرع منها نصف ذلك ، مما أدى إلى توطن الجوع بالعديد من دولها فى ظروف

تثير الدهشة والغرابة إذ تهدد الفجوة الغذائية الأمن القومي وأربكت معايير الميزان التجارى فى غالبية الدول العربية .

ومن العجيب أيضاً أن نتهم نحن العرب المالكون لثلث مصادر الطاقة التقليدية المستخدمة فى العالم بأننا محتكروها ومعوقون من خلالها للتنمية والتقدم العالميين ، على الرغم من أننا متربص بنا فى كل الأحايين بغية تجريدنا من مواردنا وطاقتنا بكافة السبل والعمل على نسف قيمتها كلما أمكن ذلك والإقلال من قوتنا ، فى وقت نال منها المستهلكون أنفسهم فوائد عالية وسينالون ، وإلا فما الداعى لكى يلهثوا وراء الطاقة فى أى وقت وفى أى مكان بطريقة شرعية أو غير شرعية ، وكأن العرب قد كتب عليهم أن تسلب حضارتهم وماضيهم وحاضرهم وكافة مواردهم .

ومن الخطورة أن ندخل نحن العرب الألفية الثالثة بكل ما تحمله العولمة فى جعبتها ، بلا صناعة تعيننا على مسايرة القرن الجديد ، بل مكبلين بأثقال من الديون فى وقت تباينت فيه الأنباء عن حجم الاستثمارات العربية الضخمة فى البنوك الغربية ، وبكل المقاييس فقد زادت هذه الاستثمارات إلى أضعاف قدر هذه الديون ، ناهيك عن حجم التجارة البينية الهزيلة بين البلدان العربية بعضها البعض ، ومن المثير والخطير أيضاً هو ما نشرته التقارير الخاصة عن التنمية الإنسانية بالمنطقة العربية والتى أظهرت بقصد أو بدون قصد مدى تدنى المنطقة فى التنمية الإنسانية عند مقارنتها بأقاليم العالم المختلفة حتى إفريقيا جنوب الصحراء .

ومن الخطورة البالغة فى هذا الوقت بالذات أن تشهد الأمة العربية مشاحنات وخصومات وشروخ فى كافة أرجائها تلك التى هزت كيانها وأنهكت قوتها ، بل تعد ناراً تحت الرماد يشعلها من حلا له ذلك ومن أراد . . ومن الصحيح أيضاً أننا نمتلك كل مقومات النهوض بحضارة جديدة أصلها ثابت .

وبناء على ما سبق فقد تناول الكتاب بالعرض والتوضيح والتحليل لكل إمكانيات الوطن العربى بداية من النشأة والحضارة والموقع وفاعليلته وواقعه وتكوينه

وشكله وسكانه ومياهه وزراعته وتعدينه وطاقته وصناعته وتجارته وتنميته ، ثـم عرض شامل لخطر الصهيونية المتربصة والمتحرشة والمغتصبة والتى هـى هـم العرب الأكبر والأهم ، وشملت الدراسة عرضاً لمعوقات الوحدة العربية المنشـودة وإمكانية تحقيقها وأهم معوقاتها .

ويعد هذا الكتاب بمثابة رسالة وافية وموجزة للقارئ العربـى وغـير العربـى ، للتعرف على ذلك العملاق العربى الكامن فى غيبوبته حتى نقف جميعاً على حقيقته ، وإننى لعلى يقين بأنه وقتما يقدر الله لأمتنا الرفعـة فـلا ينقصـها إلا شـبابها المخلصون حتى تفيق من غيبوبتها وتحتل مكانتها اللائقة . . لله الأمر من قبـل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيـم.

صدق الله العظيم

المؤلف

(١)

الفصل الأول
العرب

العرب

العرب أمة من الساميين ، نشأت فى شبه الجزيرة المعروفة باسمهم ، وهى إحدى المجموعات السلالية المتشعبة على أساس لغوى أو ثقافى فقط (من أصل سلالة البحر الأبيض المتوسط بتنوعاتها المختلفة والتى تتفرع هى الأخرى من السلالة القوقازية فى منطقة جنوب غرب آسيا) والساميون أصحاب الثقافة السائدة فى شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، لهم مزاج ذهنى خاص ، يشملون عدداً كبيراً من اللغات التى سادت هذا الإقليم فترة بعد أخرى من الزمن أهمها البابلية والآشورية فى العراق ، والكنعانية فى فلسطين وسوريا منذ ٣٠٠٠ ق . م ، ثم العبرية فى فلسطين والفينيقية فى الساحل الفينيقى ، وقد استمرت العبرية حتى القرن السابق لظهور المسيح عندما احتلت الأرامية محلها كلغة البيت والشارع (وإن ظلت العبرية لغة الكتاب المقدس والتعبد عند اليهود حتى الآن) وظلت الآرامية سائدة فى الهلال الخصيب كلغة العبادة والتخاطب والتجارة والعلم حتى حلت اللغة العربية محلها بعد أن تم فتح سوريا والعراق على أيدى العرب المسلمين فى القرن السابع الميلادى ، كما حلت محل اللغة النبطية (وهى عربية قديمة متأثرة بالسريانية والإغريقية) ومحل اللغات العربية الجنوبية القديمة أيضاً ، وتنتمى اللغة الأمهرية (تيجرة) إلى نفس المجموعة السامية ، ويتحدث بها الأحباش الآن .

وتتفق جمهرة العلماء على أن شمال شبه الجزيرة العربية الوطن العربى ا لأصلى للساميين مثل الأقزام والبوشمن والهتنتوت بأفريقيا والاستراليون الأصليون والفدا والهنود الحمر بالأمريكتين [١]. وقد أطلق "سليمان حزين" تعريفاً للعرب يعتمد على الناحيتين الاجتماعية والسياسية دون غيرهما وهو : "العربى من كانت اللغة العربية وعاء ثقافته وكانت العروبة محطة انتمائه" [٢] . ولعل هذا المعنى الأقرب إلى الإنصاف والصحة والدقة أيضاً ، فقد انتهى البحث منذ القرن التاسع عشر إلى أنه لا تكاد توجد سلالة نقية من حيث الجنس فى العالم كما يزعم اليهود ، وأن معظم الناس مزيج من أكثر من سلالة ، وأن التزاوج الحر بين الناس يؤدى إلى ظهور سلالات جديدة

باستمرار فالبشر منذ مئات الآلاف من السنين فى حركة مستمرة من الهجرة والغزو والانتقال من مكان إلى آخر [٣] .

فيما عدا بعض المجموعات السلالية النقية ولكنها آخذة فى الانقراض ، كما تجدر الإشارة إلى أنه بعد صدام فكرى وآراء عديدة لا سبيل للخوض فيها هناك رأى واضح وجرئ يؤكد على أن الوطن الأصلى للساميين هو شبه الجزيرة العربية ، وأن الواقع الجغرافى فيها قد هيأ الفرص لكى يكتسب الساميون خصائصهم ، إذ أن شبه جزيرة العرب واحدة من أكبر أشباه الجزر فى العالم وتتداخل فى تكوين آسيا بجانب أنها تمثل امتداداً للبناء الأفريقي حيث قوة وأصالة العلاقة بين الساميين والحاميين إذ يتصور أن شرق إفريقيا - القرن الإفريقى - هى أصلح المساحات ، لأن تحتوى الوطن الأصلى لسلالة بيضاء تفرعت منها المجموعة السامية والمجموعة الحامية [٤] . ولذلك فإننا إذا حاولنا أن نتتبع أصل العرب ، انتهى بنا البحث إلى أن ذلك الأصل ليس ضيقاً أو محدوداً ، وإنما هو متشعب غير محدود ، وإلى أن العربى يجمع فى تكوينه السلالى بين مميزات أهل آسيا الغربية وأهل البحر المتوسط وبعض أهل إفريقيا الشرقية ، ويرث هذه العناصر جميعاً ، أو يشترك معها على الأقل ، فى كثير من المزايا والملكات والمؤهلات التى تضيف إلى تراث العربى السلالى والثقافى جميعاً . . وهناك نظرية تجعل من الشرق الأدنى الوطن الأصلى للإنسان ، أى المنطقة التى انتشرت منها السلالات البشرية الكبرى التى تعمر العالم الآن ، وتقوم تلك النظرية على أساسين :

أولهما : الموقع الجغرافى ، إذ يجمع الشرق الأدنى بين قارات العالم القديم الكبرى (آسيا وأوربا وإفريقيا) ، كما يجمع بين بحار الشمال (أى البحر المتوسط وما يليه شمالاً وغرباً) . وبحار الجنوب (البحر الأحمر وبحر العرب وما يليهما جنوباً وشرقاً) ، **وثانيهما** : أن سلالات البشر الكبرى من عناصر آسيا الداخلية (الأتراك البيض والمغول الصفر) ، ومن العناصر البيضاء (أى الشقر فى شمال أوربا والبيض السمر فى جنوبها وفى شمال إفريقيا) . ثم العناصر السمراء والسوداء فى إفريقية وجنوب الهند وجنوب شرق آسيا ثم استراليا البعيدة ، وإذا صحت هذه النظرية - وهو ما يرجحه أغلب الباحثين - لاسيما فيما يختص بالعناصر البيضاء والسوداء ، وإن لم

يسلموا به جميعاً فيما يتصل بالمغول ، فإنه يجب أن ننتظر أن يجمع أهل جنوب غرب آسيا فى دمائهم وتكوينهم السلالى مزيجاً من المميزات والصفات ، وأن يكون هناك شئ من الاختلاف بين أهل الجزيرة العربية فى مختلف جهاتها ، لاسيما الشمال والجنوب ، وهو ما انتهت إليه البحوث الحديثة بالفعل (٥) . ومن نافلة القول ، فإن العرب بشبه الجزيرة العربية والذين اختلطوا ببقية العالم العربى والإسلامى خارج الجزيرة كانوا يمثلون شعباً متنوع المميزات والملكات ، ولكن ليس معنى هذا التنوع أن العرب خليط من الأجناس ، ولكنهم سلالة متجانسة ذات تراث متنوع من الناحية السلالية ولكنها موحدة التكوين من ناحية الفكر والثقافة الخاصة بالبيئة العربية .

البيئة العربية القديمة :

ونقصد بها منطقة قلب العروبة ونبضها الأول - شبه جزيرة العرب - والتى كانت قبل الألف التاسعة قبل الميلاد فيما قبل التاريخ بل العصر الحجرى الأدنى (القديم) والأوسط الأعلى ، تحوى الأمطار والزوابع المطيرة التى تتخلل المناطق الصحراوية الشمالية شتاءاً ، كما كانت الزوابع المدارية وشبه الموسمية تتوغل فى الأطراف الجنوبية على هيئة أمطار صيفية وعلى هذا كانت شبه الجزيرة العربية الجافة الآن تضم قمتين للمطر أحدهما شتوية شمالاً والأخرى صيفية جنوباً ، ولذا قد نما الغطاء النباتى حتى غطت الأدغال قيعان الأودية ورؤوس الجبال والتلال العالية وتكاثرت بذلك الحيوانات ، مما أتاح لإنسان ذلك العصر أن يلتقط النبات والحبوب والثمار ويقتنص الحيوان بأدوات حجرية ، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظروف قد اعترتها فترات من الجفاف النسبى أضطر معها الإنسان للهجرة فى مجموعات كبيرة لمختلف الاتجاهات حتى تتحسن الأحوال المناخية من جديد ، فتنقضى الحاجة إلى الهجرة ويتم ترك المهجر من أودية الصحراء وقممها العالية . . بعد ذلك وفى العصر الحجرى الحديث دخلت المنطقة فترة جفاف طويل تدريجى بعد انقطاع العصر المطير ، وأثناء ذلك عرف الإنسان صناعة الفخار واختزان المواد وتربية الحيوان واستدرار خيره بدلاً من مجرد اقتناصه والقضاء عليه كما استنبت النبات بدلاً من التقاط الحبوب

وجنى الثمار البرية فى السابق ، ومن هنا فقد تغير شكل الحياة للعربان فـــى الصحارى بدلاً من العيش عالة على البيئة ، بل إن حياة الأعرابى أصبحـت منتجة باستثمار مصادر الطبيعة والأخذ بأسباب الاختزان من موسم لآخـــر للشعير أو القمح أو التمر أو الزيتون وزيته أو السمن أو قديد اللحوم ونحوها ، وهذا يجعل لديهم فائضاً للتبادل ، مما أنشأ التجارة ، وهى حرفة جديـــدة أضيفت إلى حرفة الزراعة وحرفة الرعى ، أدت بدورها إلى وجود نوع من احتكاك الأفكار والمعاملات ، وأصبحت للأعراب أسواق يلتقى فيها النـــاس فكانت بداية لحضارة العصر الحجرى الحديث وما جاء فى أعقابه ، ولقـــد أصبحت الهجرة فى هذا العصر للتجارة والتبادل ، تطورت فى عصر مـــا قبل الإسلام فى الجزيرة العربية من رحلة الشتاء والصيف ثم من لقـــاءات سوق عكاظ وغيرها من أسواق الجزيرة العربية التى وصلنا خبرها ، أو مما أهمله الزمان وعفى عليه التاريخ [٦] .

ويعد شأن شبه جزيرة العرب شأن الصحراء الإفريقية الكبرى ، لم تطرد الفائض من سكانها إلا مع تصاعد الجفاف وسيطرة الشح والتقتير ، وهنـــاك اتفاق على أن سنة ٥٠٠٠ ق . م تمثل بالفعل النهاية المتـــأخرة لكـل أهـم التغيرات المناخية التى طرأت على المطـــر ، وأدت إلـــى سـيادة صفـات الصحراء الحارة الفقيرة على طبيعة السلالة العربية وتحركاتهم أيضاً [٧] .

أقسام العرب :

ينقسم العرب إلى العرب البائدة والعرب الباقية كما يلى :

أولاً : العرب البائدة :

وهم الذين انقطع ذكرهم وذلك لاندثار لغتهم القديمة مثل إرم ومعين وسـبأ وحمير جنوب شبه الجزيرة العربية وثمود وعاد فـــى شـمالها [٨] ، وقـد عاصرت هذه الحضارة البائدة تغير المناخ نحو الجفاف ، بل كانت ظـروف المناخ المحدد الحقيقى لازدهارها فعن حضارة معين مثلاً (من القرن التاسع قبل العهد المسيحى) كانت عاصمتها "قرنوة" وهى كانت ممتـدة فـى أرض الجوف الداخلى من هضبة اليمن ، أى أن ارتفاع المنطقة نحو ألف متر فوق سطح البحر ، فضلاً عن أنها تقع فى منطقة (ظل المطر) بالنسـبة لهضبـة اليمن التى تأتى معظم أمطارها من الجهة الجنوبيـــة الغربيـــة ، ويبـدو أن

الجفاف التدريجي قد حل بمنطقة الجوف واندثرت حضارة معين ، وحلت محلها منطقة "سبأ" إلى الجنوب منها وعلى ارتفاع بضع مئات الأمتار فوق الجوف وعاصمتها "مأرب" ذات السد التاريخى المعروف الذى كان يجمع مياه أمطار الهضاب العالية الواقعة للغرب منه ، وهو السد الذى استمر حتى القرن الخامس بعد الميلاد ، وكانت الأراضى المجاورة له والمحيطة به (تبلغ ١٥٠٠ متر فوق البحر) مقراً لحضارة سبأ والحضارة الحميرية التى لحقت بها واختلطت بنشاطها وثقافتها وامتدت إلى بعض أطراف اليمن وحضرموت ، كما استمرت حتى جاء الغزو الأثيوبى . فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين (٩) .

ثانياً : العرب الباقية :

ويقسم النسابون العرب إلى العرب العرباء أو العاربة والعرب المستعربة .

١- العرب العاربة :

هم أصل العرب ، فهم أهل اليمن الذين تسللوا - فى رأى المؤرخين العرب- من قحطان (الذى سمى بيقطان فى التوراة) ويتفق هذا التقسيم العام للعرب ، مع تقسيم آخر فى السلالة ، فالقحطانيون أو أهل اليمن يمتازون بالقامة الربعة ، المتوسطة ، والرأس الضخم العريض ، والأنف المعقوف ، وفى رأى بعض الكتاب اكتسب هؤلاء العرب صفاتهم الأناضولية من اتصالهم التجارى القديم مع أهل الخليج الفارسى ، حيث كان هؤلاء يتاجرون ويتصلون بالسومريين ، الذين يظهر فيهم الرأس العريض بوضوح ، ولاسيما فيما تركوه من تماثيل ونقوش ، هذا إلى جانب أن اليمنيين قد استوعبوا عناصر قديمة داكنة البشرة وهذه العناصر من بقايا الفدا القديمة .

٢- العرب المستعربة :

فمنهم الحجازيون فيما عدا أهل يثرب من الأوس والخزرج ، ومنهم أيضاً النجديون والأنباط وأهل تدمر وجميعهم من سلالة عدنان ، وينتمون إلى اسماعيل عليه السلام ، ويتصف العرب المستعربة بصفات البحر المتوسط حيث الرأس الطويل والقامة فوق المتوسطة النحيلة وفيهم يظهر الأنف الأقنى (١٠) .

خطوات نحو الوطنية :

شهد الوطن العربى هذا على مر تاريخه خطوات فى درب التاريخ كانت كفيلة بالتكوين لشخصيته يمكن أن نجملها فى خطوات أهمها :

١ - الهجرات الداخلية بشبه الجزيرة العربية :

خطوات البناء والتكوين الداخلى أو ما يمكن أن نسميه الهجرة من القلب إلى القلب التى هى بمثابة تدفق الدم فى العروق لتحقيق العروبة خطوات نحو التكوين والنمو مسايرة ومسابقة للأيام والدهور .

* قد اقتصرت حركة العرب داخل الجزيرة العربية وتأجل الخروج والانتشار خارجها ، فمع حلول الجفاف أصبحت شبه جزيرة العرب منطقة الاستبس الفقير على النقيض من داخلية القارة الآسيوية الأكثر مطراً ومن ثم الكلأ والحيوان وأسباب العيش لجموع كبيرة من الرعاة فكانت مبعثاً لهجرات الرعاة بأعداد غفيرة كما يحدث أيام الهون الذين حطموا الإمبراطورية الرومانية وفى أيام المغول والتتر . . على العكس كان النزوح من شمال شبه الجزيرة محدوداً ، كما أن الجفاف خلف عصر الجاهلية الذى عرف بالاضطرابات الشديدة "أيام العرب" وهى أيام الحروب والغزو بين القبائل ، والتى لعب الحصان العربى دوره الكبير فى حملات الغزو ، حتى أن بعض تلك الحروب ينسب إلى أسماء الخيل ، على سبيل المثال حرب "داحس" و "الغبراء" (إذ كان دخول الحصان إلى غرب آسيا وبلاد العرب قد نوع مصادر الثروة الحيوانية ومضاعفة القوة والحركة داخل شبه الجزيرة العربية ، فإلى جانب الجمل ذى السنام الواحد الخاص بالحمل والتنقل عبر الموانى والصحراء بشبه الجزيرة ونوع "الهجين" سريع الحركة الذى يصلح للحرب ، فقد أضيف الحصان حوالى عام ١٠٠٠ ق . م (على أيام الملك سليمان وجيوشه من الفرسان) بدأت تظهر فصيلة الحصان "العربى" الضامر ، وهى الفصيلة التى تطورت وضمرت بطونها فى بيئة فقيرة نسبياً ، صقلتها يد الإنسان والحضارة منذ القدم ، فالحصان العربى القديم هو نتيجة "التربية" والتقويم فى معيشته وحركاته ، وجرى على ناموس "الاختيار" فى تناسل الصفات ، حتى ظهرت سلالته العربية المنتقاة ، وهى السلالة التى لا يزال يجرى عليها التناسل والاختيار حتى الآن .

أما الموطن الأصلى للحصان فهو وسط آسيا . ودخل مصر على يد الهكسوس الغزاة الذين اصطحبوه معهم من بلادهم كأكبر وسيلة للغزو فى القرون الأولى من الألف الثانية ق . م حتى فطن المصريون القدماء إلى قيمة هذا الحصان ، فصنعوا "عجلة رمسيس" وانتقلوا بها إلى شمال الجزيرة وأرض فلسطين) (١١) ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم تعرف شبه جزيرة العرب الهجرات فى أفواج ضخمة حتى الفتح الاسلامى كما كان يحدث على يد التتار - مثلاً .

* كانت إمبراطوريتا الفرس والروم حائطاً للصد منذ البداية أمام التوسع العربى نحو الشمال الشرقى أو الشمال الغربى ، بل عملت كل منهما على استقرار الأعراب على حدودهما كدويلتين مرتزقتين ضد الهجوم والتوسع العنيف من داخلية الصحراء ، فكانت دويلة اللخميين بالحيرة على حدود العراق والتى أنشأتها دولة الفرس ، ثم دويلة الغساسنة من بنى غسان التى أنشأتها الدولة الرومانية بالشام وكلا الدويلتين عربيتين من اليمن لتصدق مقولة (اليمن مهد العرب والعراق لحدهم) .

* لم يتبع تغير المناخ نحو الجفاف بشبه الجزيرة العربية خلال القرون الأولى من العهد المسيحى هجرة ونزوح لسكانها ، ولكن زادت هذه الظروف من قوة ارتباط الجزيرة بسكانها ، إذ أن نمو التجارة الرومانية فى العهد المسيحى مع ازدياد قوة الكنائس وعمران أديرتها واستمرار الطلب على مواد البخور والعطور وغيرها من جنوب الجزيرة العربية ، والتى تقلصت بدرجة كبيرة بعد حلول الجفاف - ثم من نتاج الهند ، مما أوجد وظيفة ثانية لبدو الصحارى العربية بعد أن تضاءلت مهنة الرعى وهى مهنة "الوساطة" التجارية ، التى كانت طريق الحجاز وأرض قريش أبرز أمثلتها (١٢) . إلى جانب طريق آخر من سواحل الخليج إلى داخلية الجزيرة وشمالها . ومن هنا فإن طرق القوافل والتجارة الرابحة عوضت عرب الصحراء ولم تطردهم إلى خارجها .

* أصبح أمر الحياة والعيش مع حلول الجفاف بشبه جزيرة العرب وبجاراتها ليس بالأمر الهين ولكن الأمر يتطلب قدراً ليس باليسير من الشجاعة والإقدام والجرأة والتنقل والثقة بالنفس كل ذلك مصحوباً بالصراع والتطاحن ، فمن المعروف أن العصر الجاهلى قد امتاز بصفة عامة

بانقراض تدريجي للثروة الحيوانية البرية والوحشية ، فالحيوان المفترس قد قل وانحصر بالتدريج فى مناطق الجبال العالية ، كهضاب اليمن ومرتفعات عمان وربما بعض أودية نجد العليا ، ذلك الغطاء النباتى قد خف بالتدريج ، فقلت حيوانات الرعى الطبيعى من غزلان ونحوها ، وبالتالى فقد قل مصدر الغذاء بالنسبة للحيوان المفترس ، ونحن نعرف أن بعض شعراء العرب ومغامريهم أمثال امرئ القيس كانوا يجوبون شبه الجزيرة العربية فى طولها وعرضها طلباً للمغامرة والشهرة أو للغزو وفرض الجاه ، وقد خرج امرؤ القيس فيما يبدو من الأحقاف فى شمال غرب حضرموت قاطعاً الجزيرة كلها إلى أطراف الأناضول (١٣) .

* تهذبت شبه الجزيرة العربية تهذيباً روحياً لا مثيل له بين أرجاء المعمورة ، فعرفت مكارم الأخلاق وتواصى بها الشعراء . وحظيت جزيرة العرب باليهودية والمسيحية ولم تكن كلها وثنية ، فكانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية فى تميم : منهم زرارة والأقوع بن حابس (١٤) .

والحق أن جزيرة العرب لم تكن - كما يظن عادة - بمنأى عن التفكير الدينى القوى إنكاراً وجحوداً ، أو إثباتاً وتأييداً ، فمن بعض آراء العرب . . يقول الجاحظ . . " وذكر الله تعالى حال قريش فى بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام ، وصحة القول ، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ، ومن بلاغة الألسنة واللدد عند الخصومة فقال : (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) (١٥) ، ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم فقال : (وإن يقولوا تسمع لقولهم) (١٦) ، كما يقول طه حسين : فليس من اليسير - أن تفهم أن الناس قد أعجبوا بالقرآن حين تليت عليهم آياته ، إلا أن تكون بينهم وبينه صله : هى هذه الصلة التى بين الأثر الفنى البديع وبين الذين يعجبون به حين يسمعونه أو ينظرون إليه(١٧) .

ومهما يكن من أمر العرب عند ظهور الدين المحمدى فإنهم لم يكونوا فى سذاجة الجماعات الإنسانية الأولى من الناحية الفكرية التى تهمنا ، يدل على ذلك ما عرف من إيمانهم وما روى من آثارهم الأدبية وكان العرب عند ظهور الإسلام : يتشبثون بأنواع من النظر العقلى يشبه أن يكون من أبحاث

الفلسفة العلمية ، لاتصالها بما وراء الطبيعة من الألوهية ، وقدم العالم أو حدوثه ، والأرواح ، والملائكة ، والبعث ، ونحو ذلك (١٨) .

ومن نافلة القول أن الجزيرة العربية ما خلت فى الجاهلية من الحكماء ، وكما يقال : حكماء العرب هؤلاء هم : العلماء الذين يرجع إليهم فيما يعرض من مشاكل . وهم فى الجملة : أعظم العرب حظاً فى الثقافة .

ومن هؤلاء الحكماء : قس بن ساعدة . الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق . وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدنى أحفظه ، وخطبته بسوق عكاظ مشهورة : "أيها الناس اسمعوا وعوا . . الخ " ودليله على وجود الله أيضاً مشهور أنه يستدل بالأثر على المؤثر . وهو يصف الإله فيقول : كلا بل الله إله واحد ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وإليه المآب غداً (١٩) .

* شهدت القرون الأولى من العهد المسيحى بأرض الجزيرة العربية تطوراً فى المفهوم اللغوى ومن ثم الثقافى ، فقد أخذت اللغة العربية تتطور فى كتابتها من الكتابة النبطية ، واستمر هذا التطور عن أصولها السامية واتخذت نطقها ومنطقها العربى الذى تطور كثيراً وبلغ صورته الأولى المجيدة فيما نسميه بالعصر الجاهلى ، حتى أنزل كتاب الله فى مطلع الإسلام فأضفى على اللغة بهاءها وجلالها ، وتوطدت مكانتها لغة للأدب والفن وجمال التعبير ، بل لغة الحضارة والمدنية والثقافة والسياسة جميعاً (٢٠).

وبعد فكل ما تم سرده وإظهاره من أحوال الجزيرة العربية جعلها أرضاً خصبة قوامها بلاغة وجمال وعبقرية النطق واللسان ، وما ضمنت أحضان هذه الجزيرة من حكماء وفلاسفة لا يقلون عن فلاسفة اليونان وموحديهم ، ثم ما فرضته الظروف الطبيعية على ساكنيها من شجاعة ومغامرة وصراع وبناء فتى لشبابها وركوب الخيل وحبه ، إلا أن هذه الأرض كان لابد أن تنبت أشجاراً ذات ثمار وهذه الثمار هى الوطنية أو بمعنى آخر القومية ، ولكن لكى يحصل ذلك لابد من البذرة المنتقاة التى تنبت ، فكانت هذه البذرة هى الإسلام . فما كان ينبغى للقومية أو الوطنية العربية أن تتكون وتبنى وطناً دونما يكون الإسلام . والإسلام بالتحديد ، فالقومية ليس لها علاقة كبيرة بالجنس أو السلالة ، لأنه لا توجد سلالة نقية تماماً كما سبق الذكر ، إذ نجد كثيراً من القوميات تضم سلالات ذات أصول مختلفة كما فى فرنسا ،

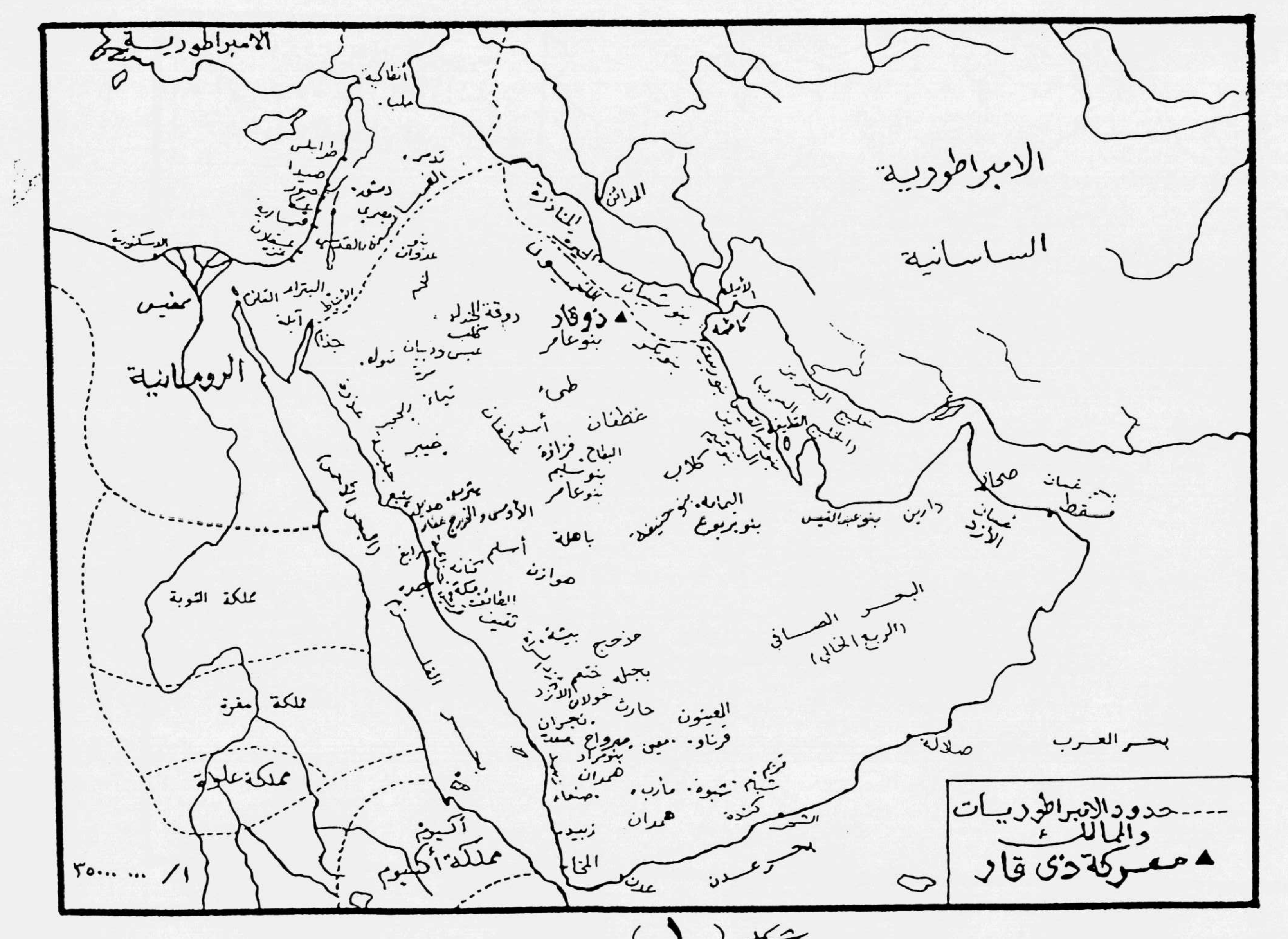
وكما نجد كثيراً من القوميات تضم لغات مختلفة كالأمة السويسرية ، وكما نجد كثيراً من القوميات تضم التقاليد المتوارثة والعادات الاجتماعية المشتركة والعديدة ومع ذلك يعتزون بقوميتهم كالأمة الأمريكية [٢١] .

إضافة لما سبق لا يمكن أن ننكر أثر السلالة والجنس واللغة والتقاليد والعادات الاجتماعية فى إذكاء الروح القومية ، بل كلما توفر عنصر أو عناصر منها ، كانت بمثابة العمد التى توحد وتقوى هذا الشعور الوطنى وقت الأزمات ، وكانت الجزيرة العربية تضم لغة عربية وعادات وتقاليد وسلالة متقاربة أيضاً غير أنها كانت فى قبائل وعصبية واختلاف فى الهدف والمصير ، فلما جاء الإسلام وعم ربوع جزيرة العرب وتوحدت الجهود واطمأنت القلوب وتمت المؤاخاة وعم الأمن والعدل وتوزعت المهام وكان الإحساس بالجماعة هو الشعور المسيطر ، فكان الإسلام وراء القومية العربية والإسلامية ، بل ضم الإسلام أهل الذمة واحتواهم ضمن الدولة الإسلامية الكبرى لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وفق الشريعة . فالقومية فى الحقيقة كما يعرفها East Sprescott هى : شعور متبادل بين الأفراد ، يجعلهم متأثرين فى عواطفهم وسلوكهم بفكرة الولاء لوطن ما ، لأنهم نبت أرض واحدة ، ومصالحهم السياسية والاقتصادية واحدة ، وأمانيهم وآمالهم واحدة ، يتأثرون بمؤثرات واحدة سواء فى النكبات أو الأفراح ، بصرف النظر عن ميولهم الطائفية أو الدينية أو مصالحهم الشخصية [٢٢] .

وقد استطاعت مبادئ الإسلام أن تحول العرقية والقبلية ذات الجماعة التى تحس بانتماء وولاء للقبلية بصورة متعارضة مع الدولة إلى ولاء تام لدولة الإسلام [٢٣] ، بل وكان الإسلام وحده هو الذى وحد دولة فى جزيرة العرب ، ومن ورائها الدولة الإسلامية الكبرى على امتدادها حول نواة ثم اتسعت بعد ذلك فى رباط قوى بين النواة والأطراف بشرايين الولاء والطاعة والثقة كما فى الشكل (١) ثم (٢) ، وإلا كانت هذه الأطراف عرضة للاختطاف من الدول المجاورة والمترقبة .

هجرات البناء للقومية العربية :

ما الوطن العربى الكبير إلا نتاج لهجرة الإسلام مصحوبا باللغة العربية الناضجة من قلب جزيرة العرب شرقا وغربا فإن الخروج العربى الإسلامى



شكل (١)

مواطن القبائل العربية قبل الإسلام



شكل (٢)
أهم القبائل العربية التى انتشرت مع الفتح الإسلامى

جاء مختلفا عن خروج الرعاة الوثنيين من سهوب وسط القارة الآسيوية قبل الميلاد بمراحل (مثل سلالة يطلق عليها : الهنود الأوربيون . كانوا يسكنون الهضاب المجاورة لجنوب غرب آسيا من الشمال وهى هضبة أفغانستان وهضبة إيران وهضبة آسيا الصغرى ، وقد بدأت طلائع الهنود الأوربيين فى الظهور على مسرح الأحداث فى هذا الجزء من العالم فى أواخر الألف الثانية ق . م . فهبط الكاسيون Kassties من مرتفعات زاجروس إلى العراق الأدنى ، وهبط الحورى والميتانى والحاتى من هضبة آسيا الصغرى إلى أرض الجزيرة وشمال العراق . وقد امتاز ظهور الهنود الأوربيين بفترات الاضطراب العنيفة التى انتابت جنوب غربى آسيا فى التاريخ القديم ، وأقدم هذه الفترات هى فترة الهكسوس ، الذين قادوا جحافل البدو الساميين من أرض الجزيرة وأخضعوا الجانب السورى لحكمهم ، ودخلوا مصر وحكموها ردحا من الزمن (١٨٠٠ - ١٦٠٠ ق .م) وبالرغم من أن الهنود الأوربيين كانوا فى الأصل رعاة ، إلا أنهم سرعان ما استقروا فى مواطن الحضارة الزراعية وهجروا حياة الظعن والارتحال ، وكما كان لهم فضل إدخال حيوان الحصان إلى جنوب غرب آسيا ، كانوا أيضا يسيطرون على أغنى مواطن الحديد فى آسيا الصغرى ، مما اكسبهم قوة حربية كبيرة (العجلة الحديثة) تمثلت فى دولة الحيثيين فى آسيا الصغرى) . وحتى بعد ظهورها ، فكان خروج الرعاة الوثنيين خروجا مخربا قام على الفتح الغاشم ، أما الخروج العربى فى عهد الإسلام هدف إلى العطاء قبل الأخذ ، فقد جاء معه رسالة سماوية تدعو إلى الحق ومبادئ الإخاء والعدل والمساواة بين الغالب والمغلوب ، وبين العربى والأعجمى والرومى ، وسمح للمسيحى وأهل الذمة جميعا فى الاحتفاظ بعقيدتهم وممارستها فى حرية وسط كيان الوطن [٢٤] .

حركة الفتح الإسلامى بآسيا شطر الكيان العربى الأول :

ليس خفيا فى التاريخ أن التوسع العربى فى الكيان الأسيوى لحاملين رسالة الإسلام من شبه الجزيرة العربية مركز الوسط تجاه الفرس والروم كانت رد فعل فى اتجاه مضاد لحركة قديمة سابقة . فبعد أن نقلت تجارة الإغريق إلى أطراف الجزيرة العربية وبعض أجزائها الداخلية دخلت جيوش

الفرس من الشمال الشرقى للجزيرة العربية قبل ألف سنة من الفتح الإسلامى حتى أرض سبأ كما انتشروا بالبحر حتى سواحل عمان والجنوب الغربى ، حيث أثروا فى السلالة تأثيرا ظاهرا ، لاسيما فى شكل الأنف الطويل والكبير الأرمينى أو الآشورى القديم ، وللإنصاف فقد أخذ العرب منهم فن البلاغة وإتقان الشعر العربى من خلاله ، كما أخذ منهم نظام الوزارة والحجابة والإدارة وطرق الزراعة وإنتاج المحاصيل وغيرها . كما أخذ العرب من الروم نتيجة الالتقاء الحضارى فى مواطن ثقافية عديدة قبل الإسلام عدة ثقافات من هذه المواطن "الرها" مقر السريان المسيحيين و (حران) مقر الصائبة عبدة النجوم و (إنطاكية) و (الإسكندرية) وكلها مراكز كانت بها مكتبات كبيرة [٢٥] .

لو تابعنا معالم انتشار العرب بدينهم الجديد وقيمهم الفكرية والروحية والاجتماعية الممتدة فى بلاد فارس كما فى الشكل رقم (٢) ، لعلنا نتفهم مبلغ تأثر حركة الانتشار بمعالم الطبيعة الجغرافية على الطريق من جهة ، وتأثرها بالظروف البشرية والحضارية التى وجدها العرب من جهة أخرى ، وقد كان لعبور الهضبة الإيرانية طريقان أحدهما جنوبى والآخر شمالى . فأما عن الطريق الجنوبى (فارس القديمة) موطن حضارة الأكاسرة ، وقد واجهت التوغل الإسلامى بكل قيمه . أما الطريق الشمالى فى الهضبة فقد كان أقرب تناولا لجموع العرب الفاتحين والمبشرين بالدين الجديد عبر جبال زاجروس إلى مناطق همدان وشمال إيران حتى مشارف تركستان الغربية حيث قبائل الأتراك القدماء ، وهناك اتخذ العرب الفاتحين منها قاعدة انتشار فى اتجاهين . أولهما : نحو الجنوب الشرقى عبر الجبال إلى شمال غرب بلاد الهند حيث توطد الإسلام بأرض السند وأطراف القارة الهندية الشمالية ، أما **الاتجاه الثاني** للانتشار كان نحو إمبراطورية الصين القديمة وبلاد تركستان الشمالية حتى حواف صحراء جوبي وأرض منغولية وسهول شمال الصين ، . أما الحافة الجنوبية لصحراء حوض تاريم والتي تحازي حافة هضبة التبت ، فإنها لم تكن صالحة تماما لمسيرة الرماه والغزاه ، ولذلك فإن الإسلام لم يسلك هذه الطريق الجنوبية .

أما عن العراق فقد سبق توضيح الهجرات العربية من اليمن أرض المهد إلى العراق لتجد حظها في حيازة الأرض والإستيطان والتغيير الحضاري

والاجتماعي كما استقطبت أرض الشام الموجات العربية منذ أكثر من خمسين قرنا ونصف ، وأخذت هذه الموجات في الاختلاط على مر العصور وبقيت أنسال هذه الموجات العربية التي استوطنت أرض الشام إلى ما بعد ظهور الإسلام. وواصلت هذا الاستيطان والفتح الإسلامي .

كان هذا الفتح الإسلامي الشاسع المدى في أعماق آسيا له نظمه التي كان لها دور في تحديد حدود الوطن العربي بصورة لا خلاف فيها ، وتكمن هذه النظم في أن الخروج العربي الإسلامي قد أفلح في إقامة وجود عربي تمثل في شكل جاليات في المواني ومراكز التجارة واتسم هذا الوجود بمنطقة الانفتاح واختلط بالسكان وأنجب أجيالا تجري في عروقها الدماء العربية ، ولكن الوجود العربي بأنحاء كثيرة من أفريقيا وآسيا الموسمية قد تعلق بأمل العودة لشبه الجزيرة الوطن الأم ، بعد تحقيق أهدافه الاقتصادية غير أنه لم يحتفظ بذاته أو يتشبث بالأرض ، ولم يحرص على إشاعة العروبة فيها ، ويبدو أن انصراف الرجال من العرب الذين أنجبوا من أمهات غير عربيات ، إلى التجارة وركوب البحر ، ترك للأمهات فرص تلقين اللغة إلى الأمهات ، ومن ثم شب الأبناء لا يعرفون العربية ، وكانت لغاتهم هي بالضرورة لغات الأمهات غير العربيات . وكانت هذه الظروف كفيلة بإضاعة القومية العربية بهذه المواطن (٢٦) .

على عكس ما سبق كان الخروج للعراق وبلاد الشام خروجا يرفض العودة ، من أرض جديدة ونشاط جديد خاصة وأن هذا النشاط قد شمل الرجال والنساء ، وقد فرضت الظروف تجنب الوجود العربي الحياة في إطار جاليات منعزلة عن الناس في تلك الأنحاء ، بل أن الوجود العربي قد التزم بالانفتاح واختلط بالسكان بصورة مكثفة من حيازة الأرض والتشبث بالحياة في المهجر ملتزما بتحويل المهجر إلى وطن وأفلح في إشاعة العروبة فيه .

حركة الفتح الإسلامي بأفريقيا شطر الكيان العربي الثانى :

كان طريق الفتح الإسلامي لإفريقيا الأساسي عبر شبه جزيرة سيناء إلى أرض مصر . حيث تركز الإسلام وأتخذ قاعدته القوية بها ، إلا أنه يجب أن نتذكر أن الإسلام لم ينتشر في ربوع مصر فور دخوله ، بل كانت الجزية

من الأقباط كافية لاحتفاظهم بديانتهم ، فضلا عن أن عقيدة الإسلام تقوم على عدم الإكراه في الدين ، وظل الريف في الدلتا على ديانتهم حتى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مع ضعف الكنيسة ودخول الأفواج في الإسلام ، وتأخر نشر الإسلام في الصعيد والنوبة والسودان حتى انقضت نحو خمسة قرون على دخول الإسلام مصر .

يرجع سبب تأخير الاتجاه بالفتح الإسلامي ناحية الجنوب فى بقاء العرب الأوائل متركزين في شمال مصر واكتفوا بالهجرة منها على ساحل البحر المتوسط إلى شمال أفريقيا ، كما في الشكل رقم (٣) في ليبيا ثم تونس فالجزائر ثم المغرب ومن هناك اتجه التيار الإسلامي إلى الجنوب نحو موريتانيا (حيث استقرت بعض القبائل العربية النازحة وأرست قواعد الفقه والأدب في واحاتها) كما أن المد الإسلامي سار مع سواحل المغرب إلى السنغال وأطراف إفريقية الاستوائية وإن كانت القبائل النازحة قد فضلت عدم التوغل في النطاق الاستوائي ، وفضلت في الدوران شرقا مع الحزام السوداني نحو مالي وشمال نيجيريا وتشاد .

فى هذه الأثناء جاءت موجات جديدة من قبائل الجزيرة العربية إلى مصر وبدءوا ينتشرون جنوبا على طول الوادى وذلك فى القرن الثانى عشر وما بعده ، واستقر الكثيرون وهم فى طريقهم وانشأوا نجوعا بأسماء عربية مثل بنى سويف وبنى مزار وبنى قرة وبنى عدى ونجع حمادى وغيرها ، ثم رحلت طلائعهم إلى النوبة ثم إلى شمال السودان وشرقه وغربه حتى حوض النيل الأعلى فى بحر الغزال وبحر الجبل واستمر توسعهم حتى صدمته هضبة الحبشة التى سبقتهم إليها المسيحية القبطية منذ القرن الخامس الميلادى وما بعده . ولكن هذا السيل بعد ذلك توقف عن الامتداد مع الغزو التركى لشمال شبه الجزيرة العربية ومصر فى القرن السادس عشر . واستمر الحال على ذلك حتى عهد الاستكشافات الحديثة فى قلب إفريقيا ودخل الاستعمار بصحبة هيئات التبشير للمسيحية مستندة لسلطة المستعمرين ودولهم وأخذت تنتشر بين القبائل ذات العقائد الفطرية ، وصور المستعمرون تجار المسلمين ودعاتهم على أنهم تجار رقيق يجب أن يتحاشاهم أبناء القبائل والسكان الأصليون وقد أبدعوا وبرعوا فى ذلك .

وبالتدريج أصبحت محاربة انتشار الإسلام والسعى بالقطيعة بينه وبين السكان الأصليين سياسة مرسومة لدول الاستعمار فى تلك المناطق . وقد استمر هذا الأمر حتى بعد أن بدأ ظل الاستعمار ينقشع عن هذه المناطق(٢٧).

وكان انتشار تجار المسلمين بالبحر قد بدأ يصل إلى القرن الأفريقى عن طريق باب المندب (بعد أن كان الانتشار المباشر من الحجاز إلى شواطئ البحر الأحمر القريبة قد بقى ضعيفا ومحدودا) ، وكذلك امتد انتشارهم بالمباشرة من جنوب بلاد العرب وجنوبها الشرقى (عمان) إلى سواحل إفريقيا الشرقية ، ولكن هذا الانتشار من البحر لم يلتحم بالانتشار الإسلامى الآتى بالبر من الشمال عن طريق السودان الأوسط ، وبذلك فقد بقيت منطقة بحر الغزال تمثل نطاقا حاجزا بين الإسلام الآتى من الشمال و الإسلام القادم عن طريق القرن الأفريقى (٢٨) .

الفتح الإسلامى البحرى من شواطئ الخليج وبحر العرب :

كان الفتح الإسلامى من خلال طرقه البرية بمثابة حركات خروج كبرى يندر أن تناظرها حركات مماثلة فى التاريخ ، بل أنها حركات غيرت وجه التاريخ الإنسانى فى آسيا وأفريقيا أكبر قارات العالم ، وبعض أطراف من جنوب القارة الأوربية من ناحية الأندلس وصقلية والأتراك (بدل العرب) إلى أرض البلقان ، ولقد كان كل هذا الانتشار بريا لا ركوبا عابرا وقصير المدى . . ولكن الحقيقة أن العرب لم يكونوا أمة (برية) فحسب ، وإنما كانت لهم جموعهم "البحرية" التى خرجت من شواطئهم على الخليج وسواحل بر العرب بالركن اليمنى ، منذ الفينيقيين قبل الإسلام ، حيث كان الخروج من شواطئ الخليج وموانيه القديمة متأثرين فى ذلك بالفكر المصرى القديم حتى بلغوا به أرض قرطاجة فى تونس ، ذلك يجانب الموجات البحرية على شواطئ اليمن وما حولها والتى ارتبطت ملاحتها بملاحة البحر الأحمر القادمة من شواطئ مصر فى شمال ذلك البحر إلى بلاد (بونت) ، ثم كان هناك موجات بحرية بعد ذلك فى العهد الكلاسيكى القديم ، ارتبطت بالنشاط البحرى فى العهد الإغريقى الرومانى وانتشرت بها الحضارة والتجارة فى البحر الأحمر ورأس الخليج العربى وقواعد البحر الإريترى وشواطئ اليمن وحضرموت وشواطئ الصومال .

أما فى العصر الحديث فى أعقاب الاستكشافات الأوربية ، كانت هذه هى الموجة الأحدث فى انتشار الملاحين العرب الذين جاء أغلبهم من جنوب بلاد العرب وبعض شواطئ الخليج (لاسيما مسقط) . وهذا هو الانتشار الذى حمل الإسلام فى اتجاهين متقاطعين هما الاتجاه البحرى الشرقى إلى سواحل الهند ثم إندونيسيا وجزر الجنوب الشرقى الآسيوى حتى شواطئ الصين الجنوبية والوسطى من جهة وشواطئ جزر الفلبين الجنوبية من جهة أخرى (بلاد واق الواق فى أغلب الظن) فضلا عن أنه يمر بالكثير من جزر المحيط الهندى لاسيما فى منطقة المالديف (٢٩) .

ومن ناقلة القول أن الخروج العربى البحرى كان "سلميا" فقد كان رجال تلك الحملات من التجار وحملة الرسالة إلى جانب أنهم كانوا بحارة ، ولم يكونوا من قطاع البحر وقراصنة الطرق البحرية ، وبذلك سرعان ما حدث التقاء وتزاوج حضارى لا يكاد يناظره تداخل حضارى آخر ، فقد التقت حضارة العرب وثقافتهم مع حضارات الهند والهند الشرقية والملايو وإندونيسيا والهند الصينية والصين والفلبين ، وحتى أطراف أرض "شيلا" القديمة فى شبه الجزيرة الكورية (٣٠) .

- تعريب المهجر كخطوة فى بناء الوطن العربى :

يعتبر التوسع والانتشار العربى الإسلامى قد خدم وهيأ الفرصة للتعريب فى بعض الأقطار المفتوحة وان التعريب خدم وهيأ الفرص للتوسيع فى بعض الأقطار الأخرى ، كما أن الإسلام قد تحمل مسئولية الفتح ، أمام التعريب والتوسيع ، ودعم فى نفوس المسلمين العرب منطق وروح الانفتاح أمام التعريب والانتشار فى أقطار أخرى . . والواقع أن التعريب أو إشاعة العروبة فى الأنحاء التى تحوى الوطن العربى الكبير قد جاء نتيجة حتمية لاستمرار خروج الموجات والأفواج العربية من جزيرة العرب ، وتطلعها للاستيطان فى أرض جديدة تقدم فرص الحياة الأفضل . ويجب الإدراك أن وجود الدولة الإسلامية ودورها البناء وهى تمسك بزمام السلطة فى مساحات كبيرة على الصعيدين الأفريقى والآسيوى ، قد قدم الدعم لهذه الموجات وهى تقوم بمهمة التعريب ، وقد واجه هذا الدعم صورتين متناقضتين هما :

أولا : سياسة النظام الحاكم وميله للتعريب وحفز البطـون العربيـة علـى الانفتاح والاختلاط وذلك فى عدة أقطار وليس جميعها ، ويمكن أن نجمـل هذه السياسة فى نقاط ثلاث هى :

١- فرض القيود على التحرك العربى الوافد فى إطار شـكل مـن أشـكال التوطين فى المساحات الأنسب .

٢- تهيئة الظروف التى تخدم الانفتاح وتدعو إلى الاختلاط بيـن الوجـود العربى الوافد والوجود السكانى الأصلى ، وصولا إلى حد الذوبان والتداخـل وتكوين البناء البشرى المتماسك .

٣- تطويع الوجود العربى الوافد بعد توطينه وصولا إلى حد الاستجابة إلـى أسلوب أو نمط الحياة الأنسب .

وكان وراء التفاوت فى نجاح سياسة التعريب جزئيا أو كليا أو حتى التى أحبطتها فى بعض الأقطار أمران اثنان هما :

أ - **الضابط البشري :** فبعض البطون العربية رفضت الالـتزام بسياسـة الدولة ولم تتجاوب مع إرادة التغيير المفروضة عليها اجتماعيا واقتصاديـا ، وبناء على هذا الرفض تسللت هذه الجموع الرافضة إلـى أرض أخـرى لا تخضع لسيطرة الدولة ، حرصا على نمط حياتها وحريتـها الكاملـة فـي الاستيطان المتحررة من الالتزامات التي تمليها السلطة الحاكمة في الدولـة وقد أظهر هذا الضابط بعض الجموع العربية من أرض مصر إلـى الأرض المجاورة غربا في ليبيا وجنوبا في السودان سعيا وراء البـداوة ورفضـا للاستقرار .

ب - **الضابط الطبيعي :** الذي يصور في بعض الأقطار كيـف أسـعفت التضاريس بعض الناس من السكان الأصليين ، وهي ترفض الاختلاط مـع الوجود العربي الوافد ، وأسفر هذا الوضع عن استيطان الوجود العربي فـي أحضان السهل ، وتشبث الوجود غير العربـي بـالكتل الجبليـة والأرض المتضرسة الوعرة ، كما هو الحال في المغرب العربي الكبير بيـن وجـود عربي سامي ووجود بربري حامي .

بل وفي بعض الأقطار قد أحجمت عن وضع سياسة فعلية وحاسمة مـن أجل التعريب ، وكان من وراء هذا الإحجام الإسلام الذي أثـر أن يـترك للأقوام التي دخلت في حظيرة الدين حرية الاحتفاظ بالذات . والمثل البـارز

في ذلك هي فارس ، فقد دخلت حوزة الدولة الإسلامية ودخلتها جموع عربية وانتشرت في أنحائها ، بل كانت العربية لغة الكتابة والخطاب للفرس وغيرهم ، ولكن حدث أن تراجعت وتقوقعت واعتصمت ببعض المواقع المضرسة حتى تأتي فرصة الانتشار وتعيد إلى فارس فارسيتها ، لا كراهة في العربية ولكن اعتزازا بالذات القومية الفارسية أكثر من أي شئ آخر والدليل هو شدة اعتقادهم بالدين الإسلامي .

على الجانب الآخر فإن نجاح الاستيطان العربي في تعريب مصر تعريبا كاملا ، هو أن مصر كانت تلتزم باستخدام اللغة اليونانية الدخيلة عليها لم يكن من شأنها أن تتشبث بهذه اللغة لأنها لا تمثل شيئا بالنسبة للذات المصرية ، وهذا معناه أن مصر لم تكن على استعداد للمحافظة على اللغة اليونانية المفروضة عليها ، ومعناه أيضا أن مصر استسلمت باختيارها العربية ، وقبلت بالتعريب في إطار الكيان الإسلامي ، أما عن اللغة القبطية ، فكانت سائدة في الإطار الشعبي ، ولم تكن بالقطع لغة الثقافة وتسجيل التراث ، ومن ثم لم يكن من شأن اللغة القبطية أن تواجه اللغة العربية لكي تحول دون انتشارها ، وينبغي أن نذكر أن اللغة القبطية آثرت أن تتحول إلى لغة خاصة تستخدم في الإطار الكنسي فقط [٣١] .

ثانيا : تسلل وانتشار القبائل العربية إلى أقطار وأمصار لم تشهد فتحا إسلاميا من قبل ، بل أدى الموقف السلبي الذي أخذت به الدولة ، وتشبث به الولاه (خاصة ضد الوجود العربي الإسلامي) إلى تفجير وتنشيط التحرك العربي الإسلامي ، على الصعيد الإفريقي على وجه الخصوص [٣٢] .

ولكى نستشعر جدوى وفاعلية هذا الانتشار الذي جاء على غير إرادة الدولة ، وفي الأرض التي لا تخضع لسلطانها الحاكم ، ينبغي أن نفطن إلى الانتشار العربي في هذه البلاد يمثل صورة من النشاط العربي الحر غير الملتزم بإرادة الدولة أو بأهدافها ، وهذا معناه أن هذا التحرك كان شكلا من أشكال الفرار من قبضة النظام الذي أشاعته الدولة ،وذلك تجاه القلب الإفريقي المداري ، مما جعل هذا التحرك قد تحمل مشقة عبور الصحراء الإفريقية الكبرى اعتمادا على الخبرة الذاتية في استخدام الإبل على الدروب الصعبة ، وصولا إلى نقاط المطر الصيفي جنوب الصحراء والسودان (إقليم

الساحل : تشاد - مالى - النيجر - بركينافاسو) بعيدا عن سلطان الدولة ، وتحت ضغط الحاجة لدوافع اقتصادية والبحث عن حياة أفضل .

وقد التزم هذا الانتشار بالتسلل إلى الأرض في النطاق السوداني جنوب الصحراء ، لكي يتجنب العدوان والدخول في موجات ساخنة ضد السكان الأصليين ، ويبدو أن العربى قد عرف طريقه إلى هذه الأرض منذ وقت طويل سابق لظهور الإسلام من خلال العبور المباشر للبحر الأحمر ، ثم عرف طريقه الآخر إليها بعد الفتوح الإسلامية ، ومن خلال التحرك والعبور المباشر للصحراء الإفريقية الكبرى ، وهذا معناه أن الانتشار العربي قد بدأ قبل الإسلام ، وكان من شأنه أن يتجنب المواقع الاصلح على خط الساحل الإفريقي على البحر الأحمر وأن يتخذ منها رؤوس جسور مع الناس والأرض في الظهير ، مما يعنى أن الانتشار العربي بعد الإسلام انتفع بالوجود الإسلامي في شمال إفريقية وفتح طريقا جديدا إلى السودان [٣٣] .

ومن ثم أصبح الإسلام ، فمثلا أصبحت العروبة من وراء كل الروابط التي تكمن من وراء ما يستشعره الناس في الوطن العربي من تماسك أو من وراء التركيب الهيكلي للأمة العربية التي تملأ الخير في الوطن العربي . أيضا ما يستشعره العربي في أن تكون لغته العربية وعاء ثقافته وتفكيره وهوس انتمائه .

والآن : ألم يستحوذ المواطن العربي سليم الفكر في كافة الأنحاء بانتماء عربي جارف بدرجة أنه لو اتهمه أحد بعدم الانتماء كاد أن يقتله؟ أليس هناك شعور جارف وتحفز لمساندة فلسطين ضد الغطرسة الصهيونية من قبل أي مواطن عربي يعيش بين المحيط الأطلسي والخليج العربي ؟ ماذا لو استطاع أحد الفرق العربية الوطنية الصعود إلى المربع الذهبي لكأس العالم لكرة القدم ، هل تستطيع أن تصف شعور كل عربي ؟

الإجابة على هذه الأسئلة لا شك تعد معروفة بصورة بديهية بصورة تبرز جيدا وحدة اللغة والثقافة والدين والمصير ، كأن هذا العربي قطعة قماش نسيجها كل ذلك . وعلى من يريد أن يجعل هذه الأمة تنقض غزلها ، عليه أن يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، عصر الأساس ويبدأ في نخر قاعدة هذه الأمة إن استطاع !

الفصل الثانى
فاعلية الموقع والواقع العربى

فاعلية الموقع والواقع العربى

الوطن العربي وتحديده :

لا شك في أن التاريخ قد نسج الوطن العربي وطنا واحدا بلا عوالم وأصبحت شخصيته واضحة جلية ، وأهم ما يميز هذه الشخصية اللغة ، فأصبح اللسان العربي الفصيح ، مفهوما في العراق ، كما هو مفهوم في المغرب ، ولعل هذا الغطاء اللغوي الذي افترش الإقليم من أول عوامل وحدة الإقليم ، وتميزه عما جاوره من أقاليم أخرى ، كإيران وتركيا ، فاللبناني أو السوري يفهم الجزائري على بعد آلاف الأميال ، ولكنه لا يفهم التركي على بعد مئات الأميال ، بل وأحيانا عشرات الأميال [١] .

وما يجب التلويح إليه هو أن الكتاب الأجانب يشيرون إلى الوطن العربي بتعبيرات عديدة ، لعل أقلها هي تسميته الحقيقية ، فتارة نسمع الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط ، فالشرق الأدنى كان يقصد به أملاك الدولة العثمانية مع إضافة شبة جزيرة البلقان الخاضعة للعثمانيين آنذاك ثم بعده الشرق الأوسط مع الحرب العالمية الثانية وكان تعبيرا عسكريا سياسيا أكثر منه جغرافيا ، وظهرت الكتب والدراسات المتخصصة تحمل اسم الشرق الأوسط وهذا المسمى غير واضح أو موضح لمعالم الإقليم مما أضعف هذه التسمية ، فتارة يضيفون مصر إلى جنوب غرب آسيا ، وتارة يضيفون ليبيا ، ولكن بماذا اختلفت صحراء ليبيا عن صحراء المغرب العربي حتى نقف بالإقليم عند ليبيا ؟ بل كما اختلف الكتاب في حدود الإقليم الغربية ، اختلفوا أيضا في حدوده الشرقية ، منهم من وصل به إلى إيران ، ومنهم من ضم إليه أفغانستان وباكستان ، أو شمال غرب الهند [٢] .

ولكن ما يجب التشبث به ليس مسمى العالم العربي ، لأنه معنى العالم يمثل وعاء يتسع لعدة أوطان والتي تحتوي الأمم الكثيرة المتباينة أما المسمى الأنسب والأفضل هو تعبير الوطن العربي . إذ يحصر ويحدد الكيان المادي لوجود قومي متميز ، يمثل الوعاء الذي يحتوي أمة تعتز بذاتها وتتشبث بالروابط التي تشد بنيانها ، وتتطلع إلى الوحدة وهي تواجه العالم سياسيا واقتصاديا وحضاريا تحقيقا للحد الأدنى من التضامن العربي [٣] .

حدود الوطن العربي :

يمتد الوطن العربي في بقعة هي أكبر بقاع العالم بمساحة ١٤ مليون كم٢ من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وخليج عمان ممتداً في مساحة سبعة آلاف كم أي ما يعادل سدس قطر الكرة الأرضية ، الربع في آسيا والباقي في أفريقيا ، في صورة كتلة متماسكة كبيرة لا يعترضها سوى شريط البحر الأحمر الضيق والعربي أيضاً ، وقد لعبت شبه جزيرة سيناء دوراً مهماً في الوصول بين جناحي الوطن العربي ، فكان الطريق الشمالي لشبه جزيرة سيناء بمطره الشتوي وكثبانه الرملية الحافظة للمياه ومن ثم الحاوية للآبار ، صلة بين الجانبين للحاجة إليها في فصل الصيف الحار فتظهر المياه على طول الطريق بين مصر وفلسطين ، وهذا هو الطريق الذي سارت عليه جميع الغزوات ، والانتقالات السلمية من الشرق سواء كانت في شكل جماعات قبلية وموجات فردية (٤) .

والحدود الخارجية للوطن العربي تظهر واضحة أحياناً ، كما هو الحال في ساحل البحر المتوسط شمالاً وشرقاً ، وكما هو الحال في البحر والخليج العربيين وكما في المحيط الأطلسي ناحية الغرب ، ولكن في حدوده البرية ، كثيراً مالا يتفق الخط السياسي مع الأوضاع الأنثولوجية ، ذلك أن الحدود السياسية في الوطن العربي سواء الخارجية منها التي تفصله عن القوميات الأخرى ، أو سواء الداخلية بين أقطاره بعضها البعض الآخر ، هي صناعة أوربية أكثر منها صناعة محلية ، ومن ثم جاء تخطيطها لخدمة أغراض خارجية أكثر من مراعاة المصالح المحلية ، أو بمعنى آخر هي حدود مفروضة من الخارج Superimposed (٥) .

وليست نابعة من الداخل ، فيسير خط الحدود السورية مع خط سكة حديد (حلب – الموصل) ، بل ويسير جنوب هذا الخط بحيث يصبح معظم هذا الخط داخل الأراضي التركية ، بينما كان من الطبيعي أن تنتهي سوريا بنهاية جبال طوروس وهضبة الأناضول ، إضافة إلى هذا أيضاً بتر لواء الإسكندرونة الذي كان قطعة من سوريا ، واقتطعته فرنسا منها لتمنحه لتركيا عام ١٩٣٩ (٦) ، رغم أن هذا الميناء هو منفذ سوريا والعراق الشمالي ، أما الحدود الشرقية تتفق مع الركن الشمالي مع سفوح جبال

زاجروس ، فاصلة بين القومية العربية وبين القومية الإيرانية في مشارق لواء العمارة ، ولكن الحدود السياسية ابتداء من هذه المنطقة تفترق عن خط الجبال وتتجه رأساً حتى تقابل شط العرب وسط منطقة من المستنقعات ، بينما تتجه السلسلة الجبلية نحو الجنوب الشرقي لتصل إلى رأس الخليج العربي ، وبين خط الحدود وخط الجبال اغتصبت منطقة عربية أخرى (عربستان) لتصبح جزءاً من إيران وبعيدة عن كتلتها الأصلية في العراق ، ومن ثم كانت الحدود في هذه المنطقة مثار نزاع بين إيران والعراق .

أما الحد البري العربي في أفريقيا ، فقد عانى من سوء التحديد من جراء الاستعمار بالقارة ، فبالرغم من انتشار الإسلام والعروبة إلى تشاد وموريتانيا والسنغال والنيجر ونيجيريا بل وشمال إقليم غرب قارة أفريقيا إلا أن هذا الحد العربي بإفريقيا غير واضح وكثير المشاكل الحدودية [٧] ، لعدم طبيعية هذه الحدود التي فصلت القوميات كالسكين التي توضع في الزبد (كما يقول جمال حمدان) ، وعلى كل فتتمشى هذه الحدود من مصب نهر السنغال الفاصل بين موريتانيا العربية في الشمال والسنغال الإسلامية ومالي في الجنوب متجهاً ناحية الشرق في تحديد هندسي وسط الصحراء الكبرى بين الجزائر وليبيا في الشمال ومالي والنيجر وتشاد في الجنوب باستثناء بعض الكتل الجبلية في الأحجار وتاسيلي وتبستى ثم دارفور في السودان . وتمتد الحدود السودانية مع دولة الكنغو ناحية الجنوب الشرقي حتى أقصى جنوب السودان ثم ناحية الشمال الشرقي في خط فاصل بين هضبة أثيوبيا وسهول السودان حتى ساحل البحر الأحمر .

ثم جاء انضمام (صوميليا) الصومال الإنجليزي والصومال الإيطالي (وتسمى بلاد الصومال) ثم الصومال الفرنسي "جيبوتي" إلى جامعة الدول العربية إلى امتداد الحدود البرية بين أثيوبيا وجيبوتي والصومال من جهة ثم الصومال وكينيا وتنزانيا من جهة أخرى . الأمر الذي أدى إلى امتداد الوطن العربي بأقصى الصومال إلى أقصى امتداد الوطن العربي ناحية الجنوب وجعله أكثر توغلاً في العمق الإفريقي ، وبانفصال إريتريا عن أثيوبيا ، واعتبارها دولة عربية جعل الوطن العربي يسيطر تماماً على البحر الأحمر وجعله بحيرة عربية خالصة ، وكذلك امتداد الوطن العربي بين دائرتي عرض ٢ جنوب خط الاستواء و ٣٧,٥ شمالاً وبين خطي طول ١٧° غرب

خط جرينتش عند مصب السنغال أقى المغرب العربى و ٦٠ للشرق عند رأس الحد بعمان وهو أقصى المشرق العربى .

فاعليات الموقع العربي :

يكاد الموقع العربي لا ينتهي أسراره من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر منذ قبل التاريخ إلى ما شاء الله فعلى مدى الدهور والحضارات والتكتلات المختلفة في العالم يأبى هذا الوطن العربي من خلال موقعه إلا أن يظهر للعالم في كل آن وحين خصيصة أو ميزة ، هذه الميزة لا شك أنها تبهر العالم في حينها ، ولذلك فمنذ البداية والوطن العربي بسبب موقعه بين العالم المعمور يمر بمراحل مد وجزر ، أي بقدر ما ينعم هذا الموقع من خصوبة وميزات بقدر ما يعاني من أطماع وأحقاد العوالم الأخرى المحيطة مما يوحي بأن هذا الموقع المتميز بمثابة نقمة في أحيان كثيرة خاصة إذا واكبت هذه الأطماع كبوة عربية أو إسلامية شاملة .. ويبدو ذلك واضحا عند عرض لفاعليات هذا الموقع العربي المتميز .

توسط العالم :

يعد الوطن العربي وسطا في موقعه ليس كما كان معروفا من ذي قبل في العالم القديم (آسيا وأفريقيا وأوروبا) فحسب بل في كل المعمورة بالعالمين القديم والجديد معا ، فلو أخذ من مكة مركزا للمعمور وأرسلنا منه أنصاف أقطار إلى كافة الأنحاء في الشمال والجنوب والشرق والغرب نجد أن هذه المسافات المضادة لبعضها تتساوى .

ومن جهة أخرى لو أخذنا في الاعتبار خط التاريخ الدولي الذي يمر في معظمه بخط طول ١٨٠ شرقا بدايته اليوم في السادسة صباحا (أو بداية الكون أو المعمور) تكون ممكنة في قلب النهار أو بعد الزوال وتكون نيويورك قد أتاها المساء ووسط الولايات المتحدة في منتصف الليل ، مما يفيد كثيرا مراكز المال والبورصات على مدى اليوم ، كما يعرف ذلك جيدا رجال المال والأعمال .

وإذا كان الوطن العربي يتوسط العالم فإنه أيضا يعتبر محاطا بسياج وغلاف سميك جدا من دول العالم الإسلامي ، ذلك السياج الذي هو من صنع التجار والرحالة المسلمون العرب ، فكان نواة لدولة الإسلام المتماسكة

والتي امتدت في أرجاء العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوربا . . تلك الكتلة التي تأمل أن تجد لها الحجم الأكبر والأقوى في عالم التكتلات اليوم ، إذ سقطت الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م ، بعد احتلال مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلى أكثر من خمسين دولة متباينة المساحة ، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في كل دولة من الدول غير الإسلامية ، تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض هذه الدول ، كما فقدت الكتلة الإسلامية دولة ألبانيا وولايتي جامو وكشمير والجمهوريات الإسلامية السوفيتية والأقليات الإسلامية في كل من الصين والهند والفلبين ، وقد أدى هذا التفتت المتعمد إلى تشتيت المقومات المادية والروحية والطاقات البشرية للمسلمين ، في وقت أخذ العالم فيه الاتجاه إلى التوحد في تكتلات اقتصادية وسياسية وعسكرية كبرى ، ولم تعد فيه إمكانية لوجود مستقل لأية تجمعات بشرية يقل تعدادها عن مئات الملايين من البشر [٨] .

يضم الوطن العربي نحو ٤٠ دائرة عرضية ، لا ينبغى لوحدة سياسية في العالم أن تضم مثل هذه الدوائر العرضية ، الأمر الذي ترتب عليه تنوع الأقاليم العربية في ظروفه الطبيعية كمناخ ومظاهر السطح ومن ثم ظروفه البشرية والسكانية والاجتماعية والاقتصادية . بداية من الإقليم المداري أقصى الجنوب وما يترتب عليه من حاصلات مدارية وأساليب رعوية ثم الإقليم الانتقالي فالصحراوي وما شمل من واحات ورعي وسبل الحياة ثم الإقليم الانتقالي في الاستبس وما له من أسلوب حياة ، ثم إقليم البحر المتوسط وما له من حاصلات وأسلوب حياه كان لزاما لهذا التنوع في الظروف الطبيعية والبشرية أن يتبعها نوع من التبادل والتكامل الشامل نتيجة التباينات الواضحة بين ظروف كل إقليم وأخر .

الأهمية الإقليمية للموقع العربى :

تمكن الموقع العربي من وسط المعمورة ، وعليه قد تطورت أهميته على مر العصور ، وكلن لتمكنه في منطقة التقاء العالم القديم ، إذ تلتقي عنده وخلاله البحار الدفيئة بالبحار المعتدلة وما وراءها من باردة ، ومن ثم فهو وسط أيضا بين البحار ، فهناك المحيط الهندي الممتد بذراعية البحر الأحمر والخليج العربي ، هذان الذراعان يمتدان إلى الشمال ، ولكنهما لا يتصلان

بالبحر المتوسط ، الذي كان يطلق عليه بحر الـــروم ، ولكـــن مـــع الفتـــح الإسلامي الواسع كثيرا ما كان يطلق عليه بحر العرب ، كما لقبه بذلك ابـــن المهلب نظرا لسعة الدولة الإسلامية في قارات العالم القديم والتفـــاف هـــذه الدولة حول هذا البحر . وعلى هذا الأساس اضطرت المواصلات العالميـــة إلى عبور أرض هذا الوطن ، كان من الطبيعي إذا أن تصبح هذه المنطقـــة ممرا للشرق والغرب ، وإقليم اتصال بين هذه المناطق المتباينة (٩) ، فكـــان هناك عدة طرق رئيسية تسير فيها التجارة :

الطريق الشمالي :

كان يتجه من الصين إلى وسط آسيا إلى بحر قزويـــن ثـــم إلـــى البحـــر المتوسط أو إلى البحر الأسود ، ويمكن استبعاد هذا الطريق مـــن المقارنـــة لظروفه ، ذلك أنه يسير في مناطق صحراوية ، ويتميز بالبرودة في فصـــل الشتاء وأحيانا تسد الثلوج مسالكه .

الطريق الأوسط :

كان طريقا مزدوجا يتجه من شرق آسيا إلى الخليج العربي ، ثم برا فـــي سهول دجلة والفرات إلى دمشق وصور أو أنطاكية في آسيا الصغرى .

الطريق الجنوبي :

يبدأ من الهند إلى جنوب الجزيرة العربية خاصة إلى عدن ، وتحمل السلع بعد ذلك بواسطة القوافل إلى التبراء ثم موانى الشام ، ومنها ما كان يكمـــل رحلته البحرية عبر البحر الأحمر إما إلى ميناء القلزم (السويس) أو مينـــاء القصير (١٠) .

كانت مهنة الوساطة التجارية للعرب وريادتهم وسيادتهم على هذه الطـــرق التي هي بمثابة الشرايين التي تضخ الحضارة والثقافة في العـــالم المحيـــط جاءت الأهمية الإقليمية للموقع العربي كما يلي :

١ - على الجانب الإفريقي :

إن كانت العروبة قد نشأت في شبه الجزيرة العربية ، فإن الجزء العربـــي الأكبر الآن في أفريقيا فقد عرف العرب إفريقية منذ القـــدم ، كمـــا سبـــق توضيح ذلك عند الحديث عن نشر الإسلام في أفريقيا ، حتى أتاها الأوربيون

، فكانوا هم أول من أصاب هذه العلاقات بنوع من الوهن ، فإن الحدود الجنوبية الفاصلة بين العرب في الشمال والزنوج في الجنوب لا تعبر عن الواقع ، فإن هذه الخطوط ليست فاصلة فهي بين الحاميين والزنوج ، بل هي في كثير من الأحيان إقليم اختلاط بين السلالتين ، فهناك عدد من الجماعات الزنجية والمتأثرة بالصفات الحامية على طول الحافة الجنوبية للصحراء مثل عناصر التكرور في السنغال والفولا ني في النيجر والهوسا شمال نيجيريا والنيليون في السودان الجنوبي ، وأنصاف الحاميين في أوغندا وكينيا وشمال تنزانيا وأعداد غير قليلة من السواحيلية في كينيا وتنزانيا ولم يتوقف التأثير العربي ، والارتباط العربي الإفريقي في الشمال الإفريقي بل امتد التأثير عبر المحيط الهندي إلى شرق إفريقية ووسطها من خلال البحر ، وكانت الاتصالات في هذا الاتجاه بين الجنوب العربي وشبه جزيرة العرب (الحضارمة واليمنيين) وشرق أفريقيا من ناحية ، وبين شعوب الخليج العربي (البحرانيين والعمانيين) وشرق إفريقية من ناحية أخرى شكل (٣).

ويرتبط النشاط المبكر لهذه العلاقات بزيادة النشاط التجاري في البحر العربي الشرقي في العهد اليوناني الروماني كتلك المغامرات التي قام بها المصريون والإغريق لتأسيس تجارة عبر البحر الأحمر ، ولكن مع ذلك فمازالت الدوافع مجهولة لهذا الانتشار الواسع في شرق إفريقية ، والذي يرجعه البعض إلى أوائل القرن الثاني قبل الميلاد عقب انهيار سد مأرب ، والذي بلغ ذروته في القرن السادس إلى القرن الثالث عشر الميلادي ولم يتوقف بعد ذلك .

وأساس الحركة التجارية التي نشأت في المحيط الهندي جغرافي ، لاعتماده على حركة الرياح والتيارات البحرية صيفا وشتاء ، كما شجع عليه شكل السواحل والظهير ، ويمكن أن تشبه الحركات الملاحية بالحركات التجارية عبر الصحراء كعامل أساسي في الاتصالات التجارية والثقافية بين إفريقية المدارية والوطن العربي قبل ظهور القوى الأوربية في القرن السادس عشر وما بعده ، كما كانت التجارة عبر الصحراء لها ما يكملها عبر الإقليم السوداني ، كذلك كان للاتصالات الساحلية عبر المحيط الهندي ما يكملها في داخل القارة وهكذا كانت إفريقية جنوب الصحراء وشبه جزيرة العرب على اتصال قبل وصول البرتغاليين بما يزيد على ألف سنة .

وقد بلغ تطور التجارة ظهور الاستيطان الساحلي ،ونظرا لأهمية هذه التجارة في حياة سكان سواحل شرق إفريقية ظهرت نقوش الداوات [١١] على جدران المباني ولا سيما المساجد .

والرياح التي تؤثر في حركة الملاحة شتاء من نوفمبر إلى مارس هي الموسمية الشمالية الشرقية ، بينما تسود الموسمية الجنوبية الغربية ما بين مايو وسبتمبر ، أما شهرا إبريل وأكتوبر فهما شهرا انتقال ما بين ظروف الصيف والشتاء لا تأخذ الرياح فيهما اتجاهات ثابتة يعول عليها في الملاحة . . ومن ثم كانت رحلة الشتاء من عمان والجنوب العربى ما بين نوفمبر وفبراير ، والسفن التي تبحر قبل هذا التاريخ تتعرض لنسائم وتيارات شمالية ولكنها أقل قوة في دفعها للسفن ، وتأخذ ما يتراوح بين ٣٠، ٤٠ يوما لتصل إلى زنجبار وممبسة ، وتقل المدة اللازمة مع ثبات اتجاه الرياح الموسمية الشتوية وازدياد قوتها ، ففي ديسمبر تأخذ الرحلة ما بين ٢٠، ٣٠ يوما ، ثم تقل مرة أخرى إلى ما يتراوح بين ٢٠، ٢٥ يوما للرحلة التي تبدأ في يناير ،ومن دراسة حركة الداوات الأجنبية في مواني شرق إفريقية يتضح أنها تبلغ الذروة في شهر مارس ، أما العدد القليل الذي يرد هذه المواني من مايو إلى نوفمبر فهو في الغالب من الهند [١٢] وتقوم الداوات برحلة الصيف أو رحلة الإياب ابتداء من أوائل إبريل ، وتأخذ الرحلة ما بين ٣٠ ، ٣٥ يوما قبل منتصف إبريل ، و٢٠ يوما إذا ما تحركت بين منتصف إبريل ومنتصف مايو ، ومن ثم يكون رحيل السفن بطيئا حتى يحل شهر أغسطس وفي نهايته لا تكاد تجد داوا أجنبيا كان يزمع الرحيل وما زال ملقيا مراسيه في مواني شرق إفريقية ، بل ثبت أن جنسيات الداوات بشرق أفريقيا ثلثيها من المنطقة العربية (السعودية - اليمن - عمان - الإمارات - الكويت - البحرين) أما الباقي فهو من الهند وباكستان .

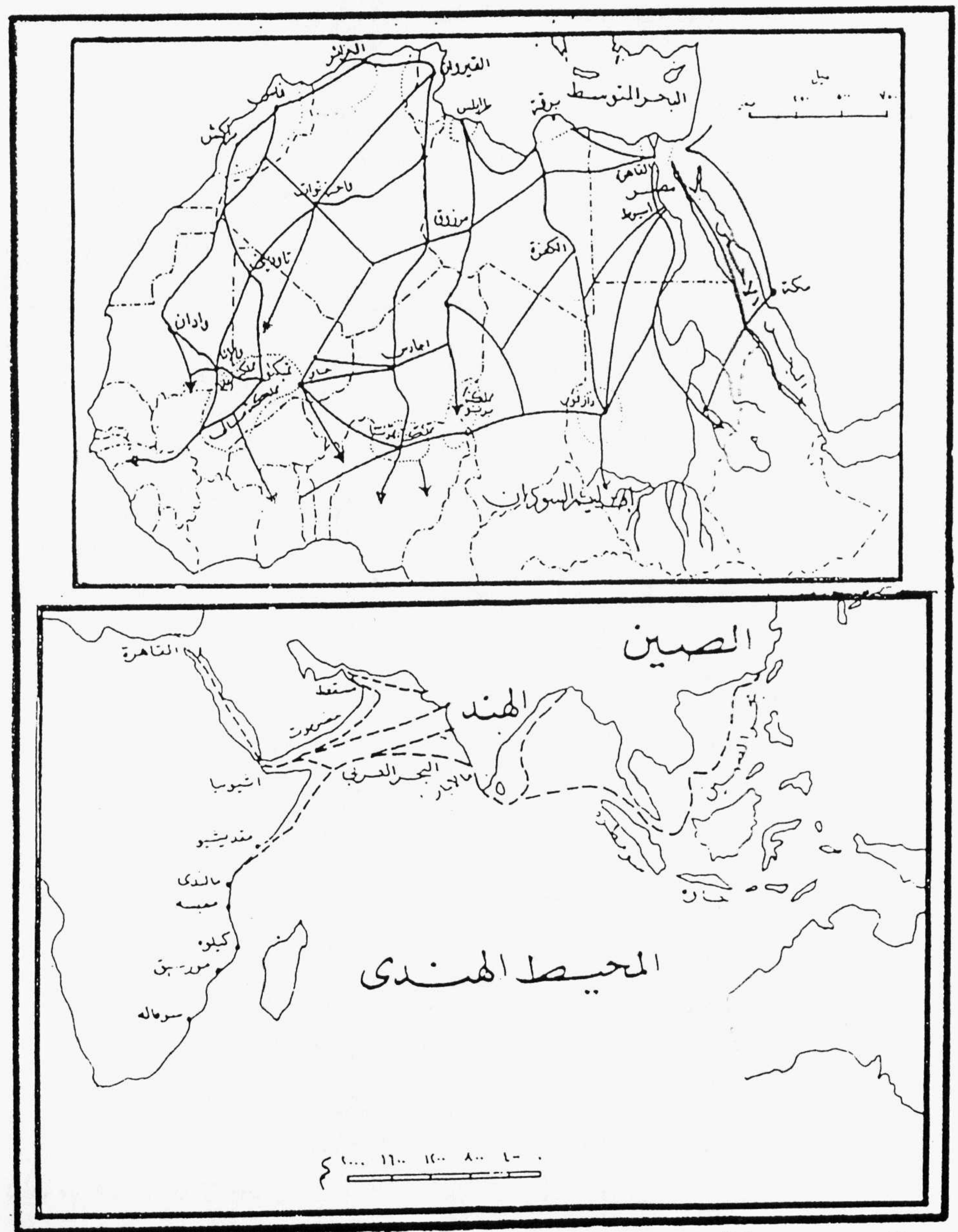
وهكذا وعلى مدى قرون من التجارب والخبرة الطويلة طور العرب القادمون من جنوب الجزيرة والإفريقيون على الساحل ثقافة مميزة المعالم أخذت من كل من الشعبين بنصيب ، وصهرت العنصرين ، وكانت ثقافة ناضجة حين التقى بها الأوربيون بعد خمسة عشر قرنا أو يزيد استوت فيها اللغة السواحيلية وسميت باسم الساحل ، وهي ليست لغة عربية مؤفرقة ولكنها أفريقية معربة ، أصولها البعيدة من البانتو (فرع من السلالة الزنجية)

ولكنها اتخذت عبر العصور صناعات عربية ، وأدخل العرب الفن المعماري العربي في هذه المنطقة الساحلية ، حيث البناء بالآجر والأسمنت مستعملين الجير في التكوين ،كما أدخلوا أعمال الأخشاب ونسيج القطن ، كما تشابهت المزروعات ، فالذرة الريفية هي الغلة الرئيسية في الجنوب العربي لعهد قريب يليها القمح والشعير ، وحتى الحياة الشجرية يتألف معظمها من نخيل الساجو والمنجو والبباظ والموز والجوافة فضلا عن القطن والطباق وبذرة الخروع ، وأكواخ عسير المصنوعة من القش والطين وزراعتها المتنقلة التي لا تظهر في جزء آخر من شبه جزيرة العرب ، ونشأت على الساحل مواطن متعددة مثل بجمايو ، بنجاني ، كلوا ، وسفالة ، ودار السلام ، ومقديشيو ، وممبسة ، ومركا وغيرها وكلها عليها الطابع العربي شكل (٣) وكانت هذه بدايات لطريق نحو الداخل والتي تؤدي إلى البحيرات العظمى كفكتوريا وتنجانيقا [١٣] . وعبر التجار العرب بحيرة تنجانيقا إلى الكنغو أي إلى وسط القارة ، وأسسوا مراكزها في الداخل في كاسونجو Kasongo ووصلوا شمالا إلى يامبولا Yambola ويقول القس الإنجليزي سبنسر ترمنجهام : لم يكن العرب السواحيلية يشتركون في حملات الإغارة على القبائل لجلب الرقيق ، بل كان اهتمامهم الرئيسي هو التجارة وجمع وتصدير العاج والرقيق سواء بواسطة عملائهم أو الرؤساء المحليين : هذا برغم أن تسليحهم كان يمكن أن يعطيهم سيادة على الطرق [١٤] . وتستمر العلاقات العربية الإفريقية على حالة طيبة تحتاج من يدعمها ويقويها لصالح الطرفين للمستقبل .

الأثر الأوربي في العلاقات العربية الإفريقية :

حاولت أوربا منذ وضعت أقدامها في أفريقيا محاربة العرب باعتبارهم عائقا أمام الانفراد بأفريقيا جنوب الصحراء ذات العلاقة الحسنة ورواج تجاري وتعاون مشترك مع العرب ومن أشكال هذه الحرب هي اتهامهم بتجارة الرقيق ، فبعد انفراد أوروبا بالقارة كانت الهيئات التبشيرية والاستعمارية توحي دائما للأفارقة بأن العرب هم أرباب النخاسة وتجار الرقيق ، وأصبح الأفارقة يرددون هذا القول ، وكأن تهمة إلصاق تجارة الرقيق بالعرب دون غيرهم حقيقة لا جدال فيها وكأنها لم تكن معروفة في الأمم القديمة كالإغريق

والرومان الذين اعتبروا الرقيق شيئا شخصيا ، كما عرفته القبائل الإفريقية فيما بينها من أسرى الحرب . . أما الرقيق عند العرب لم يقتصر على الرقيق الإفريقي ، بل كان هناك



شكل (٣) النفوذ العربي الاسلامى شمال وشرق أفريقيا

الرقيق الأبيض القادم بواسطة التجـار الأوربيين والآسـيويين فيمـا وراء القوقاز ، وكان يطلق عليـه أحيانا الشراكسة . إلا أن تجارة العرب للرقيـق كانت قليلة جدا مقارنة بنظيراتها الأوربية ، فإنه لم يقدر على شراء الرقيـق إلا السلاطين والأمراء والأثرياء ، ومن الرق من كان يدخل الجيش (فـرق الجند السودانية) ومنهم الحرس الخـاص بالسـلطان ، أو حـرس حريـم السلاطين والأمراء ، أما الرقيق الأبيض من النساء فكن يتخذن كعشيقات أو إعداد القهوة وتحضير الرنجيلة وطهي الطعام ، ومعظم الأحيان كان ينتـهي بهن الأمر إلى العتق نتيجة الزواج من الأسياد أو أبناء الأسياد (١٥) .

أما عن تجارة أوروبا في الرقيق الإفريقي فهذه سابقة لم يسبق لها مثيـل في التاريخ ، فقد بلغ حجم المفقود السكاني من إفريقيـة نتيجـة اسـتنزاف الرقيق "فهو تقديري" منذ القرن السادس عشر حتى تحريم هذه التجارة بيـن ٣٠ – ٤٠ مليون نسمة (١٦) .

وهؤلاء من وصلوا أحياءا إلى العالم الجديد ، فضلا عن الذيـن هلكـوا بسبب صعوبات النقل والأمراض ، والذين قتلوا في إفريقية ذاتـها نتيجـة الغارات وعمليات القنص البشري . . وفي الحقيقة لم تكـن هنـاك سـلعة مربحة في غرب إفريقية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشـر مثلمـا كانت سلعة الرقيق ، فلا الذهب ولا العاج ولا البهارات استطاعت أرباحـها أن تلحق بأرباح الرقيق .

ومن باب الإنصاف نجد أن الأستاذين فيج وأوليفـر Fage & Oliver وهما من عمد الدراسات التاريخية الإفريقية في الجامعات البريطانية يذكران فيما يختص بالعرب في كتابهما "موجز تاريخ إفريقية" أنه كان مـن نتـائج الفتح العربي لإفريقية وما تبع ذلك من انتشار الإسلام في الثلث الشمالي من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة في صميم التاريخ أكثر من أي فترة تاريخية أخرى ، وفي نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقـاء شعوب قارات إفريقية وأوربا وآسيا ، تلتقي عندها آراء أبناء هذه القـارات وأفكارهم . ولم تخسر إفريقية لهذا كله ، بل ما كسبته إفريقية من حضـارة الإسلام يفوق كثيرا ما كان يمكنها أن تكسبه من اتصالها بأوروبـا والتـي كانت تمر في تلك الفترات فيما يمكن تسميته بالعصور المظلمة التي لم يكـن هناك ما يضيء فيها إلا شعاع الديانة المسيحية (١٧) .

التقويض الأوربى للفتح العربي الإسلامي لأفريقيا آنذاك :

لقد كان مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ الذي سعى له بسمارك Bismark زعيم ألمانيا بحضور مندوبي أربع عشر دولة هي ألمانيا والنمسا وبلجيكا والدنمرك والسويد وأسبانيا والبرتغال وإنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وإيطاليا وتركيا (الست دول الكبرى في أوربا في ذلك الوقت والسبع دول البحرية والولايات المتحدة الأمريكية) بمثابة مؤتمر يضم في ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، فقد هدف المؤتمر إلى حرية الملاحة بحوض الكنغو والنيجر وإلغاء تجارة الرقيق وعدم إعلان أي دولة الحماية على منطقة من أفريقيا دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلي للمنطقة ، مع أن تقوم هذه الدولة بالعمل على تقدم سكان هذه المنطقة ، وتقيم بها حكومة عادلة إلا أن المؤتمر في الحقيقة سواء في مناقشاته أو نتائجه ، يعطي صورة واضحة للصراعات المختلفة بين الدول الأوروبية الكبرى خاصة (ألمانيا وفرنسا وإنجلترا) وباقي دول المؤتمر تسير في فلك هذه الدول أو بوحي منها [١٨] .

وكان من نتائج هذا المؤتمر دفع عجلة التكالب الاستعماري على أفريقيا ففرضت الحدود المستقيمة دون مراعاة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والإسلامية ، وكان من وراء ذلك تقويض الدور العربي في غرب أفريقيا والحد من أثره وتجاهله برسم حدود هندسية فاصلة بين دول الوطن العربي ودول غرب أفريقيا متجاهلة كل العلاقات الاقتصادية بين العرب شمال الصحراء وجنوبها التي تكونت خلال قرون عميقة في التاريخ ، الأمر الذي خلف معه مشاكل حدودية مصطنعة ، كما هو الحال المتوتر في الحدود بين ليبيا وتشاد ، والجزائر والصحراء الغربية والمغرب والصحراء الغربية والسنغال وموريتانيا [١٩] .

ومن جهة ثانية اهتمت مصر في عهد محمد على والخديوى إسماعيل بالسودان ومنابع نهر النيل ففتحت دارفور وبحر الغزال وضمتا للإدارة المصرية ، إلى جانب سواحل أفريقيا على البحر الأحمر وعلى الساحل الإفريقي الشرقي المواجه للمديرية الاستوائية ، فامتدت الإدارة المصرية إلى موانى سواكن ومصوع وبربرة وزيلع وهرر ثم إلى بلاد الصومال حيث

رأس حانون وبراوة وقسمايو ، بل امتد النفوذ المصري لمنطقة البحيرات الاستوائية ، بل وقام (شالي لونج Chailli - Long) الضابط الأمريكي الذي كان في خدمة الحكومة المصرية بعقد معاهدة مع الملك (أمنيسه) ملك أوغندة وضع الملك بموجبها مملكته تحت حماية مصر [٢٠] .

ولكن بعد هزيمة العرابيين في مصر انتهزت الدول الاستعمارية بقيادة إنجلترا الفرصة فاقتسمت أملاك مصر في السودان الشرقي وشرق أفريقيا فتوسعت إيطاليا فيما سمى الآن بإرتريا والصومال الإيطالي وفرنسا بالصومال الفرنسي أو (جيبوتي) أما إنجلترا فقد استحوذت على الجهات المقابلة لمدن (الصومال الإيطالي) . . وقد علقت إنجلترا أهمية خاصة بالمديرية الاستوائية فسيطرت عليها فأجبرت الحكومة المصرية على التخلى عنها واقتطعتها إنجلترا من السودان وضمتها لأملاك أوغندا تحت مسمى (محمية أوغندة) وذلك للأغراض الآتية :

* استخدام إنجلترا المواد الخام السودانية من جهة وجعلها سوقا لترويج منتجاتها من جهة ثانية والاستفادة من جنوب السودان في المستعمرات من جهة ثالثة .

* تحكم إنجلترا في منابع النيل واستخدام ذلك كوسيلة ضغط على الحومة المصرية آنذاك . والأهم من ذلك العمل على فصل جنوب السودان عن شماله والعمل على إذكاء هذه الفكرة .

بعد عرض ما سبق ، أليست أفريقيا بعدا عربيا واعدا خاصة مع شبه جزيرة العرب ؟ ليس الآن ولكن منذ القدم حيث عبر عنها (كوبلاتد) بأنها علامة جوار (Next door Neighbors) ، فإن المسافة بين زنجبار وعدن لا تتجاوز ١٧٠٠ ميل ، ومن زنجبار إلى مسقط ٢٢٠٠ ميل تقريبا مما يجعل العلاقات العربية الأفريقية أمرا طبيعيا ، وتعد أفريقيا الآن دولا واعدة للتعاون الإقليمي .

ومن جهة ثانية نقول ، أليست منظمة دول الكوميسا Comesa امتدادا طبيعيا لدول حوض النيل والقرن الأفريقي وتوغلها وتألفها طبيعيا مع باقي دول شرق جنوب قارة أفريقيا ؟. ومن جهة ثالثة أليست هناك ضرورة ملحة للعودة لمشروع إنشاء الخط الحديدي العملاق الذي يربط أقصى القارة بأقصاها من القاهرة – الكيب أسوة بنظيرة الأوربي ؟

أليست هناك ضرورة ملحة لتبادل المياه والطاقة من خلال خطوط أنــابيب ومن خلال مشروعات استثمارية ضخمة بين إقليم وسط القارة في حــوض الكنغو ودول شمال أفريقيا خاصة بين ليبيا ودول حوض الكنغو؟ .

أليس من الطبيعي العمل على رواج التجارة بين إقليــم شــمال أفريقيــا العربي وغرب أفريقيا مرورا بالإقليم الصحراوي بصورة حديثة متجــاوزة العقبات المختلفة ؟ ، لا شك ذلك جهد جدير بالاهتمام والدراسة حتى نقــول أن البعد العربي الأفريقي ذو دور لائق النشاط والتفاعل .

٢- على الجانب الأوربي والأمريكى :

يعد البحر المتوسط بيننا نحن العرب وبين أوروبا قلبا نابضا تحيــا مــن خلاله العلاقات وتدعم أواصرها سبل الملاحة في ذلك البحر مما لا يجعــل هناك في يوم من الأيام بعدا يذكر في العلاقات العربية الأوربيــة ، ســواء كانت هذه العلاقات سلبية أو إيجابية ، ولا غرابة فالبحر المتوسط بذاته يعــد بحرا مثاليا للملاحة بين أبحر العالم ، فهو المدرسة البشرية الأولى للملاحــة البحرية ، إذ أنه مهد الحضارات منذ تحضر الإنسان حيث إن مسالكه المائية تعد طرقا للإنسان في مراحل مبكرة من تاريخ البشرية ، وهو تلك البحــيرة الهادئة التي تهب عليها نسائم التجاريــات بانتظــام عجيــب ، إذا اســتثنينا أعاصير فصل الشتاء حيث يعلو الموج ويضطرب الريح ، وحتى في هــذا الفصل يمكن للملاحِ أن يلجأ لجزره العديدة المتناثرة ، خاصة فــي جزئــه الشرقي ، هذه الجزر التي أصبحت للملاحين هاديا ومرشدا ، ترى في الأفق البعيد قدر أنها ترى من على بعد ٥٠ ميلا إذا كان الجو صافيا [٢١] .

وقد كان لتوغل تونس في مياه البحر المتوسط عنــد رأس بــون Bone (رأس الطيب) وضع عربى خاص في التحكم في مجريات الأمور بــالبحر المتوسط حيث صادف وجود جزيرة صقلية شمال شرق الرأس التونسية إلى تقسيم البحر المتوسط إلى الحوض الشرقي والغربي (الادرياتي) مما جعــل تونس أشبه بجندي المرور وسط البحر المتوسط ليتعرف على كــل شــاردة وواردة في هذا البحر الرائق إن أراد .

كما كان لموقع المغرب الأقصى دورا استراتيجيا في بروز رأس طنجــة مكونة مضيق مائي مع اليابس الأيبيري الأوروبي متوسط سعته ١٦كم[٢٢] .

من جهة ثانية : فإنه لم يكن للبحر المتوسط أن يكمل دوره بين الوطن العربي وجيرانه الشرقيين من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى إلا بذراعين مائيين مساعدين له وإن لم يتصلان به مباشرة ، وهو الخليج العربي والبحر الأحمر حديث الاتصال به ، فهذان الذراعان يتميزان باختراقهما لإقليم صحراوي ممتد في أكبر كتلة صحراوية يابسة حارة في العالم هي الكتلة الأسيوأفريقية ، مما حدا بجعل هذين الذراعين شرايين الاتصال بين الشرق والغرب من خلال الطرق المختلفة سابقة الذكر في هذه الصحراء القاحلة . فالخليج العربي ضيق نسبيا ، كما أنه ضحل ، يبلغ طوله في خط مستقيم بين مصب شط العرب وبين ساحل عمان نحو ٨٠٠كم ، أما عرضه فيتراوح بين ٢٨٨كم في أقصى اتساعه شرق شبه جزيرة قطر وبين ٥٦كم فقط ، حيث مضيق هرمز عند رأس مسندم العمانية والساحل الإيراني ، فيكون ممرا مائيا ضيقا يربط بين الخليج العربي في الشمال وخليج عمان والبحر العربي كامتداد المحيط الهندي في الجنوب ، إلا أن الخليج العربي ليس بالغ العمق فهو بين الأربعين والمائة متر .

أما بالنسبة للبحر الأحمر ، فإن نقل التجارة من خلاله لم يكن يستهوى التجارة في العصور الأولى ، وكانوا يفضلون طريق غرب شبه جزيرة العرب ، لأن الملاحة في البحر الأحمر كانت شاقة وعسيرة ، إذ تسود فيه الحرارة المرتفعة المصحوبة بالرطوبة التي تكاد تخنق الأنفس صيفا ، وكثيرا ما يتعرض لهبوب رياح شمالية عاصفة ، فضلا عن أن شواطئه كثيرة الحواجز المرجانية لا تجعل من السهولة اللجوء لشواطئه وقت الخطر . إلا أنه يتميز السير فيه بتفادي التجارة النقل البري الباهظ التكاليف ، وكان لجدب الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية جذب السكان بالاتجاه نحو البحر لصيد الأسماك والملاحة ونقل التجارة ، كما ساعد على أهمية ذلك أن الرياح في المحيط الهندي مثالية للملاحة البحرية آنذاك ، فهي تتجه نحو آسيا صيفا وخارجة منها شتاء ، وقد اكتسب البحر الأحمر من اتصاله بواسطة خليج عدن والبحر العربي من خلال باب المندب الذي يصل بين البحر الأحمر وخليج عدن (تتحكم فيه الآن جيبوتي غربا واليمن شمالا) . أهمية قصوى على الدوام [٢٣] .

آثار الموقع على العلاقات العربية الأوربية :

لعب الساحل الفينيقي خاصة الشمالي بموانيه الطبيعية وتقاليده البحرية دورا كبيرا في الاتصالات بين الجناح الآسيوي للعالم العربي وعالم البحر المتوسط ، فحتى أيام الملك سليمان كانت التجارة البحرية لفلسطين تمر عن طريق المواني الفينيقية ،واستمر هذا الساحل هو بوابة التوغل الحضاري والتجاري إلى الشرق ، فإنطاكية مثلا كانت حلقة ربط بل مركزا هاما للفلسفة الإغريقية والفكر الإغريقي على الساحل السوري (٢٤) .

فالإغريق يمتون بأصولهم الأولى القديمة إلى سلالة البحر المتوسط واختلفت بحكم موقعها أثناء عصر البرنز بسلاله عريضة الرأس من آسيا الصغرى والسلالة الأناضولية ، ويبدو أن اضطراب شعوب بحر إيجة ، وانهيار مدينتهم على أيدي طلائع هندية أوربية مهاجرة من وسط آسيا إلى بلاد اليونان عن طريق شمال إيران ثم شمال العراق ، قد دفعت موجات هذه الطلائع الإغريقية من مواطنهم القديمة ناحية جنوب الأناضول وساحل سوريا وفلسطين ، وبعضها حاول الهبوط لسواحل مصر الشمالية التي صدتهم جيوش رمسيس الثاني . عن التوغل إلى الداخل واستقروا في المدن الساحلية مثل الإسكندرية وسرعان ما اندمج الإغريق في الحياة المصرية وساعد على ذلك ظهور المسيحية ودخول المصريين والإغريق في هذا الدين الجديد كما تعلموا اللغة الإغريقية (٢٥) .

وعلى كتابه لغتهم المصرية القديمة بالحروف الإغريقية ، مع إضافة بعض حروف أخرى تنقص اللغة الإغريقية (اللغة القبطية) ، كما امتد النفوذ الإغريقي الروماني مع الساحل الجنوبي للبحر المتوسط خاصة بعد هزيمة هانيبال (١٨٣ق.م) (٢٦) . في مقابل الحركة السابقة هناك حركة مد عربية ناحية القارة الأوروبية متمثلة في نشر الدين الإسلامي في خلال عدة جهات في مناحي القارة ، حيث لعب المغرب العربي دورا نشطا في نشر الإسلام ، فهو يقع في إفريقية ولكنه قريب من أوروبا عند مضيق جبل طارق حيث انتشر في شبه جزيرة أيبيريا حتى وسط أوروبا ولا يزال في أسبانيا إلى اليوم ما يقرب من ٧٠٠ علم جغرافي تحمل الأسماء العربية (٢٧) . ويوضح ذلك الانتشار شكل رقم (٢) . ومن جهة ثانية كان التدخل التونسي وقربه

من جزيرة صقلية جعل ما يشبه المضيق باتساع ١٤٠كم ومن ثم كان ذلك الطريق عبر صقلية إلى أوروبا واحدا من روافد نشر الإسلام بها ، حيث أنشأ العرب سنة ٨٣٦م ترسانة بحرية بتونس .

ومن جهة ثالثة ، استطاع الأتراك العثمانيون في القرن الخامس عشر من القضاء نهائيا على دولة الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى والاستيلاء عليها وإصباغها بالصبغة التركية وتحويلها من الحضارة البيزنطية واللغة الإغريقية إلى الحضارة الإسلامية واللغة التركية وذلك في أعقاب انهيار الدولة العباسية ، حيث سقطت القسطنطينية عام ١٤٥٣م على يد محمد الفاتح وكان للأتراك دور واضح في نشر الدين الإسلامي في أوروبا من ناحية الشرق كما هو الحال في ألبانيا وشبه جزيرة البلقان في الشاطئ المقابل من البسفور والدردنيل حتى دقوا أبواب فيينا (١٦٨٣) وامتدت سيطرتهم بذلك على جنوب شرق أوروبا [٢٨] .

وبعد استقرار الأمر للعرب في الأندلس ، احتل العرب أربونه سنة ٧١٩م ، وواصل العرب زحفهم إلى مقاطعة دوفينية وليون وبلاد برجونيا ، ويقول رينو : إن هدف عبد الرحمن الغافقي لم يكن فرنسا وحدها ولكنه كان يريد أن يتخذها معبرا إلى إيطاليا وألمانيا والقسطنطينية . . وفي سنة ٨٠٦م استولى أسطول عربي على جزيرة كورسيكا ، كما احتل العرب من قبل كريت (٦٧٣م) كما استولى على صقلية (٢١٣هـ) وفي سنة ٨٤٦م وصل الغزاة العرب إلى روما عاصمة الكاثوليكية واكبر مدن أوروبا الجنوبية ، كما تغلغل العرب في قلب أوروبا أكثر من ذلك ، فقد تجاوزوا من قبل مضيق جبل طارق ، فقد قيل إن طارق بن زياد لم تكن لديه غير أربع سفن لعبور المضيق ، وظل ينقل عليها رجاله وعتاده على دفعات كثيرة ، ثم بعد ذلك تجاوزوا جبال البرانس على الحدود الفرنسية ، ثم تجاوز جبال الألب في قلب أوروبا وسيطروا عليها ، ويقول (أرسلان) : كان العرب يتقدمون يوما فيوما نحو جبال الألب تعلقا وتسلقا حتى أعلاها ، ثم قطعوا المواصلات بين فرنسا وإيطاليا ، واحتلوا جميع مضايق جبال الألب ، فصار مرور الناس عائدا إلى إذنهم ، وسنة ٩١١م كان رئيس أسقافية أربونه يريد السفر إلى روما لأمر عاجل فلم يستطع خوفا من العرب ، وكان الأساقفة الفارون من العرب في بروفنس ، قد لجأوا إلى بلاد (فاليه) من سويسرا ، فجاء

العرب ودخلوا هذا الوادي واكتسحوه وتقدموا إلى سويسرا بمقاطعة (جريزون) وكانت هذه آخر معاقل العرب في أوروبا[٢٩].

في أثناء تلك الأحداث ، وفي ظل نمو المسيحية وانقسامها إلى كنيسة غربية وأخرى شرقية ، كانت الكنيسة الشرقية تحمل لواء الأصالة والعراقة لأن القدس مركز من مراكزها الكبرى ، وفي هذا ميزة لا تخفى ، وبابوات روما لا يستريحون لبقاء القدس بعيدة عن نفوذهم ، وهناك عامل هام ذكى ريبة المسيحية الأوروبية ، هو الميراث الذي حفظته ، من غزو العرب لأوروبا من جهات عدة ، فلما جاء الوقت وتضعضع الحكم العربي في أسبانيا بفعل التفكك والتحاسد بين حكام العرب قررت الحروب الصليبية في حملات سبت بدأت منذ ١٠٩٧م وانتهت بالسادسة عام ١٢٤٨م تحت قيادة لويس التاسع ملك فرنسا حتى فشلت أوروبا في النهاية بالاحتفاظ بالقدس[٣٠].

كان فقدان العرب للأندلس (فردوس العرب المفقود) نهائيا عام ١٤٩٢م قد حدا بالأسبان إلى احتلال الساحل العربي المقابل ، فسقطت (سبته ومليلة) بالمغرب الأقصى . بل حمل البرتغال من جديد لواء حملة صليبية أخرى ، ليس ناحية القدس هذه المرة ، وإنما بهدف تعقب القوى الإسلامية وتطويقها والاتصال بملك الحبشة المسيحي للاشتراك في حركة تطويق الدول العربية المسلمة ، والقضاء على مصدر قوتها المتمثل في شرايين الملاحة التجارية المارة من خلال الوطن العربي والتي تربط بين الشرق والغرب [٣١] ، فحملات هنرى الملاح ابن ملك البرتغال وغيره مثل ديجو كام Diego Cam وبارتلميو دياز Bartholomeu Diaz والوصول لجنوب القارة(رأس الرجاء الصالح) وكذلك فاسكودا جاما Vasco da Gama الذي تابع حركة الزحف إلى الإمارات العربية بشرق أفريقيا ثم إلى الهند كانت كلها تحقيقا لدافع قوي هو (ضرب العرب في مقتل) بضرب القوى العربية بالقضاء على احتكارهم لطرق تجارة الشرق بتحويل هذه الطرق إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، وبذلك يجف مورد ثروتهم وقوتهم المادية والعسكرية ، وقد باركت البابوية ذلك وبادرت بفض النزاع بين البرتغال وأسبانيا ، وقد تصدت مصر المملوكة للعمل ضد البرتغال ونشاطهم في البحار الشرقية ، لكن هزمت الأساطيل المصرية في موقعة "ديو" البحرية (١٥٠٩م) ولا ننسى أنه قد تضامنت مع مصر في مقاومة البرتغال المدن الإيطالية المسيحية ، فقد كانت

هذه المدن هي المكمل الأوروبي الثانوي في سلسلة تجارة الشـــرق القديمـــة التي قطعها البرتغاليون [٣٢] .

مع إطلالة العصر الحديث بدأت أوروبا في رسم معالم جديدة على موقـــع وواقع الوطن العربي في أعقاب ظهور الثورة الصناعية في أوروبـــا التـــي انبثقت من إنجلترا باكتشاف آلة البخار على يد "جيمـــس وات" Games watt وفى أعقاب الحرب الطاحنة بين فرنسا وإنجلترا حيث ضعف الدولة العثمانية التي جثمت على صدر المنطقة العربية قرابة أربعة قرون حتى بلغت مـــن العمر أرذله ، جاء نابليون بونابرت بالحملة الفرنسية على مصـــر (١٧٩٨) ليعيد اكتشاف موقع مصر و الوطن العربي من جديد ، خاصة بعد أن راجت التجارة بطريق رأس الرجاء الصالح ، فإلى جانب محاربة فرنسا لإنجلـــترا بقطع الطرق بينها وبين مستعمراتها ذات المادة الخام في الشـــرق (جنـــوب شرق آسيا) واتخذوا من هذا المكان مركـــز الحلـــم الكـــامن فـــي تكويـــن إمبراطورية في الشرق عاصمتها مصر ، غير التي عجز عنها في الغـــرب أسوة بالإسكندر المقدوني ، الذي اتخذ من الإسكندرية مركزا له من قبـــل ، لذلك أخذت إنجلترا العظمى في تأمين طرقها عبر المنطقة العربية ، فضمت ميناء عدن كمستعمرة بريطانية إستراتيجية قرب باب المندب ، وامتدت إلـــى الخليج العربي بسلسلة من اتفاقيات الحماية وبسط النفـــوذ (١٨٣٩) وكـــان مشروع افتتاح قناة السويس (١٨٦٩) واستماتة بريطانية عليه معناه حصولها على طريق بحري وشريان الحياة [٣٣] .

كما دخلت بريطانيا قبرص كمستأجر لها من تركيا أول الأمر ، ثـــم مـــا لبثت أن أصبحت صاحب الدار (١٨٧٧) ، وانقضت بعد ذلك بأربعة أعـــوام على مصر بحجة تأمين حياة الأجانب وممتلكاتهم والقضاء علـــى الشـــغب الداخلي ، ومن ثم وضعت يدها على المفتاح الشمالي للبحر الأحمـــر ،كمـــا وضعتها من قبل على المفتاح الجنوبي [٣٤] .

من جهة ثانية وضعت فرنسا يدها على الجزائر (١٨٠٧) بحجة القضـــاء على القراصنة ، وأجبرت باي تونس على وضـــع بـــلاده تحـــت الحمايـــة الفرنسية عام ١٨٨١ ، وتنازلت ألمانيا عن ادعاءها في المغرب نظير تنازل فرنسا عن الكاميرون الألماني ، وقسمت مراكش إلى ثلاثة أقسام : الريـــف الأسباني بجعل سبتة قاعدة بحرية أسبانية ،وباقي البلاد فيمـــا عـــدا طنجـــة

محمية فرنسية ، أما طنجة (مدخل البوغاز) تحولت عـــام ١٩٢٣ لمنطقـة دولية تحت إشراف قناصل ثماني دول أوروبية ، كما احتلت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١ ، كما قسم القرن الإفريقي إلـى الصومـال الإيطـالي والصومـال الإنجليزي والصومال الفرنسي .

وفي مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ قسم المشرق العربي بين الانتدابيـن الفرنسي والبريطاني ، فكانت سوريا ولبنان من نصيب الانتداب الفرنسـي ، بينما فلسطين والأردن والعراق (مع إضافة ولاية الموصل للعـراق) إلـى بريطانيا بسبب رائحة البترول التي بدت فيها . أما بالنسبة لشـبه جزيـرة العرب ، فنظرا لسيطرة بريطانيا على هوامشها بغرض الحماية على جنوبها الشرقي فكان داخلها غير جاذب لأي أطماع حتى أنه كان بمنأى عن النفـوذ العثماني قبل ذلك ، وتكونت المملكة العربية السعودية بحدودها الحالية كدولة مستقلة عام ١٩٣٢ ، أما اليمن فهي مستقلة منذ مابعد الحرب العالمية الأولى ، هذا وقد حددت منطقتان محايدتان (ثنائية الحكم) بين الكويت والسـعودية ، وبين السعودية والعراق عقب الحرب العالمية الأولى .

بدأ التحرر بانتهاء الحرب العالمية الثانية للأقطار العربية ولكن بحدودهـا الجديدة التي خطتها القوى الأجنبية ، فحصلت سوريا ولبنان على الاسـتقلال عام ١٩٤٦ ، أيضا استقلت إمارة شرق الأردن عام ١٩٤٦ لتصبح المملكـة الأردنية ، أما فلسطين فقررت الأمم المتحدة إنهاء الانتـداب عليـها عـام ١٩٤٧ وجلت الجيوش البريطانية عنها عام ١٩٤٨ ، بعد أن سلمتها لليـهود بناء على وعد بلفور ١٩١٧ بموافقة الحكومة البريطانية على إنشاء وطـن قومي لليهود في فلسطين ، كما ألغى الانتداب البريطاني عن العـراق ١٩٣٠ ، واستقلال كل من مصر وليبيا عام ١٩٥٢ ،وتونس والمغرب عـام ١٩٥٦ وكذلك السودان ، ونالت موريتانيا استقلالها عام ١٩٦٠ ، والجزائـر عـام ١٩٦٢ .

وإن كانت الدول المستعمرة قد جلت مباشرة عن الـدول العربيـة إلا أن آثارها لا زالت وستبقى إلى فترة قادمة ليست بالقصيرة ، وهي في مجملـها صراعات ساخنة من وجوه عدة تتمثل هذه الوجوه في :

-زرع إسرائيل بهذه الصورة بكل أفكارها الطامعة بدولة فلسطين ، بل ومساعدتها ومحاباتها والحفاظ على كيانها الدائم على حساب كل الدول المحيطة والمجاورة لها .

-تقسيم الدول العربية إلى وحدات سياسية غير متجانسة كدول المساحات الشاسعة ممثلة فى السودان والسعودية والجزائر والأخرى الصغيرة جدا كالبحرين وقطر ولبنان .

-مشاكل الحدود بين الدول العربية بعضها البعض وبين الدول العربية وجيرانها غير العربية والتي كانت العامل الأساسي دائما وراء المناوشات والمنازعات السياسية التي حالت دائما دون وحدة أو تكتل عربي ضروري.

ما خلعت الدول الاستعمارية ، إنجلترا وزميلاتها أقدامها بعد من الأراضي العربية ، إلا وثبتت أقدام المعسكرين الكبيرين في هذا العالم ، إذ أن رائحة النفط وغزارته بعد اكتشافه بالمنطقة واستخراجه من مسجد سليمان في جنوب فارس عام ١٩٠٨ ، كانت مدعاة لتنافس هذين المعسكرين (٣٥) . وفرض النفوذ على الإقليم العربي كله ، ففي أعقاب ظهور البترول سعت بنجاح الحكومة البريطانية خلال الربع الأول من القرن العشرين للحصول على تعهدات مشايخ الخليج بألا يمنحوا امتيازات بترولية في أراضيهم لأية شركة أجنبية دون الرجوع إلى بريطانيا ، عند ذلك تنازل النشاط الاقتصادي الأمريكي عن استحيائه بمنطقة الخليج وانطلق من السعودية التي فضلت الاستمرار في التعاقد مع الشركات الأمريكية وحدها تجنبا للصراع السياسي (٣٦) .

ثم توسعت شركات الاستثمار البترولية الأمريكية بالخليج ، حتى صارت عقب انسحاب بريطانيا من المنطقة تمثل ٤٧% من استثمارات البترول في المنطقة . . كان تدفق البترول بمنطقة الخليج العربي في الثلاثينيات من القرن العشرين بالإضافة إلى اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية وتواجدها في المنطقة ، إضافة لظهور الأطماع السوفيتية في الخليج عبر إيران ، أسبابا مباشرة لقيام الولايات المتحدة بإقامة قاعدة الظهران الجوية شرق السعودية عامي ١٩٤٤-١٩٤٦ ، وفرض حلف بغداد عام ١٩٥٥ تزعمته بريطانيا أما أسلحة الحلف وتمويله كانت على عاتق الولايات المتحدة رغم عدم انضمامها رسميا للحلف (٣٧) .

إلا أن الثورة العراقية ١٩٥٨ قضت على هذا الحلف كما تمثلت المشاريع الدفاعية الأمريكية في ظهور مبدأ إيزنهاور (نسبة للرئيس الأمريكي) في يناير ١٩٥٧ ، حيث يعطي المبدأ للرئيس الأمريكي سلطة تقديم مساعدة اقتصادية وعسكرية لأية دولة بالشرق الأوسط ترغب في حماية منها ضد أية دولة مغامرة عدوانية مسلحة من أية أمة تقودها الشيوعية الدولية [٣٨] .

ويبدو أن الولايات المتحدة تجيد فن التعامل في المنطقة حسبما تريد بما لا يضر بمصلحتها ، فقد تقلص النفوذ البريطاني في المنطقة بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ كما شهدت المنطقة العربية مظاهرات شعبية عقب عدوان إسرائيل على أقطار المواجهة العربية عام ١٩٦٧ ، استطاعت الولايات المتحدة أن تخرج من هذه الأحداث مع الحفاظ على مصالحها الحيوية بالمنطقة ، على الرغم من دعمها وتبنيها للقضية الصهيونية ، التي تعد "معقل الرأسمالية ومندوب المنظومة الغربية بالمنطقة" [٣٩] .

بل زاد الدعم الأمريكي بالأسلحة الحديثة والتواجد الثقافي والتكنولوجي بالمنطقة عقب الانسحاب البريطاني من المنطقة عام ١٩٧١ واستمرت السياسة الأمريكية في المنطقة العربية قائمة في جو من الصراع والتوازن بين المعسكرين الغربي والشرقي ، إلى أن تحولت السياسة في المنطقة العربية إلى سياسة القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ ، حيث فقد حزب الناتو سبب وجوده وبدأ في البحث عن مهام أخرى له [٤٠] .
فأخذت تظهر فكرة "الأمن المشترك" ، الذي تهدده أخطار عديدة يمكن أن تكون نابعة من داخل أراضي الحلف أو خارجها ومنها على سبيل المثال الشرق الأوسط والخليج العربي ، حيث إمكان تهديد مصادر البترول أو بروز تحديات جديدة قد تؤدي إلى حدوث خلل في ميزان القوى في بعض المناطق الإقليمية من العالم بصورة تؤدي إلى تهديد المصالح الغربية .

وذكرت صحيفة النيويورك تايمز الصادرة يوم ٢٥أبريل ١٩٩٩ : أن أزمة كوسوفا قد جرفت حلف الأطلنطي إلى مهمة جديدة وهي أن يصبح بقيادة الولايات المتحدة رجل بوليس العالم وفق المفهوم الأمريكي واستراتيجيته الجديدة التي ستصبح هي الأساس في تحرك الحلف خلال السنوات الأولى على الأقل من القرن الحادي والعشرين ، وذلك من حيث إحكام الحصار على روسيا وتحويل دور روسيا لدور فريد يتعلق بالأمن

الأوروبي - الأطلنطي من خلال قيام شراكة مستقرة ودائمة بين الحلف وروسيا ، والقيام بوظيفة رادعة ودفاعية أمام أي تهديد بعدوان يستهدف أي دولة من دول الحلف ، والعمل على أن يضطلع مجلس الأمن الدولي بالمسئولية الرئيسية في الحفاظ على السلام والأمن الدوليين ويقوم من هذا المنطلق بدور حاسم من خلال المساهمة في أمن واستقرار المنطقة الأوروبية الأطلنطية" .

وفي ظل المفاهيم الجديدة للحلف ونظرية الهجوم تبناها للعمل خارج النطاق الجغرافي للدفاع . أصبحت منطقة الشرق الأوسط من "شواطئ المغرب غربا حتى العراق وإيران شرقا" في نطاق المظلة الأمنية والسياسة العسكرية لحلف الأطلنطي ، وطبقا للنظام الأساسي للحلف ، باستخدام الوسائل السياسية والعسكرية لتحقيق أهدافه فإنه لم تعد هناك من وسيلة إلا وسوف يستخدمها الحلف ، ولكن الوسائل العسكرية سوف تستأثر بالاهتمام ، ولكن ذلك لن يغني عن استخدامه للوسائل السياسية والتي تأتي في إطار محاولة تغيير النظام السياسي لدول عربية معينة والتدخل لمنع حق تقرير المصير لفئة أو قومية أو ديانة معينة كما في جنوب السودان وشمال العراق إلى جانب منح حكم ذاتي لجزء أو إقليم من دولة . ومحاولة إعادة ترتيب الأوضاع في بعض دول المنطقة مثل ليبيا وإيران وغيرها والتدخل في منطقة الخليج في إطار تحقيق أمن الخليج وأمن الممر المائي (مضيق هرمز) التجاري الهام وضمان تدفق النفط والتدخل للتفتيش على الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ، أو لمنع تدفق الأسلحة على بعض الدول أو حرمان البعض الآخر من تحقيق توازن في المجال النووي مع إسرائيل أو التدخل لتحديد امتلاك بعض الدول لصواريخ بالستية أرض / أرض والتدخل بذريعة منع حركات العنف والتطرف ، ومثال ذلك في الجزائر والعراق [٤١] .

٣ - بالنسبة للجانب الروسي :

تنظر روسيا إلى المنطقة العربية حتى قبل الحرب العالمية الثانية باهتمام ، باعتبارها المنطقة الواقعة إلى الجنوب من باطوم Batum وباكو Baku مراكز إنتاج النفط في الأراضي السوفيتية قرب بحر قزوين - باتجاه الخليج إلى جانب أنها بعدا إقليميا أمنيا لها كجار أول ، طمع الاتحاد السوفيتي عقب

انتهاء الحرب العالمية الثانية في منطقة الخليج العربي عبر إيران [٤٢] . التي تحركت نحو شمالها الغربي عام ١٩٤٦ ولكنها جلت عن إيران بقرار مجلس الأمن عام ١٩٤٦ ، ورغم ذلك استمرت أطماع السوفيت في المنطقة العربية ، فقد وضع العسكريون السوفيت عام ١٩٤٨ خططا عسكرية ترمي لشن هجوم مفاجئ على منطقة الخليج ، مما كان له أثره على موقف الولايات المتحدة التي اقتنعت بأهمية المنطقة وأن الخليج لم يعد مجالا للنفط فحسب بل أصبح يشكل القاعدة الكبرى التي يمكن أن ينطلق منها هجوم جوي ضد منابع النفط السوفيتي في باكو وباطوم فعملت الولايات المتحدة على إذكاء حلف بغداد وتحقيق مبدأ إيزنهاور .

في خضم العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ورفض الغرب تزويد مصر بالسلاح عقب الغارة الإسرائيلية في قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، تم الإعلان في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ عن صفقة الأسلحة التشيكية لمصر لتبدأ تدريجيا مرحلة العلاقات المصرية السوفيتية التي استمرت حتى أوائل السبعينيات ، إلى جانب ذلك دعم السوفيت لمصر سياسيا أمام العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ثم إعادة بناء القوات المصرية بعد نكسة ١٩٦٧ ، وقد صاحب ذلك اتساع حجم التعاون الاقتصادي في الصناعة والطاقة والزراعة والمشاريع العملاقة أبرزها مشروع السد العالي ومجمع الحديد والصلب بحلوان ومجمع الألمنيوم بنجع حمادي ٠٠ عكس ذلك كانت هناك اتجاهات أيديولوجية تعبر عن مواقف دول المعسكر الغربي وفي مقدمتها الولايات المتحدة المعادية لأماني العرب القومية وتأييد الصهيونية العالمية ، كل ذلك ساعد على مرور السوفيت إلى المنطقة العربية بسهولة وتأييدها للعرب وتقديم المساعدة حتى ولو كانت محدودة ٠

وفي أعقاب انحسار العلاقات المصرية السوفيتية قبيل حرب أكتوبر وإلغاء معاهدات الصداقة المصرية السوفيتية [٤٣] نشطت في هذه الآونة الولايات المتحدة في دعم السعودية وإيران عسكريا حفاظا على أمن المنطقة لصالحها أولا ضد أي نفوذ خارجي خاصة النفوذ الروسي ، لدرجة أظهرت أطماع شاه إيران محمد رضا بهلوي في بعث الإمبراطورية الفارسية القديمة ، بجانب تهديد منطقة الخليج وشط العرب ؛ لكن أحداث إيران أواخر ١٩٧٨ والتي انتهت بقيام ثورة ١٩٧٩ بإقصاء الشاه وإعلان الجمهورية الإسلامية

أدى إلى خسارة الولايات المتحدة النظام الإيراني الصديق لصالح الاتحاد السوفيتي ، ليعود نفوذها في الخليج العربي إلى جانب المحيط الهندي بوجود قواعد وتسهيلات عسكرية سوفيتية في كل من اليمن الديمقراطية وأثيوبيا آنذاك .

ومع تفكك الاتحاد السوفيتي بنهاية عام ١٩٩١ ومع غيابه عن المنطقة أثناء قيام حرب الخليج الثانية فرضت الولايات المتحدة وأحلافها الهيمنة على المنطقة ، ولكن غياب المعسكر الشرقي المنهار زاد من الخلل بالمنطقة العربية وتطويقها ، حتى وإن كان للاتحاد السوفيتي السابق أطماع في المنطقة إلا أنه وجود قوة مناظرة في اللعبة السياسية في المنطقة تعمل على اعتدال كفتي الميزان **حتى وإن كانت في إحدى كفتيها قالباً من طوب** .

٤- بالنسبة لدول الجوار الآسيوية :

ونقصد بها دولتي تركيا وإيران فهما دولتان مسلمتان وهما من أهم دول الجوار الجغرافي للوطن العربي ، فهما أشبه بلحاء في جذع الكيان العربي مما يجعلهما ذواتا تأثير شديد عليه ، **أما عن تركيا :** فهي امتداد جغرافي للهلال الخصيب فمنها نبع أهم الروافد النهرية في الإقليم وهو نهر الفرات ، والواقع الجغرافي يحتم على تركيا رغماً عنها اللجوء إلى تاريخها وجغرافيتها ، وهو المشاركة والانغماس في واقعها الإقليمي بالمنطقة العربية ، فبعد أعوام طويلة من التركيز السياسي لتركيا على أوروبا الغربية وحلف الأطلنطي بهدف كسب الهوية الأوروبية ومحو الهوية (الشرق أوسطية) أو الإسلامية ، وخصوصاً عندما زادت أهمية تركيا بالإستراتيجية الغربية (والأمريكية خاصة) مع نهاية السبعينيات وتحديداً مع سقوط الشاه حليف الغرب في الشرق الأوسط إلى جانب إسرائيل ، فقد تم توقيع اتفاق عسكري (أمريكي- تركي) عام ١٩٨١ ، يضع أمن أجزاء كثيرة من الوطن العربي تحت رحمة الحسابات الاستراتيجية للقوة الأطلسية . الأمريكية خاصة ، وهو ما ظهر واضحاً خلال حرب الخليج الثانية . مع كل ذلك وبينما يستمر الاتحاد الأوروبي في تقبل أعضاء جدد من أوروبا الشرقية ، فإن التوقعات المتعلقة بالعضوية التركية تبدو بعيدة المنال ، إلا أن الأتراك متفائلون فإن علاقتهم مع واشنطن تتحسن نتيجة علاقاتهم الأخوية مع إسرائيل فقد أعلن

المتحدث باسم الخارجية الأمريكية في مايو ١٩٩٧ ، أن هناك هدفا استراتيجيا للولايات المتحدة فيما تقوم "تركيا وإسرائيل" من تعزيز تعاونهما العسكري وعلاقاتهما السياسية ، ولذلك استمر في وصف هذا الحلف بأنه مفيد لكلتا الدولتين والولايات المتحدة ، ولكنه ربما كان أكثر فائدة للأتراك من فوزهم بتأييد الخارجية الأمريكية ، أن يكسبوا أصدقاء في الكونجرس ، المكان الذي يعانون فيه من نفوذ اليونان واللوبيهات الأمريكية ، ومن أجل ذلك فإنهم يعتمدون على قوة ونفوذ اللوبي اليهودي الأمريكي ، ولكن الولايات المتحدة دائما في تخوف من هذه العلاقة والانسجام بين تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة ، إذ أنها تتخوف من الرأي العام التركي . حيث إنه سيرى هذه العلاقة ببساطة خدعة أمريكية لتقسيم وحدة العالم الإسلامي ومن جهة أخرى فإن الدور الأمريكي سيدعم شكوك العرب في أن العلاقات التركية الإسرائيلية هي جزء من المخطط الأمريكي لتطويق العرب.

ولكن حتى لا تخسر تركيا كل شئ ، أخذت تركيا تركز اهتمامها السياسي الإقليمي على مناطق الجوار (الهلال الخصيب) وإنشاء علاقات اقتصادية في شبه الجزيرة العربية ومصر وليبيا وذلك لجذب البلدان العربية لمساندتها في صراعاتها الخارجية ، خصوصا فيما يتعلق ببحر إيجه وقبرص ، ومن جهة ثانية الرغبة في فتح أسواق جديدة للمنتجات التركية بالمنطقة العربية ، حيث بات من المؤكد أن خروج تركيا من أزمتها الاقتصادية لن يأتي إلا بزيادة قدرتها التصديرية ولما كان ذلك صعبا في اتجاه السوق الأوروبية ، فقد أصبح من المنطقي أن تلجأ تركيا إلى الأسواق العربية للخروج من مأزقها [٤٥] .

أما عن الجانب العربي تجاه تركيا : فلا زالت في أذهان الفكر العربي تركيا التاريخ والخلافة ، ولا زالت الدول العربية والإسلامية تعد تركيا جسرا أو كتلة في الكيان العربي الإسلامي يعتد به على الرغم من مشكلات تركيا مع سوريا حول لواء الإسكندرونة ومياه الفرات وإنشاء سد أتاتورك . كذلك مشكلة تركيا مع العراق حول الأكراد ، ولكن حتى الآن .. يبدو أن الأتراك بسبب ماضيهم العثماني الاستعماري ، ومنذ أتاتورك ، ركز الأتراك توجههم نحو أوروبا بعيدا عن الشرق الأوسط ، وتاريخيا فإن الأتراك يتمتعون بعلاقاتهم مع اليهود أكثر من تمتعهم بعلاقاتهم مع العرب ، ولقد

رحل اليهود من أسبانيا عام ١٩٤٢ ووجدوا ملجأ وتسامحا في الإمبراطورية العثمانية ، كما أن تركيا كانت أول دولة مسلمة تعترف بالدولة اليهودية في ١٩٤٨ ، وما أعلنه جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ من أنه بسبب سياستها تجاه إسرائيل ، أصبحت تركيا مكروهة لدى العرب ، وحتى في قمة سياسة الأتراك المؤيدة للعرب من منتصف الستينيات حتى منتصف السبعينيات ، فإن تركيا لم تقطع علاقاتها بصورة كاملة مع إسرائيل ، ومن جهة أخرى ، فإن اتفاق التجارة الحرة سوف يمثل على الأمد الطويل حجر الأساس للعلاقات التركية الإسرائيلية ، ومن المتوقع للتجارة السنوية بين البلدين أن تزيد من ٤٥٠ مليون دولارعام ١٩٩٨ إلى ٢بليون دولار في سنوات قليلة ، ومن الأمور المثيرة للدهشة هو أن حوالي (٣٠٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠٠) سائح إسرائيلي يزورون تركيا سنويا – هذا العدد يمثل ٨% من سكان إسرائيل ينفقون ٣بلايين دولار سنويا ، ولأن كثيرا من الأتراك يجنون فوائد اقتصادية نتيجة العلاقات القوية مع إسرائيل ، فإن جماعات المصلحة القوية ، خاصة في مجال الأعمال ، يفضلون هذا النموذج من أجل حماية هذه الفوائد [٤٦] .

وأما عن إيران : تمثل إيران مثلها في ذلك مثل تركيا ، واحدة من أهم دول الجوار الجغرافي للوطن العربي ، غير أن إيران تركز اهتمامها السياسي الإقليمي على المنطقة العربية عكس تركيا التي تصب اهتمامها فقط على منطقة الهلال الخصيب ، والواقع فإنه قد مارس الموقف الإيراني للشاه بالتهديد لمنطقة الخليج ، خاصة بما يتعلق بقضية الجزر الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، ترتبط هذه الجزر تاريخيا بنشأة دولة الإمارات ، فقد كانت هذه القضية قرينة بنشأة الدولة ، حيث كانت "الصفقة" التي دبرتها إيران مع بريطانيا وأطراف إقليمية أخرى أحد أسباب غياب كل من البحرين وقطر عن دول الاتحاد الوليدة ، وكان الاتجاه الرئيسي عندما أعلنت بريطانيا عام ١٩٦٨ أنها سوف تنسحب من الخليج أواخر عام ١٩٧١ هو أن تنشأ دولة اتحادية تساعية تضم كل من : أبوظبي ودبي والبحرين وقطر والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم قوين والفجيرة . ولكن تجديد شاه إيران لمطالبه في البحرين ورفضه لقيام اتحاد تساعي تشارك فيه البحرين أدى إلى قرار "صفقة الجزر" التي أعطت للشاه ضوءا أخضر

لاحتلال الجزر الثلاث عقب الانسحاب البريطاني مباشرة مقابل التخلي عن البحرين ، وهكذا كان احتلال إيران للجزر الثلاث ثمنا لاستقلال البحرين وخروجها مع قطر من الاتحاد التساعي وتشكيل دولتين مستقلتين واقتصار دولة الإمارات على سبع والتي أسست الدولة رسميا يوم ٢ ديسمبر ١٩٧١ (٤٧) .

ومن جهة ثانية ، ينظر إلى النزاع الحدودي بين العراق وإيران على أنه أكثر النزاعات الحدودية دموية على المستوى العربي والعالمي أيضا .. إذ ناهضت ثورة العراق عام ١٩٥٨ إيران نظرا لاستخدام الأكراد لزعزعة استقرار العراق ، فكان الصدام الدموي بينهما . وكان نتيجة لإلغاء إيران اتفاقية ١٩٣٧ مع العراق وحشد قواتها على الحدود اضطرار العراق منح إيران حق الاشتراك فى السيادة على شط العرب مناصفة ، ومع قيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ وما صاحب ذلك من استفزازات حدودية ضد العراق والقيام باغتيالات داخل العراق وضرب المدفعية الإيرانية لأهداف عراقية في أكثر من ٥٦٠ حادثة ، شنت العراق الحرب في سبتمبر ١٩٨٠ على إيران وألغت اتفاقية ١٩٧٥ ، واستند العراق في دعواه للسيادة على كامل شط العرب على اتفاقية أرضوم ١٩٣٧ التي اعترفت فيها إيران بهذه السيادة ، في حين ادعت إيران بعدما التزم العراق بهذه الاتفاقية بما يخص الإدارة وجباية الإيرادات لقيامه بذلك منفردا . وبالتالي فإن تغيير الظروف يتيح لها إلغاء هذه الاتفاقية إضافة إلى إساءة العراق للحجاج والرعايا الإيرانيين في العراق . كما ادعت إيران أن اتفاقية أرضوم الأولى ١٨٤٧ فرضت عليها من قبل روسيا وبريطانيا وهي لا تقبل بها (٤٨) .

إلا أن إيران تمسكت باتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ التي تتيح لها السيادة على الضفة الشرقية لشط العرب ، وأثناء حرب الخليج الأولى احتلت العراق مناطق شاسعة إيرانية ثم انسحبت إجباريا من معظمها ، وظهرت في النهاية عدم قدرة أي منها في الانتصار ، وبالتالي أوقفت الحرب في أغسطس ١٩٨٨ بناء على قبول الطرفين لقرار الأمم المتحدة رقم ٥٩٨ ، وأخيرا قبلت العراق كل مطالب إيران بعد حرب ترى بعض المصادر أنها كلفت مليوني ضحية وخسائر عقود من السنوات في التنمية تقدر بمئات المليارات من الدولارات (٤٩) .

ولكن بعد كل ذلك فرضت الظروف السياسية بالمنطقة ضرورة طبيعية وإن أغفلها الكثير وهى أن المصير العربي الإيراني في مركب واحد ، ففي بداية الثورة الإسلامية ، كانت إيران متعصبة في معاداتها للغرب وتحاول تصدير الثورة للوطن العربي ، وقد خططت لذلك بدقة وذكاء ، حيث حافظت بمهارة على علاقاتها بسوريا ونفوذها جنوب لبنان ، كما طرحت نفسها رصيدا محتملا للمقاومة الفلسطينية في حال فشل محادثات السلام ، أو في حال انشقاق الفلسطينيين عن بقية العرب أو انقسامهم على أنفسهم ، أيضا واصلت إيران عملية نفاذها في جنوب العراق ومشاركتها في تنظيم المعارضة العراقية ضد الحكم في بغداد ، بالإضافة إلى محاولة مد نفوذها العقائدي إلى السودان واليمن والقرن الإفريقي وشمال إفريقيا ، إلى جانب دعم روابطها بأقطار الخليج العربي [٥٠] .

ولكن كل هذه الأنشطة الإيرانية أدى لإفساد علاقاتها بالغرب بقيادة الولايات المتحدة وأيضا مع دول الشرق الأوسط ، ولكن خلال السنوات القليلة الماضية ومع وصول نتنياهو للحكم في إسرائيل ، اتخذت تل أبيب سياسات متشددة كما أن الولايات المتحدة قامت بانتهاج سياسية مزدوجة المعايير متخذة موقف متحيز مع إسرائيل مما أدى لتوقف مسيرة السلام في الشرق الأوسط ، كما قامت الولايات المتحدة بدعم إسرائيل من أجل تطوير تحالفها العسكري مع تركيا مما آثار حفيظة وشك الدول العربية من الولايات المتحدة ، واستشعروا بأنهم إذا أرادوا استعادة أراضيهم المغتصبة وتغيير الموقف الاستراتيجي الذي يعتبر في غير صالحهم والمتمثل في إسرائيل القوية ضد عرب ضعاف ، فعليهم أن يزيدوا من قوتهم والبحث عن دعم استراتيجي جديد ، وإيران تعتبر أفضل قوة دعم يمكن أن تحقق هذا الغرض .. ومن أجل كسر العزلة ، قامت إيران أيضا بأخذ زمام المبادرة لتحسين علاقاتها مع دول الخليج مما خفف من قلق هذه الدول من الجارة إيران ، وكان انتخاب رئيس إيران محمد خاتمي عام ١٩٩٧ ثم إعادة انتخابه عام ٢٠٠١ خير دليل لانفتاح إيران وإعادة ترتيب أوراقها مع دول الجوار بعد أن كانت في عزلة [٥١] .

وساعد قيام علاقات ودية مع إيران ، كرد فعل لمبادرات الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى تغيير توازن القوى بالمنطقة ،وساعد على هذا التوازن بما

تحظى به المنطقة المتمثلة في بلدان شبه الجزيرة العربية والعراق وإيـــران باهتمام عالمي وبخاصة من قبل الغرب ، إذ أنها تحتوي علـــى ٧٥% مــن مستودعات بترول العالم ، ففي ١٩٩٦ ، كان البترول الخليجـــي الإيرانـــي يمثل ١٨,٨% من واردات البترول في الولايات المتحدة ، كما مثـــل ٤٤% من واردات أوروبا و ٧٠% من واردات اليابان (٥٢) ، وبعد ذلك هل يمكـــن أن يسعى الساسة العرب والإيرانيون إلى شحذ الجهود وحل المشكلات علـــى مائدة المفاوضات والتعاون اقتصاديا لمواجهة التكتل الغربي بما فيه إسرائيل ، الذي اتضح أنه الخطر المشترك للطرفين ؟ خاصة وأن العـــرب لاشـــك يعتبرون إيران غطاء لهم وقت الحاجة ، وفى الوقت الراهن لاشك أنه هناك حاجة لإيران فقد دخلت المنطقة الألفية الثالثة بعد الميلاد وهـــاهو القطـــب الأمريكي جاثم على صدر الخليج العربي إثر حرب الخليج الثانية ، بمشاركة إنجلترا ولعل هذا الوجود في المنطقة لاشك يحقق أهدافا للمعسكر الغربـــي غاية في الأهمية التي تنحصر في :

١-السيطرة على بترول الخليج والتحكم فيه وفي منفذه إلى جـــانب أحكـــام الحصار وتطويق دول الطوق والتي تطوق إسرائيل ذاتها من خلال الحليـــف التركي والقواعد الأمريكية الإنجليزية في مياه الخليج العربي . ثـــم العمـــل على تقويض الدور الروسي التي تحتاجه العديد من دول المنطقـــة لدعمـــها والذي يعد أحد الوارثين الإستراتيجيين لهذه المنطقة ثـــم تراقـــب تحركـــات العراق والدول الأخرى ، فالعراق متهم باستخدم الأسلحة الكيماوية بالإضافة إلى تطوير وبناء احتياطي مـــن الأســـلحة النوويـــة والبيولوجيـــة وكذلـــك الصواريخ الباليستية ، ثم مراقبة تحركات القوى المنافسة للمعسكر الغربي ، وبعد روسيا تكون اليابان والصين اللتان لا يستطيعان التفريط في نفوذهمـــا في المنطقة بصورة تؤمن لهما مصالحهما الحيوية بالمنطقة .

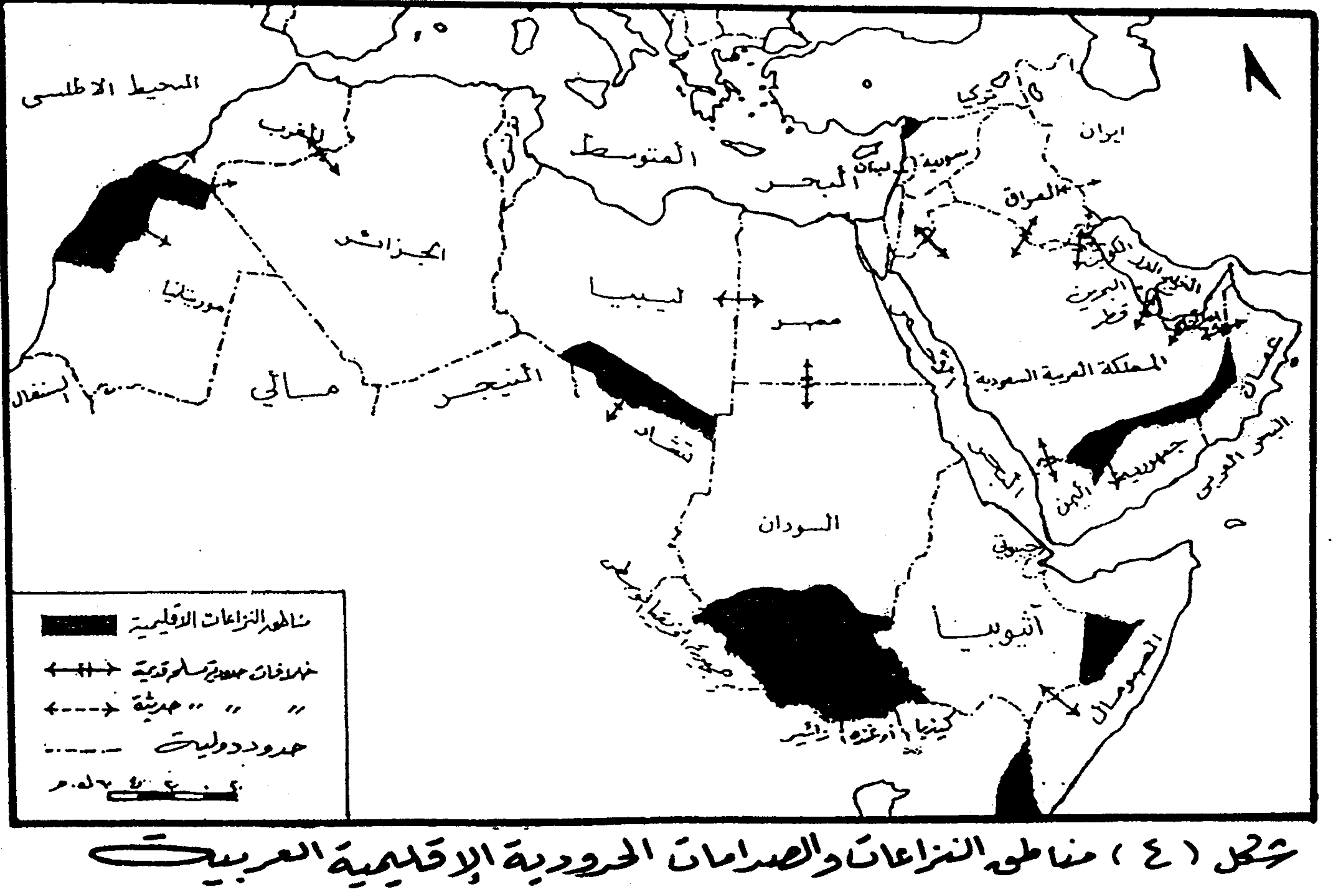
مشكلات الحدود بالوطن العربي :

قدرت الحدود السياسية البرية للدول العربية بحوالي ٣٤٤٩٢كم ، وقد كان ظهورها في منطقة أفريقيا العربية أقدم من ظهورها في غيرها من المناطق العربية الأخرى ، ويبلغ متوسط عمر الحدود العربية المرسومة حوالي ٧٠ عاما فقط . ويمثل ترسيم الحدود أهمية كبيرة لدى رجال القانون والعسكريين والسياسيين والمؤرخين فضلا عن الجغرافيين وغيرهم . فهي بالنسبة لرجال القانون تفصل بين نظامين قانونيين لهما سيادتهما ، وفي أنها في نظر العسكريين منطقة الدفاع الأساسية ، ومن الناحية السياسية فإن الحدود هي تعيين للمدى الذي يمكن أن تبلغه السلطة السيادية ، واهتمام الجغرافيين والمؤرخين بموضوع الحدود في أساسه راجع لحاجة أكاديمية ، بل ويساهم الجغرافي عمليا في حل مشاكل الحدود السياسية (٥٣) .

ويعد الخطر كل الخطر من حدود الدول العربية في أنها قد تم رسمها بفعل السياسة كما فى الشكل (٤) ، وفي أغلب الأحيان لا تكون متطابقة مع منطق الجغرافيا أو وثائق التاريخ ، ومن هنا يبدو أن الحدود في الوطن العربي خططت وفق الصراعات والمصالح الأجنبية الاستعمارية في كثير من الأحايين (٥٤) .

ونتيجة الخلافات الحدودية في الوطن العربي ، أصبحت النزاعات والصدامات المسلحة ، في سبيل الحصول على مكاسب إقليمية أو اقتصادية ، فالصدامات العسكرية بين العراق وإيران ، وغزو العراق للكويت ، واحتلال ليبيا لشمال تشاد ، والمعارك في الصحراء الغربية لم تسفر إلا عن خسائر هائلة في الموارد الاقتصادية والبشرية (٥٥) ، وتعتبر مشاكل الحدود هذه هي أهم العوامل على الإطلاق في زعزعة الصف العربي ووحدته بل أن إذكاء هذه المشاكل الحدودية بين الدول العربية بين الحين والحين تعد أهم عراقيل التكتل الإقتصادى العربى بكل ضروريات وجوده وتفعيله ، ليس الأمر عند هذا ، ولكن سببت مشاكل الحدود بين الدول العربية وجاراتها مشاكل حدودية أخرى تمثل تهديدا قائما وصراعات لا تنتهي أيضا .

وفيما يلي سوف يتم تقسيم المشاكل الحدودية بالوطن العربي إلى قسمين ، الأول خاص بمشاكل الحدود بين الدول العربية فيما بينها ، والثاني خاص بمشاكل الحدود بين الدول العربية وجاراتها الأخرى :



شكل (٤) مناطق النزاعات والصدامات الحدودية الإقليمية العربية

أولا : مشاكل الحدود بين الدول العربية بعضها البعض :

١- مشاكل الحدود بين السعودية وجيرانها :

تشترك السعودية مع سبع دول في حدودها السياسية كلها دول عربية وهذا في حد ذاته من الميزات للحدود السعودية ولما تتمتع به الأراضي المقدسة من تقدير ورهبة في قلوب كافة الدول العربية ، والحدود بين السعودية وكافة دول الجوار ممتازة فيما عدا حدودها مع اليمن والعراق إذ يصيبها شئ من التوتر .

* **حدود السعودية / اليمن** : يعود النزاع الحدودي بينهما منذ ١٩٢٥ ، عندما طرد اليمن الأدارسة من عسير بنية ضم هذا الإقليم إليها وذلك بمساعدة الإيطاليين وتحريض اليمن لأهل عسير بالثورة ضد السعودية [٥٦]. كان ذلك أحد الأسباب الأساسية لبدء النزاع بين البلدين ، إلى جانب الاستعمار البريطاني لجنوب اليمن كان دافعا أخر لحكومة اليمن في تعويض نفوذها هناك بالاتجاه شمالا ومحاولة ضم عسير وبالتالي تعزيز صورة نظام الحكم داخليا وخارجيا.ولكن هذه الحدود بين السعودية واليمن قدتم الاتفاق عليها مؤخرا وإنهاء النزاع تماما في اتفاقية بجدة عام ٢٠٠٠ .

* **حدود السعودية / العراق** : تعود بوادر الصراع الحدودي بين البلدين عقب الحرب العالمية الأولي ، فلم يكن معروفا من قبل ذلك حدودا سياسية في شبه الجزيرة العربية أو في العراق أو في الشام .. وتعد أسباب المشاكل الحدودية ، في عمليات انتقال القبائل بحثا عن الكلأ والماء دون اعتبارات للحدود الجديدة بين البلدين ، كما أن قيام بعض القبائل على طرفي مناطق التخوم بتغيير ولاءها السياسي لأي الدولتين حسب مصالحها [٥٧] ، كما ساهمت بريطانيا في تفعيل هذه المشكلة ، لاستمرار نفوذها في المنطقة . ففي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين حاولت بريطانيا إحاطة الدولة السعودية الناشئة بطوق من الإمارات الهاشمية الخاضعة لها في الشمال ، ومن جهة ثانية حاولت بريطانيا إظهار مدى حاجة العراق إليها ، كما أن غارات الأخوان التابعين للسعودية وبعض القبائل الأخرى أضافت كثيرا إلى حدة النزاع ، كما أن الحكم الهاشمي في العراق كان ميالا في البداية للضغط على أطراف الدولة السعودية لاعتبارات سياسية خاصة

بالحجاز وسقوطه في يد القوات السعودية .. في المقابل سعت السعودية دائما لتأمين أطراف حدودها ردا على محاولات تهديد أمنها وسلامتها الإقليمية ، ولذلك سعت الدولتان لاستقطاب الولاء القبلي والعشائري في مناطق النزاع ولكن هذا النزاع السعودي العراقي انتهت نتائجه بصورة طيبة للغاية ، فقد توصل الطرفان في اتفاقية المحمرة والعقير عام ١٩٢٢م إلى إيقاف غارات القبائل وحماية طرق قوافل الحجاج وتعيين خط الحدود بين البلدين وإنشاء المنطقة المحايدة ، أما إتفاق جدة ١٩٧٥ ، فقد اتفق الطرفان على ترسيم الحدود واقتسام المنطقة المحايدة (٥٨) ، ومنذ ١٩٢٢ - ١٩٩٠ ظلت الحدود بين البلدين هادئة ولكن الحشد العسكري العراقي على الحدود السعودية أعاد التوتر من جديد .

٢- مشاكل الحدود بين العراق - الكويت :

تعد هذه المشكلة أخطر المشكلات الحدودية بين دولتين عربيتين أدت إلى انقسام الصف العربي صف مؤيد للعراق وآخر معارض له ، ولكي نتفهم أبعاد هذه المشكلة بصورة أكثر وضوحا ، فلابد أن نعرف عن الكويت أنه ، يقع على رأس الخليج العربي الذي يخرج منه خليج الكويت أيضا ، الذي هو نتاج حركات القشرة الأرضية كمصب لنهر قديم حولتة حركات القشرة الأرضية إلي هذا الخليج الذي اكتسب أسمه من الكويت وقد حمى هذا الخليج سواحل الكويت من أنواء الخليج العربي وعواصفه العاتية ، لهذا كان ملجأ للسفن عندما أتيحت الفرصة لمعرفة مزاياه منذ بداية القرن الثامن عشر . وتعد الكويت نهاية الطريق البحري للمحيط الهندي وخليج عمان ـــ الذي يلتقي مع طرق القوافل عبر الرافدين وغربا إلى ساحل البحر المتوسط - أي أنها مركز الالتقاء بين الطريق البحرى والبري ، لهذا ازدهرت بها تجارة الصادر والوارد على حساب ميناء البصرة ، كما أن ميناء الكويت يقع في نطاق شاطئ اللؤلؤ العظيم ، عندما كان اللؤلؤ تجارة رابحة فحرصت السلطات التركية على بسط سيادتها عليها .

كما أن موقع الكويت أهلها لتكون مركزا دوليا للبريد بين أوروبا وساحل البحر المتوسط وبين موانئ المحيط الهندي . كما سلطت عليها الدول الأوروبية الضوء لاختيارها نهاية لسكة حديد بغداد ، ذلك عن الكويت في

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أما في القرن العشرين فقد اكتشف نفطها عام ١٩٣٨ في حقل البرقان ثم توالت الاكتشافات حتى أصبحت الكويت ذات احتياطي ضخم بالإضافة إلى أنها تنتج ما يزيد على ١,٥ مليون برميل يوميا (٥٩) .

تتركز أسباب الصراع بين البلدين في رغبة العراق في ضم الكويت ، فضيق المنفذ البحري العراقي على الخليج العربي والموقع المميز مع الموارد البترولية الضخمة للكويت تشكل أسبابا أساسية لبدء الصراع (٦٠) الذي قام على كثير من الحجج والادعاءات القانونية والسياسية ، فالعراق يؤكد أن الكويت كانت جزءا من ولاية البصرة العثمانية . وعليه فإن له الحق في وراثة الدولة العثمانية في الكويت ، واستند العراق أيضا على الاستفزازات المزعومة التي يقوم بها الكويت فيما يخص بتروله ومراكزه الحدودية ، وعلى الجانب الكويتي فقد أكدت أنها لم تكن تحت الحكم العثماني أساسا ، ثم إن العراق لم يكن دولة مستقلة في ذلك الوقت حتى يرث النفوذ العثماني في الكويت وتؤكد بعض المصادر أن حاكم الكويت في نهاية القرن التاسع عشر فرض رسوما على السلع العثمانية المارة بأراضيه ، ورفض قبول لقب قائمقام التركي ، كما اعتمدت الكويت بتأكيد استقلالها وسيادتها على الخطابات المتبادلة بين البلدين عام ١٩٣٢ بشأن اعتراف العراق بالكويت .

وفي عام ١٩٦١ تم انسحاب القوات البريطانية من الكويت ولغت اتفاقية الحماية البريطانية (١٨٩٩) للكويت في ١٩ يونيو ، وذلك كان دافعا للعراق في التفكير وعزمه على ضم الكويت ، أدى ذلك إلى إنزال القوات البريطانية في الكويت وبعدها دخلت القوات العربية وقبلت الكويت عضوا كاملا بجامعة الدول العربية ، ثم انسحبت القوات العربية عام ١٩٦٣ (٦١) وقد كثفت الكويت نشاطها الدبلوماسي بعد انتهاء أزمتها هذه مع العراق ، أدى ذلك إلى اعتراف كثير من دول العالم بها ، ثم انضمامها إلى منظمة الأمم المتحدة ١٩٦٣ ، وأخيرا اعتراف العراق بسيادة الكويت على كافة أراضيها وفي إطار حدودها الراهنة في اتفاقية ٤ تشرين الأول ١٩٦٣ بعد زوال حكم عبد الحكيم القاسم في العراق (٦٢) ، وبالنسبة للصراع الأخير الخاص بغزو العراق في أغسطس ١٩٩٠ للكويت زعم العراق أن هناك ثورة داخلية في

الكويت ضد نظام الحكم طلبت مساعدته ، ثم أعلن بعد فترة قصيرة استعداده للانسحاب ثم أعلن ضم الكويت إلى العراق تحت مسمى المحافظة التاسعة عشر [٦٣] ، كان نتيجة ذلك تحطيم قدرة الجيش العراقي والكوارث البيئية الهائلة التي سببها إشعال أبار النفط الكويتي ، سقوط عشرات الآلاف من القتلى العراقيين والكويتيين وتدمير هائل للبنية التحتية بالعراق والكويت ، والأهم من ذلك تمزيق الصف العربي الذي لم يلتئم بعد بالإضافة إلى تغلغل النفوذ الأمريكي البريطاني بالمنطقة .

٣- مشكلة الحدود بين الجزائر والمغرب :

نتجت هذه المشكلة من جراء الخلافات بين الإدارات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والمغرب ، حيث الغموض في حدود الأجزاء الجنوبية بين البلدين ، وبعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ ، تقدم المغرب بالمطالبة بإقليم تندوف جنوب غرب الجزائر ، بل والزحف ناحيتها ، فقامت حرب قصيرة بينهما (١٩٦٣ - ١٩٦٤) بهدف طمع المغرب في الاستيلاء على تندوف وفجيج الغنيتان بتكوينات الحديد العالي الجودة ، إلى جانب تحويل المغرب لأنظار القوى السياسية والشعبية في البلاد إلى خارجها وزيادة رقعة البلاد والفصل بين الجزائر وموريتانيا ، وأكدت مصادر أخرى أن احتواء المنطقة على كميات كبيرة من البترول والغاز دفع المغرب للمجازفة بإشعال الصراع طمعا في الاستفادة اقتصاديا ولو بشكل جزئي إذا تم التوصل إلى تسوية تقسيمية بين البلدين بخصوص الإقليم [٦٤] ، واستند المغرب في ادعائه بحق السيادة على تندوف وما جاورها بكونها خاضعة لسيطرته التاريخية في قرون ماضية ، فيما شددت الجزائر على حقوقها وسيادتها على الإقليم بموجب ما ورثته عن الإدارة الفرنسية الاستعمارية ، وبالوساطة من منظمة الوحدة الإفريقية تم توقيع معاهدة للتضامن والتعاون في أفران عام ١٩٦٩ وتراجع المغرب عن ادعاءاته [٦٥] .

واتفق الطرفان على إنشاء منطقة منزوعة السلاح على الحدود في تندوف ، كما اتفقت الدولتان في مايو ١٩٧٠ على أن تعترف المغرب بخط الحدود الذي يمر إلى المغرب من كولمب بيشار ، وبذلك أصبحت منطقة الحديد

الخام في جبل قارا وتندوف في الجزائر ، بشرط مشاركة المغرب والجزائر في استغلال حديد تندوف من خلال شركة مشتركة (٦٦) .

إلا أن العلاقات عادت للتوتر مرة أخرى بعد استيلاء المغرب على الصحراء الغربية عام ١٩٧٥ ، بخصوص هذه المنطقة حتى الآن .

٤- مشكلة الحدود بين اليمن - عمان :

تكمن المشكلة في أن الحدود عشوائية ولم يراع في وضعها أسس وقواعد الجغرافيا السياسية ، وبدأ التوتر أثر حصول جنوب اليمن على استقلاله والاختلاف في الأنظمة السياسية في كلا الجانبين ، وربما كانت السياسات الراديكالية في علاقات اليمن الجنوبي في السبعينيات مع عمان أثرا في زيادة التوتر على حدود البلدين ، حيث مساعدة اليمن الجنوبي الثورة في منطقة ظفار العمانية وزعزعة أمن عمان ، نتج عن ذلك صدامات مسلحة في السبعينيات ، واستعانت عمان بقوات إيرانية ومساعدات عربية مقابل الدعم السوفيتي لليمن ومنطقة ظفار إلا أن عام ١٩٨٢ وقع البلدان اتفاقية لتحسين العلاقات وتطبيع الوضع على الحدود (٦٧) ، وأعلن مؤخرا أن قضية ترسيم الحدود وتسوية المشاكل بين البلدين وصلت لمرحلة متقدمة .

ثانيا : مشاكل الحدود بين الدول العربية وجيرانها :

١- مشكلة الحدود بين سوريا / تركيا :

أساس الخلاف حول إقليم الإسكندرونة وكميات المياه المتدفقة عبر نهر الفرات التي تنبع من تركيا ، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى أعطت فرنسا إقليم الاسكندرونة لتركيا بحجة أن أغلب سكانه أتراك ، وهدفت فرنسا بذلك ضمان موقف تركيا بجانبها كمقدمة للحرب العالمية الثانية ، تأزم الموقف بين الأطراف الثلاثة خاصة بعد حشد تركيا قواتها عام ١٩٥٧ على الحدود وزاد من المأزق إنشاء سد أتاتورك الهائل على نهر الفرات وخفض نصيب سوريا من المياه : وتتركز المطالبة السورية بإقليم الأسكندرونة على اتفاقية سايكس - بيكو (١٩١٦)التي وضعت البلاد السورية تحت الانتداب الفرنسي بما فيها الأسكندرونة ، فيما تعتمد الحجج التركية على الاتفاق الفرنسي التركي عام ١٩٢١ بقيام إدارة خاصة للإقليم ولم يكن للطرفين أي اعتراض قبل ذلك على كون الإقليم جزءا من سوريا ، وكانت عصبة الأمم

قد قررت بقاء الإقليم تحت الإدارة الفرنسية ثم سمحت فرنسا لتركيا بالسيطرة عليه [٦٨] .

واستمر التوتر بين البلدين لسنوات طويلة بلا اشتباكات مسلحة حيث انشغال سوريا بالصراع العربي الإسرائيلي وأزمة لبنان ، لكن سوريا قدمت احتجاجات قوية بخصوص الممارسات التركية عبر الحدود وتقليص المياه عبر نهر الفرات [٦٩] .

٢- مشكلة الحدود بين الصومال / أثيوبيا :

تكمن المشكلة في اقتطاع إقليمي هود وأوجادين بمساحة ٦٥٠٠٠كم٢ من صوماليا الكبرى وضمها لاثيوبيا بفعل الإستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي عند تقسيمه للصومال بين عامي ١٨٨٥ - ١٩٠٠ ، بحيث وصل الأمر لفصل أراضي القبيلة الواحدة [٧٠] تبع ذلك حرب عصابات بين الطرفين ومساندة حركات المتمردين كلا ضد الطرف الأخر ، تصعد النزاع وتوج بالحرب في إقليم اوجادين في صيف ١٩٧٧ [٧١] ، حيث طمحت الصومال في جمع أوصالها التاريخية وعودة اوجادين الإقليم الرعوي السكاني المهم للصومال .. فقد اعتمد الصومال في حججه على أن شعب الإقليم من الصوماليين وأن المنطقة تقع تحت التأثير الصومالي تجاريا وثقافيا ولم تقيد يوما الحدود حركتهم [٧٢] ، أما أثيوبيا فاعتمدت في حججها على اعتراف بريطانيا بحق أثيوبيا في السيادة على الإقليم منذ ١٨٩٧ ، واتفاقيتها مع إيطاليا عام ١٩٠٨ بحق أثيوبيا في إقليمي اوجادين وهود [٧٣]. ورغم اتفاقية أكرا ١٩٦٥ بعدم الاعتداء للطرفين إلا أنه نشبت الحرب عام ١٩٧٧ واستمر التوتر حتى قيام الحرب الأهلية الصومالية عام ١٩٩٠ .

٣ - مشكلة الحدود بين السودان / أثيوبيا :

قسم الاستعمار البريطاني الإيطالي الحدود بدون مراعاة الظروف المحلية للمنطقة إلى حد تقسيم أراضي القبيلة الواحدة في مناطق بارو وأنوك .. وقام النزاع بدعم أثيوبيا الحركات الانفصالية جنوب السودان ثم دعم السودان لحركات تحرير إريتريا إلى جانب تسلل الأثيوبيين داخل السودان للزراعة بها متجاوزين الحدود السياسية [٧٤] .

والحقيقة لا يرغب الطرفان في النزاع لظروفهما الداخلية ولكن يهبط الطرفان إلى تصحيح الأخطاء الناجمة عن سوء تخطيط الحدود بينهما فيما يخص بريقع وجمبيلا والبارو دون المساس باتفاقية الحدود بين أثيوبيا وبريطانيا عام ١٩٠٢ . إلا أن عام ١٩٧٢ تبادل الطرفان المذكرات واتفقا على حل مشاكل الحدود بينهما ، أما مسائل الاستيطان والزراعة بين البلدين تركت بدون ترتيبات رسمية بعد [٧٥] .

٤ – مشكلة الحدود بين موريتانيا / السنغال :

يرجع أساس الخلاف بينهما إلى المرسوم الفرنسي (١٩٣٢) الذي جعل من الضفة الشمالية لنهر السنغال حدودا بين البلدين ، وطبيعة هذا النهر وفيضانه تغير من طبيعة تلك الحدود وغموضها . وكان نتيجة المناوشات السياسية بين البلدين التي غزتها العناصر الأجنبية مضاعفة حدة المشكلة بترحيل متبادل لذوى الطرفين في نهاية التسعينيات وزيادة حدة التوتر أيضا، ورغم الهدوء الحاصل ، فإن مسألة حل المشكلة بتأمين حقوق موريتانيا في نهر السنغال بما لا يضر السنغال من الأمور الهامة مستقبلا [٧٦] .

٥ – مشكلة الحدود بين ليبيا / تشاد :

ترجع المشكلة الحدودية بين البلدين إلى سيطرة ليبيا على إقليم أوزو وأجزاء أخرى شمال تشاد ، إذ تذكر بعض المصادر بأن فرنسا قامت باقتطاع إقليم أوزو من ليبيا وإلحاقه بتشاد [٧٧] .

ويعد هذا الإقليم غنيا بخام الحديد واليورانيوم ، مما جعله هدفا مغريا لليبيا وتشاد ثم لإيطاليا وفرنسا خلال الحقبة الاستعمارية ، اعتمدت ليبيا في أدائها بالسيادة على أوزو على خط الحدود في اتفاقية عام ١٩٣٥ بين إيطاليا وفرنسا ، بتخلي الأخيرة عن أجزاء واسعة من تبستي لإيطاليا مقابل كسب إيطاليا في جانبها في القضايا الأوروبية ، وبعد الاستقلال تمسكت ليبيا بالإقليم ، وتؤكد بعض المصادر أن الادعاء الليبي بملكية أوزو لها صفة قانونية قوية بموجب الاتفاقيات المعقودة [٧٨] ، ترتب على هذه المشكلات بين ليبيا وتشاد احتلال ليبيا لإقليم أوزو وأجزاء أخرى شمال تشاد ، وقطع العلاقات بين البلدين عام ١٩٧٨ وتورط ليبيا في حرب أهلية مع تشاد ، وفي أغسطس عام ١٩٨٤ تدخلت الجزائر لانهاء الصراع سلميا أو عن

طريق محكمة العدل الدولية . ولكن هذه المشكلات وغيرها كانت مما صنعت الأيدي الاستعمارية وأغراضها الخاصة . والتي لم تنته نتائج ما صنعته من آثام منذ قرون عديدة بعد .

مشكلة جنوب السودان :

يعد السودان برمته جزءا من الجسد العربى الممتد داخل القارة الإفريقية جنوب الصحراء والرابط بينه وبين الشمال الإفريقي مخترقا الصحراء لينشر عبرها الدين الإسلامى والثقافة العربية ، وحتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كانت مصر ممثلة العروبة مشرفة ومسيطرة على حركة الموانى الإفريقية على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى منذ زمن بعيد يرجع ذلك إلى العهد الفرعونى وما هدأت إنجلترا ومساعدتاها إيطاليا وفرنسا حتى تم تقويض النفوذ العربى والمصرى وإجبارهما على ترك تلك المناطق وتقسيمها فيما بينها وقد تم توضيح ذلك عند الحديث عن العلاقات العربية الإفريقية .

الدور الإنجليزى فى اختلاق مشكلة جنوب السودان :

أما فيما يتعلق بمشكلة السودان ذاته فقد ضغطت الحكومة الإنجليزية على مصر لإخلاء السودان كله (حيث امتد النفوذ المصرى فى كل السودان وامتد صوب منابع النيل حتى مديرية خط الاستواء جنوب غندكرو) ولظروف خاصة بأطماعها الاستعمارية تمسكت إنجلترا بشدة بالسودان ، فحين أصدرت تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ ، الذى ألغت بموجبة الحماية البريطانية على مصر ، أصرت على عدم إجراء أى تغيير فى وضع السودان ، وكان الوضع فى السودان أحد التحفظات الأربعة التى صاحبت تصريح ٢٨ فبراير – وأصرت بريطانيا على أن يحذف من دستور "١٩٢٣م" ما ينص على أى ارتباط بين مصر والسودان ، وحين أغتيل سردار الجيش السير لي ستاك "sir lee stack" بالقاهرة فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤م انتهزت إنجلترا هذه الفرصة ، فأمرت بسحب جميع الضباط والجنود والموظفين المصريين من السودان ، وأتاح ذلك لإنجلترا الفرصة لتنفيذ سياستها الاستعمارية فى السودان على نطاق واسع ، باستغلال حقول القطن السودانى وفتح أسواق لها ، وتهديد مصر من خلال تحكمها فى مياه

النيل – كما سبق توضيح ذلك – والأهم من ذلك هو :أن إنجلترا رتبت بالفعل لفصل جنوب السودان عن شماله ، وتوجيه الجنوب السودانى صوب "أوغندا" وغيرها من مناطق النفوذ البريطانى فى جنوب وشرق أفريقيا وأصبح فعلا جنوب السودان مغلقا تماما فى وجه أهل الشمال السودانى ، فى حين فتح المجال على مصراعيه لنشاط الجمعيات التبشيرية الأجنبية (٧٩) ، ومنذ ذلك التاريخ اختلقت إنجلترا وتبنت فكرة فصل جنوب السودان عن شماله ، وجعلت خط عرض ١٢ شمال خط الاستواء خطا فاصلا بين شمال السودان وجنوبه ، بحجة أنه يفصل بين السودان الشمالى بديانته الإسلامية ولغته العربية وسلالته القوقازية السامية والحامية ، وبين السودان الجنوبى بديانته المسيحية والوثنية وسلالته الزنجية ، وفى سبيل ذلك قامت إنجلترا بإذكاء الروح الانفصالية داخل المجتمع السودانى الواحد .

وفى معاهدة "التحالف" المصرية الإنجليزية "٢٦ أغسطس ١٩٣٦م" اتفق على تطبيق اتفاقيتى "١٨٩٩" فيما يختص بالسودان : (وهو وفاق الحكم الثنائى الذى أبرم فى ١٩ يناير ، وقد حرص الإنجليز من خلاله على أن تكون السيطرة الكاملة على إدارة السودان فى أيديهم هم مستندين على ما أسموه "بحق الفتح" ، على أن البريطانيين عملوا منذ اللحظة الأولى على أن تكون سيطرتهم على السودان كاملة ، وأن يبذلوا جهدهم لإيجاد الفرقة بين المصريين وإخوانهم السودانيين) .

وقد تقرر إثر معاهدة التحالف عودة الجيش المصرى للسودان ، وأن يعين المصريون كالبريطانيين فى وظائف حكومة السودان ، كما اتفق على أن يكون "مفتش الرى فى السودان" مصريا ، وأن ترفع القيود عن هجرة المصريين للسودان ، وألا يكون هناك تميز بين المصريين والإنجليز فيما يتعلق بحرية التجارة والملكية ورغم ذلك ظلت إدارة السودان بيد الإنجليز والسلطة الحقيقية فى أيدى "الحاكم العام" وكبار الموظفين الإنجليز .

وظل الأمر كذلك حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، واتجهت حكومة الثورة فى مصر إلى حل مشكلة السودان قبل مشكلة الجلاء ، وقد حلت قضية السودان باتفاقية ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، وتم جلاء الجيوش الإنجليزية والمصرية عن السودان ، وفى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ أعلن قيام الجمهورية السودانية . ولكن تبقى "**مشكلة جنوب السودان**" (٨٠) .

ومنذ ذلك التاريخ وهناك محاولات الانفصال بجنوب السودان عن شماله من قبل "الحركة الشعبية لتحرير السودان" والتى يتزعمها جون جارنج ، فقد فقدت الثقة بين أهل السودان فى الشمال والجنوب ، وذلك نتيجة استمرار الحرب فى الجنوب والتجاوزات الكثيرة التى صاحبت هذه الحرب والمدعومة بالطابع الدينى الذى سبغه نظام الإنقاذ ، مما حدا بأهل الجنوب فى العمل على حق تقرير المصير ، حتى بعد توقيع اتفاقية أديس أبابا للحكم الذاتى عام ١٩٧٢ بين الطرفين المتنازعين (٨١) .

ومنذ نشوب الحرب الأهلية فى جنوب السودان لأول مرة عام ١٩٥٥ ، كانت للحرب الأهلية فى جنوب السودان شأنا إقليميا ، حيث لعبت الدول المجاورة دورا أساسيا فى التأثير على مسار الأحداث فى الجنوب ، وذلك من منطلق التعاطف مع الأفارقة الجنوبيين بحكم عوامل التقارب العرقى والثقافى والدينى ، وأيضا من منطلق الرغبة فى استخدام ورقة الجنوب للضغط على نظام الخرطوم لتقديم تنازلات فى مجالات معينة ، وبذلك فإن دور دول الجوار الإقليمى فى الصراع بجنوب السودان هو أحد المكونات الأساسية التى لا يمكن تجاهلها لهذه المشكلة ، وبحكم عوامل القرب الجغرافى والتقارب العرقى كانت الدول الإفريقية المجاورة للسودان من جهة الجنوب ، خاصة أثيوبيا وكينيا (الإيجاد) وأخيرا أريتريا دورا اكبر بكثير من دور جيرانه العرب المسلمين من جهة الشمال "مصر وليبيا" ، وبالتالى فلدول الجنوب دور فى وضع حد للصراع فى جنوب السودان ، الأمر الذى تؤكده اتفاقية أديس أبابا لعام ١٩٧٢ ، التى جلبت السلام لجنوب السودان طيلة أحد عشر عاما . وهو السلام الذى كان يمكن له أن يستمر لأكثر من ذلك بكثير لولا خرق الخرطوم للاتفاق (٨٢) .

ويمكن للدور الإفريقى أن يكون إيجابيا ،إذا تم تجنب تصوير الأمر كأنه صراع بين دول شمال إفريقيا العربية المسلمة ودول جنوب الصحراء الكبرى السوداء ، وهذا بالضبط هو التصوير الذى يستفز مشاعر سلبية عميقة لدى قطاعات من المواطنين والقوى السياسية فى جنوب الصحراء ، وذلك نتيجة إرسابات تاريخية سلبية عمقها الاستعمار الأوروبى– وتم الحديث عنها من قبل – بين الشعوب العربية المسلمة والشعوب الإفريقية جنوب السودان . . ولذلك تعد مبادرة دول الإيجاد "الإفريقية" فى مواجهة

المبادرة المصرية الليبية العربية المسلمة ربما تكون الأكثر فائدة فى هذه المرحلة ، هو الإصرار على التعاون مع مبادرة الإيجاد ، من خلال مبادرات وآليات الإيجاد الأكثر فاعلية وقدرة على النجاح (٨٣) .

ولعل أهم ما يلفت النظر فى ساحة السياسة السودانية فى هذه المرحلة هو أن الثقة بين أهل البلاد فى الشمال والجنوب قد وصلت إلى مستوى منخفض لم يسبق أن وصلته من قبل ، بعد استمرار الصراع فى جنوب السودان لأطول مما ينبغي ، حتى جذب اهتمام قوى دولية ، خاصة الولايات المتحدة ، وقد لعب الأمريكيون دورا أساسيا فى التوصل لبروتوكول "مشاكوس . بكينيا" الذى يتيح الفرصة لجنوب السودان حق تقرير المصير بعد فترة انتقالية مدتها ست سنوات .

ويحظى الآن الدور الأمريكى خاصة بترحيب الجانب الأكبر من القوى السياسية السودانية فى الشمال والجنوب ، وفى الحكومة والمعارضة ، ويتوقع كل من هؤلاء أن يحصل على مكافأة تعاونية مع الأمريكيين وفى مثل هذه الظروف فإنه يصعب تجنب التعامل بإيجابية مع الدور الأمريكى الذى يذكى عملية انفصال الجنوب السودانى حاملا على عاتقه المهام البريطانية السابقة (٨٤) .

لمصلحة من ؟

وبقدر أهمية مستقبل السودان لمصالح مصر والعرب الحيوية ، فإنه سوف يكون على مصر من جهة والعرب من جهة أخرى التفاعل ومواجهة الموقف الأمريكى والسودانى المضطرب والموقف الإفريقي الراهن .

فعلى الجانب المصرى : تفرض الضرورة تأمين حصة مصر الفعلية من مياه النيل (٥٥,٥ مليار م٣) بل العمل على زيادتها فى ظل حاجة مصر الدائمة للمياه التى زادت على ٧١,٥مليار م٣ عام ٢٠٠٠ ، أيضا فى ظل التحولات التنموية الراهنة التى تشهدها العديد من دول الحوض ، حيث تعالت بها الدعاوى المتعلقة بتغيير نمط الرى من رى مطرى إلى رى دائم ، لا سيما بالنسبة لأثيوبيا والسودان وكينيا من جانب ، والرغبة فى التوسع الزراعى حول ضفاف النيل والاعتماد على مياه النهر بالتحديد من جانب آخر.

تقودنا تلك الحقائق إلى نتيجة مفادها أن الخطورة تكمن في القيود أو الصعوبات التي يمكن أن يضعها الجنوبيون للحيلولة دون زيادة حصة مصر على أساس أن المساس بالحصة الحالية يكتنفها العديد من المحاذير ، خاصة أن الفترة الانتقالية التي تتطلبها مبادرة حوض النيل للانتهاء من دراسات الجدوى ، تنتهى عام ٢٠٠٧ وهى تقترب من الفترة الانتقالية ٢٠٠٨ للاتفاق .

كما أن معظم مشروعات زيادة إيراد النهر قد تمحورت حول التعاون مع السودان نتيجة لتوتر العلاقات المصرية - الأثيوبية شبه الدائمة فى الفترة السابقة ، وفى هذا السياق تبرز مجموعة من المشروعات التى تمت دراستها وترجع إلى عام ١٨٩٨ ، والتى انتهت إلى أن مشروع قناة جونجلى هو الأفضل ، بالإضافة إلى مقترحات أخرى بالتخزين لتوصيل الفاقد إلى الحد الطبيعى ، سواء فى بحر الغزال أو منطقة مستنقعات نهر السوباط ومشار [٨٥].

ومن هنا يكون من الضرورى التحرك المصرى والمشاورة مع دول الحوض حول توازن المصالح ، واستغلال فترة وقف إطلاق النار بين شمال السودان وجنوبه واستئناف العمل فى قناة جونجلى ، واعتبار موافقة الجبهة الشعبية تأكيدا للنيات الحسنة ، خاصة أن فوائد المشروع التى تصل لنحو ٧,٥ مليار متر مكعب تقتسمها البلدان بالتساوى .

على الجانب العربى :يجب أن ندرك خطورة الدور الأمريكى والذى يستجيب له كل أطراف النزاع حول المشكلة ، ذلك الدور الذى نجح فى ترتيب وتنفيذ وقف إطلاق النار مؤقتا وتنظيم عمليات الإغاثة فى جبال النوبة ، والذى يرغب أيضا فى بسط نفوذه على "الجنوب السودانى كوحدة منفصلة" والذى بشرت الأنباء بقرب تفجر آبار النفط من ثراه ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية التمكن من لعب أدوار لصالحها بين دول حوض النيل بين شد وجذب كأوراق ضغط تستخدمها بالمنطقة لخدمة مصالحها ، كذلك زيادة إمكانيات وجودها عن كثب فى قلب أفريقيا جنوب الصحراء ، لتمارس وتتابع ما يمارس من أحداث فى قلب القارة .

أما نحن - العرب - يجب أن ندرك أن الاستسلام للأمر الواقع وراءه انفصال الجنوب السودانى عن شماله أى فقدان نحو ٧,٢% من الجسد

العربى الكلى أو قدر مساحة مصر وذلك الكيان هو الذراع العربية التى تسلم الشمال العربى بالوسط والجنوب الإفريقي ذلـــك الجنـــوب الواعـــد إن أراد العرب مستقبلا اقتصاديا واعدا فى الحاضر والمستقبل كمـــا كـــان الوســـط والشرق الإفريقى يمثل لهم بعدا حضاريا وتاريخا واقتصاديا فـــى المـــاضى القريب .

كما يجب أن ندرك نحن - العرب - أن السودان هـــى قـــاعدة العـــرب الاقتصادية ، فهى حقل الاستثمار الرحب والخصب سواء وعى ذلك العامـــة والخاصة أم لا ، فتلك البلاد حوت ، نحو ربع المساحة العربية المزروعـــة والقابلة للزراعة والمدعومة بالأمطار والرى .

ولا أظن أن يتحقق الأمن العربى الغذائى والاقتصادى دونما النظر بعيـــن الاعتبار إلى السودان الموحد كأحد أهم معاول النهضة الاقتصادية العربيـــة المنشودة .

وقد أثبت التاريخ صحة ذلك ، فما نهضت مصر الحديثة على يد محمـــد على إلا عندما اتخذ من السودان قاعدة له ، تلك النهضة التى لم يقدر لها أن تستمر بفعل التآمر من خلال القوى الأجنبية المنافسة الأخرى التى لم ترغب للنهضة المصرية أن تستمر رهبا منها.

فهل يمكن للسياسة المصرية والعربية مباراة السياسة الأمريكية جنـــوب السودان ، بصورة جديدة فى عصر جديد قوامه الإبداع والجرأة والإقدام ؟

الفصل الثالث

أهمية الواقع والموقع العربى

أهمية الواقع والموقع العربى

يتمتع الوطن العربى بأهميات كثيرة فرضتها ظروف الواقع والموقع مثل الأهمية الدينية للموقع العربى والحضارية وأهميته فى حركة النقل والاتصالات على مر العصور ولا تزال وسوف تظل :

أولا : الأهمية الدينية للوطن العربى :

شهد الوطن العربي مهبط التوحيد ورسله بداية من أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام الذى ولد ونشأ في مدينة (أرو) إحدى مدن الدولة البابلية على نهر الفرات ، والتى كانت مركزا تجاريا، أفاء عليها ثروات كثيرة ، ساعدت على إقامة المعابد وملأتها تماثيل الآلهة المعبودة وملامح الحياة المادية ، وكانت معجزات البناء والتشييد المتمثلة في حدائق بابل المعلقة وشرائح حمورابى قد جعلت من بابل عاصمة العالم ، إلى الجنوب من أرض العراق على مقربة من شمال العراق وحدوث الفيضان المروع من قبل ذلك بعدة قرون والذى هبط من جبال (آرارات) والذى حدث فى قوم نوح عليه السلام وتحدثت عنه الكتب السماوية .

ولم تظهر دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام للتوحيد بالعراق من فراغ ، ولكنها نتيجة نمو عقلى وعاطفي وحضاري وقد لاحظ ماسبيرو في تأريخه لفجر الحضارة أن رجال الفلك بما لهم من سلطان لدى الملوك والسادة كانوا يسيطرون على مقدرات البلاد، لأنهم يتحدثون إلى النجوم ،وتتبئهم من أنباء الغيب بما يشاء لهم هواهم، وفي كل معبد كانت توجد مكتبة الفلك ، مدونة على ألواح من الطين المحروق ترجع إلى عصر الملك سرجون، ولم يكن استقراء النجوم هو قمة العلم فى ذلك الوقت فقط، بل كان سر المعابد المحجوب . ولهذا لا نعجب إذا رأينا إبراهيم الخليل عليه السلام يبدأ تأملاته واستلهاماته الروحية بأقصى ما وصل إليه عصره من علم ، هو علم الفلك ، ومن هنا كان اصطدامه بثقافة عصره عنيفا وحاسما . إذن فقد مهدت الحضارة البابلية لظهور دعوة التوحيد الإبراهيمية فيها ، ولكنها صمت عنها آذانها ، فإن الحضارة المادية داعية إلى مزيد من التأمل والتفكير والتطلع ، وهى فى نفس الوقت مانعة منة اقتناع النتائج الطبيعية لسبحات الأرواح

النيرة ، لتمسك القوم بما درجوا عليه واستقامت عليه حياتهم [١] . رحل إبراهيم عليه السلام وأسرته إلى ارض كنعان في فلسطين [٢] ، كما رحل إليها الكثير والسبب هو موقعها ، فهذه الأرض شرق البحر المتوسط ، أحيطت بشعوب وأقوام قوية وغازية ، في أرض الرافدين ومصر وأسيا الصغرى ، ومن وراء هذه الدائرة نجد الفرس والإغريق والروم ، ثم العرب وكل هؤلاء زحفوا ، والتحموا فوق هذه الأرض ، كما تركزت طرق المواصلات الأساسية بين الثلاث قارات في هذا القطاع الضيق من الأرض ذات الخصوبة ، إلى جانب أنها كانت مفتوحة أمام مصر والصحراء التي جاء منها البدو الساميون ، إذن فلم يكن غريبا أن يرحل إبراهيم عليه السلام وأسرته إلى فلسطين ، ناجيا بعقيدته من عسف بابل ،ومنها رحل إلى مصر مع زوجه سارة وتزوج من هاجر المصرية وتنجب له إسماعيل عليه السلام ويعود ثانية إلى فلسطين ولعل إبراهيم عليه السلام كان في شك من إمكان استقرار أي من أبنائه وأحفاده في فلسطين نفسها والحروب فيها لا تنقطع [٣] . ووقع اختيار إبراهيم على واد غير ذي زرع حتى لا يكون قتال فيه ، فالساحل المصري من الإسكندرية حتى برقة الذي تغطيه الرمال الكثيفة ، كان من ألف سنة فقط من أخصب مزارع مصر وأكثرها نماء ، وروى المقريزي : أن زراعات القمح فيه، كانت تفسر آية السنابل ذات المائة حبه من وفرة محصوله ! وفي منطقة الحجاز الشمالية ، وهي أرض المدينة ، كانت زراعات العنب تغطي مساحة كبيرة ، وتجدها الآن صحراء أكثر مواتا . ولعل بناء الكعبة بوصية من الله سبحانه وتعالى ، واشتراك إسماعيل مع أبيه عليهما السلام في إقامتها كان الدليل الباقي ، والإشارة التي لا تخطئ على أن في هذا المكان سر الإله الأعظم ، وهو وحدانيته . ودخل إبراهيم عليه السلام في عقائد المسلمين منذ بدأ نبى على دينه الحنيف ، وعندما نذكر القدس الآن ، وقبة الصخرة ، ومسجدها الأقصى ، فإننا أيضا نذكر مدينة الخليل ((ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) [٤] .

رسالة موسى عليه السلام :

ها هي أسرة يعقوب عليه السلام التى قدمت إلى مصر من فلسطين تضم (٦٧) فردا وأبوهم الشيخ إلى جانب ابنان ليوسف عليه السلام أنجبهما من إحدى المصريات ، عاشت هذه الأسرة في عزلة على هامش حياة المصريين في مزارع الشرقية مع أغنامها .

وتبدأ قصة موسى عليه السلام بأمر فرعون أن يطرح الأبناء في النهر ويترك البنات ، واسم موسى ، كان اسما مصريا شائعا ، كما هو ، أو كتحريف لاسم ((أحموسى)) وهو النطق الهيروغليفي لاسم أحمس ، نجا بعناية الله من الموت ، بل تعلم (حكمة) المصريين كما ورد في التوراة ، وغنى عن البيان أن من تربى في قصر فرعون أن يتلقى علم الأمراء على أيدي علماء و كهان ثقات ، هم خلاصة الفكر والحضارة المصرية القديمة ، وكانت انتماءات موسى للقبيلة الإسرائيلية غير خافية حتى على أمراء البيت المالك (قال ألم نربك فينا وليدا . ولبثت فينا من عمرك سنين) كما انحاز لليهودي ضد المصري فقتله وفر عبر الحدود في خدمة شيخ مدين عشر سنين إلا أن القرآن الكريم يلقى الضوء على أحداث وردت في سورة الكهف ، فقد مضى موسى وفتاه إلى مكانة (مجمع البحرين) وربما كان الموقع الذي يلتقي فيه خليج العقبة وخليج السويس عند رأس محمد ، أو عند شرم الشيخ ، وأيا كان المكان ، فإن موسى ساحل عنده ،حتى وجد سيدنا الخضر وتعلم منه علما من لدنا ، في رحله أرضية روحية (وما فعلته عن أمري ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) وهكذا تأهب موسى عليه السلام ليبلغ ما يأمره الله به . وسار في صحراء سيناء وجبالها من جنوبها إلى شمالها ، وبينما هو عند جبل الطور تلقى أمر السماء ، ليبلغها قوم الحضارة من أبناء النيل من أجل التوحيد مسلحا بآيات ومساعدة أخيه ، وبعد خروج موسى وقومه عبر سيناء إلى أرض مدين قاصدين فلسطين توفته المنية على سن ١٢٧ سنه ، وكان كتاب موسى ، أقرب الكتب السماوية لعهد إبراهيم عليه السلام ، إلا دعوة ابن أخى إبراهيم (لوط) عليهما السلام ، لقرية كانت فاسقة وعصته ، حتىَ جاءت دعوة يوسف للمصريين ولم تثمر شيئا يذكر [٥] .

دعوة داود عليه السلام :

نصب داود عليه السلام ملكا على كل الإسرائيليين وكان مقـره حـبرون "الخليل" سنة ١٠٤٩ ق . م ، فأعد جيشا من ثلاثين ألفـا ، وتحـرك إلـى أورشليم ، وكان على معرفة بطبيعة الأرض فمنذ صبـاه كـان راعيـا ، ويعرف موارد المياه ، وأين تكون ، وكان اليهود حتى ذلك الوقت يعيشـون عيشة البدو الرحل ، ولم تنفعهم إقامتهم فى مصر وهم الذين هربـوا مـن مصر لأنهم أكرهوا على الاشتغال بصنعة البناء بها ، وما أن جـاءوا إلـى أورشليم "القدس" حتى وجدوها مدينة زاخرة بالتجارة والصناعـة والبنـاء ، فكانت إقامتهم مع أهلها أول خطوة لهم فى طريق الاستقرار الحضـارى ، وذلك لأنهم لم يقتلوا أو يجلوا السكان عنهم إذ رغب داود بفكر ثاقب تميز به ، أن يعايش الناس لا أن يبيدهم [٦] وكان داود عليه السلام أول الأنبياء بعـد موسى الذى أوحى إليه بكلمات من ربه ، قال عنه القرآن ((وآتاه الله الملـك والحكمة)) وفى سورة الإسراء ((ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا)) .

كما ورث سليمان أباه داود ووعده الله سبحانه بالقرب والغفـران فـى الآخرة والتأييد والعون بقوة لم تسخر لأحد من قبله ولا بعده ، وعندما قدمت بلقيس الملكة اليمنية الشهيرة ، وبهرها سليمان عليه السلام بعلمه وحكمتـه وإيمانه بالله الواحد الأحد آمنت ووحدت لتكون أول الموحديـن علـى يـد سليمان جنوب الجزيرة العربية على الرغم من إعراض أهـل سـبأ الذيـن عوقبوا بسيل العرم . لأن حكم سليمان وداود عليهما السلام قد أضفت علـى الدين اليهودى واليهود السماحة وأبعدتهم عن الصرامة والقسوة وأنهار الدماء البشرية والحيوانية التى لطخت هياكله منذ نشأته،وللتاريخ رأى فى سـليمان وحكمه وأيامه ، التى ينعقد حولها تاريخ اليهود ، ويبتعد عنها آلاف السنين ، ثم يحاول إعادتها مرة أخرى ، فسليمان اسم مشتق من كلمة السلام ، وقـد أصبحت أورشليم في أيام سليمان من أنشط الأسواق التجارية فـي الشـرق الأدنى . وإن لم تكن على الطريق التجارية الكبرى ،وحافظ سـليمان عليـه السلام على نشأة داوود من صلات ودية مع حيرام ملـك صـور .وشـجع التجار الفينيقيين على أن يسيروا قوافلهم التجارية داخـل أرض فلسـطين ،

وازدهرت في أيامه تجارة رابحة قوامها استبدال مصوغات صور وصيدا بغلات إسرائيل الزراعية وأنشئ أسطولا تجاريا في البحر الأحمر (٧) .

رسالة عيسى عليه السلام :

فى بيت لحم جنوب القدس ولد عيسى عليه السلام وانتقلت الأسرة إلى الناصرة بأرض الجليل التى كانت إقليما مفتوحا للأمم الشرقية والغربية ، وتعنى الجليل بالعبرية : الدائرة لأنها اتسعت لكثيرين من الذين يحال بينهم وبين الإقامة فى بلاد أخرى من فلسطين ولاسيما الجنوب ، وكانت الجليل جزرا من أقاليم الشاطئ الشمالية التى عرفت فى التاريخ القديم باسم كنعان . والتى امتازت قديما بالموانى الصالحة منها صيدا وصور وحيفا ، وكانت تجارة المشرق والمغرب تنحصر فيها . كان الشام محتلا من قبل الرومان التى فرضت على اليهود عبادة أوثانهم إلا أن اليهود تمردوا عليهم فأبادهم الرومان ، وبعد خمسة عشر قرنا من رسالة موسى عليه السلام ، تغيرت طبائع اليهود ولفظت قلوب معظمهم دعوة التوحيد .

ولد المسيح ، و "هيرود" ملك اليهود ، يدين للرومان بالطاعة ، وقد سمع وأدرك أن المسيح يوشك أن يظهر وأن مولده فى بيت لحم ، فأمر بجمع الأطفال الرضع حتى سن عامين وأمر بقتلهم ، نجا المسيح عليه السلام من هذه المجزرة فأخذته أمه إلى مصر ، وعاد المسيح "شابا" وأمه ويوسف النجار إلى الناصرة ، لأن شبهات الحكم الجديد - ابن هيرود - كانت ما تزال تحط على بيت لحم . دعا المسيح إلى الفضيلة بالناصرة وبدعوته الجديدة لأقوام تحتاج يقظة ضميرهم ، وإلى الحب الذى يتنافى مع أحقاد اليهود والتناحر الذى عاشت فيه قرونا طويلة ، أيضا ألا يعبدوا مع الله المال والذهب والفضة . . وقد ارتكب اليهود فى سبيله كل آثام الدنيا .

وقد زرعت كراهية اليهود فى نفوس الشعوب التى تكون الإمبراطورية الرومانية . وعندما بدأت المسيحية تجهر بدعوتها بعد تفرق دعاتها فى الأمصار ، حل بالدعاة والمسيحيين الأوائل غضب السلطة والشعوب ، وكان ذلك امتدادا لكراهية الناس لليهود ، وهكذا أشعل اليهود نارا أحرقت المسيحية الناشئة بلظاها . ودبر اليهود لصلب المسيح عليه السلام والقضاء على أفكاره ، كما دبروا بعد نهاية القرن الأول للمسيح ، مذبحة هائلة فى

"سلامس" كبرى مدن قبرص آنذاك ، وفى الإسكندرية ، ونجحوا فى قتل ١٦٠ ألف مسيحى وتدمير سلامس .

خاتم الرسالات :

مرت على دعوة السيد المسيح عليه السلام خمسة قرون وبعض القرن ، انتشرت فيها تلاميذه يحملون رسالة المحبة إلى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، متصدين لبغيها وطغيانها ، نزفت خلالها أنهار من دم المسيحية أمام عسف اليهود ، واضطهاد الرومان ، ولما قوى شأن المسيحية واعتنقها أباطرة الرومان ، نكلوا باليهودية وشردوا أهلها فى آفاق الأرض بعد أن هدموا الهياكل ، ونزح للجزيرة العربية عدد غير قليل من اليهود فرارا من قيصر إلى يثرب وما حولها مثل بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وغيرهم لكى يجددوا دين بنى إسرائيل فى الحجاز .

وقد وجدت اضطهادات المسيحية صداها فى اليمن حيث توجد دولة يهودية ، فعمد ملك حمير "ذو نواس" إلى التنكيل بنصارى نجران ، إذ دعاهم لليهودية فامتنعوا ، فحفر لهم أخدودا ، وندد به القرآن :

" قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد "

ثم انتقم نجاشى الحبشة من دولة اليهود فى اليمن فأذلهم ، ولم تقم لهم قائمة ، ولم يبق منهم إلا الأقل عددا . أما يهود الحجاز فشغلتهم التجارة والزراعة واكتناز الذهب والفضة عن دينهم فاعتزلوا العرب وبنوا القصور والحصون فى قمم الجبال وسط قبائل العرب من الأوس والخزرج ينظرون إلى اليهود بحسد حينا لغناهم ، وبحيرة حينا آخر ، لأن الدين الذى يعتنقه اليهود ، والذين يقولون أن نبيا جاء به من السماء ، ودون لهم فى كتبهم الوصايا . كما أنبأهم من أمر الغيب بالشئ الكثير ، ولقد كانوا فى أمس الحاجة إلى معرفته ، فإن نفوسهم تعلن عن قلقها وشكها فى هذه الأوثان ، وأن هذا القلق ليزداد عندما يصل إليهم من أحاديث اليهود أن فى سطور الغيب نبأ عجيب ، هو أن نبيا يوشك أن يظهر فى قرية من قرى العرب يدعو إلى الله الواحد الأحد [٨] .

وقدر الله تعالى لخاتم الرسالات أن تبدأ من مكة بالذات ولعل ذلك راجعا لأسباب عدة : حيث نما محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين بعيدا عن الفتن والمذابح التى كانت دائرة فى أرض الشمال حيث صراع الحضارات وصراع الأديان ، وأيضا عن أرض الجنوب وصراع الأديان . . كانت مكة ذات موقع مميز فى العالم القديم فهى معبر هام للتجارة قديما وأرضا لأشهر الأسواق وقبلة للشعراء والحكماء والفصحاء ، ويقول القرآن الكريم :"لتنذر أم القرى ومن حولها " .

ويقول الإمام الفخر في ذلك : أم القرى أصل القرى وهى مكة ، وسميت بهذا الاسم إجلالا لها ، لأن فيها البيت الحرام ومقام إبراهيم ، والعرب تسمى أصل كل شئ أمه (٩) ، كما كانت لمكة والطائف بين البلاد مكانا خاصا فى اعتبارات الناس لقوله تعالى : "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" .

والمقصود بالقريتين مكة والطائف كما يقول المفسرون (١٠) . كما قدر الله تعالى للإسلام أن يكون خاتم الرسالات للعالمين ، وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله : فموسى عليه السلام أرسل لبنى إسرائيل خاصة : " إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل" .

ولم يكافح موسى عليه السلام الشعوب أو الأمم فى سبيل دعوته ، وعيسى عليه السلام إنما أرسل إلى .. "خراف بنى إسرائيل الضالة" على حد تعبيرهم القديم ولم يحاول عيسى عليه السلام أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

أما الرسالة المحمدية فقد جاءت للناس كافة :

"قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا"

لأنها كانت كمال الدين وبدون محمد صلى الله عليه وسلم لم يكتمل الدين : "قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" .

عن أبى هريرة "رضى الله عنه" عن النبى "صلى الله عليه وسلم" قال : "مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، إلا

موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون بـــه ويعجبـــون لـــه ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة : قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (١١) .

ولأن الإسلام رسالة كاملة تامة فهى للناس كافة خرجت مـــن أم القـــرى مركز العالم ، وهاهو الإسلام كلما وجد له مجالا انتشر واستشرى كالنار فى الهشيم مدعوما بالقرآن الكريم خبر السابقين ونبأ الباحثين وهـــو المعجـــزة الخالدة .

والشاهد من كل ما سبق أن الوطن العربى قد شرف بأنه مـــهبط لكافـــة الرسالات السماوية ليكون مقصدا إلى نصف سكان العالم حاجين لمقدساته أو مولين له القلب والوجه .

ثانيا : الأهمية الحضارية للوطن العربى :

يعد المشرق العربى مقرا لحضارات قديمة منذ العصر الحجرى القديـــم ، ثم العصر الحجرى الحديث الذى بدأ فيه الإنسان يستقر فى الزراعة ويتعلـــم فنون الرعى ويقيم الحضارات التى اكتملت مع اقتراب فجر التاريخ ، وكانت حضاراته القديمة متقاربة فى بدايتها ، فالعصر الحجرى الحديث وما كـــان فيه من استقرار ربما رجعت مقدماته الأولى مع بداية الألـــف التاســـعة أو الثامنة قبل الميلاد ، وإن كانت بعض حضاراته المستقرة لم تبدأ إلا بعد ذلك بألفى عام أو نحو ذلك ، وقد استندت فى جهات كشمال شرق أفريقية إلـــى زراعة الشعير ، كما اتجهت فى حوض البحر المتوسط إلى زراعة أشـجار الفاكهة القابلة للتجفيف والتخزين ، وقد كانت معظم تلك الزراعات مما يعتمد على مياه الأمطار ، وإن كان بعضها من النوع الذى يحتاج إلى السقيا فـــى بطون الأودية والواحات . . على أن المهم هو أن تلك الحضارات جميعا لـم تلبث أن تكاملت واتصلت ، وأصبحت فى مجموعها تحتل منطقة حضاريـــة كبرى فى قلب العالم القديم (١٢) .

وقد أسعف الموقع الجغرافى مدعومـــا بالبيئـــة الجغرافيـــة فـــى توالـــد الحضارات القديمة فى البيئة العربية ، وذلك أنها تأخذ بمنطق الأخذ والعطاء ، واستثمار الاحتكاك الحضارى المشترك والمدنيات فى ســـهول الرافديـــن بالعراق والمدنيات فى وادى النيل الأدنى بمصر وفى جنوب جزيرة العـــرب "اليمن" وفى أحضان الهوامش الساحلية على البحر المتوسط بالشام وســـاحل

شمال أفريقيا وعلى الخليج العربى بعمان ، بل ولم تنطو على ذاتها وهى تتوالى ريادة وقيادة الحضارة العالمية ، بل كان الموقع الجغرافى قد أتاح الانفتاح الذى حقق الاحتكاك الحضارى فرصة التحرك برا وبحرا ، وصولا إلى الحد الأمثل لاستثمار العلاقات البناءة بين هذه الحضارات [١٣] .

فعن حضارة العراق :

يطيب لنا أن نذكر بأن منطقة العراق عند الطرف الشمالى الشرقى من الوطن العربى يطلق عليها الجغرافيون "كتف العروبة" أو "جناحها" والتى تعرضت لمعارك طاحنة ومخربة خصوصا و أن العراق كانت تجاوره إلى الشرق منه مباشرة أرض حضارية عريقة أخرى هى أرض فارس القديمة وما جاورهم من حضارات أخرى غازية في موجات متلاحقة من الرعاة أيام الهون ومن تلاهم من التتر والمغول والأتراك والسلجوقيين ثم الأتراك العثمانيين .

وقد حبى الله العراق بيئة ذات سهل مستطيل تحفه الجبال العالية إلى الشرق والشمال ، وينفتح على السهوب والصحارى العربية إلى الغرب والجنوب الغربي ، ويجري عليه كل من نهر الفرات ونهر دجلة وروافدهما التى كان من أبرزها من الناحية التاريخية الخابور بالنسبة للفرات وقارون بالنسبة لمنطقة شط العرب ، ويلاحظ أن النهرين وروافدهما في العراق تجرى جميعا من الشمال إلى الجنوب ، وتفيض في أشهر الربيع حين تذوب الثلوج فوق الجبال عند المنابع ، وقد كان لهذا الجريان ومواعيده أثره في قيام الحضارات القديمة وفي حركات الاتصال بين المجتمعات والمناطق الحضارية القديمة في العراق . فالمجاري النهرية في العراق كان أثرها محدودا نسبيا كشريان للاتصال وتكوين "وحدة شاملة " وواسعة النطاق بين الحضارات الأولى في العراق ، فكانت هناك منطقة "أور" القديمة قرب المصبات السفلى للنهرين ثم تليها منطقة "أكاد" إلى الشمال منها ، وكانت الحضارة فيها مختلطة تجمع بين حياة الاستقرار قرب النهر وحياة البادية المجاورة والتى لم تنقطع صلتها بأرض الاستقرار وأرض السواد . وإلى الشمال من ذلك كانت حضارة "بابل" التى تركزت فى منطقة اقتراب النهرين الواحد منهما من الآخر ، ولكن حضارة بابل هذه كانت أحدث من حضارة

"أور" أو أكاد "عقاد" ، ولم تأخذ زينتها وقوتها الحضارية إلا بعد أن زالت دولتا الجنوب أو كادت تندثر ، ثم إلى الشمال مرة أخرى وعلى ضفاف روافد دجلة التى تجاور الجبال الشمالية الشرقية ، حيث قامت حضارة "آشور" التى تأخرت فى ظهورها وبلوغ شأنها بعض الشئ عن حضارة الجنوب ، وخلاصة الصورة . فإن المراكز الحضارية بالعراق لم تأتلف فى حضارة واحدة ، وحتى بعد ذلك عندما ظهرت مراكز حضارية صغيرة تحت النوافذ الدخيل إلى العراق ، كانت منطقة "بغداد" على أنقاض منطقة "المدائن" التى استقر فيها الأثر الإغريقى أيام "كتيزيفون" القديمة التى تأثرت فى مرحلة لاحقة بالأثر الفارسى أيام كسرى ومنطقة "طاق كسرى" إلى الجنوب قليلا من بغداد الحالية وكذلك الحال فى منطقة شط العرب الذى أطلقت عليه هذه التسمية لأن المنطقة عمرتها بعض العناصر العربية حتى قبل مجئ العناصر الإغريقية القديمة التى أنشأت ميناء "شاراكس سبازينو" التى أصبحت فى العصور اللاحقة ميناء "المحمرة" (١٤) .

وكانت للجبهة العربية للغرب من سهول العراق الدور الذى أخفى على العراق "عروبته" العتيدة ، حيث كان للعرب مدائنهم ومراكزهم الفكرية والحضارية على طول الواجهة العراقية ، ومن أبرزها الحيرة والكوفة وكربلاء حتى نصل إلى البصرة الحديثة . وفوق ذلك فإن الواجهة الجنوبية للعراق كانت واجهته "البحرية" الوحيدة ، ولولا وجودها لتغير تاريخ العراق وصلاته الخارجية ، ولكان العراق بلدا بريا داخليا لا يكاد يعرف البحر ونشاطه البحرى فى التجارة والثقافة والحضارة العامة ، ولولا هذه الواجهة البحرية لانعزل العراق عن جاراته الجنوبيات من بلاد الخليج القريب والبعيد على حد سواء ، بل لما كان لحضارات العراق القديمة والوسيطة دورهما التاريخى فى النشاط البحرى وامتداد الاتصال إلى ما وراء البحار (١٥) .

أما حضارة مصر القديمة :

فقد قامت على نهر واحد هو النيل وله واديه الواضح المحدد ودلتاه الواحدة الفسيحة المثلثة الشكل والتى تحدها جبهة شاطئيه طويلة ، قامت عليها المرافئ الواقعة على البحر مباشرة كما كان النيل يجرى من الجنوب

إلى الشمال فى حين أن نظام الرياح السائدة فى مصر كان من الشمال إلى الجنوب فتساعد بذلك السفن القادمة من الشمال للجنوب ، وبذلك أصبح نهر النيل ونظام رياحه السائدة سبيلا وسببا قويا فى قيام الوحدة القديمة بين سكان مصر فى الصعيد وفى الدلتا ، فالنهر كان شريانا للاتصال والربط بين الوجهين القبلى والبحرى فى مصر منذ أقدم العصور ، وبهذا قامت فى مصر أقدم وحدة بين سكان الجنوب وسكان الشمال ، لأن انتظام جريان المياه وسريان الريح كانا عاملين "متكاملين" فى مصر قبل أن يبدأ التاريخ وبعده [١٦] كان لموقع مصر الفريد ضمن المشرق العربى بالتحديد أنها كانت قلب العالم القديم عند مفارق البحار الشمالية والبحار الجنوبية ، وعند مقارن الأرض بين القارتين الكبيرتين "آسيا وأفريقيا" وعلى مشارف الركن الجنوبى الشرقى لقارة أوربا وراء البحر المتوسط ، ويلاحظ كذلك بالنسبة للطرق البحرية أن جزيرة العرب لم تكن جزيرة كاملة بحيث تستطيع المراكب أو السفن التى تقل المتاجر أن تدور حول اليابسة وأن تنفذ من البحار الشمالية على البحار الجنوبية وتنقلها مراكب أخرى وملاحون من طراز جديد يحملون المتاجر والسلع إلى ما وراء البحار الجنوبية والعكس صحيح بالنسبة لحاصلات المناطق الحارة التى تجلب من جنوب آسيا أو شرق أفريقية ، فتغير وسيلة النقل وتعمل قوافل الصحراء وحداة الإبل من أبناء العروبة في نقل سلع الجنوب بالبر عبر البرازخ في جزيرة العرب ، وفي أرض الزاوية في مصر إلى شواطيء البحر المتوسط ومنها بالسفن وعلى يد ملاحي الشمال إلى الشواطيء المقابلة في شمال البحر المتوسط وما وراءه من أقطار الشمال . هكذا كانت أرض العروبة بما فيها مصر "أرض الزاوية" صاحبة الدور الخاص فى الاتصالات العالمية من خلال الموقع الجغرافى الفريد ، الذى جعل منها منطقة النواة الرابطة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب ، بل إن ذلك كله قد أثر فى بناء شخصية أهل العروبة ، وجعل منها ومنهم شخصية إنسانية عالمية ، مفتوحة الفكر ورحبة الاختلاط بالثقافات القديمة والحديثة ، تقوم فى الوقت ذاته على أساس الأخذ والعطاء وعلى أساس إقامة العدل والإنصاف والصدق فى المعاملات بين الناس جميعا ، فضلا عن سمة الكرم وحسن الضيافة فى معاملة القادمين والعابرين ، سواء كانوا من أهل الجنوب أو من أهل الشمال [١٧] .

كان لزراع البحر الأحمر أثره الفعال فى ترويج الحضـــارة المصريـــة القديمة مع امتداد سواحل جزيرة العرب وشرق أفريقيا ، تلك الزراع التـــى تمتد من القلزم إلى باب المندب . . والتى كانت تطل عليها مرافـــئ قديمـــة أولها عند رأس خليج السويس "أرسينوى القديمة ثم القلزم التى تلتها" وتمتـــد إلى بعض النقاط على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر والتـــى تنتـــهى إليـــها الطرق العابرة للصحراء الشرقية إلى مرافئ القصير القديمة ثم عيزاب إلـــى الشمال من سواكن ، وكانت الطرق القديمة تمتد من وادى النيل إلى شـــاطئ البحر الأحمر على طول الأودية الصحراوية وتنتهى كلاهـــا إلـــى مرافـــئ بحرية كانت شواطئها تكتنفها بعض المخـــاطر بســـبب وجـــود الحواجـــز المرجانية ولكن مخاطر الملاحة فى البحر الأحمر "ورياحه غير المنتظمة" لم تحل دون ركوب المغامرين من ملاحى مصـــر القديمـــة ركوبـــهم البحـــر والارتحال وسط المخاطر ، وكانت رحلات تلك المغـــامرات تنتـــهى إلـــى الشواطئ الجنوبية للجزيرة العربية ، أو إلى شواطئ أفريقية المقابلـــة ، أو تمتد إلى عرض المحيط الهندى وبعض شواطئه دورانـــا حـــول الجزيـــرة العربية [١٨] . وبذلك قامت حضارة مصرية عالمية قديمة النشأة تتجدد بزيادة تفاعلات مقاومتها عندما يقدر لها ذلك .

حضارة الكتف المغربى القديم :

فى ساحل البحر المتوسط قام الفينيقيون بين ساحل المتوسط وجبال الشـــام ببناء حضارة بحرية ، وكانوا قد مدوا الحضارة المصرية بالأخشاب اللازمة لبناء السفن وركوب البحر بل والدوران حول قارة أفريقيا . ولكن مع كـــل ذلك كانت الحضارات المسيطرة حضارات برية كما فى بابل ومصر القديمة . . حتى جاء القرن السابق لظهور المسيحية ، حيث شهد تغييرا فى مراكـــز القوى العالمية ظل يأخذ وضعه فى عملية تطـــور اســـتغرقت وقتـــا ليـــس بالقصير ، فقد انتصر خلالها البحر فى الشرق الأوسط على القارة ، كـــانت العواصم الكبرى فى المنطقة هى منف وطيبة وبابل ونينوى ، وقـــد انتـــهى دورها ، وحلت محلها "الموانئ الكبرى" ، كالإسكندرية وإنطاكية وقرطاجنـــة وروما ، فإن الحياة الاقتصادية للشرق لم تعد تعتمد كلية على الطرق البريـــة عبر آسيا وأفريقيا وأوربا ، فقد بدأت السفن تقوم بمهمة النقل فى آسيا وإليها

عبر السويس والبحر الأحمر وفى أقصى الشرق تحرك العملاق الصينى ليأخذ مكانه ، وفى وسط العالم قامت روما لتصبح دولة ثم إمبراطورية هائلة ، كانت الإسكندرية أكبر موانى البحر المتوسط أنشأها الإسكندر ونماها البطالسة ، وأخذت مكانها آنذاك فى صراع القوى العالمية ، ومن أجل طرق التجارة ، بدأت المعركة بين الموانى الكبرى ، إنطاكية وصور وصيدا والإسكندرية والتسابق للسيطرة على جزر شرق البحر المتوسط ومنها قبرص ورودس [١٩] .

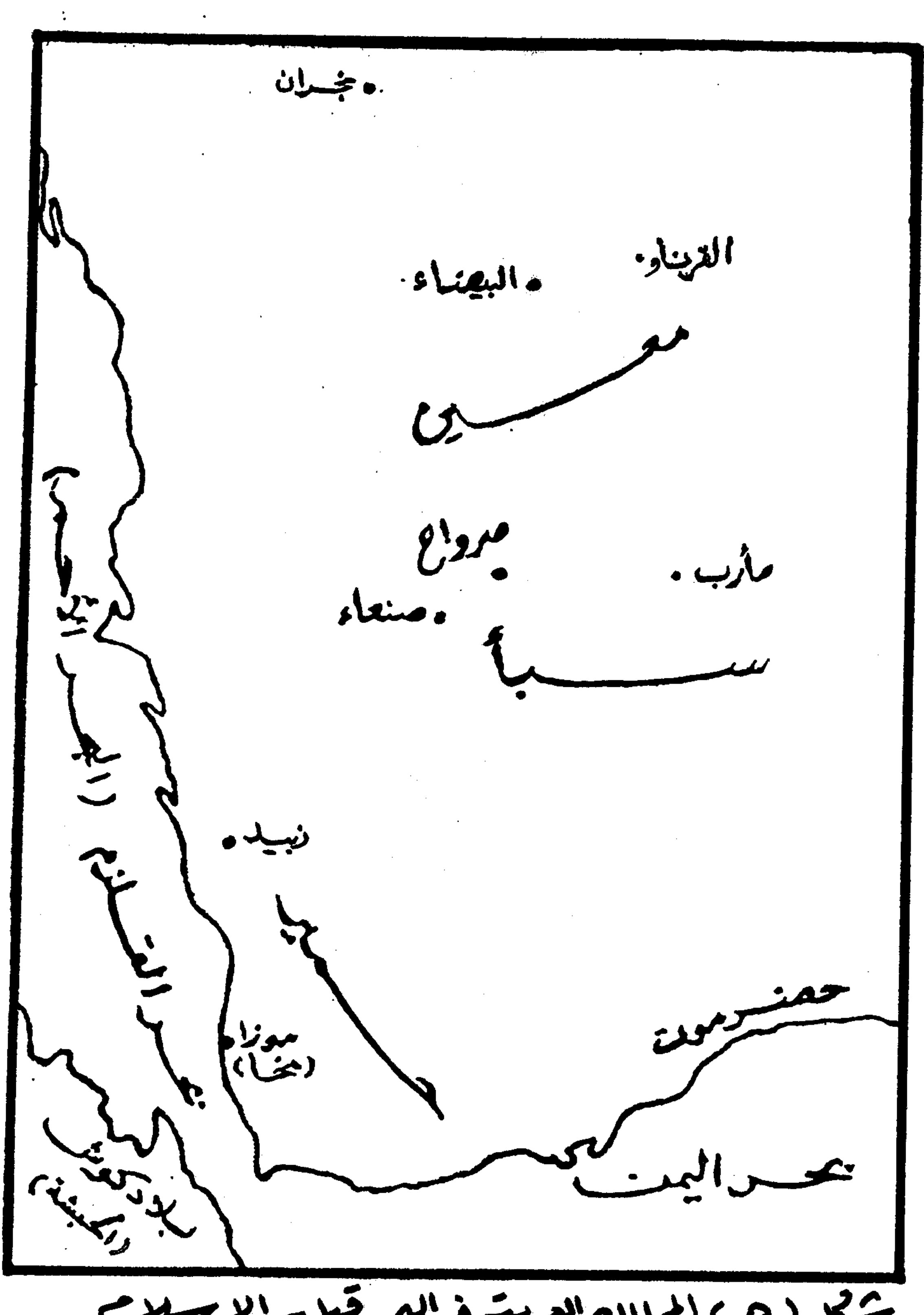
كان الجناح الغربى للعروبة "الطرف الشمالى الغربى" عرضة لمؤثرات وغزوات جاءت من جهات بعيدة عن الوطن العربى كما كان فى غزوة القندال القديمة من شمال أوربا ، أو فى توغل البربر الذين أتوا فى الأصل من شرق أفريقيا وعبروا الصحراء الكبرى عن طريق جبال تبستى إلى الأطلس الأعلى وأطراف المغرب ، وهضمت هذه العناصر فى سكان المغرب ولكن الجناح المغربى العربى يختلف عن الجناح العراقى "الكتف العراقى" فالأول كان ما يقع إلى الغرب منه وهو بحر الظلمات وعالمه الذى يكاد أن يكون فارغا من الحضارة المستقرة أو القادرة على الانتشار فى اتجاه العالم القديم . إلا أن الكتف الغربى أخذ على عاتقه نشر الحضارة الإسلامية كما فى الشكل (٣) إلى إقليم غرب أفريقيا لتضيف بقعة ضخمة لخريطة العالم الإسلامى وحضارته .

حضارة اليمن القديمة :

قد أسعفت ظروف المناخ الماطرة والتربة الخصبة فى وجود اليمن السعيد تمخض عن ثلاث ممالك هى :

مملكة معين : "١٣٠٠ - ٦٥٠ ق . م" الأكثر انتشارا لازدهار الأمطار فى ذلك الوقت فكان مركزها منطقة الجوف الجنوب الشرقى من صنعاء وعاصمتها "قرنوه" فى منطقة لا يكاد ارتفاعها أن يزيد على ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر كما فى الشكل (٥) ، وقد اعتمدت هذه المملكة على التجارة الخارجية التى كانت السبب المباشر فى ازدهار اقتصادها .

مملكة سبأ : ومع حلول الجفاف بمنطقة الجوف وزال ازدهار معين قامت مملكة سبأ التى تقع إلى الجنوب منها وعلى ارتفاع بضع مئات الأمتار فوق الجوف وعاصمتها "مأرب" (٩٥٠ - ١١٥ ق . م) ذات السد التاريخى



شكل (٥) الممالك العربية في اليمن قبل الإسلام

المعروف الذى كان يجمع مياه أمطار الهضاب العالية الواقعة إلى الغـــرب منه ، وهو السد الذى استمر حتى القرن الخـــامس بعـد الميـلاد وكـانت الأراضى المجاورة له والمحيطة به وارتفاعها فى المتوسط نحو ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، مقرا لحضارة سبأ والحضارة الحميرية التى لحقت بـــها واختلطت بنشاطها وثقافتها وامتدت إلى بعض أطراف اليمن وحضرمـــوت كما استمرت حتى جاء الغزو الأثيوبى .

مملكة حمير : لاذت مملكة حمير إلى الغرب فى منطقة واقعة بين مملكـــة سبأ والبحر الأحمر فى منطقة أكثر حظا فى سقوط الأمطار ، وبعيدا عـــن الجفاف الذى يزيد زحفه بتقدم السنين على منطقة اليمن ، وقد اهتمت مملكـة حمير (١١٥ ق . م - ٥٢٥ م) بالفتوحات وتوسيع رقعة دولتها ، ودخلـــت لذلك فى حروب مع الفرس والأحباش والروم ، ودخلت المسيحية إلى اليمـن فى عهدها ، وتميزت باتساع رقعة أرضها الزراعية وخصوبتـــها وتنـــوع محاصيلها ، ومكاسبها من التجارة العالمية ، وكان آخر الملوك "بازان" الذى أسـلم هــو وقومـــه فأقـــره رســول الله "صلى الله عليـــه وســلم" علـــى ولاية اليمن [٢٠] .

حضارة الحجاز : ظهرت بعض المدن الهامة قبل الإسلام بالحجاز تمـــيزت ببعض مظاهر الحضارة نتيجة أوضاعها الاقتصادية والسياسية الخاصة لكل واحدة منها ، مثل مكة ويثرب والطائف ، وكانت لمكة قدسيتها على الحجاز حيث البيت الحرام ، وإشراف قبيلة قريش على الكعبة وحركة التجارة مـــن خلال رحلتى الشتاء والصيف بين اليمن والشام ، أسفر ذلك عن جمع تجـار مكة ثروات طائلة لهم جعلتهم يحيون حياة مترفة ، كما أدى اختلاط تجـــار قريش بغيرهم من الشعوب إلى التعرف على حضارات الشعوب الأخـــرى المجاورة والأخذ منها ، أما يثرب المتحضرة وسكانها الأوس والخزرج مـن عرب اليمن المهاجرين إليها إثر انهيار سد مأرب ، إلى جانب بعض قبـــائل اليهود واشتغل أهلها فى مجال الزراعة ، أما الطائف فسكنها قبيلة "ثقيـــف" واشتهرت بمزارعها وبساتينها وطيب هوائها ، واشتغل أهلها بالتجارة بحكـم موقعها فى طريق القوافل بين اليمن والشام .

وقد عاشت الحجاز قبل الإسلام حياة اجتماعية غير متوازنـــة ، فبسـبب التجارة الخارجية نشأت طبقة اجتماعية غنية وأخرى فقيرة ، مما أدى إلـــى

تخلخل الكيان الاجتماعى لمدن الحجاز الرئيسية الأمر الذى أفـــرز بعــض الرذائل فى قيم المجتمع . . وقد تلقت بلاد الحجاز ثقافات وحضارات مـــن البلاد المجاورة ، حيث تردد تجار مكة على مراكز هذه الحضارات القديمـة وارتادوا بلادها فى الشام وبيزنطة وفارس والحبشة ، وعاد التجـــار وهـم يشعرون بضرورة التغيير والتحول ، الأمر الذى مهد كثيرا لمجيء الديـــن الإسلامى ودعوته (٢١) .

الحضارة العربية :

أخذ العرب على عاتقهم نشر الدين الإسلامى الحنيف ولما ملكوا "فـارس والروم" لم يكونوا فى شئ من الحضارة ، فقد زعم ابن خلدون أنه قدم لـــهم "المرقق" فكانوا يحسبونه رقاعا ، وعثروا على الكافور فى خزائن كســـرى فاستعملوه لعجينهم ملحا ، فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم ، واستعملوهم فـــى مهنهم وحاجات منازلهم ، واختاروا منهم المهرة فى أمثال ذلك والقومة عليه ، أفادوهم علاج ذلك ، والقيام على عمله والتفنن فيه ، مع ما حصل لهم من اتساع العيش ، والتفنن فى أحواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطـــوروا بطـور الحضارة والترف فى الأحوال ، واستجادة المطاعم والمشـارب والملابـس والمبانى والأسلحة والفرش والآنية وسائر الماعون والخرثى (أثاث البيـــت وأسقاطه) وكذلك أحوالهم فى أيام المباهاه والولائم وليالى الأعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية .

ولم ينتصف القرن الأول الهجرى حتى جمع العرب فـــى المـدن التـــى نزلوها أصنافا من الرفاهية ، ومنهم من تجافت نفوسهم عن الانغماس فيها ، ومنهم من انغمسوا فيها إلى رءوسهم ، وكان الصحابة إلى الخشونة ، فلمـــا جاء بنو أمية جمعوا بين الرفاهية وشئ من أخلاق العرب فى الخشونة إلـــى آخر القرن الأول ، فكان من خلفائهم من لا ينزل المدن فى الشام إلا قليـلا ، ويتخذون لهم قصورا فى الأرياف والبوادى ، لئلا يغلب الترف على نفوسهم ونفوس بنيهم فيفسدها ويضيع بذلك مضاء العرب ومتانتهم (٢٢) .

يعد عهد عمر بن عبد العزيز بداية لدخول العلوم المادية بـــلاد العــرب المسلمين ، فهو الذى أمر بنقل كتاب "أهرن بن أيمن" فى الطب إلى اللغـــة العربية ، وهو الذى أمر "عاصم بن عمر الأنصارى" أن يجلس فى مســـجد

دمشق فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ، وقال : "إن بنى مروان كانوا يكرهون هذا وينهون عنه ، فأجلس فحدث الناس بذلك " ، وسبق ذلك خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الذى عهد إلى ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحروب والآلات والصناعات من اللسان اليونانى والقبطى والسريانى ، كما تسربت العلوم إلى العرب مع توطيد أمو الخلافة ، وأخذت الجيوش تتقدم فى أفريقية إلى الأندلس وفى الشرق إلى ما وراء السند وسمرقند ، وجاء العباسيون فكان همهم جمع المخطوطات اليونانية فى الطب والفلسفة ونقلها للعربية ، ومضى القرن التاسع برمته وبغداد تترجم إقليدس وآرشميدس وبطليموس وديسقوريدس وأبقراط وجالينوس وأرسطو وتاوفرسطس [٢٣] .

وما كاد القرن العاشر الميلادى يتبلج حتى كانت المدنية الإسلامية قد انتشرت فى أسبانيا كلها ، ولما سقطت مدينة طليطلة فى حكم الممالك النصرانية ، انتشرت حضارة الإسلام فى عاصمة أصقاع أوربا .

يقول جوتيه : إن الشريف الإدريسى الجغرافى كان أستاذ الجغرافيا الذى علم أوربا هذا العلم لا بطليموس ، ولم يكن لأوربا مصور للعالم إلا ما رسمه الإدريسى . وهو خلاصة علوم العرب فى هذا الفن ، ولم يقع الإدريسى فى الأغلاط التى وقع فيها بطليموس . وقال : من دار حول أفريقية ؟ فاسكودى جاما . ومن كشف أمريكا ؟ كريستوفر كولمبس . وتم هذان الكشفان العظيمان بعقول العرب وموادهم وأشخاصهم .

وسبقت العرب الأوربيين إلى الطيران ، وقد حاول عباس بن فرناس حكيم الأندلس ، وهو أول من استنبط صناعة الزجاج وأول من فك الموسيقى ووضع الآلة المعروفة بالمثقال ، ليعرف بها الأوقات ، وسبق العرب فى الأندلس لمعرفة مرض النوم والوقاية من الأمراض ومعرفة الطباعة وآلتها قبل مخترعها المشهور "جوتنبرغ" الألمانى بأربعمائة سنة .

وقال جوتيه : إن العرب عرفوا طريقة عمل الجليد الصناعى ولم تعرف أوربا سر هذه الصناعة إلا أوائل القرن السادس عشر وأدخل العرب لأوربا الورق المصنوع من القطن بدلا من البردى ، وعرف العرب صناعة البارود وإبرة السفينة وآلة الظل والمرايا المحرقة بالدوائر والمرايا المحرقة بالمقطوع ، وقطعوا أشواطا كبيرة فى الميكانيكيات ، وبرع العرب فى علم

النباتات والمستحضرات والأدوية المستعملة كالأشربة والدهـون والمراهـم والغول ، واستلزمت أصول تداويهم استعمال الفتائل والحجامة فى أمـراض الصداع ، وتفتيت حصاة المثانة وقدح العين واستخرجوا منها الجريم العدس الشفاف ، وعرفوا البنج . . وكان الرازى وابن جابر أول من وضع أسـاس الكيمياء الحديثة ، وحاولا كشف الإكسير الذى يهب الحياة ويعيد الشـباب ، وكانا يذهبان إلى معرفة حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن إلى ذهب ولكـن توج ذلك بمعرفة التقطير والتصعد والتجميد والتحليل .

ونهض العرب في فارس والأندلس وصقلية وإفريقية لاستخراج المعـادن من مناجمها كالزئبق والتوتيا والحديد والرصاص والفضة والذهب والقـار والنفط وطينة الأواني الصينية ورخام طوريس والملح الاندراني والكبريت . وعرف العرب حجم الأرض بقياس درجـة سـطحها وعينـوا الكسـوف والخسوف ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة ، وقدروا طول السـنة وأدركوا الاعتدالين ، وعرفوا في الميكانيكيات نواميس سـقوط الأجسـام ، وكان لهم رأى جلي من جهة طبيعة الجاذبية ، واصطنعوا في نقل الموائـع وموازنتها الجداول الأولى للجاذبية النوعية ، وكتبـوا مقـالات فـي طفـو الأجسام وغرقها في الماء ، وأصلحوا في علم البصريات خطأ اليونان بكون الشعاع يصدر من العين ويمس المرئي فيظهره ، فقالوا إن الشعاع يمر مـن المرئى للعين ، واستخدموا النواعير لتنتح المياه والسواقي التي توزعـها ، ووضعوا قوانين حقوق الملاحة ، وضبطوا التجارة بفـن مسـك الدفـاتر ، وشرحوا الكفالة وانشئوا المصارف للفقراء ، وكتب علماء العرب أول كتاب في الجبر ، ووصف علماء الجغرافيا منهم الإصقاع البصيرة التـي كـانت تختلف إليها القوافل واستخرجوا طب العقاقير والحبوب ، والدورة الدمويـة الصغرى وقد أبدع العرب في باب الهندسة ، تجلت فـي حبـهم للزخـرف وللطف واخترعوا القوس المقنطر ورسم البيكـارين والقبـاب والسـقوف والمعروشات من الأشجار والأزهار للمساجد والقصـور ، وبنـوا المـآذن والمنارات والمراصد والمشربيات والمعرقات والأبراج وصناعـة الشـمع والجوخ [٢٤] .

حال الغرب في شباب الإسلام:

فى القرون التى كانت فيها العرب تنعم بلذائذ العقل والعمل ومسرات الحياة الفاضلة بأوفر نصيب ، وتعكف على علم كثير وأدب غزير ، وتعرف لها وثبات ظاهرة وحكومات ناهضة ، كانت إنجلترا الانجلوسكسونية فى القرن السابع الميلادى إلى ما بعد العاشر فقيرة فى أرضها ، منقطعة الصلات بغيرها ، سمجة وحشية ، تبنى البيوت بحجر غير نحيت ، وتشيدها من تراب مدقوق ، وتجعلها فى وطأ من الأرض : مساكن ضيقة المنافذ ، غير محكمة الإغلاق ، وإسطبلات وحظائر لا نوافذ لها ، ولم يكن الناس أحسن مسكنا وأمنا من الحيوانات . يعيش رئيس القبيلة فى كوخ مع أسرته وخدمه ومن اتصل به ، ويجتمعون فى قاعة كبرى ، فى وسطها كانون ينبعث دخانه من ثقب فتح فى السقف فتحة غليظة ، يأكلون كلهم على خوان واحد : وينام جميع المجتمعين فى تلك القاعة على الأرض أو على دكات ، واضعا كل فرد سلاحه فوق رأسه ، لجراءة اللصوص ، كانت أوربا فى ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة ، متأخرة فى زراعتها ، تنبعث من المستنقعات الكثيرة فى أرباض المدن روائح قتالة تجتاح الناس وتحصدهم ، وكانت المدن فى باريز وليندرا تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ، ولم يكن فيها منافذ ولا غرف مدفأة ، وكانت البسط مجهولة عندهم ، لا بساط لهم غير القش ، ولم يكونوا يعرفون النظافة ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم ، وتتصاعد منها روائح مزعجة ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح ، وكان من أثر ذلك أن عمت الجهالة أوربا وساورتها الأوهام ، فانحصر التداوى فى زيارة الكنائس ومات الطب وحيت أحابيل الدجالين ، فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا ، وسط ذلك كانت أوربا تحت سلطة البابوات ، يتصرفون فيها على هواهم ، ويتحكمون فى الأرواح والإشباع ، والناس تائهون فى ظلام الجهالة .

كان الغربيون خلال القرون الطويلة التى كان فيها العرب أنجب أمة من أمم الخليقة ، يترامى إليهم من طريق الأندلس وصقلية وإيطاليا أولا ، ثم من طريق الصليبيين ؛ ما تم فى أمصار العرب والمسلمين من الرقى ؛ فتصبوا نفوسهم إلى تحقيق مثله أو بعضه فى ربوعهم ؛ وأنى لهم ذلك وسلطة رجال

الدين عندهم تناولت الفظاعة على أعمالهم ؛ والسماجة تقرأ فى تضاعيف مجتمعهم ؛ وحضارتهم على حالة ابتدائية ؛ كلما حفزها حافز عادت أدراجها بعوامل التقهقر المغروسة فيها .

طال عهد الجهالة فى أوربا ، ولم يبد فيها بعض الميل للعلم ، إلا فى القرن الثانى عشر ، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة للمعرفة ، طرقوا أبواب العرب ، ودخل علم العرب بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا ، وفى عام ١١٣٠ أنشئت مدرسة للترجمة فى طليطلة ، وأخذت تترجم إلى اللاتينية أشهر مؤلفى العرب ، وعرف الغرب عالما جديدا ولم تفتر الحركة فى هذا السبيل حتى القرن الرابع عشر ، حتى قال لبون : تمتعت أسبانيا بمدنية سامية بفضل العرب ، بينما كانت أوربا غارقة فى التوحش العظيم ، ولو مشى الغرب تحت راية العرب ، لتسامت منزلته ، ولو رقت أخلاق أهله ما وقعوا فى الحروب الدينية ومذبحة "سان بارتلمى" وديوان التحقيق وكل ما شاكل ذلك من المصائب التى أغرقت أوربا بالدماء عدة قرون [٢٥] .

رد الفعل الغربى تجاه قدامى العرب المسلمين :

رغم قناعة الغرب فى العصور الوسطى بحضارة العرب والمسلمين وما يعتقدون من صدق العقيدة الإسلامية وما أخذوه عنهم وأضاء لهم ظلمة حياتهم ، إلا أن الغرب نظر للعرب وعقيدتهم نظرة غريبة ومعادية من جهة أخرى ، فالتصور الغربى المشوه عن الإسلام كان بسبب ضعف المعرفة الغربية عنه ، فإن أدب أوربا القرون الوسطى حول الإسلام وضع فى غالبيته العظمى من طرف رجال الدين المسيحيين ، الذين استندوا إلى مصادر شريرة التميز والتباين : كالحكايات الشعبية ، وقصص الأبطال والحجاج والقديسين والمؤلفات الجدالية - اللاهوتية الدفاعية للمسيحيين الشرقيين ، وشهادات بعض المسلمين وترجمات مفكريهم وعلمائهم ، ولكن كانت المعلومة المقدمة تنتزع فى معظم الحالات من سياقها الأصلى ، ثم تقدم إلى القارىء الأوربى ، وبهذا الشكل شوهت الوقائع بصورة متعمدة [٢٦]

ووجد الوجود العربى الإسلامى فى أوربا صداما صلدا غير مبرر إذ أن المسيحية تعتقد أن الهدف من إرسال الأنبياء وعقائدهم منذ بدء الخليقة ،

ليس سوى تمهيد تدريجى لأجل بلوغ ذروة التاريخ الكونى ، المتمثل بـ "التجسد الإلهى" (فى شخص المسيح) . فى حين أن محمدا ، ظهر فى دعوته وعقيدته بعد ستة قرون من ذلك الحدث الإلهى على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الله أنعم عليه بالوحى المؤيد لرسالته وإضافة إلى ذلك ، فإن النبى محمدا أمتنع عن دحض بعض العقائد الأساسية فى المسيحية ، ولكن من وجهة نظر المسيحيين فإنه لم يكن بمستطاع محمد أن يكن نبيا حقيقيا ، وبذلك لا تصح عقيدته ، بل نبيا مزيفا ، وصوروا محمدا كساحر وأن الإسلام لون من الوثنية (٢٧) .

وقد ادعت المسيحية الشرق أوسطية فى العصور الوسطى على الإسلام وحضارته قصة خرافية (**Legend**) ، مؤداها أن محمدا كان فى البداية تلميذا للراهب النسطروى سرجيوس بحيرا ، زاعمين أنه تلقى منه بعض المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل ، وبعد ذلك أعلن نفسه نبيا وكون عقيدة خاصة به (٢٨) .

وأطلق المسيحيون السريان على المسلمين لقب (طائفة أبناء الجارية) مستندين فى ذلك إلى مقتطف من الإنجيل استل من "رسالة بولس إلى أهل غلاطبة" الإصحاح الرابع : ٢١ - ٣١ ويستنتجون منه أن المسلمين ، الذين هم "أبناء الجارية" : مستبعدون من وعد الخلاص الإلهى ، وهذا زيف عن محمد كنبى انتقل من مسيحى سوريا إلى البيزنطيين ومنهم إلى الأوربيين الذى هيمن على إدراكهم فى القرون الوسطى الموقف السلبى الصريح تجاه الإسلام ، فهذا - على سبيل المثال - راهب دومينكانى ، يزور بغداد ، ويخرج على الأوربيين بالحكاية الخرافية التالية : بما أنه لم تكن للشياطين قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية فى الشرق ، اخترع كتابا يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد واستخدم لهذه الحكاية الشريرة وسيطا من طبيعة الشيطان ذاته ، أما الكتاب فهو القرآن ، بينما الوسيط هو محمد الذى يمثل دور المسيح الدجال : ونشر عن النبى محمد أساطير قائلة بأنه ساحر كبير استطاع تحطيم الكنيسة فى أفريقيا والشرق وأنه سمح بالدعارة والفسق لكسب مزيد من الأتباع ، وانسجاما مع هذا الموقف المعادى ، فقد رسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح سئ يتعارض كلية مع النموذج المثالى للمسيحية بوصفها ديانة الحقيقة وضمن هذا المنحنى نسبت

إلى الإسلام بعض الرموز المسيحية التقليدية ، ولكن بدلالات سلبية جديدة ، مثلا : صورة الحمامة كرمز للروح القدس فى المسيحية (إنجيل لوقا ، الإصحاح الثالث : ٢٢) ، ألصقت بالإسلام فى القصص الأوربية محملة بمعنى رمزى مغاير للمعنى المسيحى الأصلى ، حيث نشرت على نطاق واسع فى أوربا الحكاية الأسطورية القائلة : أن محمدا درب الحمامة لتنقر حبوب القمح من أذنه ، وبذلك أقنع العرب ، أن تلك الحمامة هى رسول الروح القدس ، وردد هذه القصة المضحكة مؤرخون أوربيون مثل وولتر رولى (المعاصر لشكسبير) مؤلف كتاب "التاريخ العالمى" . بل إننا نقرأ من شكسبير ذاته فى "هنرى الرابع ، الفصل الأول ، المشهد الثانى" كيف أن الملك كارل الثانى يتوجه إلى جان دارك صارخا : "ألم تلهم الحمامة محمدا ؟" . أما أنت فإن النسر ، ربما ألهمك ! [٢٩] .

ومن الحكايات التى حازت دعم أسقف قرطبة فى القرن التاسع الميلادى ، مفادها أن أتباع محمد وصحابته انتظروا أن تقوم الملائكة برفع جسده بعد وفاته إلى السماء ، ولكن بدلا من ذلك حضرة فجأة مجموعة من الكلاب وصارت تمزق هذا الجسد وبهذه الحكاية المختلقة يفسر تحريم لحم الخنزير بالنسبة للمسلمين الذين يعتقدون أن الكلاب حيوانات نجسة أيضا [٣٠] .

العرب المسلمين فى عيون الغرب المحدثين :

فى القرن السادس عشر حصلت تغييرات كبرى فى موقف المسيحيين إزاء الإسلام ، حيث أن الأوربيين بدؤوا يلمسون كيف أن السبق الثقافى أصبح يتحول إلى صفهم ، وبدء من نهاية العصر الوسيط لم يعد الأوربيون ينظرون إلى الإسلام بوصفه منافسا جديا فى ميدان العقل والعلم حتى أن "مارتن لوثر" تهكم على تصورات القرون الوسطى الأوربية حول الإسلام ، وقدم لتأييد وجهة نظره هذه عينات ونماذج تقليدية مما أسماه "خرافات الأوربيون وجهالاتهم" حيال الإسلام ، وإضافة إلى ذلك ، رفض لوثر فكرة الحروب الصليبية ونادى بدلا من ذلك بوجوب اتخاذ موقف صبور متسامح من الأتراك ، لأنه رأى فيهم عقوبة ربانية عادلة للمسيحيين بسبب خطاياهم وذنوبهم [٣١] .

ولكن ما أن اقتربت الجيوش التركية - العثمانية فى سنة ١٥٢٩ من فيينا ، حتى تغيرت تلك اللهجة فأصبحت أكثر عدائية وحدة ، وانبعثت القوالب القروسطية التقليدية من جديد ، مركزة على وصف الإسلام بأنه دين العنف الذى يخدم المسيح الدجال وأن المسلمين معادون للعقل والعقلانية ، ولهذا فإنه لا فائدة ترجى ، ولا طائل من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصحيح ، ولكن الحل الأجدى هو مجابهتهم بقوة السيف وحده [٣٢] .

ولكن الواقع أن لوثر ذاته كان واحدا من أوائل الذين صاغوا نموذجا جديدا للوقوف من الإسلام ، مستخدما إياه – كنموذج سلبى – فى جداله العنيف مع الكاثوليكية حيث يقول : "البابا والإسلام يشكلان – من حيث الجوهر– العدوين اللدودين للمسيح وللكنيسة المقدسة ، ولكن إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال ، فإن البابا هو رأسه" [٣٣] ، وبهذا الشكل ، أصبح الإسلام - كما يراه لوثر - مرادفا لمفهوم الخطيئة داخل الكنيسة المسيحية .

وفى النقد للإسلام الأنتلجنسيا الأوربية تعبيرا عن نزعتها وأمزجتها المعادية للإكليروس "الهيئات الكنسية" وللسلطات الملكية المطلقة ، والحقيقة ، فإن أوربا تدين كثيرا لمنورى القرن الثامن عشر ، الذين عمموا فكرة "رجعية الإسلام" والزعم بعدائيته للتقدم ، وللتطور الإجتماعي والثقافي للشعوب ، وهى الفكرة التى صارت في القرن التاسع عشر قالبا نمطيا شائعا لأبعد الحدود ، والواقع أن التفسيرات الأوربية لظهور الإسلام ، المتداولة في العصر الحديث ارتدت أساسا طابعا تطبيقيا . وكانت مشروطة - بخلاف القرون الوسطى - بالاحتياجات والمهام الأيديولوجية الأوربية الداخلية قبل كل شيء ، فوراء مقولة "الجامعة الإسلامية" التى طرحها اللوثريون ، وخلف أمزجة المنورين "المضادة للمحمديين" ووراء الانجذاب الواسع إلى الحياة النسكية وسحر الشرق ، تقبع مشكلات داخلية دينية واجتماعية - سياسية وتناقضات في بني المجتمعات الأوربية ذاتها .

وفى القرن التاسع عشر اجتاحت بلدان الشرق موجة قوية من القادمين الأوربيين شملت العسكريين ، والتجار والمبشرين والإداريين والكوادر التقنية والعلماء من اختصاصات مختلفة ، فانفتحت أمامهم بذلك إمكانيات عريضة لتعرف عالم جديد ، حيث أن دائرة معارفهم عن حياة البلدان الإسلامية ، وعن ثقافاتها ودينها أصبحت تتسع بسرعة غير عادية ،

فالاهتمام إزاء العالم الإسلامى أصبحت تمليه فى هذه المرحلة الاحتياجات العملية والمصالح الحيوية للدول الأوربية ، وبهذا يمكن القول أن علم الإسلاميات ولد فى أحشاء المخططات الاستعمارية ، وتزامن مع ارتفاع الأصوات الأوربية الداعية إلى استعادة السيطرة على الأرض المقدسة من أيدى مغتصبيها المسلمين عن طريق اتباع جملة من الإجراءات العملية ، التطبيقية ، فى مقدمتها إنشاء المدارس العربية فى الغرب كشرط لتحقيق المعرفة الدقيقة لعقلية العرب والعقيدة الإسلامية ، "الاستشراق العلمى" وأسفر ذلك عن أن "علم الإسلاميات" الذى شكل بدوره عددا ضخما من الأساطير والخرافات الغربية الجديدة حول الإسلام ، مضيفا صبغة علمية على الأضاليل القديمة والخرافات النمطية الغربية والعتيقة عن الإسلام ، وكان للإدراك الإجتماعى الأوربى للربع الأخير من القرن التاسع عشر تكونت صورة مزدوجة عن الإسلام ، فمن جهة تم تصويره كتهديد معاد للمصالح الغربية يتمثل فى النزوع إلى الرابطة أو الوحدة الإسلامية وبصفته تعصبا للبرابرة المعادين لرسالة أوربا التحضرية للكون ، ومن جهة أخرى ، رأت الدوائر الاستراتيجية الغربية فى الإسلام دين الاستقرار وعامل تثبيت يمكن استخدامه فى إطار إطاعة الحكام والمحافظة على السلطات الصديقة (٣٤) .

واليوم:

هناك تعمد من قبل الإعلام الغربي لالحاق تشوهات في حياة الوطن العربى والإسلامى عامة من خلال أنباء غير حقيقية ومغلوطة ، أما إذا أفرد الإعلام الغربي بعض مساحته لإنجازات بلدان العالم الثالث بصفة عامة ، فإن ذلك يكون - في الأغلب -، كمادة إعلانية تصدر في أعداد خاصة ، يتقاضى مقابلا باهظا لها ، ويزيد الأمر سوءا ، أن كل العالم النامى ، يضم ثلاثة أرباع سكان العالم : ولا يملك سوى نصف صحف العالم ، وربع مجموع التوزيع في العالم ، بل أن ٨٠% من الأنباء العالمية تتلقاها دول العالم الثالث من وكالات الأنباء الغربية ، علما بأنها أنباء الغرب تهم الغرب أولا .

وقد أدركت الصهيونية العالمية أهمية الإعلام وخطورة الدور الذى يمكن أن يؤديه في الرأى العام العالمي وذلك منذ ١٨٩٧ ، حتى أصبحت أهم

مؤسسات الإعلام العالمية في أيدي اليهود ، يحاولون من خلالها إحياء صورة اليهودي المضطهد ، صاحب الحقوق التاريخية ، الذي عانى الحرق في أفران الغاز الهتلري ، ويحيا الآن في جزيرة محاطة بالأعداء الذين يريدون إلقاءه في البحر ، وأن العرب أعداء لا يمثلون إنجازا حضاريا من أي نوع ، بل يحيون على استهلاك ما ينتجه العالم المتقدم من وسائل الحياة المعاصرة ، دون أن يسهموا إلا بما حبتهم الطبيعة من مواد خام ، وأصبح اليهودي في الإعلام العالمي هو الجنس المثالي ، بعكس الجنس العربي الذي يعرف في الإعلام الغربي بأن ليس في حياته إلا ما تدره عليه أرضه من عوائد النفط ، وينظر إليه حتى كبرميل بترول متحرك ، وصورة العربي في وسائل الإعلام الأمريكية هي رجل بترول ثري ، يرتدي الدشاشة والعقال على موائد القمار ، وتقيد في سيره طابور من الحريم ، وقد أصدر الكاتب الصهيوني "هارولد لابنز" رواية بعنوان "القرصان" والقرصان هو العربي الذي يحاول السيطرة على إقتصاد العالم ومقدراته ، محاولة لتشويه صورة العربي في نفسية المواطن الغربي .. وفي أعقاب الحصار النفطي الذي فرضته الدول العربية عام ١٩٧٣ رسم الإعلام الغربي للعربي صورة نمطية تتمثل في عربي يركب جملا ، ويمسك بذراع مضخة بنزين ، بدلا من مقود الجمل (٣٥) .

واستطاع الإعلام الصهيوني أن ينال من نفسية المواطن العربي باتباع الأسلوب النازي ، ارتكازا إلى بعض الهزائم التي فرضت على الشعب العربي دون أن يكون مسئولا عن إيجادها ، كأحداث ١٩٦٧ التي استطاعت بعدها وسائل الإعلام الصهيونية أن تقنع المقاتل والشعب العربي أن إسرائيل استطاعت هزيمة ثلاثة جيوش عربية واحتلال أرض عربية جديدة هي : سيناء والجولان والضفة الغربية والقدس الشرقية ، رغم أن المقاتل العربي لم يتح له أن يواجه العدو الذي هزمه . إلا أن النفسية العربية قد تقبلت دعاوى الإعلام الصهيونية بحرب الأيام الستة ، والتي لم تكن حربا بالمعنى المفهوم ، كما تقبلت وسلمت بجيش إسرائيل الذي لا يقهر ، ثم باليد الممتدة الباطشة التي تستطيع إلحاق الدمار بأبعد مكان في الأرض العربية،ثم بالتخلف الحضاري الذي لم يعد أمام الشعب العربي إلا قبوله، قياسا على التفوق الحضاري الإسرائيلي (٣٦) .

ومن العجب : أن ينكر الغرب أي دور للحضارة العربيـــة - والفرعونيـــة والبابلية والأشورية - وغيرها في صياغة الثقافـــات العالميـــة ، زعمـــا أن عصر النهضة الأوربي يجد بدايته في ثقافة وعلم اليونان والرومان مـــع أن الثابت أن الثقافة الإغريقية تأثرت بالثقافة المصرية القديمة لدرجة السطو .

وإذا كان الإعلام الغربي قد صنع بنا ذلك ، فإن الحقيقة هي أن الإعـــلام العربي معدوم أو يكاد ، فهو يستورد الـــورق وأجـــهزة الراديـــو والفديـــو والتلفزيون ، ويستخدم الأقمار الصناعية للدول الأخرى ، أو أنها تصنعها له ، ويعتمد - بدرجة كبيرة - على وكالات الأنباء الأجنبية . كل ذلك في وقـت من المتوقع أن تصل قيمة الصناعات الإعلامية - في مطلع القرن الحـــادي والعشرين - نحو ٤٠% من مجموع الصناعات ومجموع الأنشطة الإعلامية ، وتصل قيمة مجموعة الأنشطة الإعلامية الأمريكية - تحديدا - إلى مـــالا يقل عن ١٥٠ مليار دولار [٣٧] .

ثالثا: أهمية الوطن العربي في الربط بين العوالم الأخرى:

كان للموقع الجغرافي العربي أهمية كبيرة باتصاله بأرجاء العـــالم عـــبر شبكات النقل المختلفة على مر العصور . فكانت التجارة قديما قـــد بـــدأت بتبادل السلع الكمالية ، وبتقدم الحضارة أصبحـــت التجـــارة تشـــمل الســـلع الضرورية ،عكس المتوقع ، حيث كان النقل بالبحر أمرا صعبـــا محفوفـــا بالمخاطر ، لذلك كان التجار ينقلون السلع صغيرة الحجم مرتفعة القيمة وهذه السلع هي الكمالية ، أما حديثا فالسلع الكمالية تكون نسبة قليلة جدا من حجـم السلع المتبادلة ،بل تقوم التجارة في الوقت الحاضر على الضروريات كالفحم واللحوم والصلب والبترول والحديد والأخشاب . وفي كـــل الأحـــوال يعـــد الوطن العربي أداة اتصال وربط حيوية بين أواصر العالم المختلفة .

كانت بابل : ملتقى القوافل من وسط آسيا وشرقها ومن جنوب بلاد العـــرب وآسيا الصغرى ومن شرق أفريقيا وموانى البحر المتوسط ومصر ، ذلك في وقت كانت فيه مصر ذات موقع متصرف لا يساعد على نشـــاط التجـــارة الخارجية ، ومع ذلك لم تكن التجارة حرفة البابليين الرئيسية ، بل الزراعة ، حيث كانت نسبة كبيرة من التجارة في يد الساميين ، أما القوافل فكانت فـــي يد العرب والسوريين والنقل البحري في يد الفينيقيين الذين لم يكتفوا بإنشـــاء محطات على الخليج العربي وجزر البحرين بل قد استمرت بـــابل مركـــزا

للتجارة قرونا طويلة ، وقد ساعد احتلال الآشوريين ثم الفرس ثم اليونان بقيادة الإسكندر على امتداد نفوذ بابل التجاري على الرغم من أن هذه الشعوب لم تكن تتميز على أنها شعوب تجارية ، وذلك لأن هذا الاحتلال ساعد على تسهيل طرق النقل والمواصلات التى اتخذتها جيوش هذه الدول باحتلالها لبابل وكذلك استتب الأمن والنظام نتيجة وجود حكم قوي موحد بين بابل والدول المجاورة [٣٨] .

أما عن مصر القديمة : فكانت زراعية أكثر منها تجارية وأن صلتها التجارية كانت قليلة ، فقد قامت بالتجارة مع الشام في استيراد الأخشاب ومع بلاد بونت في استيراد البخور ، وكان المصريون القدماء يسمحون للتجار الأجانب بدخول مصر للتجارة حتى ١٧٠٠ق . م حين أرسل أحد الملوك جيشا إلى الفرات فحدث تبادل في الصوف والمنسوجات والخشب والخيل .

كان **الفينيقيون** أول شعب تجاري ، حيث سكنوا بين جبال لبنان وساحل البحر المتوسط وقد ساعدهم هذا الموقع على اتقاء غزو الشعوب المجاورة ، كما جعلهم يتجهون نحو البحر لتنمية ثرواتهم ،كما زرعوا الأشجار على سفوح الجبال فكانت بذلك موردا للأخشاب لأسطولهم التجاري .. كان عدد سكان فينيقيا قليل وكانت مواردهم محدودة ، وبدءوا برحلاتهم إلى قبرص ثم جزر شرق البحر المتوسط وأنشأوا الموانى التجارية على شواطئ البحار كما في البحر الأسود وبحر إيجه والبحر المتوسط وعبر مضيق جبل طارق حتى شاطئ إنجلترا الجنوبي [٣٩] .

وفي العصور الوسطى وبالقضاء على الرومان قضى على الوحدة التى كانت تربط حوض البحر المتوسط ، كما ساعد نقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية عام ٣٢٦م في عصر الإمبراطور قسطنطين ، مكان موضع بيزنطة على الدردنيل وأصبح الإمبراطور حاكما على الشرق (بيزنطة) والغرب (روما) بعد أن انتصر على حاكمها ، ويمتاز موقع القسطنطينية بأنها عند ملتقى آسيا وأوربا وعلى مقربة من مواطن الحضارات القديمة في الشرق ، فقد استطاعت أن تحتفظ بالحضارة ما يقرب من ألف عام ، وقد انتعشت التجارة بين الشرق والغرب فى القرنيين السابع والثامن حتى القرن العاشر ، ثم دخل الغرب ظلامه وحروبه ، بينما أخذ العرب والمسلمون يتجهون للأندلس والهند وانتعشت التجارة ، وبدأت مراكز مثل بغداد ودمشق

والقاهرة والإسكندرية وغرناطة وإشبيلية تنتعش تجاريـــا حيـــث انتعشـــت الزراعة والصناعة أيضا ، وتأثرت التجارة بقيام الحروب الصليبيـــة التـــى ساعدت على نشوء موانئ تجارية مثل جنوة والبندقية ومرسيليا حيـــث أدى ذلك إلى نمو المدن وتطور النقل والمواصلات الناتج عن الاحتكـــاك بيـــن الشرق والغرب والاتصال العسكرى (الحروب الصليبية) [٤٠] .

وقد كشفت الظروف الطبيعية والاقتصادية بالوطن العربى والعوامل المحيطة به تحكمه وإشرافه على العديد من الطرق الشهيرة على مر التاريخ كما فـــى الشكل (٦) مثل :

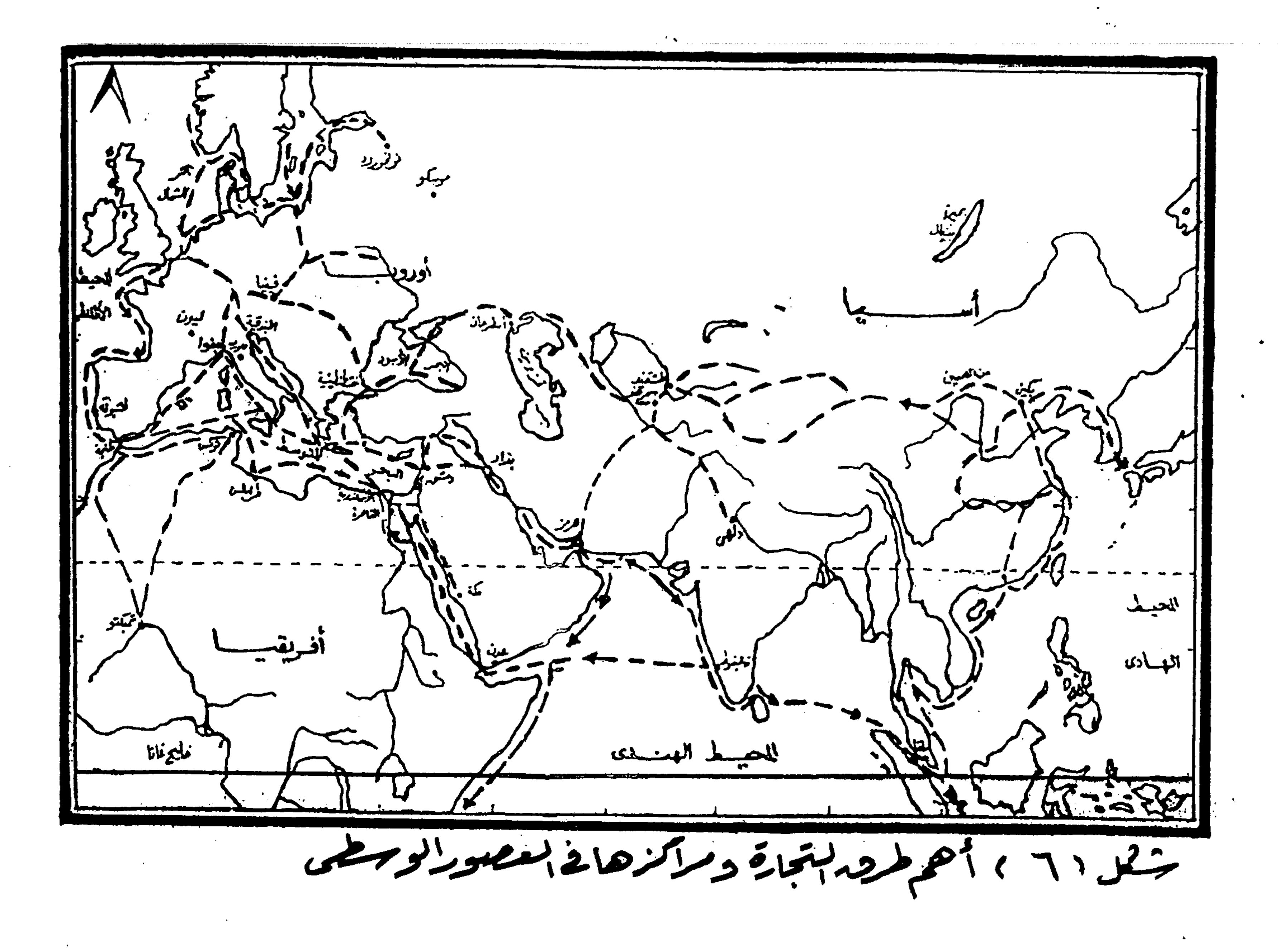
طريق الحرير : التى كانت تمر عبر أراضى الهلال الخصيب فساحل البحر المتوسط الشرقى بدءا من آسيا منذ الألف الثالث قبل الميلاد مع نشأة الحرير فى الصين والتى انتقلت إلى بلاد فارس ومن هناك مرورا بالهلال الخصيب وحوض البحر المتوسط إلى أوربا .

طريق الفيروز : هو ما أطلق عليه مع غيره طريق الأحجار الكريمة والتى اشتهرت بها بلاد فارس وأرمينيا وشمال العراق ، حيث كان ينقل منها إلـــى أوربا . وكثيرا ما اتفق هذا الطريق بطريق الحرير .

طريق الملح والذهب : بالقارة الأفريقية عبر الصحراء الكبرى حيث كـــان يبدأ من مدن وموانى ساحل البحر المتوسط الأفريقى قاصدا أواسط أفريقيـــا جنوب الصحراء عند كانو وتمبكتو ، عبر دروب عديدة مرورا بالواحـــات والأودية الصحراوية وكانت تحمل القوافل بالعاج وسن الفيل وريش النعـــام والذهب من جهة الجنوب والملح والمصنوعات من جهة الشمال .

طرق الحج : وكانت منتشرة فى وسط وشمال أفريقيا وغرب قارة آســـيا . وكان فى أفريقيا طريقان رئيسيان لقوافل الحج أحدهما شـــمالى يمـــر مـــن الأندلس والمغرب بمحاذاة ساحل البحر المتوسط الجنوبى مـــرورا بـــدروب شبه جزيرة سيناء إلى مكة والمدينة المنورة : أما الطريق الثانى فيبدأ مـــن غرب أفريقيا (موريتانيا والسنغال) مرورا بواحات ووديان الصحراء الكبرى حتى ميناء عيذاب بمصر (مكانها القصير حاليا) ثم يركب البحر الأحمر إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وقد عرفت طرق جديدة للحج فى غرب قارة آسيا من إيران ووســـط آســـيا والعراق وتركيا والشام إلى مكة والمدينة .



شكل (٦٦) أهم طرق التجارة ومراكزها في العصور الوسطى

وكذلك فى الساحل الغربى والجنوبى للخليج العربى إلى هذه الأماكن المقدسة ، وكان أهم هذه الطرق قبل الإسلام وبعد الإسلام تتمثل فى طريق رحلة الشتاء والصيف من اليمن مرورا بجبال عسير فمكة والمدينة إلى تبوك ومنها إلى الشام . إلى جانب هذه الطرق هناك عدة طرق أخرى أثرت وتأثرت بموقع الوطن العربى من قريب أو بعيد عندما كانت هذه الطرق مسيطرة على العالم القديم . وهذه الطرق هى طريق الشاى فى آسيا كان موازيا لطريق الحرير واستمر هذا الطريق حتى روسيا مماثلا لشبكة خطوطها الحديدية ، كذلك طريق العنبر فى أوربا من شاطئ البلطيق وبحر الشمال عبر أوربا الوسطى والشرقية والشواطئ الشمالية للبحر المتوسط ، ثم طريق الكهرمان من البحر البلطى إلى عالم حوض البحر المتوسط كذلك طريق القصدير من إنجلترا إلى أقصى شرق أوربا [٤١] .

مدى تفاعل الموقع العربى :

كان الموقع الجغرافى العربى وعلاقته المكانية يتميز بالامتياز ولا يزال وسيظل ، الأمر الذى جعل اتصاله بالعالم الخارجي شيئا سهلا وميسورا ، فكان لموقعه الجغرافى دور هام فى مواصلات الإقليم وعلاقته التجارية من قديم ، فالموقع البحرى للفينيقيين والقرطاجيين والإغريق والرومان مكنهم منذ القدم من السيطرة خلال فترات التاريخ على تجارة البحر المتوسط . وإذا قارنا بين موقع مصر من جهة مثلا وموقع بعض الدول المتطرفة كالتى داخل القارات أو على بحار متجمدة كفنلندا أو ولايات البحر البلطى أو حتى اليابان فى أقصى الشرق الأقصى قد كلفها الكثير لترتبط مع بقية دول العالم ، حيث اعتمدت على أسطول بحرى قوى يطوف بحار ومحيطات العالم ، وإذا نظرنا إلى موقع مصر نجده من أحسن المواقع فى العالم من ناحية النقل البرى والبحرى والجوى فهو موقع دولة مفتوحة لجميع وسائل النقل والمواصلات . فإلى جانب ما أسهمت به الطرق المصرية والعربية القديمة فى الربط بين العالم شرقه وغربه ، فقد ظهر فى العالم الحديث أهم شريان ملاحى عالمي وهو قناة السويس بجانب طرق نقل البترول العالمية والطرق الجوية وحركة الاتصالات المتنامية .

١- **قناة السويس** : منذ العهد القديم وقناة السويس وفكرة إنشائها تشغل بال المهتمين ، فقد فكر سيزوستريس وهو (سنوسيرت الثالث أحد ملوك

الأسرة ١٩) منذ ١٩٨٠ ق . م فى ربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق النيل ثم جاء من بعده نخاو سنة ٦٥٧ ق . م مهتما بهذا الأمر ، وفى عهد "دارا" ملك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد فكر فى ربط البحر الأحمر بنهر النيل عن طريق "بوبا ستوس" والحافة الجنوبية للطميلات . كما اهتم بهذا الأمر بطليموس الثانى ، كذلك الرومان اهتموا بطريق الملاحة ، وشرع الإمبراطور "تراجان" منذ ٩٨ إلى ١١٧ م فى حفر قناة ملاحية من النيل عند بابليون حتى تندمج مع القناة القديمة عند بلبيس وأتمها من بعد "تراجان" الإمبراطور "أدريان" .

وبعد فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ٦٣٩ م قام عمرو بإعادة حفر قناة تراجان لتكون مصر على اتصال سهل بالحجاز سنة ٦٤٢ م . وجعلها صالحة للملاحة وأطلق عليها "خليج أمير المؤمنين" واستمرت حتى أمر أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين بردمها ليقطع المؤن والذخائر عن المعتصمين فى المدينة من الثائرين العلويين . وما أن جاءت الحملة الفرنسية لمصر حتى قام "ليبير **Le Père**" أحد علمائها بدراسة مشروع لإنشاء قناة ملاحية تربط البحرين المتوسط بالأحمر مباشرة غير أن "ليبير" أخطأ فى تقديره لمنسوب البحر الأحمر ، فاعتقد أنه يعلو عن منسوب البحر المتوسط بمقدار ٣٠,٥ قدما (٩ و ٩ مترا) وعاد إلى فكرة ربط البحرين بواسطة النيل [٤٢] .

دخلت فكرة مشروع ربط البحرين موضوعا لبحث الكثير من المهندسين ورجال الأعمال ، حتى أن تكونت فى باريس فى نوفمبر ١٨٤٦ جمعية عرفت باسم "جمعية دراسات قناة السويس" ضمت عددا من المهندسين والخبراء الإنجليز والفرنسيين والألمان بقصد إظهار الصيغة الدولية للمشروع ، حتى جاء فرديناند دليسيبس بدعوة من سعيد باشا مقدما لسعيد مذكرة بمشروع القناة وفوائدها لمصر فمنحه سعيد امتيازا بحفرها . وبدأ الحفر فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ وافتتحت القناة فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ [٤٣] ، وتمتد قناة السويس فى الوقت الحاضر بين البحرين المتوسط والأحمر بطول يبلغ ١٠١ ميلا (١٦٢,٥ كم) من فنار بورسعيد إلى الطرف الجنوبى لرصيف بورتوفيق فإذا أضفنا إلى ذلك طول مدخليها الشمالى عند بورسعيد ومقداره أربعة أميال ، والجنوبى عند السويس ومقداره ميلان وثلث . كان

مجموع طولها مائة وسبعة وثلث ميلا (١٧٢,٧ كم) وتزدوج القناة فى ثلاث مناطق رئيسية ، أولها عند تفريعة بورسعيد بطول ٤ كم ، والثانية عند تفريعة البلاح (١٠ كم) ، والثالثة عند تفريعة كبريت بين البحيرات المرة الكبرى والصغرى وطولها ٧ كم . وتشهد القناة تطويرا فى توسيع القناة حتى ١٦٠ مترا مع زيادة العمق إلى ٣٣ مترا وهو أمر يسمح بالوصول بالغطس المسموح إلى ٣٠ مترا ، وهذا يعنى مرور الناقلات ذات حمولة ٢٩٠ ألف طن بكامل شحناتها وما زاد عن ذلك يمكن عبورها وتفريغ جزء من حمولتها فى خط أنابيب "السوميد" الذى يبدأ من العين السخنة جنوب السويس ثم إعادة شحنها من غرب الإسكندرية عند نهايته إلى جانب تزويد القناة بأحدث المعدات والأجهزة المساعدة للملاحة .

أهمية طريق قناة السويس فى ربط أواصر العالم :

لا تقع قناة السويس فى طرف من أطراف العالم بل فى قلب العالم القديم ذى الحضارة القديمة والموقع المتوسط الذى عبرته طرق النقل والمواصلات الرئيسية ، فقناة السويس أقصر الطرق الملاحية بين شرق الكرة الأرضية وغربها ، وأكثرها اقتصادا فى النفقات ، وتتراوح نسبة الوفر بين ٥٠% ، ٧٠% من المسافة فيما لو اتخذت طريق جنوب أفريقيا "طريق رأس الرجاء الصالح" ، وذلك تبعا لحمولة السفن وسرعتها واتجاهاتها : فقد وفر شق هذه القناة على السفن البريطانية ٤٠٠٠ ميلا إلى الهند و ٣٠٠٠ ميلا إلى الشرق الأقصى و ١٢٢٠ ميلا إلى استراليا ، ولذا فهذا الطريق يربط غرب أوربا بأقطار الشرق الأفريقي والآسيوى عبر البحر المتوسط وقناة السويس والبحر الأحمر والمحيط الهندى ، ويمثل هذا الخط المرتبة الثانية بعد خط المحيط الأطلنطى الشمالى ، ولو أنه أعظم من حيث قيمة وأهمية السلع بالنسبة للعالم الصناعى ، إذ تنقل عبره مواد أولية هامة وكميات ضخمة من البترول ، وتعتبر الحركة فى قناة السويس مقياسا للتقدم والتطور فى التجارة العالمية ، فإذا هبطت الملاحة فى القناة أدى ذلك إلى خفض تجارة العالم وبالتالى إلى حدوث هبوط وارتفاع فى الأسعار العالمية ، كما حدث أثناء غلق القناة سنة ١٩٥٦ وفى الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٥ م . وتجدر الإشارة إلى زيادة أهمية القناة بعد الانقلاب الصناعى سواء فى استخدام البخار فى السفن أم تطور

التجارة ، وشدة احتياج غرب أوربا الصناعى إلى أمرين : **الأول** : المواد الخام اللازمة لصناعته . والأمر **الثانى** : حاجته إلى أسواق لتصريف مصنوعاته ، وقد وجدها فى جنوب شرق آسيا .

وبذلك نجد إقليمين متباينين فى الإنتاج ، أحدهما غنى بالمواد الغذائية الأولية اللازمة للصناعة (الشرق الآسيوى) وهو فى الوقت نفسه مفتقر إلى المواد المصنوعة ، والإقليم الآخر صناعى غنى بصناعاته المختلفة غرب أوربا ومحتاج للوقود والمواد الأولية والطريق بينهما يعبر قناة السويس – وهو أقصر الطرق بينهما - هذا فضلا عن أنهما عالمان مزدحمان بالسكان يحتاج كل منهما للآخر بالضرورة .

كما أن قناة السويس تشرف على حوض البحر المتوسط بموانيه التجارية وأسواقه الهامة التى تفيد السفن العابرة فى التموين أو فى الاتجار مع السفن العابرة فتنزل السفن بعض بضائعها فى موانى البحر المتوسط ، وتأخذ غيرها من المنتجات إلى الشرق الأقصى أو الهند ، أما عن استخدام بعض السفن طريق الكاب "طريق رأس الرجاء الصالح" فإن ذلك يرجع إلى أن البضائع المحمولة لا تتعرض للتلف كالصوف أو الفحم ، ولا يهم الوقت فتوفر الرسوم المندفعة للقناة وعلى الرغم من هذه الرسوم فهناك السفن التى تدخل المحيط الهندى من شرق آسيا قادمة من أمريكا عبر المحيط الهادى ، وحين خروجها من المحيط الهادى تخرج عن طريق قناة السويس ، وتأتى سفن من شرق أفريقيا وتحمل الفحم للهند وسيلان ، أو فحما من أستراليا إلى سنغافورة وعند خروجها من المحيط الهندى تخرج من قناة السويس [٤٤] .

٢ – خطوط نقل البترول العربى :

قد زاد من أهمية موقع الوطن العربى وحيويته ظهوره كأكبر المناطق البترولية الكبرى فى العالم بإنتاج حوالى ٢٧% من الإنتاج العالمى للنفط ويحوى بين ثراه حوالى ٥٨% من احتياطى العالم منه ، مما جعل العوالم المهمة الأخرى تجعل منه قبلة توفر لها الوقود الميسر لحياتها الاقتصادية جميعها ، خاصة أن الوطن العربى لا يستهلك محليا سوى ١٨% من إجمالى إنتاجه النفطى ، بينما يصدر ٨٢% للخارج ، لكل من أوربا والشرق الأقصى والولايات المتحدة الأمريكية [٤٥] . الأمر الذى جعل من الوطن

العربى أهم الموانى البترولية فى العالم ، فهى موانى متخصصة فى تصديـر البترول ناشئة فى مناطق إنتاج البترول أو بالقرب منها ، حيث ينقل البترول الخام عبر شبكات من الأنابيب من الحقول إلى الموانى للتخزين والتجهيز والإعداد والتصدير عبر الناقلات البترولية المتخصصة ، وهذه الموانى مزودة بكافة الخدمات الخاصة بعملية تصدير البترول مثل الخزانات المختلفة والأشكال والأحجام ومعامل التكرير . ومن أهم هذه الموانى ميناء العين السخنة جنوبى السويس وسيدى كرير غرب الإسكندرية ورأس تنوره والخفاجى وينبع فى السعودية والأحمدى وعبد الله فى الكويت وجبل الظنة وجبل على والرويسى فى الإمارات وميناء الفاو فى العراق وميناء الفحل فى سلطنة عمان وموانى مرسى الحريقة والبريقة والزويتية ورأس لانوف فى ليبيا ومينائى سكيكده وبجايه فى الجزائر وأم سعيد فى قطر وسترا فى البحرين [٤٦] .

أهم خطوط نقل أنابيب البترول العربية :

أثر المكانة العالمية للبترول العربى يضم الوطن العربى شبكة واسعة من خطوط الأنابيب تنتشر فى أرجائه تنقل البترول من الدول المنتجة إلى موانى التصدير فى الخليج العربى وبحر العرب والبحر الأحمر والبحر المتوسط كما فى الشكل (٧) ، وتربطها بموانئ الاستيراد خطوط ملاحية عالمية ، وأهم هذه الخطوط توجد فى :

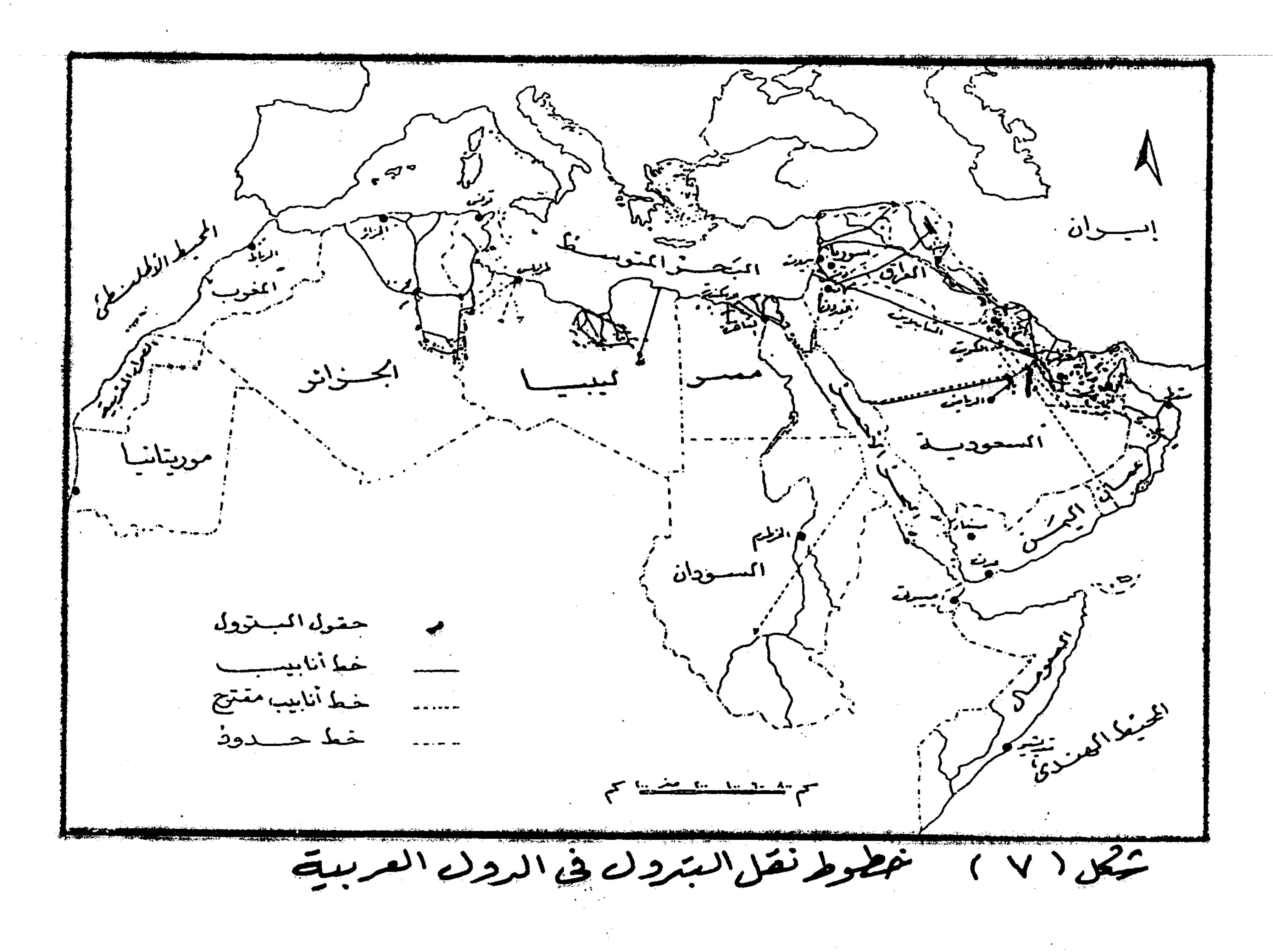
١-السعودية :

فهى أول منتج ومصدر للبترول العربى وتضم :

أ-خط التابلاين **T. A . P . Line** ، ويبلغ طوله ١٧١٢ كم وقطره ٣٠ - ٣١ بوصة ، وتقدر كفاءته بنحو ٣٠,٦ مليون طن سنويا ، يبدأ شرق السعودية منتهيا فى ميناء صيدا بلبنان ، تم إنشاؤه عام ١٩٥٠ م ويمر هذا الخط بأراضى الأردن وسوريا ولبنان .

ب-خط أنابيب الظهران - البحرين ، بطول ٥٠ كم حيث معمل التكرير الذى يتبع شركة البحرين .

جـ-خطوط أنابيب تربط معظم الحقول بساحل الخليج العربى أهمها عند ميناء رأس تنوره بطول ٢٥ كم ونتيجة للصراع الدائر فى إقليم الخليج



شكل (٧) خطوط نقل البترول في الدول العربية

العربى منذ ١٩٨٠ والذى لم ينته بعد ، اتجهت السعودية لإنشاء خط من شرق السعودية إلى غربها بطول ١٢٠٠ كم ينتهى عند ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر بطاقة ٦٠ مليون طن عام ١٩٨٥ .

٢-العراق :

تمتد مجموعة من الخطوط تربط بين حقول البترول وبعض موانئ الساحل الشرقى للبحر المتوسط وهى :

أ-خط كركور - طرابلس ، بطول ٨٥١ كم ، ويبلغ قطره ١٢ بوصة بكفاءة مليونى طن سنويا وأنشئ فى ١٩٣٤ م .

ب-خط كركور - طرابلس المتوسط ، بطول ٩٩٢ كم ، ويبلغ قطره ١٦ بوصة ، بكفاءة ٦ مليون طن سنويا ، وأنشئ فى ١٩٤٩.

جـ-خط كركور - بانياس ، بطول ٨٩٦ كم وبقطر ٣٠-٣١ بوصة وبكفاءة ٢٥ مليون طن سنويا ، وأنشئ فى ١٩٥٢ .

د-كذلك يمتد فى العراق خط أنابيب لنقل الغاز المستخرج من حقل الرميلة إلى البصرة ، لاستغلاله فى إدارة محطة توليد الكهرباء بطول ٣٧ ميلا .

هـ-خط كركور - حيفا ، بطول ٩٩٢ كم بقطر ١٢ بوصة ، أنشئ فى علم ١٩٣٤ وأوقف عام ١٩٤٨ بعد الاحتلال الإسرائيلى .

و-خط أنابيب يربط بين حقلى الرميلة والزير وميناء الفاو الجديد بطول ٣٤ ميلا وبقطر ٣٢ بوصة . وبسبب الحظر المفروض على العراق فإن هذه الحقول جميعها متوقفة حتى الآن .

٣-الكويت :

ينقل بترول الكويت عن طريق خطوط أنابيب الأحمدى من الآبار إلى ميناء الأحمدى على الخليج العربى بطول ٤٠ كم .

٤-الإمارات العربية المتحدة :

ينقل بها خط من الآبار إلى ميناء رأس الخفاجى ، وعدة خطوط أخرى من الحقول إلى موانى التصدير فى جبل الظنة بأبو ظبى وجبل على بدبى وخالد بالشارقة وجزيرة داث بأطوال تزيد على ٥٠٠ كم .

٥ - قطر :

بها خط من الأبار إلى ميناء مسيعيد ومن حقل دخـــان تفاديـــا لـــدوران الناقلات حول شبه جزيرة قطر .

٦ - عمان :

يوجد بها خط أنابيب ينقل خام البترول من الآبار إلى ميناء فحل .

٧-البحرين :

بها خط أنابيب ينقل خام البترول من حقل عوالى إلى ميناء سترة .

٨-اليمن :

بها خط أنابيب لمسافة ٤٠٠ كم من حقول اليمن فى أليف وصافر إلـــى ميناء رأس عيسى شمال ميناء الحديدة على ساحل البحر الأحمر .

٩-سوريا :

بها خط أنابيب من كراتشوك والسويدية إلى مصفاة البـــترول بحمـــص وميناء طرطوس .

١٠-الجزائر :

هناك عدة خطوط أنابيب بالجزائر هى :

أ-خط أنابيب يربط منطقتى عجيلة وتجنتى فى صحـــراء الجزائـــر عـــبر أراضى تونس إلى ميناء سخيرة على ساحل المتوسط بتونـــس بيـــن قـــابس وصفاقص .

ب-خط أنابيب من حقل حاسى مسعود إلى ميناء بجابة ، وخط آخـــر إلـــى ميناء سكيكدة على ساحل البحر المتوسط ، وأنشئ أخيرا خط ثالث من هـــود الحمراء إلى أرزيو بطاقة سنوية لهذه الخطوط جميعها تزيد على ٥٠ مليون طن [٤٧] .

ليبيا :

تضم ليبيا عشر شبكات لخطوط الأنابيب بطول أكثر من ٣٠٠٠ كم تصل الحقول البترولية بموانى التصدير على ساحل البحر المتوسط وهى :

أ-إلى ميناء مرسى البريقة : وبه ثلاثة خطوط فرعية : زلطن - البريقة ، زلطن - جبل ، راقوبة - الكيلومتر ١١٠ .
ب-إلى ميناء رأس السدرة وبه عشرة خطوط فرعية .
جـ-إلى ميناء رأس لانوف وبه أثنى عشر خطا .
د-إلى ميناء مرسى الحريقة وبه خط واحد من حقل سرير إلى مرسى الحريقة بطول ٥١٤ كم وبقطر ٤٠ بوصة .
هـ-إلى ميناء الزويتية وبه ثلاثة خطوط رئيسية .

١٢-مصر :

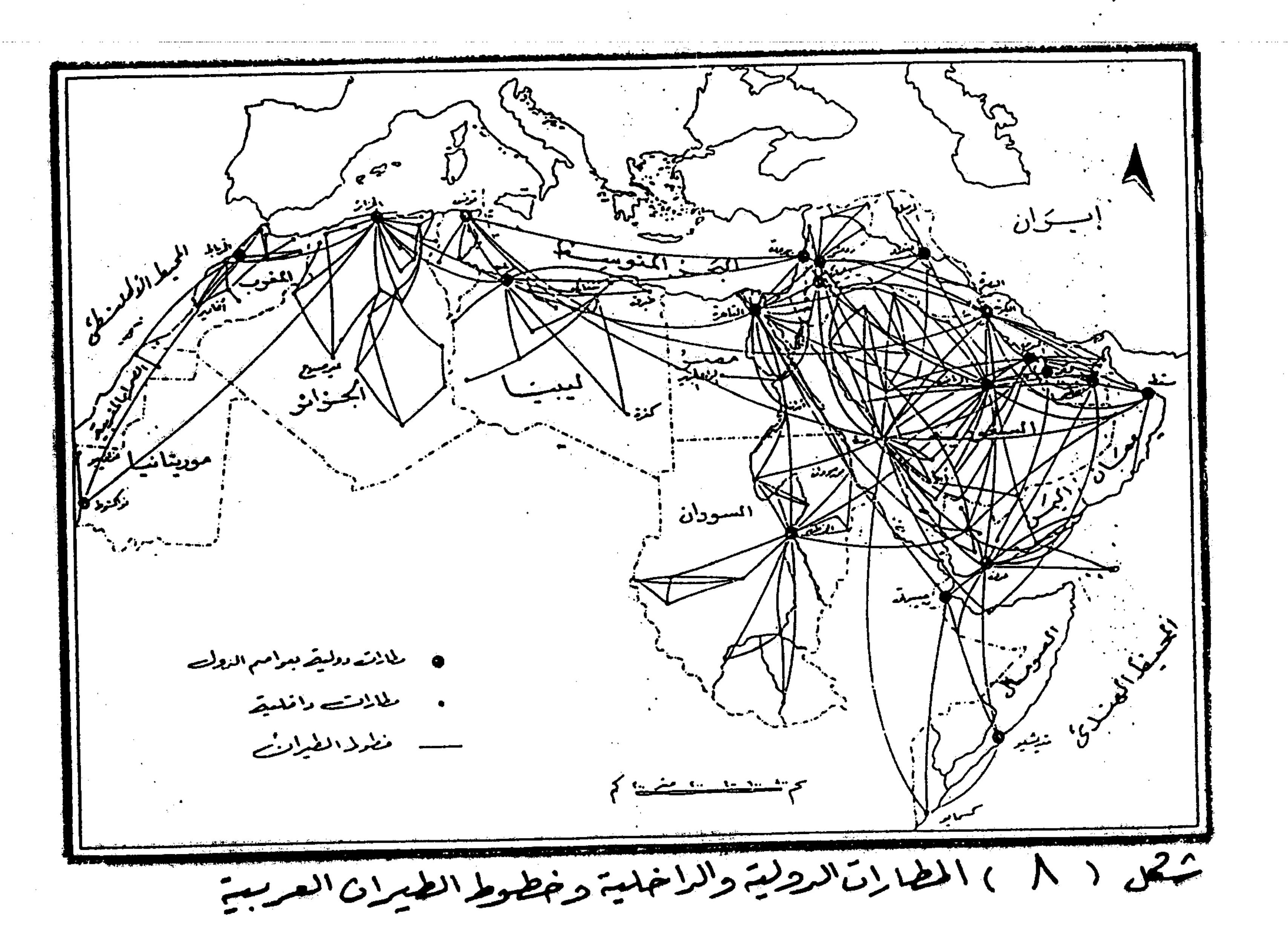
وبها عدة خطوط لنقل زيت البترول وهى :
أ-السادات - السويس .
ب-السويس - القاهرة .
جـ-القاهرة - طنطا .
د-طنطا - الإسكندرية .
إلى جانب خطوط أنابيب المنتجات البترولية بين القاهرة - حلوان ، القاهرة - طنطا ، الإسكندرية - طنطا (٤٨) .

٣ - أهمية النقل الجوي العربي:

يتسم الوطن لعربي بوسطية موقعه فى العالم وسهولة موضعه ، وانتظام مناخه ، حيث تقل ظاهرة الضباب والسحب ويسود الجو الصافى فى معظم أيام السنة ، الأمر الذى مكن من فاعلية النقل الجوى بالوطن العربي مما جعل مطاراته أداة ربط للعوالم المختلفة.

يتميز الوطن العربي بخطوط جوية تربط بين أقطاره من المحيط إلى الخليج بصورة جيدة كما فى الشكل رقم (٨) إضافة لذلك تمتاز الأجواء العربية ومطاراتها بأنها محاور رابطة لأرجاء المطارات العالمية المختلفة ، فكان لوقوع الوطن العربي فى الجزء الجنوبى الغربى لقارة آسيا العملاقة ، وفى الجزء الشمالى لقارة أفريقيا والمواجهة لقارة أوروبا والعالم الجديد الآتى:

زيادة أهمية الطيران العربى إثر تغلغلها فى قارة آسيا التى يحتل النقل الجوى فيها مركزا أساسيا بين أنواع النقل الأخرى خاصة فى المناطق



شكل (٨) المطارات الدولية والداخلية وخطوط الطيران العربية

الموسمية منها ، حيث يتوفر الإنتاج ويزدحم السكان ، وتزداد الصلات التجارية مع دول العالم الأخرى ، وتمتد من الدول العربية الآسيوية الخطوط التى تربطها بالعواصم الآسيوية من أهمها مطارات كراتشى فى باكستان ونيودلهى وبمباى وكلكتا فى الهند ورانجون وبانكون فى الصين الهندية وكانتن وشنغهاى وبكين وطوكيو ومانيلا فى دول الشرق الأقصى والمرتبطة بمطارات جده وبيروت ودمشق وعدن ومسقط وأبو ظبى والكويت والدوحة وبغداد والظهران والتى تربطها المطارات الآسيوية بمطارات الأمريكتين من جهة الغرب ، أما الخطوط التى تربطها باستراليا فتتمثل فى مجموعة من الخطوط التى يبدأ بعضها من القاهرة وتتجه نحو كراتشى عن طريق دمشق وبغداد وطهران أو عن طريق جده والرياض ، وبعضها الأخر يبدأ من الخرطوم أو من أديس أبابا ويتجه نحو عدن ومنها إلى كراتشى أو إلى بمباى ، حيث تعتبر كراتشى بابا للملاحة الجوية فى آسيا نحو الشرق [٤٩] .

كما تربط المطارات العربية الآسيوية بين مطارات أوربا وآسيا بمجموعة من الخطوط الجوية ، وتتخذ هذه الخطوط من القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد نقط ارتكاز لها بعد أن تصل إليها من أوروبا عبر المجال الجوى للبحر المتوسط ، ثم تتجه منها شرقا إلى كراتشى ، ويعتبر هذا الطريق – على الرغم من طوله – أفضل من الطريق الآخر القصير الذى يربط بين شرق أوروبا (روسيا) وجنوب سيبيريا ، والذى يستمر بعد ذلك حتى جهات شرق آسيا وجنوبها الشرقى .

وتعتبر مطارات الجناح العربى الإفريقى الممثلة فى القاهرة والدار البيضاء والجزائر ووهران وطرابلس وبنغازى والخرطوم نقط ارتكاز تستأنف منها الطائرات القادمة من أوروبا عبر البحر المتوسط اتجاهها نحو شرق أفريقيا وجنوبها وغربها ، وتفضل الطائرات البريطانية المتجهة إلى شرق أفريقيا ووسطها وجنوبها – عادة طريق القاهرة – حتى تتبع النيل إلى الخرطوم ، ثم تتجه بعد ذلك من الخرطوم إلى نيروبى وممبسة ودار السلام ، أو إلى عنتبة وسالسبرى وجوهانسبرج ومدينة الكاب .

وقد اهتمت بريطانيا فى السودان – قبل سنة ١٩٥٦ – بإنشاء عدد من المطارات التى تمتد على محور شمالى جنوبى فى وادى حلفا والخرطوم

وملكال وجوبا ، لكى يكون كل واحد منها بديلا مناسبا عندما تحول بعض الظروف الجوية دون استخدام المطارات الأخرى .

وتعتبر طرابلس مدخلا جويا ثانيا إلى جهات وسط وجنوب أفريقيا ، ويمتد منها طريق جوى إلى كانو فى نيجيريا ، أو طريق آخر إلى وادى حلفا ، حيث يلتقى بالطريق السابق والممتد من القاهرة إلى الخرطوم، وقد تحولت معظم الطائرات البريطانية إلى هذا الطريق الأخير عندما قطعت مصر العلاقات بينها وبين بريطانيا عقب الاعتداء الثلاثى عليها سنة ١٩٥٦ ، وعقب حرب يونية سنة ١٩٦٧ بين مصر وإسرائيل ، إلا أنها رجعت إلى مساراتها العادية الآن (٥٠) .

٤ - الوضع المعلوماتى والإعلامى العربي :

مرت الأمة العربية بما يمكن أن نسميه بثورات أثرت فى الوضع المعلوماتي والاتصالات والإعلام العربي خلال العصر الحديث . وقد جاءت **الثورة الأولى** مع اختراع الطباعة عندما حمل نابليون بونابرت أول المطابع العربية إلى مصر عام ١٧٩٨ كان ينقل ثورة هائلة تكنولوجية يمكنها لأول مرة نقل وتوزيع الثقافة العربية على نطاق واسع ، وقبل وجود المطبعة العربية كان عدد المتعلمين والقادرين على القراءة والكتابة محدود للغاية ، لأن عدد الكتب والمطبوعات كان مقيدا بمدى القدرة على النسخ ، والتمويل المتوافر للنساخ للقيام بهذه المهمة الشاقة ، وبالتالى كان عدد المثقفين محدودا للغاية ، بل العارفين بالكتاب والسنة الشريفة كانوا أكثر محدودية ، وعندما جاءت المطبعة تم التمكن من الترجمة عن ثقافات أجنبية ، وطباعة القرآن وأمهات كتب الثقافة العربية ، والأهم هو أن فكرة التعليم الشامل أصبحت متاحة لأول مرة فى التاريخ ، بعد أن كانت المدرسة مجرد الكتاتيب والجامعة هى الأزهر .

ظهرت **ثورة المعلومات الثانية** مع منتصف القرن التاسع عشر بالوطن العربي مع اختراع البرق والتلغراف ، وكلاهما أدى لظهور الصحافة المكتوبة ، وقد تلقف الوطن العربي هذه الثورة ، وبرزت الصحافة اللبنانية ، ومن بعدها المصرية بظهور صحيفة الأهرام فى ٤ أغسطس ١٨٧٥ كبداية عصر ظهر ولا يزال مستمرا حتى الآن ، تصاعد فيه الوعى

القومى ورفع الوعى السياسي لمقاومة الاستعمار والسعى نحو التحرر والاستقلال ، والأهم هو الانفصال الثقافى والفكرى عن الدولة العثمانية ، ومع ذلك فإن نشوء الصحافة وانتشارها لم تؤد - كما حدث فى البلدان الأخرى - إلى نشوء حركات ليبرالية قوية ذات تقاليد فى التسامح وقبول الآخر ، وذات قدرة على فحص قضايا الواقع الثقافى والتنموى والسعى نحو تغيير ما فسد منها ، وعلى العكس من ذلك فإن الصحافة العربية فى العموم لم تتجاوز كثيرا مرحلة مقاومة الاستعمار . وظلت على تقاليدها التعبوية حتى بعد الاستقلال (٥١) .

وبدأت **ثورة المعلومات الثالثة** باختراع الراديو وبدأت محطات الراديو المتعددة تتكاثر فى المدن العربية بالعشرات ، وبدأت فى مصر عام ١٩٢٤ وظلت على ذلك الحال عشر سنوات كاملة حتى عام ١٩٣٤ حينما أغلقت الحكومة المصرية كل المحطات الإذاعية ، وأبقت على المحطة القومية المركزية المعبرة عن الدولة . ومن يومها باتت الإذاعة تعبيرا سياسيا عن الدولة الوطنية التى لم تلبث أن تخلصت عام ١٩٤٨ من شركة ماركونى التى لا تزال تدير الإذاعة المصرية باعتبار الإذاعة واحدة من أهم رموز السيادة التى لا يجوز تركها فى يد شركة أجنبية ، وبالتأكيد فإن الإذاعة قد وصلت خلال الخمسينات ، ومع ثورة يوليو المصرية تحديدا إلى أن تكون قمة الأدوات التعبوية للدولة الوطنية ، ولكن ذلك لم يكن لصالح بناء الدولة فى كل الأحوال ، بل كان كثيرا ما كان أداه الزعيم الملهم دائما فى الحديث الدائم عن إلهامه الذى لا ينقطع . . وكان للراديو الترانزيستور الذى أتاح أحجاما صغيرة للراديو يمكن الانتقال بها دون تقيد بقيود المكان الذى يوجد فيه مصدر الكهرباء ، وبالتالى كان ممكنا ملاحقة المواطن أينما كان دون التقيد بمشاكل التنمية ، وكان التليفزيون الذي وصل إلى الميادين العامة ينقل صورة انتقائية لإنجازات الدولة ومعجزات الثورة ، بعد أن أصبح احتكارا للحكومات والقيادات العربية المختلفة الأيديولوجية ، وكان جهاز التسجيل الذى أتاح ربما لأول مرة استقلالية للإنسان العربي والمسلم للتعامل المستقل مع ما يريد سماعه .

وهكذا ظهرت ثورات المعلومات المتوالية فى الوطن العربي والإسلامى ، وكان لها دور فى بناء الدولة العربية الوطنية ، كما كان لها دور فى

التحرر والاستقلال سواء من الاستعمار أو الطغيان المحلى ، وكان استخدام جمال عبد الناصر فى مصر لإذاعة صوت العرب مثاليا فى نشر الثورة والتمرد على القوالب التقليدية وتغيير المجتمعات القديمة ، ومع ذلك فإن هذه الثورات لم تنجح فى سد الفجوة مع الغرب أو تحسين صورة العرب فيه أو التحديث العربي [٥٢] .

وصلت **ثورة المعلومات الرابعة** إلى المجتمعات العربية وسط ظرفين : أولهما . وجود الفجوة الرقمية بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية من حيث المعلومات أكبر مما كانت ، حيث أن ٨٨% من مستخدمى الإنترنت يوجدون فى العالم المتقدم وتستحوذ الولايات المتحدة وحدها على ٥٠% . وثانيهما مجيئ ثورة المعلومات مع تراجع الاقتصاد العربى خلال التسعينيات ، حيث تراجع تجارة العرب إلى ٣,٢% بعد أن كانت ٧,٦% من العالم عام ١٩٨٣ .. ومع ذلك جاءت تكنولوجيا المعلومات الجديدة إلى الوطن العربى بقوة ، وكان أول أثارها الواضحة فى مجال الصحافة حينما ظهرت الصحافة العربية الدولية ممثلة فى جرائد ومجلات مثل الشرق الأوسط والحياه والأهرام الدولى والقدس العربى وغيرها من الصحف والمجلات ، وبدى من غير الممكن لأدوات الرقابة التقليدية العربية على الصحف أن تتابع كل هذا الإنتاج الضخم ، وبالتالى أخذت عملية منع الصحف من دخول البلدان العربية فى التراجع ، وبعد أن منعت صحيفة الحياة من الدخول فى بلدان عربية ٦٠ مرة عام ١٩٩٤ ، هبط ذلك إلى ٣٥ مرة عام ١٩٩٥ ثم جاءت إلى ٢٠ مرة عام ١٩٩٧ ، وهكذا حتى توقفت تقريبا [٥٣] .

الفضائيات العربية :

كانت بدايتها المحطة المصرية عام ١٩٩٠ ثم محطة MBCعام ١٩٩١ ثم محطة ART عام ١٩٩٣ ، وفى عام ١٩٩٤ ظهرت الفضائية الأردنية والمغربية واللبنانية LBC ، وبعد عامين أضيفت محطة فضائية مصرية أخرى ، معها ظهرت شبكة محطات أوربت وقناة المستقبل ، وفى عام ١٩٩٧ ظهرت قناة ANN، وفى العام التالى ظهرت شبكة خدمات النيل .

القمر الصناعى المصرى نايل سات ١٠١ :

تم توقيع عقد تصنيع وإطلاق القمر الصناعى المصرى نايل سات Nile Satاحد أهم المشروعات الإعلامية العملاقة كركيزة أساسية لتحقيق انطلاقة جديدة فى عصر الثورات التكنولوجية والإعلامية فى الفضاء عام ١٩٩٧ .
ويأتى القمر الصناعى المصرى مدعما ومتكاملا مع القمر الصناعى العربى (عربسات) ، إذ أن عدد قنوات الإرسال فى المنطقة العربية تحتاج المضاعفة عشر مرات ، حتى تصل إلى ما حققته الدول الأجنبية فى هذا المجال ، كما أن القمر الصناعى المصرى سيوفر إمكانيات ترددية فى المجال الفضائى لم يستفاد منها فى الجيل الأول للقمر الصناعى العربى ، ولن يوفرها الجيل الثانى له ، وبذلك يضاف إمكانيات جديدة فى المجال الفضائى ، فى وقت توجه فيه الأقمار الأجنبية اهتمامها للمنطقة العربية ، وتسعى لغزوها فضائيا ، لا سيما أن المجال أمامها خال تماما ، ومع وجود القمر الصناعى بتشجيع عربى سيحمى المنطقة من هذا التوجيه .
ويمتاز القمر الصناعى المصرى بأن القوة الإشعاعية له مؤثرة ، بمعنى أن المحطات العربية ستستقبل بثه بسهولة وتغطيه أوسع لعدد ١٢ قناة ، وله قدرة اختيارها من بين ١٨ قناة ، وهذا يعنى أن القناة ستكون واضحة بدون تشويش خارجى ، فضلا عن وجود ٤ قنوات حماية فى حالة حدوث أى أعطال لأى قناة ، ويغطى القمر الصناعي المصرى فى المرحلة الأولى مصر والدول العربية ، ثم تتسع مساحة التغطية لتشمل أفريقيا والدول الإسلامية ، خاصة الجمهوريات الإسلامية فى أواسط آسيا ، ثم أوروبا وأمريكا ، وهو المجال نفسه الذى سادت من قبل القناة الفضائية المصرية .
وتفرض الضرورة أهمية إطلاق القمر الصناعى المصرى ، إذ أن المدار الثابت الذى تعلق عليه الأقمار على ارتفاع ٣٦ ألف كم فوق خط الاستواء صار مدارا مزدحما لغاية ، وبعد أن كانت منظمة الاتصالات الدولية تضع أسس الفرق الزاوى بين قمر وآخر ، حتى لا يتداخل بثهما بمقدار ٥ درجات ، ثم هبطت بهذا الرقم إلى ٣ درجات ، وبالتالى فحجز موقع فى هذا المدار صار طلبا صعب المنال ، فموقع مصر محجوز منذ عام ١٩٧٧ ، وتأتى ضرورة وجود قمر صناعى مصرى فى الفضاء الخارجى من أن أقمار

العربسات انتهى عمرها الافتراضى نهاية ١٩٩٧ ، وكان لابد من التدخل سريعا لامتلاك ناصية الأمور والسماء العربية .

وتبلغ قنوات القمر الصناعى المصرى ٥٦قناة استخدمت فيها وسيلة تكنولوجية حديثة تعتمد على سرعة نقل الصورة على الشاشة امام المشاهد من قناة إلى أخرى ، فعدد القنوات الهندسية ١٢ ولكن سرعة نقل الصورة تجعل عدد القنوات الفعلية بتردد ١٧,٣ و ١٨,١ هرتز جيجة [٥٤] .

نايل سات ١٠٢ :

قد تأكد أن القمر الصناعى الأول نايل سات ١٠١ ، قد حقق هذفه الأساسى ، حيث امتلأ بجميع القنوات التليفزيونية والتى بلغ عددها ٦٥ قناة ، ومن ثم جرى الاستعداد لإطلاق القمر الصناعى الثانى فى أكتوبر عام ٢٠٠٠ ، ويحمل ١٢ قناة قمرية تبث ٨٤ قناة رقمية ، لتغطية جنوب أوروبا والشرق الأوسط والقاة الإفريقية ، وتوفير قنوات احتياطية للقمر الأول ، كما أنه مجهز بإمكانيات إتصالية جديدة تمكنه من تقوية الاتصالات ودعم التبادل الإخبارى وخدمات المعلومات [٥٥] .

وبرزت نتيجة لما سبق فى العام الحالى (٢٠٠٢) أول الفضائيات المصرية الخاصة ممثلة فى قنوات دريم والمحور ، وفى الوقت الراهن ربما يكون عدد الفضائيات العربية قد تجاوز الخمسين محطة ، تبث على العالم العربي والعالم أجمع [٥٦] .

واستطاع الإعلام العربي أن يوضح للعالم من خلال قنواته المختلفة لأول مرة الاجتياح الصهيونى لأراضى السلطة الفلسطينية ، تلك الميزة التى كانت مفقودة ، والتى أوضحت ان سلاح الإعلام تزيد أهميته عن سلاح الحروب . فقد نادت الأصوات الغربية الموالية لإسرائيل وأمريكا وطالبت المسئولين والرموز بضرب قناة "الجزيرة" والتعامل معها باعتبارها هدفا حربيا ، وأن تدميرها يعد من الأولويات ، لأنها تمتلك قوة تفوق قوة "الانثراكس" أو الجمرة الخبيثة [٥٧] .

جدوى تكنولوجيا المعلومات العربية :

بدأت خلال السنوات القليلة الماضية تكنولوجيا معلومات الإنترنت فى الانتشار داخل الوطن العربي ، وبعد أن كان عدد المستخدمين ٦٠٧ ألف

فقط عام ١٩٩٩ ، فإنه قفز فورا فى عام ٢٠٠٠ ، بسبب التوسع الهائل فـى الإمارات والسعودية والأردن ومصر إلى ثلاث ملايين مستخدم ، وبات مـن المقدر أن معدلات نمو هذا القطاع من المعلومات يصل إلى ١٤٠% سنويا ، وقد اقترن ذلك بالتوسع الشديد فى المواقع العربية حتى وجدت الحكومـات ، بما فيها الوزارات الأمنية - الدفاع والداخلية - وحتى أجهزة المخابرات أنـه عليها تقديم معلومات للمواطنين عن أنشطتها . . وفى عام ٢٠٠١ كان هناك ٢٥ مليون يستخدمون التليفون المحمول فى الشرق الأوسط ، ويشكل الشباب الغالبية فى الدول العربية ، كما بدأت جهود التعليم تثمر فى توسيع النخبـة التى تطالب بالمعلومات ، ومع درجة من التحول إلى اقتصاد السوق توجـد سوق للإعلانات بلغت قيمته ١,٥ مليار دولار . ومن المؤكد أن قيام مـدن الإنتاج الإعلامى فى القاهرة وعمان وبيروت ودبى زاد من العملية الإنتاجية الإعلامية ، خاصة بعد أن تحسنت وبقوة البنية الأساسية للاتصالات . وقـد خلفت هذه الثورة نتائج إيجابية حينما أتـاحت للمواطـن العربـي العـادى معلومات لم تكن متاحة من قبل وخلفت اتجاهات تعددية وليبراليـة بسـبب تنوع مصادر المعلومات وقفزت من فوق رأس الحكومات العربية ، ونتيجـة المنافسة الشديدة تحسنت نوعية الإعلام ، وظهر التنوع الشديد فـى الثقافـة العربية ، وحدث اندماج أكبر بين عناصر النخبة العربية ، كمـا ارتبطـت النخبة العربية فى المنافى العالمية بأقرانها فى البلدان العربية (٥٨) .

كما خلفت ثورة المعلومات نتائج سلبية ليست قليلة على الوطن العربـي ، فرغم ظهور التنوع فى الرأى والثقافات فإن الميل كان دائما من أجل إيجـاد التوحد فى الرأى الذى يعد الخروج عليه جريمة ، وبشكل ما فـإن انتشـار تكنولوجيا المعلومات الجديدة جاء معه أنواع من النفاق الجماعى الذى يتيـح الإعلان المستمر عن السلع الغربية والأمريكية أساسا ، بينما يكون الغـرب والولايات المتحدة موضع الرفض المستمر ، وفى واحـدة مـن دراسـات الإعلانات وجد ان أكثر السلع إعلانا فى وسائل الإعلام العربية الحديثة هـى لسيارات فورد وتيوتا ونيسان وسـجائر مـارلبورو والمنتجـات الصحيـة الأمريكية والحلوى الأمريكية والأوروبية ، ورغم ذلك فقد كـانت الثـورة التكنولوجية الإعلامية أداة فى زيادة الفجوة والفرقة مع العالم ، وبالتأكيد فإن وسائل الإعلام العربية لم تفلح فى تحسين صورة العرب فى الغرب ، بـل

كانت أداة تعبوية جديدة لتمجيد الديكتاتوريات ورفض العولمة التي هي أساس الثورة الإتصالية المعاصرة ، وارتباط ذلك كله بتجاهل القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأساسية في الوطن العربي (٥٩) .

التحدى الأهم :

تواجه البلدان العربية بل والإسلامية كل من كانت له مشكلات قديمة أو حديثة مع الإسلام والمسلمين ، إذ وجد في هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ فرصته التاريخية فانتهزها وإذا كان الإعلام الغربي والأمريكي مشهودا له بالقوة والقدرة على التأثير في المشاهد ، مما ساعد على تكثيف التشوه للإسلام والمسلمين ، فإن عدم قدرة المجتمعات المسلمة في تقديم صورة بديلة أضاف بدوره إلى هذا التشوه ، الأمر الذي يطرح بدوره الحديث عن الدور الذي يجب أن يضطلع به المسلمون لتصحيح صورة الإسلام وتوضيح عدالة قضيتهم ، خاصة وأن العالم يبدي اهتماما غير مسبوق لمعرفة الإسلام وقيمة ورسالته ، الأمر الذي يفرض ضرورة التنسيق بين الدول العربية والإسلامية لعمل استراتيجية إعلامية تقدم الصورة الصحيحة للإسلام في العالم الغربي ، وذلك من خلال إنشاء قناة فضائية إسلامية عالمية ناطقة بأكثر من لغة عالمية ، تشرف عليها منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة الجامعات الإسلامية والجامعات العربية ، تشجع ثقافة الحوار ، ويتم التمويل اللازم للقيام ببحوث علمية لتطوير العمل الإعلامي وإستثمار المعطيات الحديثة وثورة الاتصالات لتحقيق أوسع انتشار للرسالة الإسلامية . ذلك إلى جانب ضرورة التنسيق مع القنوات الفضائية العربية والإذاعات الدولية والصحف الناطقة باللغات الأجنبية ومعدي المواقع على الإنترنت ، كما تفرض الضرورة الاستعانة بالدعاة والمفكرين والمؤهلين لغة وثقافة ومعرفة دقيقة بتاريخ الإسلام ودعاوى المستشرقين المنحازة وكيفية الرد عليها ، وإرسالهم إلى أوروبا وأمريكا لعقد الندوات والمحاضرات وإثارة القضايا الفكرية ذات الصلة .

الفصل الرابع
بنية وتضاريس الوطن العربى

بنية وتضاريس الوطن العربى

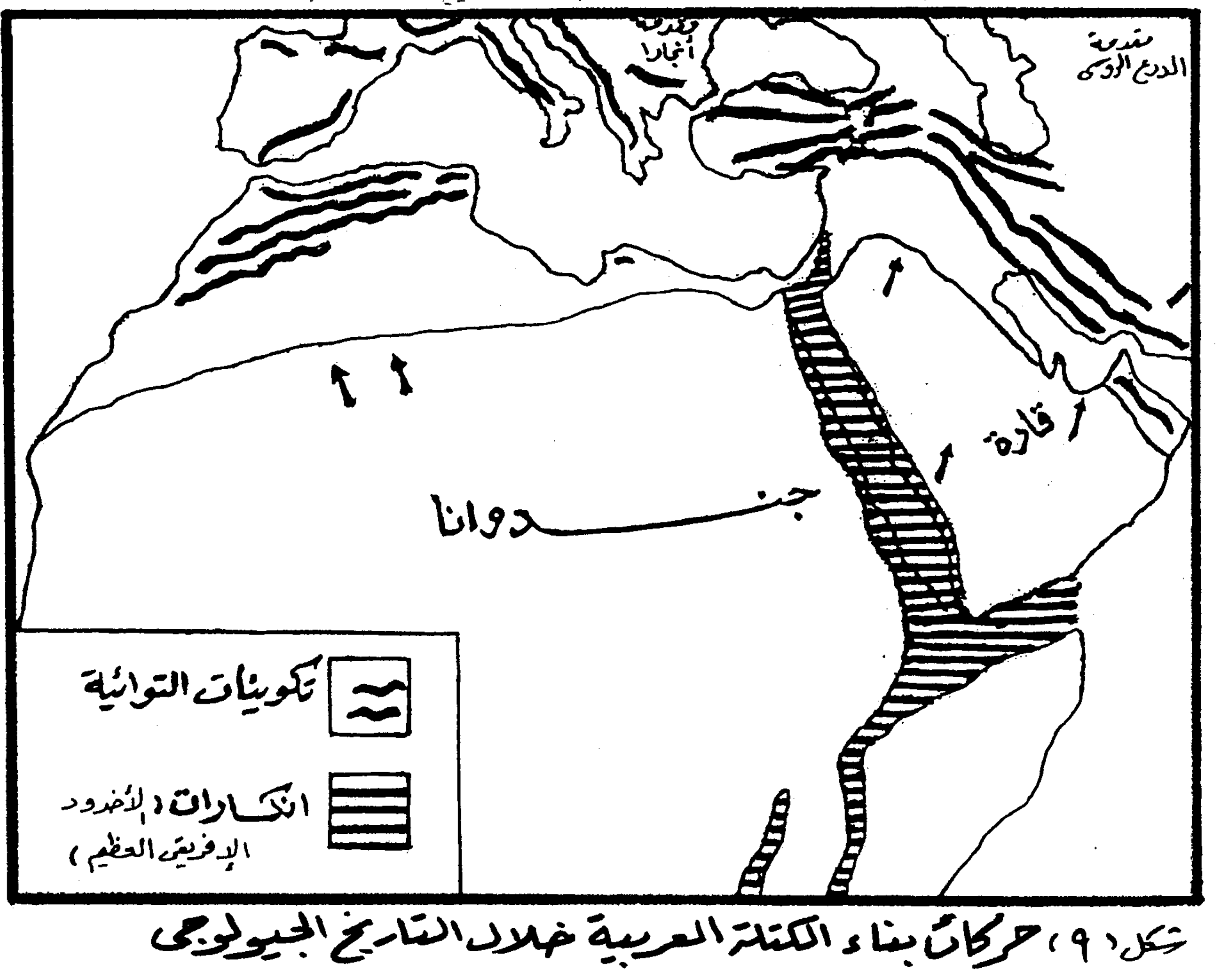
كأن الله تعالى جعل الكيان العربي حتى في بنائه الطبيعي منذ بدء الخليقة كتلة واحدة صلبة متماسكة ، ثم كان لتقدمها في السنين والأحقاب أنها شهدت انفصالا ثم تنوعا تضاريسيا ، كان وراءه الأحداث البنيوية في أجزائه والتى نستكشفها من خلال دراسة التركيب الجيولوجي للكتلة العربية وقراءة لأوراق هذا التاريخ الطويل :

الأصول الجيولوجية للكتلة العربية :

كانت الكتلة العربية ترتكن على نواة أو قاعدة كبيرة من كتلة جندوانا القديمة التى كانت تضم معظم القارة الأفريقية بما فيها من دول الجناح العربي الإفريقي ، فضلا عن هضبة البرازيل غربا ، ثم هضبة شبه الجزيرة العربية وهضبة الدكن ومدغشقر وغرب استراليا شرقا . وهناك ندرك مدى صلابة صخور هذه الكتل المكونة لقارة جندوانا ممثلة القاعدة للكتلة العربية من صخور (النيس - الشست - البازلت) .

وما أن كانت بداية الزمن الجيولوجي الثاني على أقدم تقدير ، حتى جاءت الأحداث البنيوية الباطنية التى مزقت جندوانا وتزحزحت أجزائها ، إذ يجب أن نتصور مقاومة هذه القاعدة الصلبة في بعض الأجزاء واستجابتها في بعض الأجزاء الأخرى المسئولة من ما نتبينه من تأثير وفاعلية الحركات الباطنية البطيئة سواء كانت أفقية زاحفة (ينتج عنها الجبال الالتوائية) أو كانت رأسية قافزة أحيانا أخرى (ينتج عنها الجبال الانكسارية) ، إلى جانب ما نتبينه من تأثير وفاعلية الحركات الباطنية العنيفة المفاجئة ، للزلازل والبراكين أحيانا أخرى [١] .

أولا: الحركات الباطنية الأفقية ، حيث تزحزحت كتلة النواة أو القاعدة في اتجاه الشمال كما فى الشكل (٩) ، لتقابل وتلتحم بكتلة الرصيف الروسي وقارة انجارا القديمة بالشمال وكان هذا التحرك البطيء على المدى الجيولوجي مسئولا عن ضغط جانبي على الرواسب التى كانت قد تراكمت على الأطراف الشمالية للكتلة العربية ، والجنوبية لكتلة الرصيف الروسي وانجارا القديمة والتى أسفرت عن الإلتواءات وامتدت السلاسل الجبلية الالتوائية التى تمتد على محاور عامة من الشرق إلى الغرب ، سواء كانت هذه الالتواءات في الأرض العربية أو على الهامش الذي يحدد امتدادها

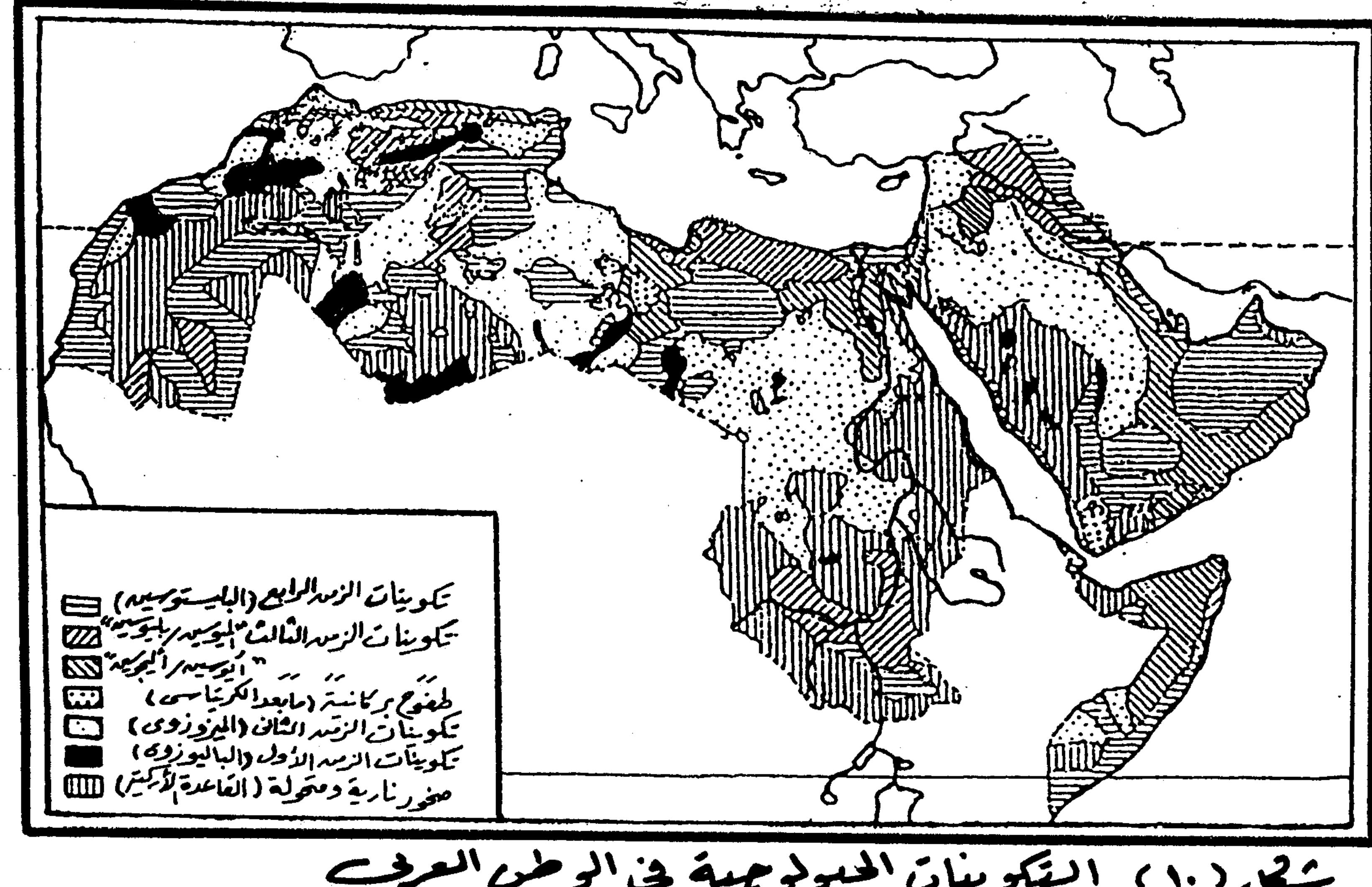


شكل (٩) حركات بناء الكتلة العربية خلال التاريخ الجيولوجي

الشمالي مثل (طوروس وزاجروس وكردستان وسلاسل جبال أطلس وعمان) خلال الزمن الجيولوجي الثالث ، ويبدو أن هذه الضغوط قد توالت على المدى الجيولوجي الطويل إلى حد أننا نتلمس من آثارها التواءات تنتمي لأكثر من دورة من الدورات الألتوائية على سطح الأرض ، فهناك التواءات تنتمي للدورة الكلدونية في الزمن الجيولوجي الأول ، والتواءات تنتمي للدورة الهرسينية أو أخر الزمن الجيولوجي الأول والتي أجارت عوامل التعرية عليها وسوت بها السطح وطمست معالم التضرس الألتوائي فيها . وإجمالا لا زالت هذه الأرض التي تمثل قطاعات من مناطق الضعف القشري معرضة لفعل وفاعلية الحركة الأفقية وما تترتب عليها من ضغوط جانبية ، الأمر الذي يؤدي الي تعرض هذه الأرض للهزات الزلزالية من آن لآخر بشكل يكشف عن معني الضعف لقشرة الأرض الي جانب فاعلية الحركات الباطنية الأفقية في صياغة وإنجاز التكوين التضاريسي وخطوطه العامة [٢] .

ثانيا : الحركات الباطنية الرأسية : وقد توالت على سبعة آلاف كم والتي كونت الانخفاض الأخدودي الإفريقي العظيم **greatest rift valley** . الذي بدوره شق قلب الكتلة الجندوانية شقا ، فبدأ الفصل الواضح بين امتداد كتلة النواة التي تمثل قاعدة التكوين التضاريسي على صعيد الأرض العربية الأفريقية وامتداد كتلة النواة (الدرع العربي) تمثل قاعدة التكوين التضاريسي على صعيد الأرض العربية الأسيوية .

كان من شأن هذه الحركات الرأسية ارتفاع الحافتين الشرقية والغربية التي تحيط بالهبوط الذي اندفعت إليه المياه وكونت البحر الأحمر بحافتيه "أو البحيرة العربية " وكان بذلك لهذه الحركات الباطنية الرأسية الأثر الأكبر في بناء التكوين التضاريسي لسلاسل جبال البحر الأحمر على الجانب الإفريقي كحافة غربية والسروات على الجانب الأسيوي كحافة شرقية إلى جانب تكون خليج عدن والقرن الإفريقي .وكان لهذه الأحداث أن تتسبب في تكوين الطفوح البركانية وانتشار غطاءات متفاوتة السمك والعمق على الصعيدين الإفريقي والأسيوي وقد خلفت هذه الأحداث تكوينات مختلفة بناءا على فعل الحركات المختلفة خلال الأزمنة المختلفة والتى يوضحها بصورة أفضل الشكل (١٠) .



شكل (١٠) التكوينات الجيولوجية في الوطن العربي

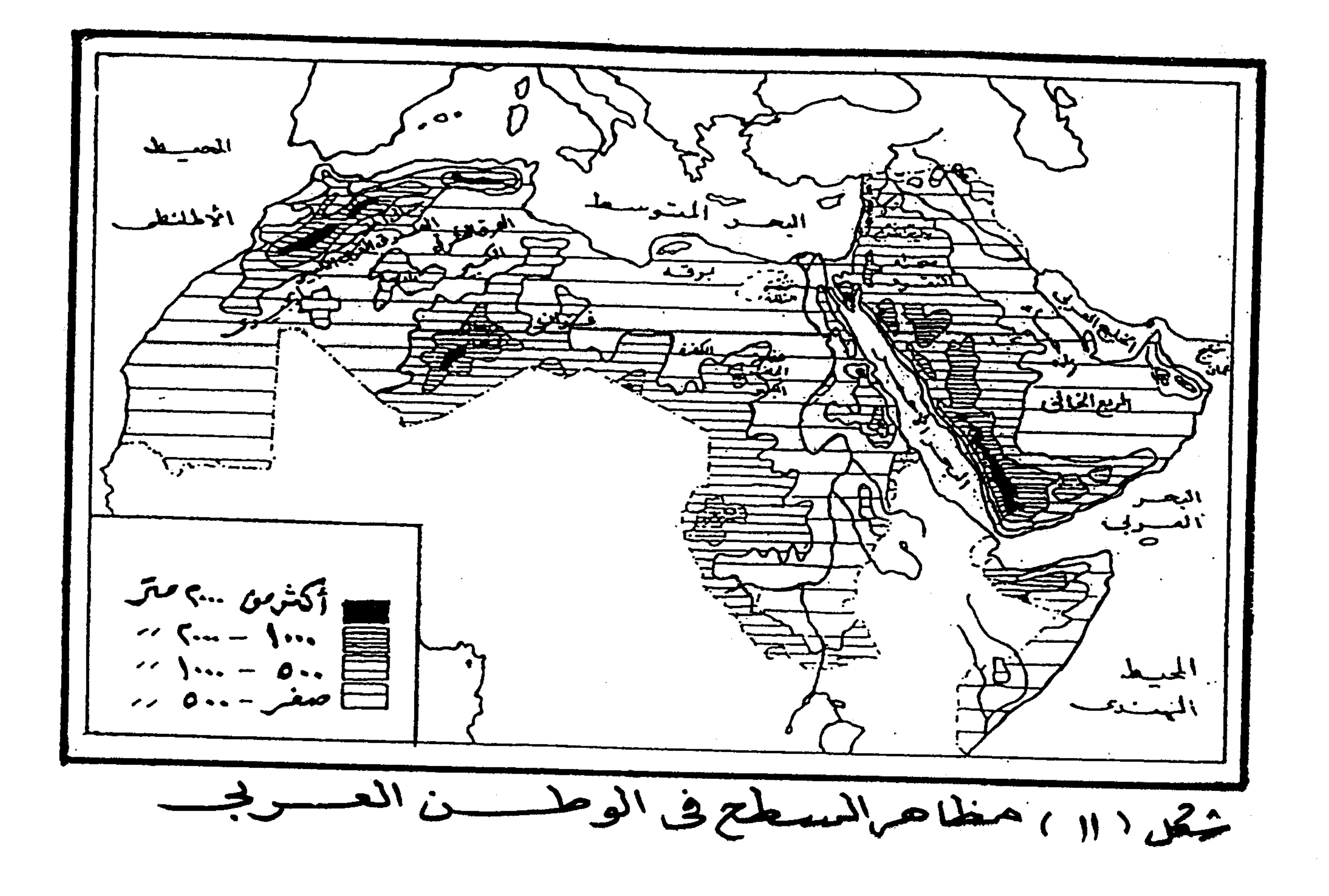
بعد العرض السريع لما سبق يتثنى لنا أن نقسم الوطن العربى إلى خمسة أقسام تضاريسية كبيرة متميزة كما فى الشكل (١١) ، وذلك على الآثار الناتجة عن بنائها الجيولوجى الطويل كما يلى :

(١) الوحدة المتضرسة شرق الأرض العربية الآسيوية :

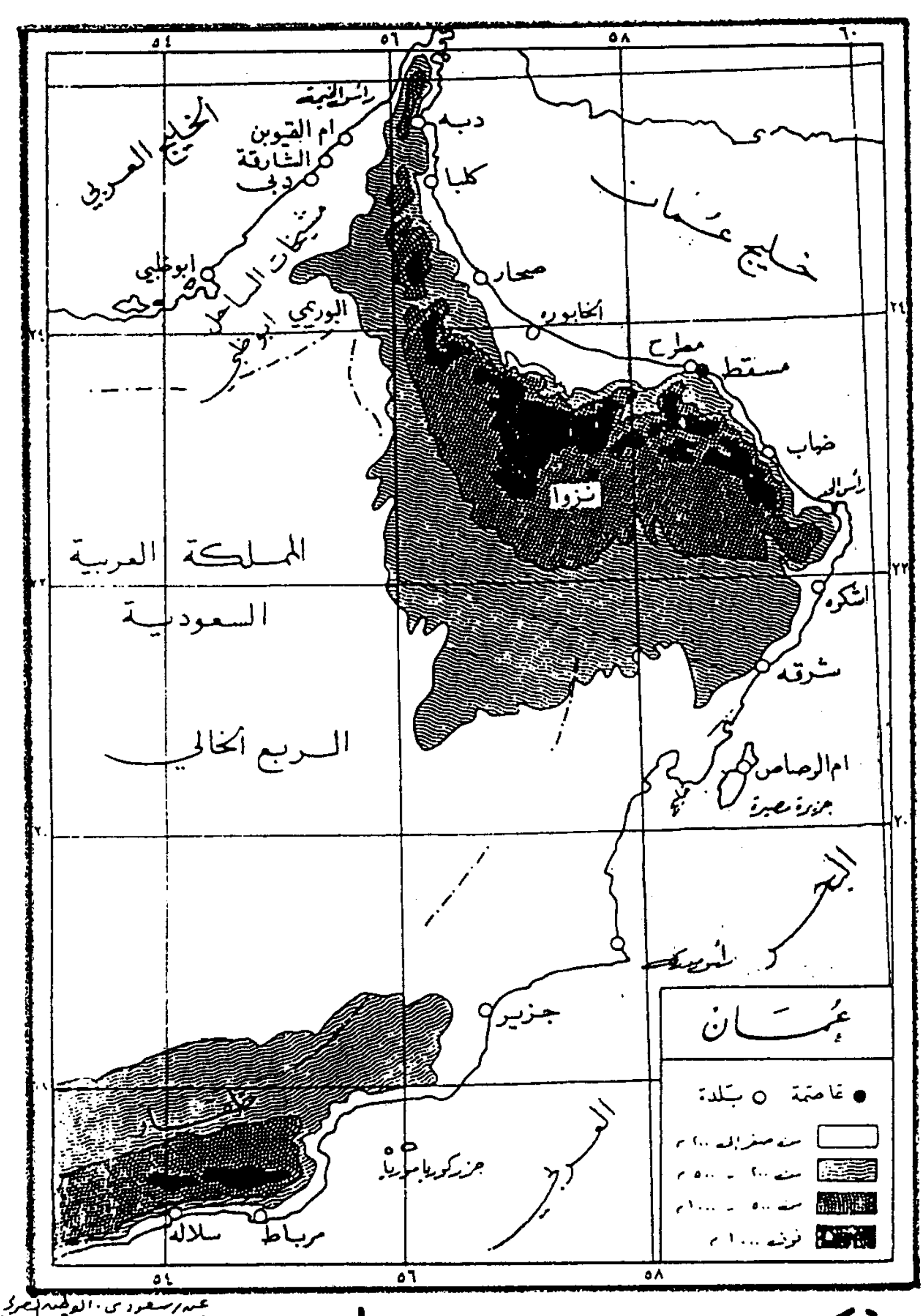
خضعت هذه الوحدة التضاريسية للحركات الباطنية وآثارها : ونتج عنها السلاسل الجبلية الالتوائية ، بداية من الالتواء فى الرواسب الحديثة على الأطراف الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية فى مسقط وعمان أثناء عصر الميوستين شكل (١٢) ، ويعد جبل عمان الناتج الرئيسى لتلك الحركات الالتوائية بشبه الجزيرة العربية ، والذى يعد فى حقيقة الأمر امتدادا طبيعيا لسلاسل جبال زاجروس ومكروان بإيران .

ويكاد ينفصل إقليم عمان عن بقية أقسام شبه الجزيرة ، ويتميز الجزء الداخلى من عمان بظهوره فى شكل هضبة متوسطة الارتفاع (١٢٠٠ متر) تمتد وسطها فقارية تعرف بالجبل الأخضر تبلغ قمتها ٣٠٠٠ مترا ارتفاعا ويكثر فى هذه الهضبة الأودية شديدة الانحدار وأغلبها يتجه فى انحداره نحو خليج عمان ويتجه القليل منها نحو الربع الخالى ، ويتميز الساحل العمانى بكثرة تعرجه مما يجعله فى كثير من مواضعه صالحا تماما لرسو السفن وإقامة المرافئ الطبيعية الجيدة وإن أمكن ذلك لنشأة الإقليم الالتوائية .

وبالاتجاه ناحية الشمال الغربى لهذه الوحدة التضاريسية مع ساحل الخليج العربى الذى تكون هو الآخر إثر الحركات الالتوائية ، نجد خط الشاطئ يتميز بكثرة الخلجان أو ما يعرف بالدوحات دائرية الشكل شكل (١٤) ، كما تحف بالشاطئ أطر مرجانية تمتد مسافات بعيدة فى مياه الخليج العربى ، وتتميز بضحولة المياه فوقها مما يزيد إعاقتها فى مواضع كثيرة لإقامة المرافئ الطبيعية فيما عدا الساحل الكويتى الأكثر صلاحية من سواحل الإحساء وقطر بالنسبة لقيام المرافئ الطبيعية ورسو السفن وتتعدد مع الساحل أشباه الجزر أهمها شبه جزيرة قطر وتعدد الجزر أهمها جزر البحرين وأم نعسان وأبو موسى وطنب وفليكة وغيرها . ويجاور الساحل سهول الإحساء التى تسود فى جزئها الجنوبى الكثبان الرملية المتحركة بينما



شكل (١١) مظاهر السطح في الوطن العربي



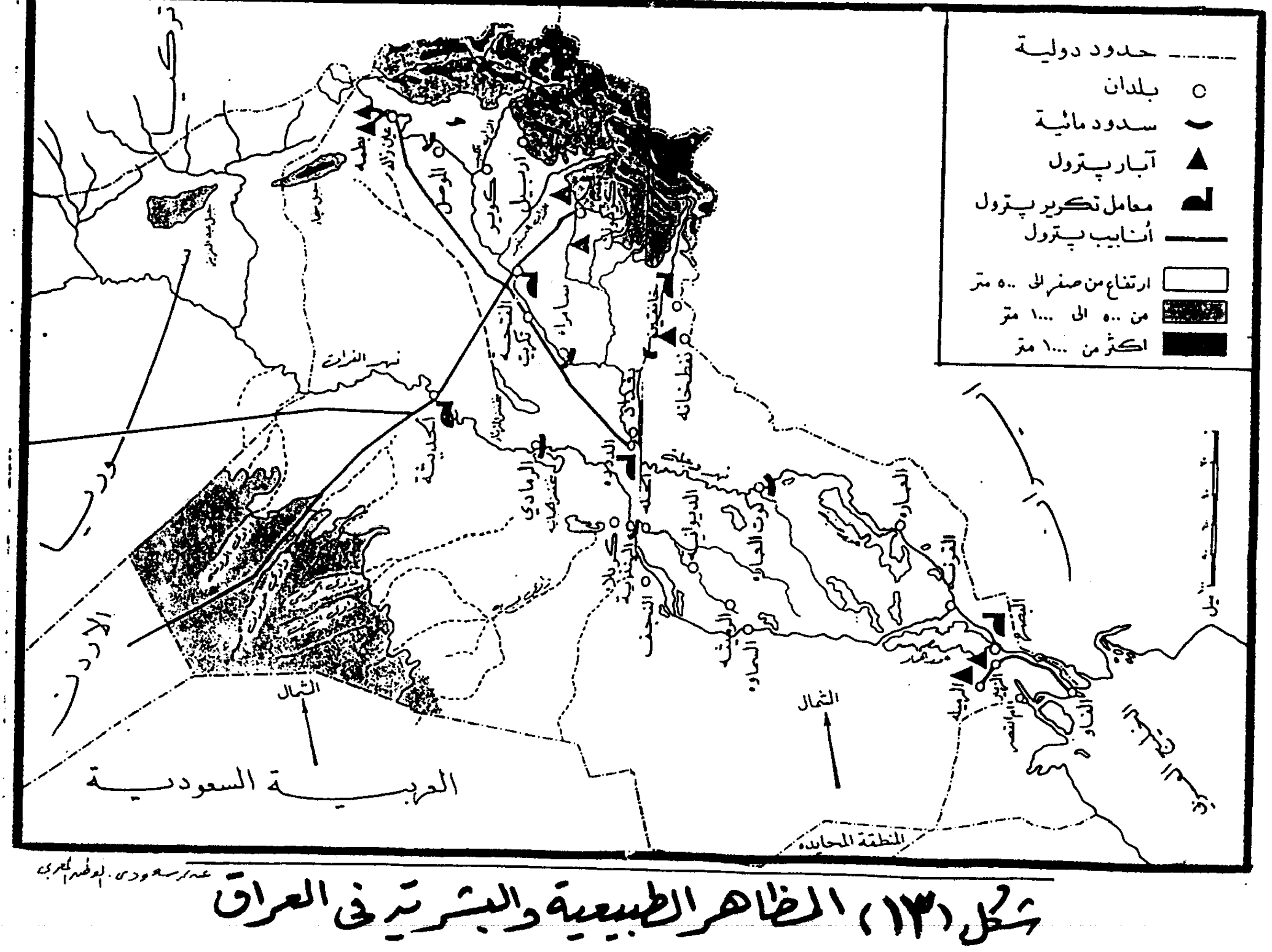
شكل (١٢) مظاهر السطح فى منطقة عمان

تتميز أجزائها الشمالية بتماسكها وثباتها ، كما تتميز بالسبخات الساحلية كسبخة المطى وغيرها من سباخات الساحل الإماراتى والسعودى .

وبالسير مع الوحدة التضاريسية ناحية الشمال الشرقى تظهر المرتفعات العالية التى تعرضت فيها الرواسب للالتواء العنيف ، والتى أدت لظهور السلاسل الجبلية العالية أقصى الشمال والشمال الشرقى للعراق شكل (١٣) ، حيث امتداد سلاسل جبال زاجروس وكردستان الالتوائية الحديثة فى هيئة سلاسل جبلية متوازية ، تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال ، وتمتد إلى ما وراء حدوده المشتركة مع سوريا فى الشمال الغربى ، وتركيا فى الشمال وإيران فى الشرق ، ويمكن القول بأن الإقليم الجبلى العراقى يصنع قوسا يمتد فى الشمال من الغرب إلى الشرق ، ممثلا فى سلسلة جبال سنجار ، ثم ينحرف فى شرق دجلة ، فيصبح امتداده من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ، وهو يحتل من أراضى العراق نحو الخمس ، أو ما يقرب من ٩٠٣٧٠ كم٢ .

وتتنوع مظاهر سطح الإقليم الجبلى وتتباين معالمه إلى قسمين :

نطاق التلال والجبال الواطئة ، وتتدرج منها الأرض فى الإقليم الجبلى بالارتفاع كلما اتجهنا شرقا وشمالا وتشمل هوامش النطاق الجبلى مثل حمرين ومكحول وسنجار ، كما تتخللها هضاب ووهاد ، ثم نطاق الجبال العالية ويشغل نحو ٢٥% من مساحة الإقليم الجبلى ، أو ٥% من مساحة العراق ، أى ما يعادل ٢٣٢٧٠ كم٢ ، ويقع بين نطاق التلال والجبال الواطئة وبين الحدود العراقية الإيرانية ، والحدود العراقية التركية ، وتمتد من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ، ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ - ٣٦٠٠ م ، وتتكون من صخور نارية ومتحولة ، ورسوبية جيرية صلبة ، ويعد القسم الجنوبى من الجبال العالية بسيط الالتواء نوعا ذات سلاسل متوازية وتحصر بينها وديانا طولية وأشهر الجبال به الجبل الأبيض ، قرة داغ ، بيخير ، ويقع القسم الشمالى المعقد الالتواء قرب الحدود العراقية التركية والعراقية الإيرانية ولوعورة التضاريس فإن هذا القسم يبدو منعزلا عن أراضى العراق كما أن الأنهار التى تخترقه كالزاب الصغير والزاب الكبير ، وديالى ، تشقه فى مجارى عميقة لا تصلح ممرات للنقل ، ومن بين جبال هذا القسم قرب الحدود التركية : جبل مهرنار داغ (٢١٣٣ م)



شكل (١٣) المظاهر الطبيعية والبشرية في العراق

وسرميدان (٣٥٠٠ م) وفيما جاور الحدود الإيرانية : جبال حصاروست (٣٦٠٠ م) وجبل قندل (٣٤٥١ م) ، ويسكن هذه المناطق الجبلية عناصر كردية ، ومن ثم يطلق عليها في العراق اسم كردستان العراقية [٣] .

(٢) الوحدة التحاتية فى الجزيرة العربية والهلال الخصيب :

تنحصر هذه الوحدة التضاريسية بين الوحدة المتضرسة الالتوائية شرق وشمال شرق الأرض العربية الآسيوية سابقة التوضيح والوحدة التضاريسية الأخدودية والتى سوف يتم الحديث عنها ، والتى كانت الحركات الباطنية أخطر ما تعرضت له من حيث تشكيل صفات السطح . وتبدو هذه الوحدة التحاتية التى تتكون من الصخور القديمة النارية والمتحولة والتى تعد جزءا من بقايا جندوانا ، كانت لها القدرة على مقاومة هذه الحركات الباطنية ، ويبدو أنها تزحزحت وترتب على هذه الحركات بعض التصدعات والتشققات التى يمكن اعتبارها محلية إلى حد كبير ، ويمكن القول أن أهم ما يجب ذكره من شان الحديث عن بنية هذه الوحدة التضاريسية ، هو تعرض هذه المساحات الكبيرة للعوامل الظاهرية التى تتراوح بين عوامل النحت والتسوية ، وعوامل الإرساب والبناء ، بين أواخر الزمن الجيولوجى الأول والزمن الرابع ، ويمكن القول أيضا أن سمك هذه التكوينات الرسوبية يتفاوت من مساحة إلى أخرى ، كما يتفاوت القدر الذى تعرضت به هذه الرواسب للحركات الباطنية ووحدات التثنيات الخفيفة [٤] . فإن سائر المساحات التى تغطيها رواسب قديمة ترجع إلى أواخر الزمن الجيولوجى الثانى ، وتظهر على السطح فى مساحات من بادية الشام والعراق فى الشمال أو هضبة حضرموت والجنوب العربى ، أو التى تغطيها رواسب حديثة ترجع إلى الزمن الرابع ، إذ أنها لم تخضع إلا لتأثير العوامل الظاهرية من حيث النحت والارساب ، وقد ترتب على ذلك ظهور بعض الكتل الصلبة المختلفة المتناثرة فى غير انتظام على السطح ، لكى تعبر عن قوتها وقدرتها على مقاومة العوامل التى تسهم فى تشكيل السطح فى مناطق كثيرة من وسط وجنوب شبه الجزيرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الوحدة التضاريسية يغلب عليها صفة السهل والهضبة المتوسطة الارتفاع .

تبدو بادية الشام كأرض هضبية متسعة تتخللها المنخفضات والعديد من الأودية ، كما تظهر فوق سطحها بعض القمم شكل (١٣) ، وتمتد بادية الشام بين مرتفعات طوروس وكردستان فى الشمال وحوض النفود الرملى فى الجنوب وسهول الفرات ودجلة شرقا والمرتفعات الجبلية فى الغرب ، وأبرز القمم التى تظهر فوقها ، قمة الدروز (١٧٣٥ مترا) كما تظهر عند أطرافها الشمالية الشرقية بعض الجبال القريبة من مرتفعات كردستان ومنها جبل عبد العزيز (٩٢٠ مترا) وجبل سنجار (١٤٦٣ مترا) ويخترقها الجزء الأعلى من نهر الفرات ورافده وادى الخابور . كما تنتشر ببادية الشام سهول هضبية متسعة ومستوية تغطيها تكوينات حصوية وجلمودية تعرف بصحارى "الحمادة" أو "الرق" وتمتد من بادية الشام بسوريا والأردن وتنحدر نحو أرض العراق ، وساعد انحدارها على نشأة شبكة من الأودية الجافة وتتجه صوب وادى الفرات مخترقة نطاقا ممزقا من الحمادة يطلق عليها فى العراق أرض الوديان ، ويصدر عدد من هذه الوديان فى المملكة العربية السعودية متجهة نحو الشمال الشرقى صوب العراق ، وتمتد أرض الوديان بالمنطقة فى اتجاه شرقى غربى ، مما عاون على سهولة النقل بالقوافل عن طريق الإبل لطبيعة قيعانها الرملية الناعمة ووفرة المياه الجوفية ووفرة العشب ، وحمايتها من العواصف ، وتجرى الوديان بالمياه فى هيئة سيول عندما تسقط أمطار الشتاء بغزارة وتصل إلى هامش الهضبة ، وكثيرا ما تنجح فى الوصول إلى نهر الفرات كوادى حوران ، وتنشأ عن التقاء الوديان بالسهل الرسوبى الفيضى عيون تنبثق منها مياه كبريتية ، مثل عيون هيت ، وكبيسة وشثاثة والرحالية .

سهل دجلة والفرات :

يقع معظمه جنوب خط عرض بغداد شكل (١٣) ، وإن كان يمتد فى شمالها فيما بين بلدتى سامراء على نهر دجلة ، ورمادى على نهر الفرات ، ليشمل قسما من حوض نهر دجلة من جهة وقسما من حوض نهر الفرات من جهة أخرى ، وتبلغ مساحة السهل ٩٣ ألف كم٢ ، وتتخذ شكل مستطيل طوله ٦٥٠ كم وعرضه ٢٥٠ كم فى اتجاه عام من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ، وحدود السهل واضحة وتمتد فى خطوط مستقيمة ، سواء من جهة الشرق قبالة إيران ، أو من جهة الغرب تجاه البادية . ويتراوح

ارتفاع السهل بين مستوى سطح البحر و ١٠٠ م ، ولا يزيد ارتفاعه في موضع بغداد ، التى تبعد عن مياه الخليج ٥٥٠ كم عن ٣٢ مترا ، كما لا يكاد يصل ارتفاعه ٥٠ مترا عند موقع بلدة الرمادى ، ويعد السهل عظيم الاستواء والانبساط .

ويرى البعض أن تكوين الشطر الجنوبى من السهل الرسوبى حدث نتيجة لاقتطاع جزء من الخليج العربى بسبب سد رسوبى دلتاوى شكلته الرواسب الضخمة التى كان يأتى بها نهر كرخة ونهر قارون فتكونت بذلك بحيرة كبيرة منفصلة عن الخليج ، وتقع بينه وبين شمال العراق ، وفيها أخذ نهرا دجلة والفرات يلتقيان بحمولتهما من الرواسب تعاونانهما السيول والوديان التى تصدر فى الشرق وفى الغرب ، وبالتدريج امتلأت البحيرة بالرواسب ، وردمت مكونة لسهل العراق الجنوبى ، **أما الأهوار** التى تقع الآن فيها بين العمارة والناصرة والبصرة ، فما هى إلا البقية من تلك البحيرة الكبيرة السالفة . ولقد جاء التقاء نهرى دجلة والفرات واتحادهما فى مجرى واحد نتيجة طبيعية لبطء جريانهما فى السهل الجنوبى المنبسط القليل الارتفاع والانحدار ثم رفع الرواسب التى تأتى بها المجارى المائية من الشرق والغرب مما ألزمهما ارسال مياههما إلى الأهوار التى تشغل المنخفضات ومنها تهبط المياه فى مجرى هو شط العرب ، الذى تجرى به المياه بطيئة إلى الخليج حاملة أقل كمية من المواد العالقة الدقيقة . وما يزال نهر قارون يحمل كميات كبيرة من الرواسب يلقى بها فى شط العرب وتنحدر مع التيار إلى منطقة المصب مكونة لحاجز رسوبى يعرقل الملاحة .

وينبع **نهر دجلة** من سفوح جبال طوروس شمال غرب ديار بكر وتغذيه بالمياه عدة روافد أهمها الزاب الكبير والزاب الصغير ونهر دياله ، وتتصل هذه الروافد الثلاثة بنهر دجلة فى داخل حدود العراق ويمكن إضافة رافد آخر لنهر دجلة هو خابور ، والذى تمتد حدود العراق السياسية بين العراق وتركيا على طول القسم الأدنى من مجراه .

وينبع **نهر الفرات** من هضبة أرمينيا ، حيث يبدأ هناك برافدين رئيسيين ، يعرف إحداهما باسم مراد سو والآخر باسم فرات سو ويلتقيا شرق هضبة الأناضول ، حيث يكونان معا نهرا واحدا متجها نحو الجنوب ، مجتازا لسلاسل الأناضول ثم يهبط إلى الأراضى السورية ، ويتصل بنهر الفرات

فى سوريا عدة روافد أهما رافد البليخ والخابور ويتصلان به من جانبه الشرقى .

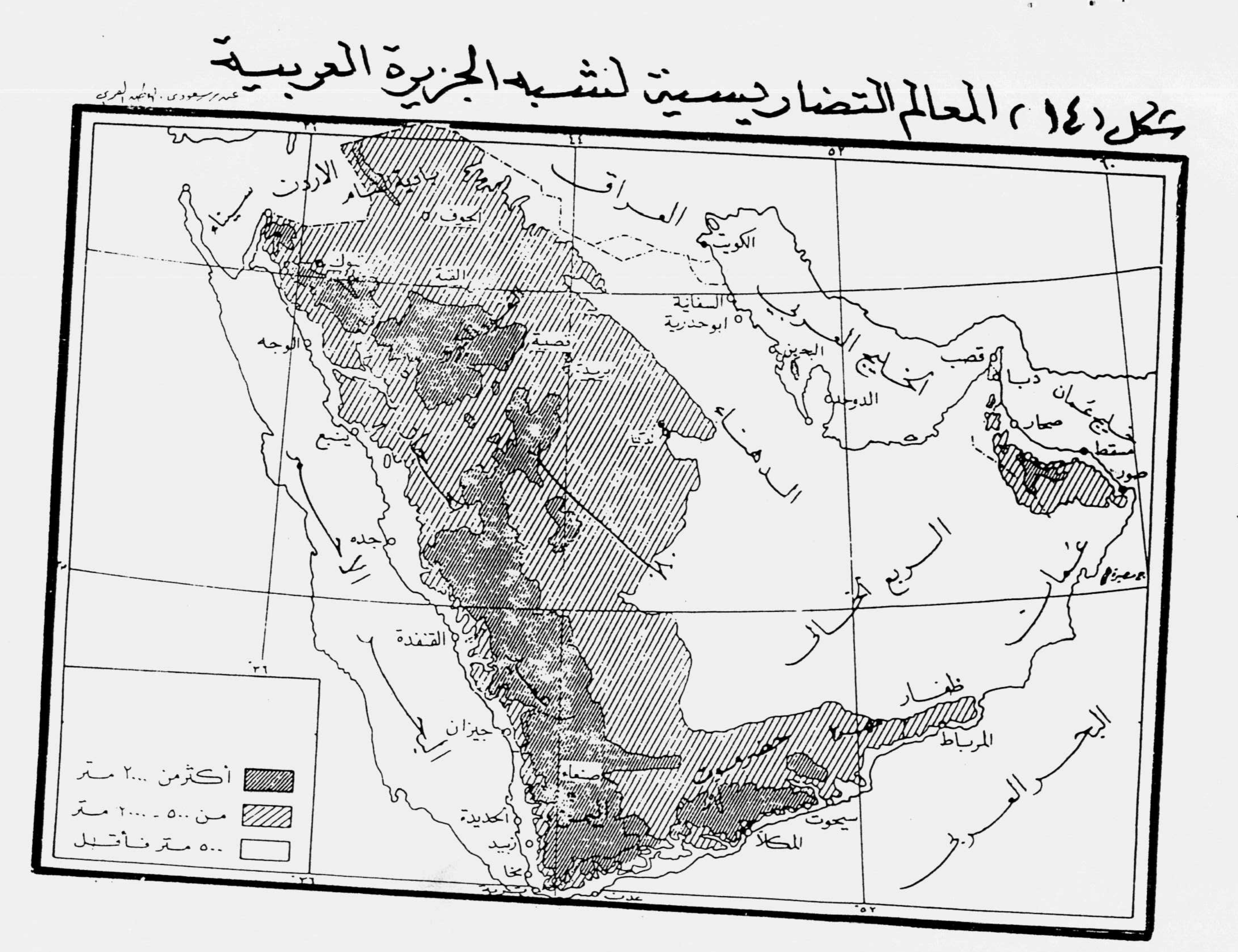
ويلتقى نهر الفرات مع نهر دجلة عند القرنة ويعرف المجرى المائى الذى يحمل مياههما إلى الخليج العربى باسم شط العرب وتحمل أنهار العراق كميات هائلة من الرواسب خاصة أثناء فيضانها ، وتلقى بها عند المصب فى الخليج العربى ، ومن ثم تتقدم أرض العراق فى البحر ، وتكسب منه كل عام أرضا جديدة ، وحين تسقط الأمطار فى الشتاء يرتفع مستوى الماء فى الأنهار ولكن فيضاناتها تحدث فى الربيع حين تذوب الثلوج المتراكمة عند منابعها ، ثم يهبط مستوى المياه فى أثناء الصيف والخريف ، وأنهار العراق عنيفة فى فيضاناتها ، وقد كانت تسبب الكثير من الأضرار والتخريب كل عام مثل ذلك فيضان دجلة عام ١٩٥٤ الذى كون بحيرة قرب بغداد بلغت مساحتها ٧٠ كم٢ وعمقها ٢٤ مترا واستمرت ٧ أشهر حتى جفت ، وتركت طبقة من الغرين سمكها ٣٠ سم وتتميز سهول العراق الفيضانية بكثرة وجود المنخفضات التى تشغلها البرك والمستنقعات التى تعرف هناك باسم الأهوار وأعظم مناطق الأهوار وأكثرها اتساعا تقع حول القرنة وتسمى باسم هور الحمار فى قسمها الغربى وباسم هور الحويزة فى قسمها الشرقى ، ويضيع قسم كبير من مائية النهرين فى هذه المستنقعات .

ويتفرع نهرا دجلة والفرات فى السهل الدلتاوى الكثير المناقع والأهوار إلى فروع عديدة ، كثيرة الثنيات والمنعطفات بسبب ضعفهما ، وبطء جريانهما لقلة إنحدار السهل ، وفي اثناء الفيضانات تشق المياه ضفاف المجاري المائية وتعلوها ، وتتخذ لنفسها مجاري جديدة ، بعد أن تنطمر مجاريها الأصلية بالرواسب ، ولهذا نجد الكثير من المجاري المهجورة . ويحتل السهل الدلتاوي لنهر دجلة المنطقة الواقعة بين الكويت والعمارة والناصرة ، أما سهل الفرات الدلتاوي فيمتد من الهندية حتى الناصرية (٥) .

القسم التحاتي الأوسط من شبه الجزيرة العربية :

ويشهد نوع من التباين من الشمال إلى الجنوب شكل (١٤) ، ففي الشمال يوجد حوض النفود الصحراوي وفي الوسط هضبة نجد وبالاتجاه جنوبا يوجد الربع الخالي . . وفي واقع الأمر فإن الأنتقال من النطاق الجبلي الغربي إلى القسم الأوسط من الجزيرة العربية لا يتم بصورة مفاجئة ولكنه

شكل (١٤) المعالم التضاريسية لشبه الجزيرة العربية



انتقال تدريجي عبر هضيبات أكثر ارتفاعا تنتشر فوقها عروق وتكوينات رملية ، وتعد هذه الهضيبات أجزاء مقتطعة بفعل الحركات الأرضية وعوامل التعرية الخارجية من النطاق الجبلي المرتفع في الغرب ، فهي بمثابة نطاق انتقالي بين الجبال في الغرب والهضاب في الوسط .

ويقع في الجزء الشمالي من القسم الأوسط حوض النفود ، وهو عبارة عن حوض صحراوي مثلث الشكل يغطي سطحه التكوينات الرملية بأشكالها المختلفة ، تمتد قاعدته على طول الحدود بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية ، ويعد حوض النفود البداية الجنوبية لبادية الشام في الشمال ، ويمتد من الطرف الشرقي له شريط رملي طولي يحد هضبة نجد شرقا ويتصل بالربع الخالي في الجنوب ، ويعرف باسم (صحراء الدهناء) والتي تفصل بين هضبة نجد غربا وسهول الإحساء في الشرق .

وتمتد هضبة نجد إلى الجنوب من حوض النفود ، وتعد هضبة نجد أكبر هضاب شبه الجزيرة العربية مساحة ، تحدها غربا الصخور النارية لجبال الحجاز وعسير وشرقا صحراء الدهناء وشمالا حوض النفود الكبير ، ويبلغ طولها من الشمال إلى الربع الخالي في الجنوب نحو ٨٠٠ كم و يزيد عرضها من الشرق إلى الغرب على ٦٥٠كم ، يزداد إرتفاعها في جزئها الغربي بسبب قربه من المرتفعات الجبلية وتكويناته النارية الصلبة التي قاومت عمليات التعرية ، ويصل إرتفاعها إلى أكثر من ١٠٠٠م يقل بالاتجاه شرقا ، ويعد جبل "شمر" أعلى أجزائها ، ويقع في جزئها الشمالي الغربي وهو عبارة عن حافتين جبليتين تمتدان في موازاة بعضهما تعرفان بجبلي "أجا وسلمى" يفصل بينهما أرض سهلية منخفضة يصل عرضها إلى ٣٩كم ، وتوجد بها مدينة حائل وسط أراضي زراعية ، ويزيد ارتفاع جبل شمر في أعلى أجزائه على ١٣٠٠م ، وإلى الجنوب منه تمتد منطقة القصيم ، إحدى مناطق هضبة نجد ، حيث تتوفر بها موارد المياه الجوفية ، وتغطي سطحها في أجزاء منه الكثبان والفرشات الرملية التي تبدو كألسنة ممتدة في صحراء النفود في الإتجاه الجنوبي الشرقي نحو صحراء الدهناء .

وهذه الألسنة الرملية تفصل المنطقة إلى أجزاء من السطوح المتماسكة ، ويجرى هنا وادى الرمة ، أكبر أودية هضبة نجد فى جزئها الشمالى ، حيث ينبع من منطقة المدينة المنورة ، ويتجه فى امتداده نحو الشرق والشمال

الشرقى إلى أن يتصل بوادى الباطن . وإلى الشرق من هضبة نجد تمتد مجموعة من الهضيبات القريبة من صحراء الدهناء تعرف بهضاب السدير والعرمة والبياض ، تنتهى نحو الجنوب بسلسلة جبال طويق ، وتنحدر بشدة نحو الغرب ، ويصل ارتفاعها إلى ٩٠٠ متر فوق سطح البحر ، وبسبب ميل الطبقات الرسوبية لهضبة نجد نحو الشرق والشمال الشرقى ، وبسبب قربها كذلك من جبال البحر الأحمر فى الغرب فإن هناك العديد من الأودية التى تتبع فى امتدادها الانحدار العام للأرض والميل العام للطبقات ، والتى أدى وجودها إلى تقطع سطح الهضبة ، خاصة فى جزئها الأوسط ، ومن هذه الأودية وادى الرملة سابق الذكر ووادى حنيفة الذى تقع على جانبيه مدينة الرياض ووادى الدواسر وغيرها .

وإلى الجنوب من هضبة نجد يمتد حوض واسع (الربع الخالى) يشغل نحو ربع مساحة شبه الجزيرة العربية (أكثر من ٦٠٠ ألف كم٢) تغطى سطحه الرمال الكثيفة بأشكالها وأحجامها المختلفة ويمتد من المنحدرات الغربية لجبال "عمان" وساحل الخليج العربى شرقا حتى مرتفعات عسير واليمن غربا ، ومن هضبة نجد شمالا حتى مرتفعات حضرموت جنوبا ، ويزداد ارتفاع سطحه بالاتجاه غربا حيث مرتفعات عسير واليمن ، ويقل ارتفاعا فى جزئه الأوسط ، وكذلك بالاتجاه نحو سبخات ساحل الخليج العربى ، بينما يزداد ارتفاعا نحو جبل عمان ، ويعد الربع الخالى أشد مناطق شبه الجزيرة العربية جفافا وصعوبة فى ارتياده ، باستثناء الطرف الجنوبى الغربى منه لقربه من هضبة حضرموت .

وأقصى جنوب شبه جزيرة العرب توجد **هضبة حضرموت** ، ويتميز قسمها بانخفاضه التدريجى من الغرب إلى الشرق ، ففى أقصى الغرب توجد هضبة أقل ارتفاعا من هضاب اليمن تزداد انخفاضا نحو الشرق حتى تصل إلى منسوب ٦٠ مترا فوق سطح البحر ، وإلى الشمال من هذه المنطقة الهضبية الساحلية تمتد حافة عالية تنخفض كذلك بالتدريج نحو الشرق فبينما يصل ارتفاعها فى حضرموت ٢٠٠٠ متر تهبط فى ظفار بعمان إلى ١٥٠٠ متر ، وتنحدر أرض هذه الهضاب الجنوبية بالاتجاه شمالا نحو الربع الخالى وجزئه الغربى المعروف باسم رمال الأحقاف ، وتجرى فى تلك الهضاب أودية صحراوية أهمها وادى حضرموت الذى يمتد موازيا للساحل الجنوبى

وعلى بعد ٢٠٠ كم منه لمسافة ٣٢٠ كم قبل أن ينحـــرف فجـأة نحـــو الجنوب قاطعا المرتفعات الساحلية ليصب فى البحر العربى .

(٣) الوحدة التضاريسية الأخدودية والنيلية :

تمثل هذه الوحدة التضاريسية قسما يمتد امتدادا طوليا من الجنوب إلـــى الشمال ، ويرتبط كيانها بالأخدود الأفريقي العظيم شكل (١٥) ، والحركـــات الباطنية التى أدت إلى التصدع والانكسار والهبوط والاندفاع ، وما ترتـــب على ذلك من نتائج هامة تتعلق بالنشاط البركانى فى منطقة الضعف القشرى . وعلى الرغم من أن الأخدود الأفريقي العظيم لا يدخل برمته فى الوطـــن العربى الكبير ، إلا أن التوسع المكانى ضرورى وهام فى الدراسة.

الأخدود الأفريقي :

يعنى لفظ أخدود Graben أو وادى أخدودى riFt valley أطلقه جريجـــورى J. W. Gregory عام ١٩٢١ على ذلك الخسف الضخم فى شـــرق أفريقيـــة ، وكان أول من قال بأنه ظاهرة تكتونية راجعة إلـــى الفوالـــق . وقـــد حـــدد جريجوري هذا التعبير ليعني به شريطا طويلا من الأرض هبط بين كسرين عاديين أو سلسلة متوازية من الانكسارات السلمية ، كما لو كان هناك قـــوس قد أصابه شد بحيث سقط الحجر الأساسي ، إما على هيئة كتلـــة واحـــدة أو أشرطة من الأرض ، وكانت فكرة القوس الذي سقط حجره الأساســـى قـــد أطلقت على أخدود الراين منذ نحو قرن وربع القرن ، ومن ثم كان مفـــهوم تكوين الأخدود الإفريقي عند جريجوري ، ويمتد الأخدود الإفريقي لمســـافة ٧٠٠٠كم أو نحو سدس محيط الكرة الأرضية ، ابتداء من جنـــوب بحـــيرة ملاوي "نياسا" ، متجها نحو الشمال ليقابل هضبة شرق أفريقيـــا القديمـــة ، فيضطر الأخدود إلى التفرع لفرعين رئيسيين أحدهما غربي ، وتقع فيه عدة بحيرات أهمها تنجانيقا وكيفو وأدوارد وألبرت ، ثم يمتـــد حتـــى الســـودان الجنوبية ، والآخر شرقي ، وهو أطول ، وتقع فيه عدة أحواض ذات صرف داخلي في بحيرة نترون وموجادي ونيفاشا ، ويمر فـــي هضبـــة الحبشـــة ليقسمها قسمين غير متساويين وتقع في سهول الآفار ، ثم يتجه لخليج عـــدن ويصبح البحر الأحمر وخليج العقبة ووادي عربة والبحـــر الميـــت ووادي الأردن وسهل البقاع في لبنان ووادي العاص حتـــى تصـــل إلـــى ســـفوح طوروس جزءا من هذا الأخدود .



شكل (١٥)
أقسام الأخدود الافريقي وامتداده

ويقسم الجيولوجيون الأخدود الأفريقى إلى قسمين كبيرين بحسب أصل كل منهما وهما :

أولا:الأخاديد الواقعة فى شرق أفريقيا وتقع بدورها فى مجموعات هى : قطاع نياسا وامتداده جنوب الهضبة الوسطى (أخدود روكوا) الأخدود الغربى فى بحيرة تتجانيقا إلى بحيرات كيفو وأدوارد وألبرت مع كتلة رونزورى المندفعة بين البحرين السابقين - الأخدود الشرقى (جريجورى) شرق بحيرة فكتوريا - قطاع بحيرة رودلف استمراره فى أثيوبيا .

ثانيا : أخدود البحر الأحمر وامتداده : وهو الذى يعنينا فى هذا المجال ، وهو يتميز عن أخدود شرق أفريقيا باتساعه الذى يتراوح بين ٢٠٠-٤٠٠ كم ، لذلك فمن المرجح أن طريقة تكوينه تكون مغايرة عن طريقة تكوين أخدود شرق القارة ، أما عن الاتساع الكبير فهو حسب رأى الجيولوجيين ناتج عن فكرة تزحزح القارات ، أى زحزحة شبه جزيرة العرب وأفريقيا ، نتج عنها أخدود البحر الأحمر [٦] .

وتبدو الصورة العامة للمنطقة كانتفاخ أو محدب متسع Vast swell يشمل الصحراء الشرقية وسيناء وشبه جزيرة العرب والصومال وأثيوبيا ، قطعته منخفضات البحر الأحمر وخليج عدن ، وكلها تحد بواسطة فوالق ، كانت نشطة فى فترات متفاوتة من منتصف الزمن الثالث إلى الوقت الحاضر [٧] . وقد خلف الأخدود الأفريقى العظيم آثارا بارزة فى تضاريس الوطن العربى بهذه الوحدة التضاريسية نبدأها من الجنوب إلى الشمال مع الأخدود ذاته كما يلى :

- تضاريس القرن الأفريقى [٨] :

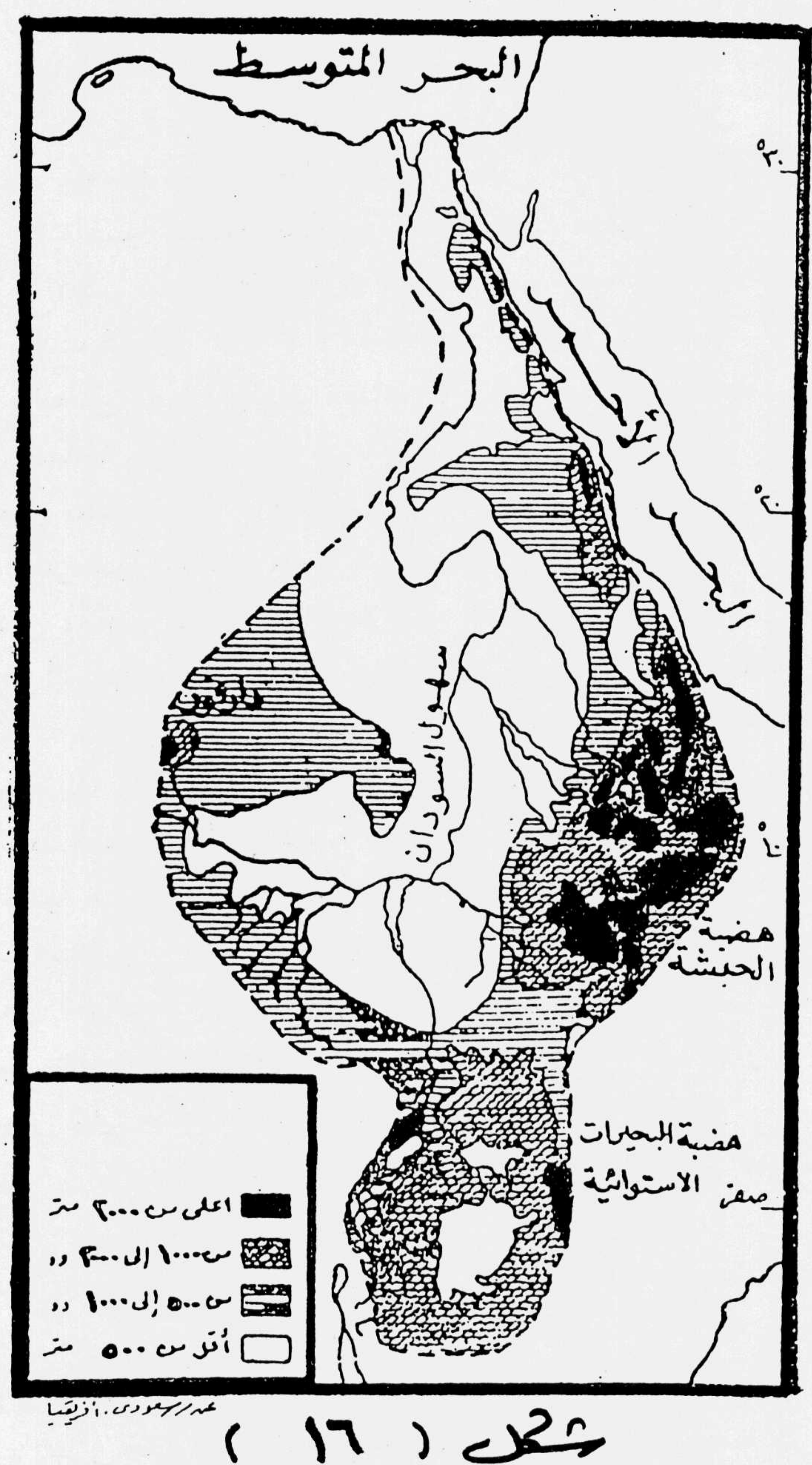
حيث تمتد هنا هضبة تعرف بهضبة الصومال تزداد ارتفاعا فى جزئها الشمالى المطل على خليج عدن . تترك شمالها سهلا ساحليا متصلا يمتد من جيبوتى قرب باب المندب حتى رأس جودفوى (وهو أقصى امتداد لليابس الأفريقى فى المحيط الهندى) ، وبالاتجاه جنوبا يقل ارتفاع الهضبة تدريجيا مع انتشار بعض المنخفضات التى تمتلىء بالمياه خلال موسم المطر ، وتنحدر الهضبة كذلك بشكل تدريجى من الغرب للشرق نحو السهول الساحلية المطلة على المحيط الهندى ، تقطعها السهول الداخلية والأودية الغنية بغطاءاتها النباتية ، وأهم هذه الأودية وادى نهر جوبا ونهر شبيلى

اللذان ينبعان من الهضبة الحبشية ، ويعدان من أبرز ظـــاهرات ســطح الأرض بهضبة الصومال ، حيث يجريان فوقها نحـــو الجنـوب الشـرقى ويلتقيان فى مجرى واحد قرب مصبيهما فى المحيــط الـهندى عنــد خـط الاستواء ، ويتميز نهر جوبا بجريانه الدائم ، بينما يجف نهر شـــبيلى فــى فصل الشتاء .

وتترك هضبة الصومال بينهما وبين خليج عدن والمحيط الهندى ســهولا ساحلية فى منطقة عيسى وعفار (جيبوتى) وعلى طول المحيط الهندى يزداد اتساعها بالاتجاه نحو الجنوب ، كما يزداد الغنـــى النبـاتى ، حيــث تنمـو الأشجار المدارية والسافانا ، ويتميز الساحل الصومالى على خليـــج عــدن بضيقه ولا يزيد اتساعه على ٢٠ كم ، بينما يتسع على المحيط الهندى ليصل فى أجزاء منه إلى أكثر من ٢٠٠ كم ، ويبلغ طول الســواحل أكـثر مـن ٢٤٠٠ كم .

- جبال البحر الأحمر :

تمثل حافة قافزة بالجناح العربى الأفريقى ، على الجانب الغربى لأخـدود البحر الأحمر شكل (١٦) ، تنحدر نحوه انحدارا شديدا تاركة سهلا ضيقـا ، بينما تنحدر نحو وادى النيل انحدارا هينا وقد انعكس ذلك على خصـــائص الأودية التى تنحدر على كلا جانبيها ، فـهى شـديدة الانحـدار ، قصــيرة المجرى ، تعترضها الجنادل والعقبات ، وذلك علـــى الجوانـب الشـرقية المواجهة للبحر الأحمر ، بينما تتميز بالطول واتساع قطاعاتـــها العريضــة وخلوها من العقبات فى الجانب الغربى المواجه لحوض النيل ، وتمتد جبـال البحر الأحمر فى كل من مصر والسودان ، وتستمر نحو الجنوب بمحـــاذاة خليج عدن ، وتتكون هذه الجبال من صخور بللورية نارية ومتحولة ، أهمها الجرانيت والشست والنايس ، ونظرا لكونها جبالا انكسـارية فإنــها تتمـيز بالوعورة وشدة التضرس والتقطع بفعل ما تعرضت له من انكسارات متباينة فى اتجاهاتها وأطوالها ، وكذلك نتيجة لتعرضها لعمليات تحول على نطــاق واسع ، وقد تخيرت الأودية فى جريانها المناطق الانكسارية الهابطة ، وأهـم هذه الأودية وادى قنا الذى يتجه نحو ثنية قنا جنوبا ووادى العلاقـــى الــذى يلتقى بوادى النيل من الجنوب الشرقى عند بلدة كورسكو التى أغرقتها حاليـا مياه بحيرة السد ، حيث يتقابل عند مصبه بوادى قبقبة الذى ينبع من



شكل (١٦)

تضاريس حوض النيل

الأراضى الواقعة شمال شرق السودان ، ووادى عمور ويلتقى بنهر النيل شمال الجندل الخامس ما بين عطبرة وأبو حمد ، ومن الأودية المتجهة نحو البحر الأحمر وادى عربه ووادى الجمال ووادى الحوضين .

ويبلغ متوسط ارتفاع جبال البحر الأحمر ٩٠٠ مترا تمتد فى صورة مجموعات جبلية تفصلها مناطق منخفضة تمتد فوقها الأودية المتجهة شرقا أو غربا ، كما تظهر على طول امتدادها قمم جبلية منها قمة جبل موسى وقمة سانت كاترين ٢٦٣٧ م وقمة جبل أم شومر والقمم الثلاث السابقة توجد بالنطاق الجبلى جنوب سيناء ، وهناك قمة جبل الشايب ٢١٨٤ م وجبل حماطه ١٩٦٠ م ، ومن القمم الجبلية فى الأجزاء الوسطى والجنوبية قمة جبل علبه ١٤٣٧ م وجبل أريب ٢٢٠٠ م ، وتتميز جبال البحر الأحمر بزيادة عرضها بالاتجاه جنوبا ، خاصة فى منطقة القتباى شمال شرق السودان ، حيث تقترب كثيرا من نهر النيل .

وتترك جبال البحر الأحمر بينها وبين الساحل سهلا ساحليا صدعيا ارتبط فى نشأته بتكوين البحر الأحمر ضمن النظام الأخدودى ويتميز الساحل إلى جانب ضيقه باستقامته بصفة عامة ، وامتداد الأطر المرجانية وحواجزها أمام خط الشاطئ والتى تتقطع عند مصبات الأودية التى لا تنمو بها الشعاب المرجانية ، ومع استقامة الساحل فهناك بعض الظاهرات المرتبطة بعمليات النحت البحرى ، وأهمها الرؤوس البحرية والشروم والخلجان ، والأخيرة تعد من المواضع الساحلية الهامة الملائمة لإقامة المرافئ الطبيعية مثل مرسى علم وسفاجة وبورسودان وسواكن وغيرها من المدن الساحلية ، وأهم الخلجان على ساحل البحر الأحمر خليج سفاجه وخليج فول ، ومن الرؤوس البحرية رأس جمصة ورأس البارود ورأس بناس ورأس حدربه ورأس أبو شجره ، إلى جانب الظاهرات الساحلية تظهر مجموعات من الجزر الصخرية والمرجانية أمام الساحل فى بعض المواضع مثل مجموعة جزر مضيق جوبال عند المدخل الجنوبى لخليج السويس ، وأهمها جزيرة شدوان وجزيرة قيسوم وجوبال ، وهناك بعض الجزر الواقعة أمام ساحل الغردقة ومنها جزر مجاويش والشورة والجفتون ومن الجزر أيضا جزيرة الزبرجد وديدالوس وغيرها .

- وادى النيل ودالتاه (٩) :

يمتد نهر النيل من منابعه الموسمية فى هضبة أثيوبيا ومنابعه الدائمة فى هضبة البحيرات الاستوائية حتى مصبه فى البحر المتوسط لمسافة ٦٦٧٠ كم ، وتبلغ مساحة حوضه أقل قليلا من ٣ مليون كم٢ ، الجزء الأعظم منه يدخل ضمن الأراضى السودانية والمصرية شكل (١٦) .

ويبدأ نهر النيل دخوله الأراضى السودانية من مدن نيمولى على الحدود مع أوغنده ، ويتجه شمالا باسم بحر الجبل ويتجه شمالا بانحدار بطئ فى سهول السودان حتى بحيرة "نو" حيث يلتقى عندها ببحر الغزال ليتجهان سويا فى مجرى واحد نحو الشرق ويلتقيان بعد ذلك بنهرى الزراف والسوباط ، ويعد الأخير أول الروافد الحبشية التى تلتقى بالنيل جنوب بلدة ملكال ، ويستمر النيل فى جريانه شمالا حتى مدينة الخرطوم باسم النيل الأبيض ، حيث يلتقى عندها النيل الأزرق أهم المنابع الحبشية على الإطلاق ، والذى ينبع من بحيرة تانا وله رافدان رئيسيان هما الدندر والرهد ، وبعد منطقة القرن ، حيث اقتران النيلين الأبيض والأزرق ، ويتجهان فى مجرى مائى واحد نحو الشمال بصفة عامة ، ويعرف فى قطاعه الممتد من الخرطوم حتى أسوان باسم النيل النوبى لا يلتقى خلال تلك المسافة بأى رافد سوى "نهر العطبرة" ويتميز هذا المجرى المائى كذلك بوجود ستة جنادل تبدأ بالجندل السادس "خانق سبلوقة" وتنتهى بالجندل الأول قرب أسوان ، وإلى الشمال من أسوان يبدأ اتساع الوادى على جانبى النهر ، ويصل متوسط عرضه فى المسافة من أسوان والقاهرة ١٠ كم ، ويصل فى بعض المناطق إلى أكثر من ٢٣ كم قرب بنى سويف ، ويجري النهر في هذه المسافة متعرجا وسط سهله الفيضي مكونا ثنية ضخمة تحيطها مرتفعات جيرية من الجانبين تعرف بثنية قنا ، وإلى الشمال الغربى من مدينة القاهرة بنحو ٢٣ كم يبدأ النيل فى التفرع مكونا دلتاه الشهيرة والتى تزيد مساحتها على ٢٢ ألف كم٢ وتبدو كمثلث تمتد قاعدته على طول ساحل البحر المتوسط لمسافة تزيد على ٢٢٠ كم وارتفاعه ١٧٠ كم ، وقد كان للدلتا المصرية نحو سبعة فروع لم يتبق منها سوى فرع رشيد وفرع دمياط ، كما تمتد على طول ساحلها الشمالى عدد من البحيرات الضحلة تفصلها عن البحر حواجز رملية

توجد بها فتحات تعرف بالبواغيز تصل البحيرات بالبحر المتوسط ، وأكبرها مساحة بحيرة المنزلة ، إلى جانب بحيرة البردويل والبرلس وأدكو ومريوط ، إلا أن وجود هذه البحيرات يدل على عدم اكتمال نمو الدلتا المصرية بعد . ويرتبط بنهر النيل منخفض الفيوم بالصحراء الغربية والذى يتصل به من خلال فتحة "اللاهون" أو هواره المقطع ، الذى يجرى فيها بحر يوسف قادما بمياه النيل إلى المنخفض من ترعة الإبراهيمية التى تجرى خلال فرع قديم للنيل كان يصب فى منخفض الفيوم ، الأمر الذى جعل معظم أراضى المنخفض من رواسب نيليه . كما يميز هذا المنخفض بحيرة قارون على منسوب ٤٥ مترا تحت مستوى سطح البحر ذات المياه المالحة رغم أصلها النهرى العذب وذلك لاستخدامها كمصرف لسبل الرى .

- جبال السروات :

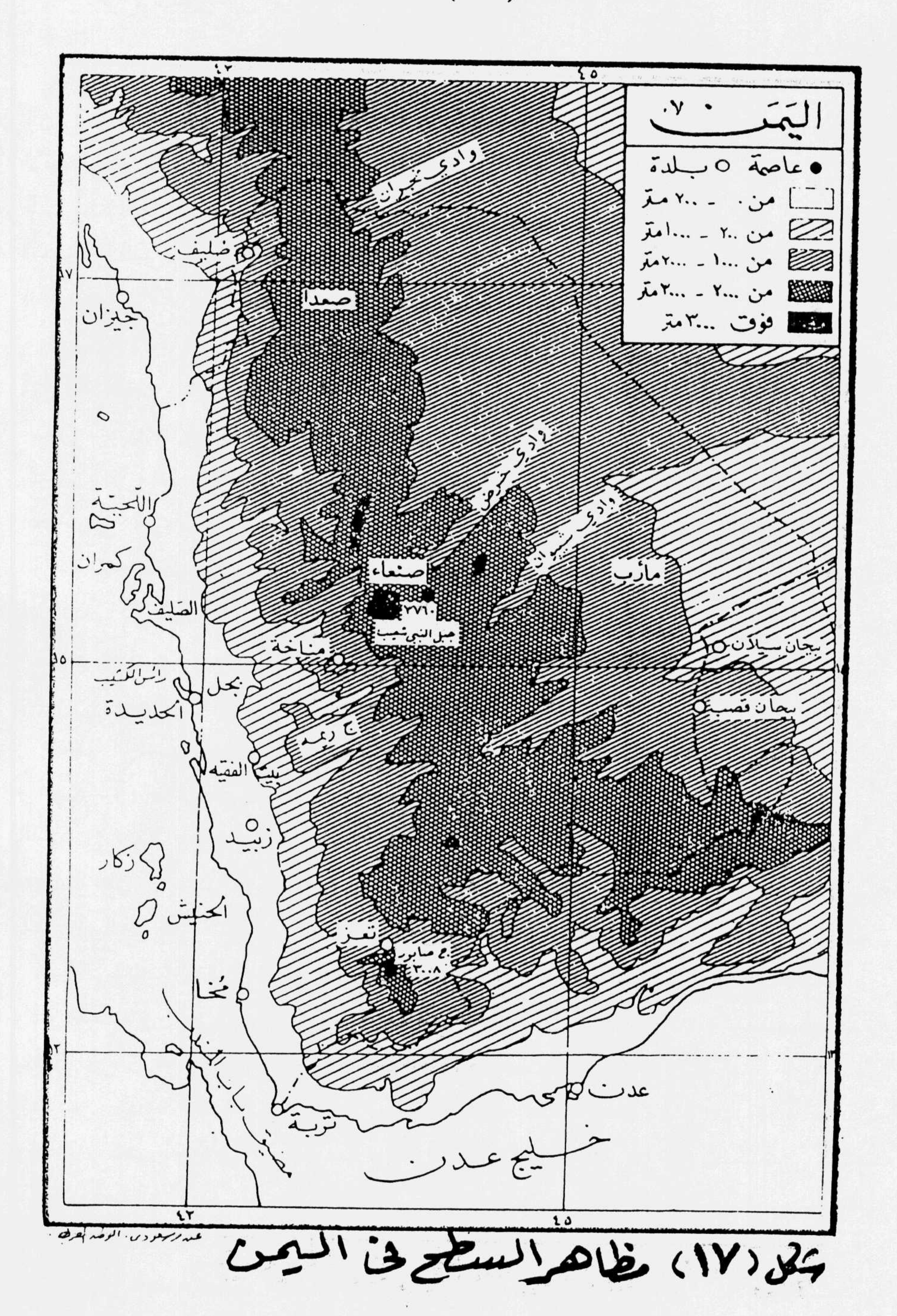
يمثل النطاق الجبلى الرئيسى بشبه الجزيرة العربية ، يمتد بصفة عامة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى فى شكل سلسلة من المرتفعات ، تعد فى حقيقتها جزء من الحافة الشرقية من الأخدود الأفريقيى العظيم شكل (١٤) ، المناظرة للجانب الغربى من البحر الأحمر حيث سلاسل مرتفعات البحر الأحمر فى مصر والسودان وإرتريا ، وتترك جبال السروات بينها وبين البحر سهلا ساحليا ضيقا يعرف فى معظم أجزاءه باسم "ساحل تهامه" أو سهل تهامة تنحدر عليه بشده الجوانب الغربية لمرتفعات السروات ، وكثيرا ما تقترب من البحر ، بحيث لا تترك أى سهل ساحلى يذكر ، ونظرا لكونها مرتفعات صدعية نتجت بفعل الصدوع العرضية والطولية ، فقد ارتبطت تلك الحركات الرئيسية بخروج الطفوح اللافية وانتشارها فوق مساحات واسعة تبدو فى مظهرها العام كسطوح مضرسة ، وتعرف باسم "الحرات" مغطاة بصخور البازلت البركانية ومع تتبع جبال السروات من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، نجدها تزداد ارتفاعا فى جزئها الشمالى المعروف باسم مرتفعات "مدين" التى يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠٠ م تنحدر انحدارا شديدا نحو الساحل الشرقى لخليج العقبة ، ولا يترك سوى جيوب من السهول الساحلية تنمو بها أشجار النخيل وغيرها من النباتات الجافة الأخرى ، ويظهر بها فى هذا الجزء قمم مرتفعة ، وتستمر الجبال فى اتجاهها الجنوبى الشرقى فى صورة أقل ارتفاعا ، وذلك فى جزئها الأوسط

المعروف باسم جبال الحجاز تاركة سهلا ساحليا متسعا نسبيا مما أدى إلى إتاحة قيام موانى هامة على البحر الأحمر مثل ميناء "جده" ، ونظرا لانخفاض الجبال فى هذا الجزء ، فقد أدى ذلك لسهولة الاتصال بداخل شبه الجزيرة العربية عن طريق مد الطرق بامتداد الأودية المقطعة لسلاسل الجبال والتى بدورها أدت لقيام مراكز العمران فى السهول الواقعة بين المرتفعات الغربية كما فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ومع الاتجاه جنوب دائرة عرض ٢٠ شمالا يزيد ارتفاع الجبال وتسمى فى هذا الجزء الجنوبى مرتفعات عسير ومع امتدادها جنوبا تسمى مرتفعات اليمن شكل (١٧) وهما أعلى المناطق الجبلية وأكثرها تضرسا ووعورة فى جبال السروات ، كما أنها متقطعة طوليا وعرضيا بفعل الضعف والهبوط الصدعى ، والأودية المتجهة شرقا مثل وادى الدواسر ورافده وادى بيشه فى مرتفعات عسير ووادى الجوف بمرتفعات اليمن ، وعادة ما تكون هذه الأودية أكثر طولا وأقل انحدارا من الأودية المتجهة غربا نحو البحر الأحمر مثل وادى المية عند جده ووادى الحمص شمال غرب المدينة المنورة ،ووادي زبيد وحيدان المتجهان نحو ساحل اليمن شمال ميناء "مخا".

يمتد السهل الساحلى بين جبال السروات شرقا والبحر الأحمر غربا ، وهو ضيق عموما بل يختفى أحيانا عند اقتراب الجبال النارية من خط الشاطئ ، كما يظهر هذا السهل فى هيئة جيوب ساحلية عند مصبات الأودية تجاه البحر الأحمر بين نتوءات جبلية عالية كما هو بالساحل الشرقى لخليج العقبة والتى تتراجع الجبال جنوبه تاركة سهلا ساحليا متسعا فى بعض الأجزاء ويضيق فى أخرى ، مستمرا فى امتداده حتى مضيق باب المندب ، ومن المناطق التى تتسع عندها تلك المنطقة المواجهة لساحل ميناء قنيفذة بأكثر من ٤٥ كم ، وينخفض سطح السهل الساحلى ويتميز بانتشار الرمال السافية وكثرة السبخات خاصة ساحل تهامة عسير المجاورة لميناء "الليث" .

ويتميز "خط الشاطئ" باستقامته وقلة تعرجه فى أغلب أصله الصدعى ، كما يتميز بامتداد الأطر المرجانية الملاصقة للساحل والمتقطعة عند مصبات الأودية الشهيرة التى تعد بذلك ثغرات صالحة لانتشار الموانئ الطبيعية ، كما يتميز خط السحل أيضا بقلة الجزر وإن تركزت فى الجزء الشمالى كجزر تيران وصنافير وهى صخرية مرجانية غير مأهولة وفى الجنوب



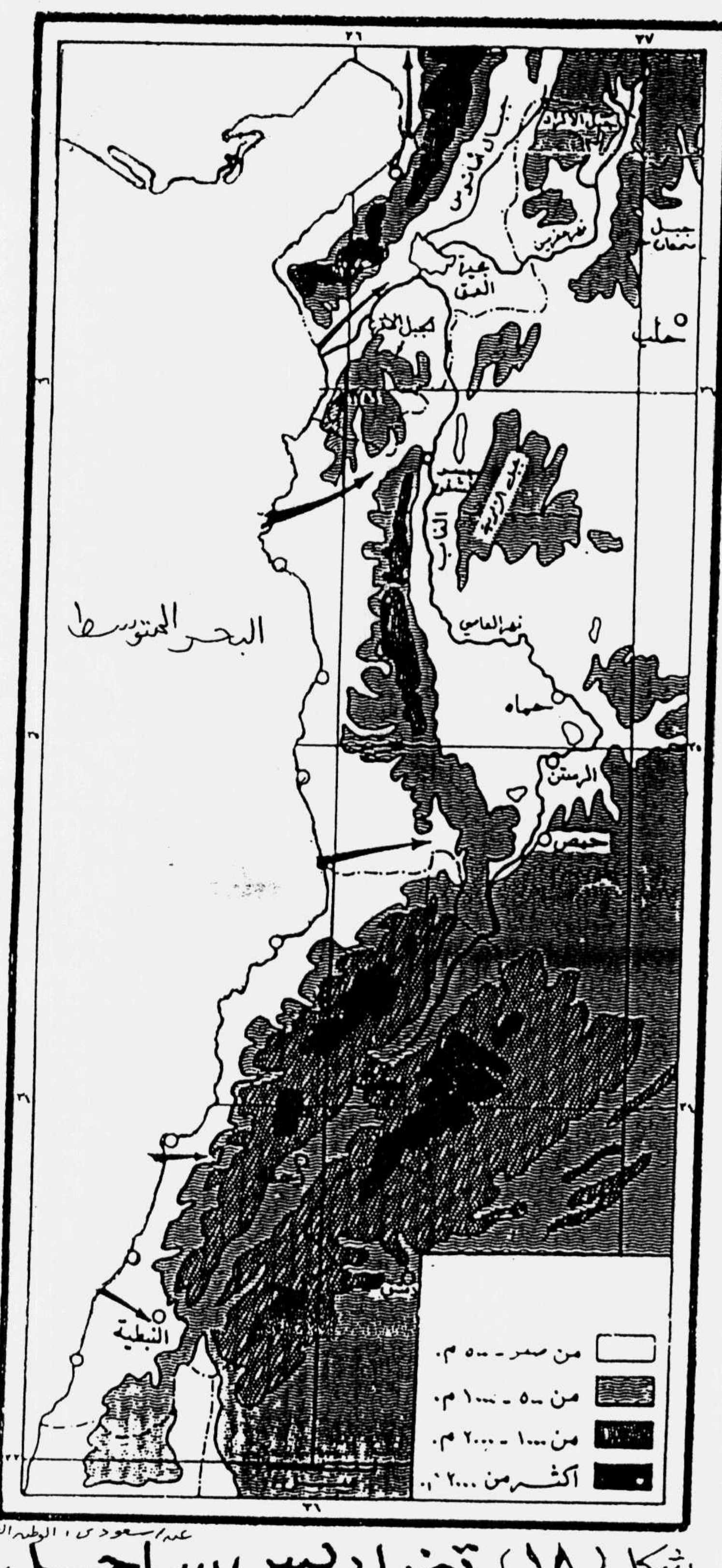
شكل (١٧) مظاهر السطح في اليمن

توجد جزر فرسان المرجانية أمام ساحل جيزان السعودى والتـــى يسـكنها بعض السكان .

- **جبال الشام** (١٠) :

وهى امتداد لأثر الأخدود الأفريقى العظيم والمكون لحوض النيل ، تمتـد فى مجموعات متتالية من السلاسل الجبلية التى قطعتها الأودية المتجهة غربا نحو البحر المتوسط فتمتد سلسلة مرتفعات أمانوس فى أقصى الشمال بسوريا تاركة غربها سهلا ساحليا ضيقا ، ثم تمتد جنوبها جبال العلويين "الأنصارية" بينهما مناطق سهلية منخفضة يتخللها وادى العــاصى ، وتسـتمر السلسـلة الجبلية فى امتدادها جنوبا فتتصل بجبال لبنان الغربية أعلى جبال الشـــام و أكثرها تضرسا يخترقها ممر رئيسى هو "ضهر البيدر" ويصل ارتفاع بعض القمم الجبلية هناك إلى أكثر من ٣٠٠٠ مترا شكل (١٨) ، ويفصــل تلـك الجبال عن جبال لبنان الشرقية الموازية لها سهل البقاع الخصب المــنزرع والذى يتخلله نهرى العاصى والليطانى والمتســع عنـد نهايتـه الشـمالية والجنوبية أيضا ، إلا أن أقصى اتساعه فى أوسطه ، ومع استمرار سلسـلتا جبال لبنان الغربية والشرقية فى اتجاههما جنوبا تبرز القمم الجبلية أهمـــها جبل الشيخ بارتفاع ٢٨٠٠ مترا ، وبعد ذلك ينخفض السطح نسبيا وتظـــهر بعض الأودية والمنخفضات الفاصلة لجبال لبنان بقسميها شمالا ومجموعـــة جبال عامر والجليل فى الجنوب ، وتفصل عامر والجليل بين سهل الحولـــة شرقا وسهل عكا غربا ، ويصل ارتفاع قممها لأكثر من ١٢٠٠ مترا يمتـد جنوبها مناطق منخفضة انكسارية تكون خلالها ســهل مــرج بــن عــامر الخصيب الفاصل بين مرتفعات الجليل شمالا وجبال الخليل جنوبا والأخـيرة تتكون من صخور جيرية وتبدو كهضاب عالية تستمر فى امتدادها جنوبـــا نحو صحراء النقب غرب غور الأردن والتى تعد جيولوجيا جزء من نظـــام بنيوى أكبر يشمل هضبة التيه بالجزء الأوسط من شبه جزيرة سيناء .

ويعد "غور الأردن" واد أخدودى يعرف بإقليم الغور يبدو كـــواد طويـل مستقيم عرضه بين ١٥ ، ٢٥ كم يمثل البحر الميت الجزء الجنوبى منه ويقع تحت منسوب سطح البحر بنحو ٣٩٠ متر ، ويعد بذلك أعمق منخفضـــات العالم على الإطلاق ، ويتجه نحو البحر الميت وادى الأردن ليصب فيه مــن الشمال ، ويوضح شكل الغور العام إلى جانب الحقائق الجيولوجية والبنيوية



عن/ سعودي ، الوطن العربي

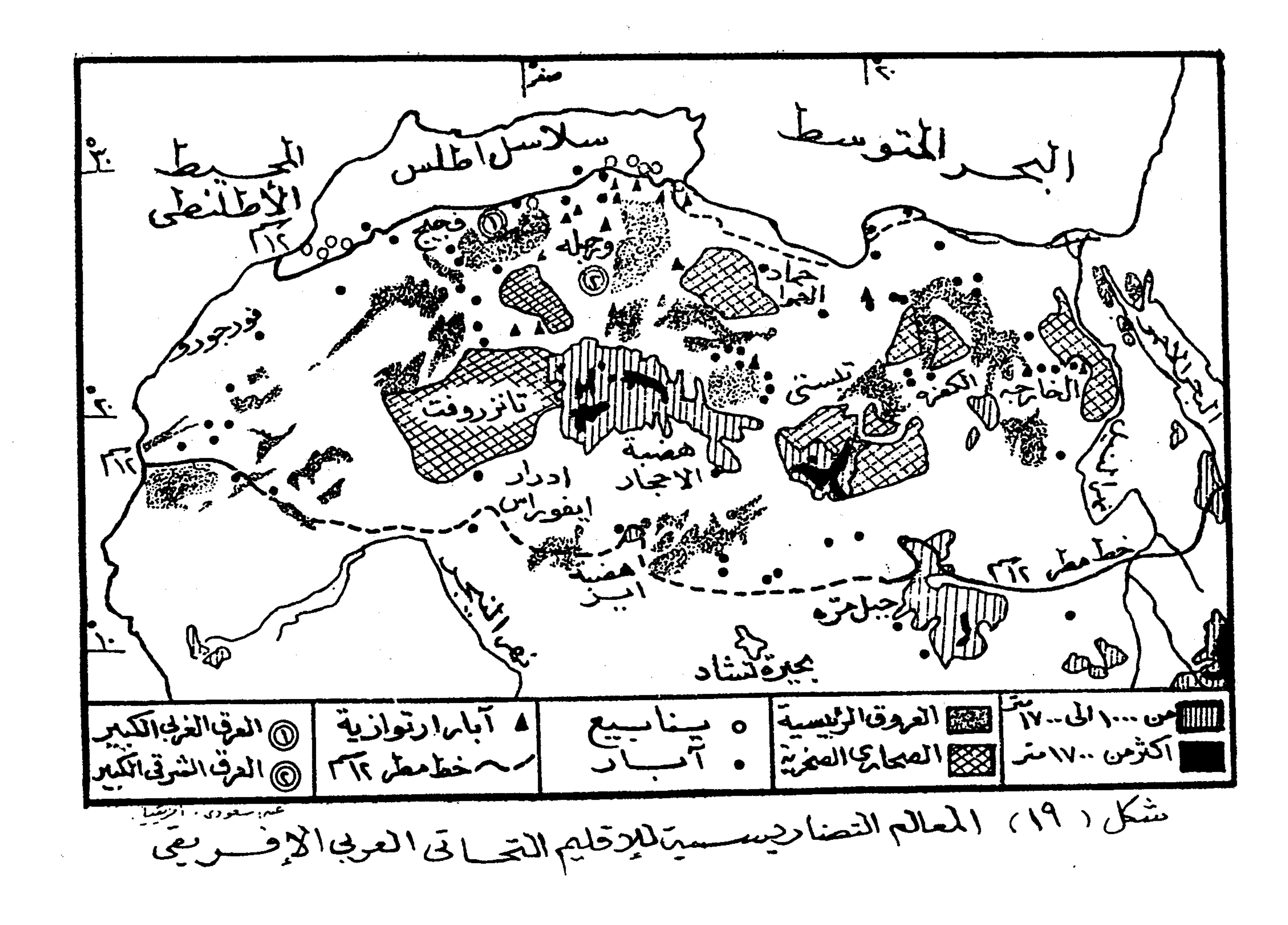
شكل (١٨) تضاريس ساحل البحر المتوسط الشرقي

المرتبطة به إلى أنه جزء من النظام الأخدودى الأفريقي العظيم والممتد نحو الشمال فى سهل البقاع والمنخفضات الواقعة بين سلاسل مرتفعات شمال غرب سوريا .

ويتميز السهل الساحلى الممتد من ساحل الاسكندرونه شمالا عند بداية ساحل الشام حتى غزة جنوبا باختلاف اتساعه من منطقة لأخرى بحسب درجة ابتعاد الجبال أو أقربها من خط الساحل ، فيتقطع فى جزئه الشمالى إلى حد ما ، فتنشأ مدن ساحلية عند اتساعه مثل اللاذقية وطرابلس وبيروت ، حيث ابتعدت سلاسل جبال العلويين عن الساحل تاركة سهولا متسعة (سهل العلويين) قام ميناء اللاذقية الرئيسى بسوريا ، وفى المساحة بين طرابلس وبيروت تختفى السهول الساحلية تقريبا ، ثم تتسع ثانية حتى رأس الناقورة متميزة هنا بخصوبتها وكثرة ينابيعها ، وإلى الجنوب من رأس الناقورة يتسع السهل عند ساحل عكا ، حيث تتصل عنده بسهل مرج بن عامر ، ثم يضيق السهل لبروز جبل الكرمل مطلا على البحر بانحدار شديد عند ساحل حيفا ، ثم يتسع السهل الساحلى مرة أخرى بشكل مطرد حتى الحدود الفلسطينية المصرية ، ويعرف السهل فى جزئه الشمالى باسم سهل صارونه والجنوبى باسم سهل فلسطين ، وتتميز المنطقة السهلية هنا بالخصوبة وكثافة الزراعة الملائمة كالموالح والتفاح وغيرها حيث توافر المياه ، ورغم اتساع سهل فلسطين أكثر من سهل صارونة إلا أن الأخير يتميز بالزيادة فى إمكانياته المائية .

(٤) الوحدة التحاتية فى الشمال الأفريقى [١١] :

تمتد فى دول الوطن العربى الأفريقي خلال الصحراء الكبرى الأفريقية لتشمل الصحراء بداية من أعقاب جبال أطلس حتى حدود وادى النيل شكل (١٩) ، وتتميز هذه الوحدة ببساطة العوامل المساهمة فى تشكيل البنية وما ترتب على ذلك من بساطة ملامح التضاريس السائدة فى هذا الامتداد العظيم . فقد تركزت على نواة كبيرة من الصخور والبقايا البلورية القديمة لكتلة جندوانا ، ويبدو أنها قد تعرضت قبل حدوث التصدع والانكسار والزحزحة لعوامل باطنية أدت لطفوح بركانية بجانب بعض الثنيات المحلية فى عصر ما قبل الكامبرى فى الزمن الأركى ، ومثلت تكوينات الزمن الأول حركات باطنية التوائية هرسينية ، فى محاور تتجه من الجنوب للشمال بصفة عامة .



شكل (١٩) المعالم التضاريسية للإقليم التحاتى العربى الإفريقى

وباستثناء ذلك لم تتأثر هذه الوحدة إلا بالارساب . والتعرية مساهمة فى تسوية السطح وخفض مناسيب الارتفاعات ، ونحت بعض المنخفضات والأحواض المغلقة .

تبدو الوحدة التضاريسية ذات مظهر هضبى ، إلا أن هناك تنوع فى التضاريس أهمها الأحواض الصحراوية الداخلية والواحات والأودية الجافة ، وكلها نحتت بفعل التعرية المائية فى البليستوسين (العصور المطيرة) ، ثم التعرية الهوائية فى الوقت الحاضر ، إلى جانب التعرية بفعل المياه الجوفية . ومن أهم المنخفضات والأحواض الداخلية منخفض الجوف فى موريتانيا ومنخفض "بسكرة" فى الجزائر ومنخفضات الصحراء الليبية والقطارة فى الصحراء الغربية المصرية ، إلى جانب الواحات مثل شنقيط بموريتانيا وعين صلاح بالجزائر وغدامس وجالو وجغبوب والكفرة وفزان فى ليبيا وسيوة والفرافرة والداخلة والخارجة فى مصر ، ومن أهم الأودية الجافة وادى درعه بالجزائر ووادى الفارغ فى ليبيا ، وتضم هذه الوحدة أيضا التلال والمرتفعات الممثلة لبقايا السلاسل الجبلية القديمة التى حولتها عمليات التعرية لكتل جبلية بارزة وسط مناطق هضبية ، أهمها مرتفعات الأحجار التى ترتفع إلى ٣٠٠٠ متر جنوب شرق الجزائر ، ومرتفعات تاسيلى على طول القطاع الجنوبى من الحدود الليبية الجزائرية . وكذلك الأجزاء الشمالية الشرقية من مرتفعات تبستى جنوب ليبيا وهضبة تادميت بالجزائر وجبل عوينات على الحدود المصرية الليبية السودانية (١٨٩٢ م) وجبال مره فى السودان (٣٠٧٠ م) ، ويمتد فى النطاق الهضبى الداخلى كذلك أشكال رملية على مساحات واسعة أهمها تكوينات العراق أو الغرود وهى كثبان رملية طولية مثل غرد أبى المحاريق بصحراء مصر الغربية ، أو هلالية الشكل وبرخانات متكونة من رمال ناعمة دائمة التحرك ، ويصعب اجتيازها ، ومنها بحر الرمال العظيم على طول الحدود بين ليبيا ومصر ، ممتدا لمسافة ٨٠٠ كم جنوب واحة سيوه . والعرق الشرقى الكبير والعرق الغربى الكبير بالجزائر .

وتبدو أيضا ما يعرف بظاهرات السرير أو الرق وهى أسطح صخرية أو حجرية صلبة ممتدة لمسافات بعيدة تغطيها أغشية من الحصى والحصباء الخشنة وتختفى منها الرمال ، وكثيرا ما تتلاحم المكونات الحصوية مكونة

لسطوح مصقولة تسمى (الورنيش الصحراوى) ومن هذه الظاهرات سرير كلنشو شمال شرق ليبيا إلى جانب صخور صلبة تفتقر لمقومات الحياة تماما يصعب اجتيازها تعرف باسم الحمادة ، كحمادة الحمراء شمال غرب ليبيا وحمادة دراع وحمادة تنزيرت بالجزائر .

(٥) الوحدة التضاريسية المغربية :

وتعتبر وحدة تضاريسية متميزة وتستمد صفاتها من امتداد وسيطرة السلاسل الجبلية الالتوائية ، ومن المفيد متابعة التاريخ الجيولوجى للتعرف على البنية وعوامل تشكيل تضاريس هذه الوحدة ، ويتحتم علينا الإشارة للكتلة القديمة وأثرها فى التخطيط العام لاتجاه السلاسل الجبلية ، وقوام هذه الكتلة القديمة صخور متحولة كالشست والميكاشست وصخور الجرانيت والريوليت التى تنتمى إلى ما قبل الكامبرى ، وتضم أيضا رواسب من الزمن الأول يتراوح سمكها بين ٨٠٠٠ ، ١٠٠٠٠ متر ، وقوامها الحجر الرملى والجيرى ، كما تظهر بعض رواسب ترجع لارسابات ترتبت على طغيان البحر فى العصر الفحمى (الزمن الجيولوجى الأول) . وقد تعرضت المنطقة لحركات كلدونية إلتوائية أواخر الزمن الجيولوجى الأول ، كذلك الحركات الهرسينية الأشد أثرا ووضوحا وانتشارا ومع نشاط التعرية قد خفض مستوى تلك السلاسل الالتوائية ، بل لعلها غطيت بالرواسب البحرية المتراكمة أواخر الزمن الجيولوجى الأول حتى الكريتاسى فى أواخر الزمن الجيولوجى الثانى .

أما حركات الزمن الجيولوجى الثالث ، فهى التى أحدثت السلاسل الالتوائية الحديثة التى تضفى على الوحدة التضاريسية فى بلاد المغرب العربى أهم صفاتها ، وكانت هذه الحركات منذ حوالى عصر الأيوسين الأوسط إلى عصر الأليجوسين الأعلى ، ثم زاد نشاطها فى أثناء عصر الميوسين ، ويعنى ذلك أن المعالم الرئيسية للتضاريس وسلاسل الجبال الضخمة حديثة من وجهة النظر الجيولوجية خلال الزمن الجيولوجى الثالث ، ويمكن القول أن عدم الاستقرار مازال مسيطرا ، حيث تظهر بعض التشققات والانكسارات ، وبعض آثار النشاط البركانى بالإقليم .

وتوحى النظرة للخريطة التضاريسية بأن سلاسل الجبال الالتوائية الحديثة ، هى التى تسيطر على السطح وصورة التضاريس شكل (٢٠) ، فهناك



شكل (٢١)

الوحدة الالتوائية في المغرب العربي

سلسلتان تمتدان فى الاتجاه العام من الغرب إلى الشـــرق ، وتحصـــران بينهما كل مظاهر التضاريس الأخرى ، سواء تمثلت فى هضـــاب كهضبـــة الشطوط أو فى صورة عقدة جبلية ، أو كانت فى شكل سلاسل جبليـــة مـــن نفس الطراز، وعلى نفس النمط من حيث الامتداد والتاريخ الجيولوجى .

و تتميز جبال أطلس مع امتدادها بصفة عامة من الجنوب الغربى إلـــى الشمال الشرقى بالاتساع و الضخامة غربا ثم تضيق باضطراد نحو الشـــرق ، و تنقسم جبال أطلس الى سلاسل جبلية متوازية تنحصر فى :

(أ) جبال أطلس التل :

تمتد من المملكة المغربية حتى تونس عبر الأجزاء الشمالية من الجزائـــر ، تزداد أرتفاعا حول مدينتى قسنطينة و تلمسان بالجزائر ، وتعرف بسلســلة تلال الريف ، والتى تمر بحذاء خط الساحل المشرف على البحر المتوسط ، و تبدو متوسطة الارتفاع ، تليها الى الداخل سلسلة غيته ، التـــى لا يزيـــد أرتفاعها عن ١٠٠٠ مترا ، و تفصل هذه السلسلة غير المتكاملة عن سلسلة تلال الريف أرضا سهلية يحتلها واديا مقعرا ، يجرى فى قاعه نهر سيبو.

(ب) أطلس الصحراء :

تعد اكثر ارتفاعا و امتدادا من أطلس التل ، يبلغ متوسط ارتفاعـــها فـــى الجزائر و تونس نحو ٣٤٠٠ مترا ، تظهر بها قمم عالية أهمـــها أوراس و عمور و أولاد نايل ، و نظرا لهذا الارتفاع فتكثر غاباتـــها خاصـــة علـــى المنحدرات المواجهة لهبوب الرياح المطيرة ، وتعد منبعا لعدد من الانـــهار مثل مجردة المتجه لتونس ومليانة أيضا.

وفى المغرب تنقسم أطلس الصحراء هذه إلى ثلاث سلاسل جبلية واضحة تتمثل فى أطلس العليا(العظمى)و تعد من أهم السلاسل الجلية الالتوائية بقارة أفريقيا ، بل وتمتد كحائط جبلى يزيد طوله عن ٦٠٠ كم ، و يصل عرضـــه إلى نحو ٦٠كم ، وذلك فى موازاة لساحل المحيط الاطلنطى تاركـــا ســـهلا ساحليا يعرف بسهل وادى سوس ، كما تعلوهـــا قمـــة "طوبقـــال" بارتفـــاع ٤١٦٥م وهى أعلى قمة بجبال أطلس وهى من أصل بركانى يكسوها الجليد شتاء وتتقطع سلسلة أطلس العليا بالممرات الجبلية التـــى تربـــط الســـاحل بالداخل ، واهم هذه الممرات (تيزى تستت) الذى تعبره الطرق البرية نحـــو مدن المغرب المختلفة.

(ج) أطلس الخلفية أو الداخلية :

وتمتد إلى الجنوب من أطلس العظمى يفصلها سهل وادي سوس ، وتتجه بصفة عامة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، ويصل ارتفاع قمم هذه النوعية الجبلية إلى أكثر من ٣٣٠٠ مترا ، وتمتاز بغطاء نباتي من الأشجار الطبيعية وحشائش المراعي أيضا .

(د) أطلس الوسطى :

يغلب على مظهرها شكل الهضبة المحدبة ، تتجه ناحية الشمال الشرقى من أطلس العظمى ، وتنحدر العديد من الأودية النهرية على طول جوانبها مثل نهر سيبو الذى يصب فى المحيط الأطلنطى قرب مدينة الرباط ، ونهر أم الربيع ونهر المولوية وإن كان الأخير يصب فى البحر المتوسط ، حيث ينبع من قمة جبل عياش حيث يصل ارتفاعه إلى ما يزيد على ٣٧٥٠ مترا.

وتتخلل سلاسل جبال أطلس عدة هضاب مثل هضبة مراكش الممتدة من الشرق نحو الغرب ، وتقع بين مرتفعات أطلس وساحل المحيط الأطلنطى ، كما توجد هضبة الشطوط الواقعة فيما بين أطلس التل وأطلس الصحراء ويبلغ ارتفاع هذه الهضبة ١٠٠٠ متر ، ويتخللها عدة أودية ومنخفضات وبحيرات وإن كانت فى مجملها ضحلة تعرف بالشطوط . تظهر بوضوح فى كل من الجزائر وتونس ، كما تتميز بالانخفاض الشديد وانتشار المناقع ، وأهمها شط الجريد وشط الغرسة الذى يعد امتداد لشط ملغير بالأراضى الجزائرية .

تمتد الوحدة التضاريسية المغربية بطول ٧٠٠٠ كم مع ساحل المحيط الأطلنطى والبحر المتوسط ونظرا للمنشأ الالتوائى للإقليم فقد كثرت الخلجان المحمية والرؤوس البحرية مثل خلجان تونس وقابس وسرت ، كما يتميز الساحل فى كثير من أجزائه بتعرجه وظهور الجزر أمامه كجزر قرقنة وجربة ، وتمتد خلف الساحل سهول تختلف فى درجة اتساعها وأهميتها من مكان لآخر ، فسهول الأطلنطى بالمغرب وموريتانيا تتميز باتساعها وصلاحيتها للزراعة خاصة عند توافر موارد المياه كما فى سهل المغوب ، والتى تعد أغنى سهول الوطن العربى الساحلية ، وإن كان الساحل الأطلنطى فى موريتانيا يتميز بجفافه خاصة فى القطاعين الشمالى والأوسط ، أما جزؤه الجنوبى فينال حظا من الأمطار الصيفية تسمح بقيام الزراعة فيه .

وتعد السهول الساحلية بالإقليم على البحر المتوسط ضيقة متقطعة بصفة عامة بالمغرب وتونس والجزائر ، تبعا لدرجة اقتراب السلاسل الجبلية من البحر ، فلا يزيد عرض السهل فى الجزائر عن ٥٠ كم ، أما تونس فيضيق السهل فى جزئه الشمالى تاركا بعض المواضع التى تقوم عليها المدن الرئيسية مثل تونس وبنزرت عند مصب نهر مجرده ، وتتسع السهول الساحلية الشرقية بتونس بين سوسه شمالا وصفاقص جنوبا إلى ما يتراوح بين ٢٠ - ٨٠ كم ، وتتميز بظهور العديد من المدن الرئيسية مثل القيروان وقابس ، وبالاتجاه شرقا مع الساحل الشمالى الليبى نجد التباين فى السهول الساحلية تبعا لاقتراب المرتفعات من البحر أو ابتعادها عنه ، فنجدها تتسع بسهل الجفارة غربا إلى نحو ١٠٠ كم ، فى حين تختفى أقصى الشرق تقريبا عند ما يطل الجبل الأخضر على البحر ، كما يضيق قرب مدينة طرابلس .

الفصل الخامس
الأحوال المناخية والنباتية بالوطن العربى

الأحوال المناخية والنباتية بالوطن العربى

لما كانت عناصر المناخ مرهونة بحركة الشمس الظاهرية ، تلك الحركة المسئولة على النظام الحراري للأقاليم متفاعلة مع الوحـــدات التضاريســـية والمسطحات المائية لذلك الأقاليم ، ومن ثم تتحدد حالة الضغط الجوي واتجاه الرياح على مدار العام تبعا لحركة الشمس الظاهرية ، وتعد حالة الضغـــط الجوي واتجاه الرياح تلك مسئولة بدورها عن ظروف المطـــر ومـــن ثـــم النباتات الطبيعية لهذا الإقليم .

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نتتبع حركة الشمس الظاهرية على الوطـــن العربي وما يترتب عليها من تطور وتغاير في أحداث المنـــاخ وعنـــاصره خلال العام :

المناخ في صيف الوطن العربي :

أولا : الحرارة : تجدر الإشارة إلى أن ، باستثناء دول القـــرن الإفريقـــي العربية والطرف الجنوبي للسودان العربية تلك المتوغلة والمعمقـــة للكتلـــة العربية في الكيان الإفريقي ، نجد أن مدار السرطان ينصف تقريبـــا الكتلـــة العربية ، فوقوعها بين دائرتي عرض ٢ جنوب خط الاستواء ٣٧,٥ شماله ، جعلها ممتدة في المناطق المدارية المطيرة والمناطق المعتدلـــة الدفيئـــة ، إضافة إلى توسطه لمناخ المناطق الحارة والمناطق الباردة ، وكان لموقعـــه هذا بين هذه الدرجات العرضية أثره في غلبة الحرارة على أجزاء الأقـــاليم بدرجة تصبح فيها العامل المميز أو الفيصل بين كل الأقاليم المناخية للمنطقة ، عندما تتعامد الشمس على مدار السرطان صيفا ، فإنها تتعامد على قلـــب الكتلة العربية ، فتسودها الحرارة بوجه عام ، فهي تـــتراوح بيـــن ٢٥ م – ٣٥ م في الجهات الداخلية ، وبين ٢٣ م – ٢٨ م في الجهات الساحلية ، وقد سجلت الصحراء الليبية والجزائرية ومنطقة النوبة جنـــوب العـــراق أعلـــى درجات حرارة في الوطن العربي صيفا فتصل ٥٦ م في قريـــة العزيزيـــة الليبية جنوب طرابلس ويظهر أثر تيار كناري البارد الآتـــي مـــن شـــمال الأطلنطي في أن أعلى درجة حرارة لم تزد على ٢٠ م في موجادور بينمـــا وصلت إلى ٢٥ م في ميناء الجزائر ، مع أنه إلى الشمال فـــي موجـــادور بخمس درجات عرضيه ، كما يظهر أثر المسطحات المائية بمقارنة النهايـــة

العظمى لكل من تونس والجزائر وهي على التوالي ٢٦ م –٢٥ م بالنهاية العظمى بالقاهرة (٣٣ م) ، وإذا كانت النهاية العظمى تقع في الجهات الداخلية في شهور يوليو في غالب الأحوال ، فإنها تتأخر في الجهات الساحلية إلى شهر أغسطس ، ولا يفسر هذا إلا على ضوء خط العرض المتطرف نحو الجنوب غير أن هذا الوضع لا يلاحظ في جنوب السودان ، حيث تظهر قمة الحرارة في منجلا في فبراير ومارس ؛ ذلك أنها ذات مطر صيفي يعمل على خفض درجة حرارة الصيف التي تصل ٥١ م أحيانا [١] .

وإجمالا ، فأن الوطن العربي أحر مناطق العالم ، حيث الصحراء الكبرى وشبه جزيرة العرب ، ونلحظ أن خط الحرارة ٣٥ م لشهر يوليو مغلق على الصحراء الكبرى ، بينما يكون خط الحرارة ٣٠ م في منطقة منتمية في حرارتها لوسط آسيا وجنوبها الغربي ، وتتميز هذه المناطق إلى جانب تعامد الشمس على مدار السرطان الذى ينصفها ، بطبيعة اليابس واتساعه وانخفاض منسوبة وبعده عن البحر ، وندرة الغطاء النباتي إلى جانب تباعده عن النطاق الإستوائي عدا الأجزاء الجنوبية للسودان والصومال :حيث يتساوى بها طول الليل والنهار معظم السنة ، وبالتالى فهناك تنافس في فترة سطوع الشمس ، واكتساب الأرض والجو القريب منها للحرارة ، بينما تزداد الحرارة صيفا كلما بعدنا عن النطاق الأستوائي ، وذلك لطول النهار ، وبالتالي فترة سطوع الشمس ، وقصر الليل ، ولذا يزداد في الصيف المدى الحراري اليومى [٢] ، وسط هذه الأجواء الحارة تظهر الاختلافات في درجة الرطوبة بين الأرجاء المختلفة لاتساعه من جهة ، ولتنوع ظروفه الطبيعية من ناحية أخرى ، ولكن متوسط الرطوبة يتراوح بين ٥٠% – ٧٠% ، ترتفع في الجهات الساحلية ، وإذا ما كان الظهر الخلفي للساحل منطقة جبلية كما في سواحل الشام فإن نسائم البحر التي تحمل بخار الماء إلى اليابس تتركز في الشقة الساحلية .

ويعد اجتماع الرطوبة مع الحرارة المرتفعة في فصل الصيف يجعلها أمرا مرهقا للجسم البشري ، وتتمثل هذه الظاهرة بصفة خاصة في الخليج العربي وسواحل البحر الأحمر، وبدرجة أقل في سواحل البحر المتوسط . وتبلغ أقصاها في الجهات الساحلية كبيروت صيفا رغم انعدام المطر ، "ولكنها في الداخل ترتفع شتاء " إذ أن بيروت الأقل حرارة من دمشق صيفا

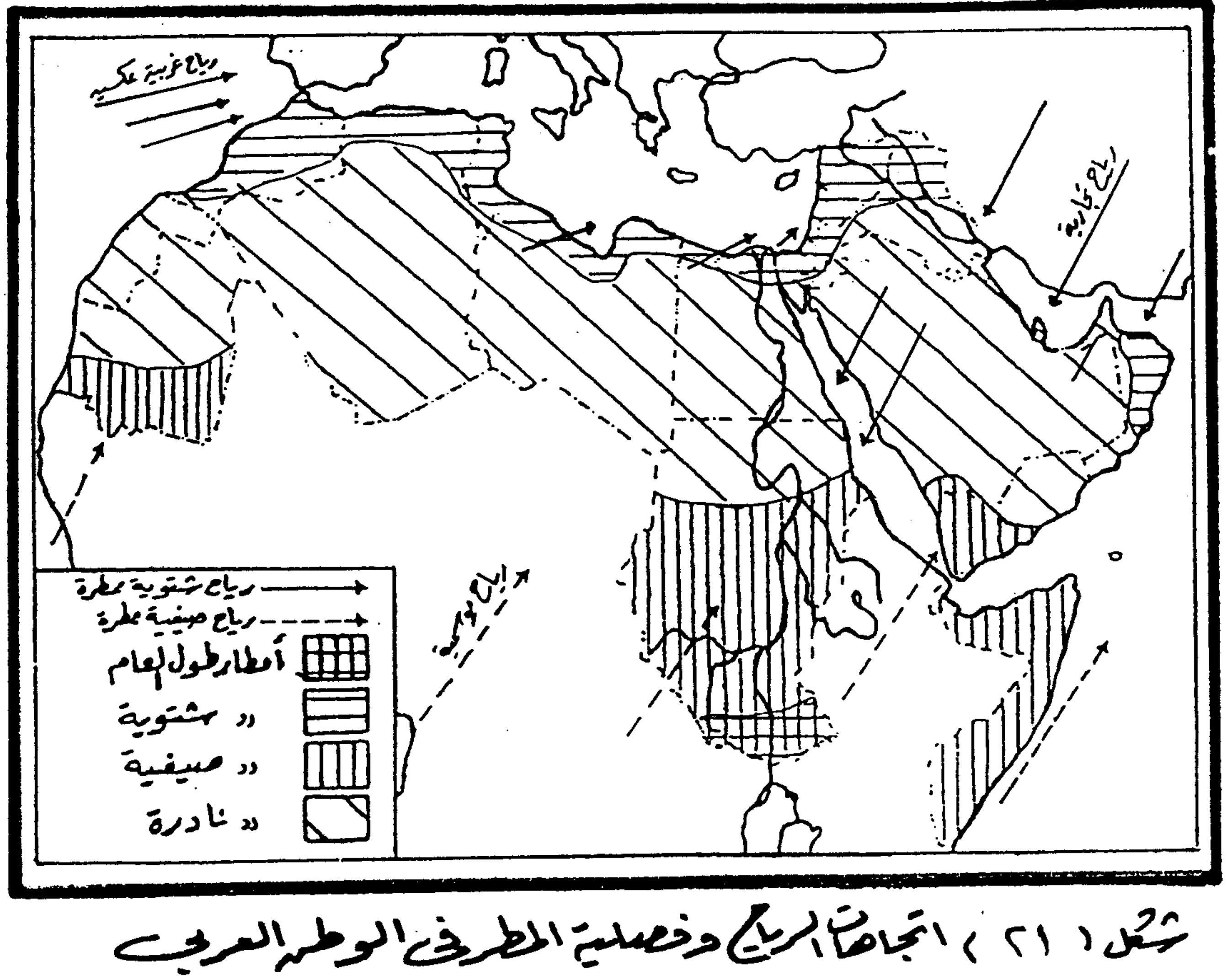
مع رطوبة نسبية وقدرها ٧٠% تجعل الأنسان يحس بأنها مرتفعة الحرارة كدمشق التي تتراوح فيها الرطوبة النسبية بين ٢٠% -٤٠% (٣) .

ثانيا : الضغط الجوي والرياح :

كان لارتفاع درجة الحرارة الناتجة عن تعامد الشمس أثرها في تكون كتلة من الضغط الجوي المنخفض فوق اليابس العربي الأفريقي والأسيوي ، إذ تتركز منطقة للضغط المنخفض في شمال شرقي أفريقيا ، تكون على اتصال بمنطقة الضغط المنخفض الأسيوي ، التي تمتد من السند إلى شبه جزيرة العرب ، وكثيرا ما تتصل هذه وتلك بنطاق الضغط المنخفض الدائم فوق النطاق الإستوائي ، في ذات الوقت يتركز على منطقة الأزور في المحيط الأطلنطي شمال غرب القارة الإفريقية ضغط مرتفع ، ويمتد منه لسان يغطي البحر المتوسط ، إلا أن فوق جزيرة قبرص في الحوض الشرقي للبحر المتوسط يظهر عليها منطقة الضغط المنخفض ، ذلك أن قبرص جزيرة من اليابس وسط البحر المتوسط . فتكون جزيرة من الضغط المنخفض وسط بحيرة من الضغط المرتفع .

وبناء على ما سبق تبدأ دورة الرياح الموسمية من المحيط الهندي إلى شمال غرب الهند ، وتسقط معظم أمطارها بالتقائها بالهمالايا ، ثم تسير موازية لها نحو الغرب ثم موازية لزاجروس وتستمر محاذية لهضبة أرمينيا فغربا فوق هضبة الأناضول ثم جنوبا فوق بحر إيجه ثم تتجه نحو الجنوب بشرق بتأثير جذب الضغط المنخفض القبرصي لها فتتجه مشرقة نحو ساحل الشام ونحو الجنوب الشرقي على مصر وشبه جزيرة العرب . كما تجذب منطقة أعالي النيل وهضبة الحبشة كمنطقة ضغط منخفض رياحا ممطرة من ساحل غانا الأفريقى بالمحيط الأطلنطي كما فى الشكل (٢١) ، وهذه الرياح هي المسئولة عن فيضان النيل وأمطار هضبة اليمن .

وتهب على بقية الوطن العربي الإفريقي الرياح الشمالية الآتية من الضغط المرتفع الأزوري وامتداده على البحر المتوسط نحو الضغط المنخفض على الصحراء الكبرى . وقد تحدث تغيرات طفيفة من آن إلى أخر كامتلاء أو زيادة انخفاض مراكز الضغط المنخفض السابق ذكرها ، ولكن الرياح تهب كما سبق الذكر .



شكل (٢١) اتجاهات الرياح وفصلية المطر في الوطن العربي

أما الرياح المحلية في هذا الفصل فهي حارة مترية من الصحاري وهي رياح قارية مدارية Tropical Continental Air ناتجة عن امتداد مساحات متسعة من الصحاري العربية والمناطق الأخرى المجاورة ، ففي الربيع وأوائل الصيف يبدأ الضغط المرتفع على الشمال الإفريقي وجنوب غرب آسيا في التكسر والتلاشي ويصبح الجزء الشمالي من الوطن العربي هو طريق الانخفاضات الجوية المسببة للرياح المحلية ، ويتبع هذا تدفق رياح من الصحراء الإفريقية أو شبه الجزيرة العربية متجهة صوب هذا الانخفاض ، تؤدي إلى تغيرات في حالة الطقس العادية ، ويتبع هبوب هذه الرياح ارتفاع درجة الحرارة إلى ما بين ١٠ م – ١٥ م في بضع ساعات ، وتهبط الرطوبة النسبية إلى أقل من ١٠% ويؤدي هذا إلى جفاف النباتات وهلاكها أحيانا ، وتملأ الجو بالأتربة والرمال ، وتحدث الاضطرابات في الاتصالات اللاسلكية ولهذه الرياح مسميات عديدة في أرجاء الوطن العربي ، كالخماسين في مصر والقبلي في ليبيا والهبوب في السودان والشلوك في الشام والسموم في شبه الجزيرة العربية والطوز في الكويت [٤] .

ثالثا : المطر:

لا تشهد المنطقة العربية أمطارا صيفية في الأجزاء الشمالية لا في الهلال الخصيب أو في الشمال الإفريقي ولكن يقتصر المطر الصيفي على الأجزاء الجنوبية من الوطن العربي كما فى شكل (٢١) ، فبسبب توزيعات الضغط خلال فصل الصيف سابقة الذكر ، تهب على الأجزاء الشمالية من منطقة الضغط المرتفع الأزوري وامتدادها فوق البحر المتوسط رياح تجارية شمالية في الغالب أو شمالية غربية على الجزء الشمالي الإفريقي حتى السودان وهي جافة وتلطف من درجة حرارة الشمال من حين أنه من منطقتي الضغط المرتفع على المحيطين الهندي والأطلنطي تهب رياح موسمية جنوبية غربية على أرض السودان حتى دائرة عرض ١٨ شمال خط الاستواء كذلك أرض اليمن وجنوب مروتانيا والرياح أصلها تجارية جنوبية شرقية في جنوب دائرة الاستواء ، وحينما تعبر خط الاستواء تغير اتجاهها تبعا لقانون فرل ، وتصبح جنوبية غربية [٥] ، كما تجدر الإشارة إلى أن أمطار سهول السودان انقلابية حيث ترتفع درجة الحرارة صيفا وما

يتبعها من صعود هواء محمل ببخار الماء ، في حين تكون الأمطار الساقطة على اليمن تضاريسية ، إلا أن المطر يزداد من حيث الكمية والفصلية كلما اتجهنا نحو الجنوب ؛ فهو فى الخرطوم ١٧ سم ويقتصر فصل المطر على ثلاث شهور من يوليو إلى سبتمبر ، فى حين يبلغ فى ملكال ٧٥ سم ، ويمتد فصل المطر من مايو إلى أكتوبر ويزداد إلى ثمانية أو تسعة شهور فى بلدة جوبا . أما اليمن فتسودها حالة موسمية ، حيث تسقط أمطار صيفية غزيرة على السودان واليمن والحبشة ، فيسقط فى صنعاء نحو ٦٤ سم ، بينما ينخفض فى عدن إلى ٥سم .

أما عن الصومال والتي تتميز بالصحراء في شرقها ، والأمطار فجائية ، ولا تزيد كميتها السنوية على ٢٥سم ،فإن الرياح تهب موازية لساحلها فى الصيف ، وهى الرياح الجنوبية الغربية ، أو فى الشتاء هى الشمالية الشرقية أما عن الجزء الصومالي جنوب خط الاستواء فقط ، فهو ذو نظام استوائى للمطر ، حيث التبخر اليومى والتيارات الصاعدة وزيادة كمية الأمطار حتى ١٠٠سم .

المناخ فى شتاء الوطن العربى :

أولا : الحرارة : يواكب فصل الشتاء تعامد الشمس على مدار الجدى (شهر يناير) أى تكون الشمس أبعد ما تكون عن المنطقة العربية ، ففى يناير الذى يعد شهر الحرارة الدنيا يختفى خط الحرارة ٣٥ م ، ويسود بدلا منه خطان الحرارة ٢١ م وسط الكتلة العربية تقريبا وخط ١٥ م شمالا ولا ترتفع الحرارة بعد ذلك ارتفاعا محسوسا إلا في أواخر فبراير ، ثم تقفز بعد ذلك قفزات واسعة ويعد المدى الحراري السنوي كبير في الجهات الداخلية ، حيث يصل إلى ١٩ م في بغداد وبسكرة والتي تسجل نحو ٧ م شتاء وبسكرة كما يصل المدى الحراري ٢٠ م في قسنطينية كذلك الرياض والتي تصل حرارة الشتاء بها ٧ م ، ويرجع هذا إلى حالة الجفاف السائد ، أما في الجهات الساحلية فيقل هذا إلى ١٤ م ببيروت والجزائر التى تصل حرارة الشتاء بها ١٤ م ، أما المدى الحراري في موجادور فيصل ٦ م ، كما ينخفض المدى السنوي في منجلا جنوب السودان إلى ٤ م ، ويرجع هذا

لارتفاع نسبة الرطوبة معظم فترات العام وإلى الكساء الخضري الذي يغطي المنطقة أكثر من سبعة شهور في السنة .

وتلعب تضاريس المنطقة العربية المرتفعة دورا واضحا على الحرارة يكون ملحوظا ليلا في الشتاء حيث تنخفض انخفاضا كبيرا . فتكسو الثلوج المرتفعات سواء في الأطلس أو في جبال لبنان لمدة تبلغ خمسة شهور في السنة ، وإن كانت تصل إلى ثمانية شهور في القمم الشاهقة الإرتفاع في جبال أطلس ، وفي اليمن نظرا لاختلاف مستويات التضاريس، تظهر فيها اختلافات حرارية متعددة ، إذ تنخفض حرارة الهضبة شتاء إلى – ١٣ م ، وكثيرا ما يتكون الصقيع بل وأحيانا تتكون الثلوج على القمم الشاهقة ، وإن كان تساقط الثلوج هنا أقل حدوثا منه في مرتفعات الحجاز الشمالية [٦] .

ثانيا : الضغط والرياح :

خلف الانخفاض في الحرارة على المنطقة العربية شتاء ضغط مرتفع نظرا للرطوبة النسبية ، وقد اتصل هذا الضغط المرتفع بدوره مع منطقة الضغط المرتفع الأزوري غربا ، وشرقا بالضغط المرتفع الأسيوي ، ويصبح البحر المتوسط بذلك عبارة عن نطاق من الضغط المنخفض النسبي تحيط به نطاقات من الضغط المرتفع (في الشمال ضغط مرتفع فوق أوربا) ، وبسبب توزيعات الضغط هذه ، تهب من الضغط المرتفع الأزوري رياح عكسية جنوبية غربية على أقاليم البحر المتوسط على الساحل العربي الإفريقي والأسيوي مصحوبة بأعاصير ممطرة كما فى شكل (٢١) ، أما على الصحراء الكبرى ، فالرياح الهابة تكون شمالية شرقية جافة [٧] ، وتعد الظاهرة الرئيسية والمتحكمة فى ،مناخ الوطن العربي في فصل الشتاء هي ظاهرة مرور الانخفاضات الجوية وما يتبعها من تقلبات ، وتأتي هذه الانخفاضات الجوية من المحيط الأطلنطي عن طريق جبل طارق أو ممر كركسون ، ويتجدد باتصاله بالبحر ، ويستمر في الاتجاه حتى هضبة أرمينيا وإيران بآسيا ، غير أن من هذه الانخفاضات ما يتولد فوق البحر المتوسط ذاته ، حيث يساعد التناقض الواضح بين السهول الدفيئة والمرتفعات الباردة وبين السواحل الرطبة والجهات الداخلية الجافة التى تحيط به ، على نمو وتكوين هذه الانخفاضات ، ويظهر أن هناك منطقة تلائم ظروفها نمو

وتكبير نظم الضغط المنخفض ، ويتزعمها في هذا المجال سهل ألبو في إيطاليا الذي يتولد فيه عدد كبير من الاضطرابات الجوية التي تتحرك نحو الجنوب الشرقي للبحر المتوسط .

ويمكن أن تتولد الانخفاضات جنوب جبال أطلس وتتحرك نحو وسط البحر المتوسط ، وهناك على جبال الألب وما يقابله من تسخين شديد على الصحاري في الجنوب ، ويمكن إضافة منطقة خليج سرت حيث تتوالد فيها الانخفاضات الجوية ، فلها أثرها الواضح على الأحوال الجوية في منطقة برقة ومصر الشمالية وكذلك منطقة قبرص التى تنمو فوقها الانخفاضات التي تتحرك بسرعة في الخريف والشتاء والربيع .

تختلف الانخفاضات الجوية التي تنشأ في البحر المتوسط (العروض المعتدلة الدفيئة) عن نظيراتها التي تنشأ فوق الأطلنطي (المنطقة المعتدلة الباردة) فالقطاعات الدفيئة في الانخفاضات المعتدلة الباردة تكون مرتفعة الرطوبة ومصحوبة بالسحب الكثيفة ، بينما القطاعات الدفيئة في الانخفاضات المعتدلة الدفيئة غالبا ما تكون جافة خالية من السحب ، كما تختلف عنها أيضا في ضحالة انخفاضات البحر المتوسط ، وعدم امتدادها في مساحات كبيرة بينما انخفاضات الأطلنطى قد تغطى مساحة المحيط ، ويصل مركز الانخفاض إلى ٦٩٠ مليبار بينما انخفاضات البحر المتوسط تكون عادة أصغر ولا ينخفض الضغط داخلها عن ٩٩٠ مليبار، وعادة ما يتخير الانخفاض الجوي دربا بحريا ، فمن شمال إيطاليا يتجه جنوبا إلى الادرياتيك متجها إلى البحر الايوني ، ومن هناك ينقسم الدرب دربين تحت تأثير كتلة الاناضول ، منها ما يستمر شرقا إلى سواحل الشام فالعراق ، ومنها ما يتجه إلى بحر إيجه فالبحر الأسود حتى تصل إلى بحر قزوين ، ومع هذه الانخفاضات تسقط الامطار على سواحل أفريقية الشمالية والشلم ، وغالبا ما تصل الى الخليج العربي وإيران .

ثالثا : المطر:

يصيب المطر الشتوي الأجزاء الشمالية "شمال الصحراء" إلى جانب المرتفعات العمانية ، وبعض الأجزاء الساحلية للبحر الأحمر كما فى شكل (٢١) ، إذ ترجع أسباب المطر على الأطراف الشمالية إلى رياح رطبة آتية

من الغرب نتيجة لهجرة الانخفاضات الجوية خلال الشتاء نحو الجنوب ، بحيث تمتد منطقة الاضطرابات الجوية التي تصحب الغربيات على البحر المتوسط ، وتسقط الأمطار في أوائل الخريف على هيئة رذاذ على فترات قصيرة خلال سبتمبر ، ولكن مع نهاية أكتوبر تغزر وتطول فترات السقوط ، وغالبا ما تكون مرعدة ، وكأن الرعد إيذانا بنهاية الصيف ، ولكن سرعان ما يصفو الجو بعد بضعة أيام وتظهر فترة معظمها يكون الجو فيها صحو تستمر حتى ديسمبر ، أما موسم الأمطار الفعلي فيبدأ أواخر ديسمبر وأوائل يناير وهو شهر النهاية العظمى للمطر ، وتتأخر بصفة عامة قمة المطر كلما اتجهنا شرقا فتميل النهاية العظمى في بيروت إلى أن تكون في يناير ، بينما تميل في الداخل نحو الحدوث في فبراير وإذا وصلنا إلى بغداد كانت في مارس .

ويتحكم في توزيع الأمطار التضاريس والمسطحات المائية بصورة واضحة ، فالانخفاضات الجوية التي تأتي الوطن العربي من الغرب تكون قد فقدت جزء من رطوبتها ، فإذا صادفت دربا مائيا في المنطقة أمكن لها أن تجدد حمولتها من بخار الماء .

يتناسب سقوط الأمطار على الأجزاء الشمالية العربية تناسبا طرديا مع طول السواحل المتعامدة مع اتجاه الرياح الغربية العكسية ، ومن ثم فهناك فروقات إقليمية مع طول الساحل ، فبروز برقة بطول ساحل المتوسط وتعامدها على الرياح الممطرة كان له أثره في غزارة الأمطار هناك ، فيسقط في بنغازي التي تقع في النهاية الغربية للجبل الخضر نحو ٣٠سم مقابل ٨سم في بور سعيد ، أما ضيق البحر الأحمر فيتجلى أثره في قلة الأمطار الساقطة على الساحل السوداني بينما الاتساع النسبي للبحر المتوسط يظهر في غزارة المطار على ساحل الشام ، كما يعتقد أن قرب الخليج العربي له أثره على زيادة الأمطار على سفوح زاجروس . وللتضاريس دور واضح على المطر ، لدرجة أن خطوط المطر المتساوية تميل لإتباع خطوط الكنتور ، فالسفوح الغربية في بلاد الشام غزيرة المطر على حساب السفوح الشرقية ، وعلى حساب المنخفضات التي تقع في منطقة الظل .

وتتميز الأمطار الإعصارية بالغزارة ، ولكن في مدة قصيرة ، فساحل الشام ذو متوسط ٧٥سم ، وهو رقم يعتبر عاليا يزيد على المطر في بعض

أجزاء بريطانيا الذي يوزع على معظم العام ، ولكن في ساحل الشام يسـقط على مدى ٦ شهور ، بل إن أكثر الشهور مطرا لا تزيد فيـه عـدد الأيـام المطيرة عن ١٦ يوم ، ومن ثم تسقط كميات كبيرة في مدة صغيرة ، بمعنى أن سقوط ٣سم / الساعة يعتبر أمرا عاديا في المنطقة ، فمدينة دمشق وهـي ذات متوسط سنوي يبلغ حوالى ٢٥سم سقط منها ١٠سم في صباح أحد أيـام ١٩٥٤م [٨] .

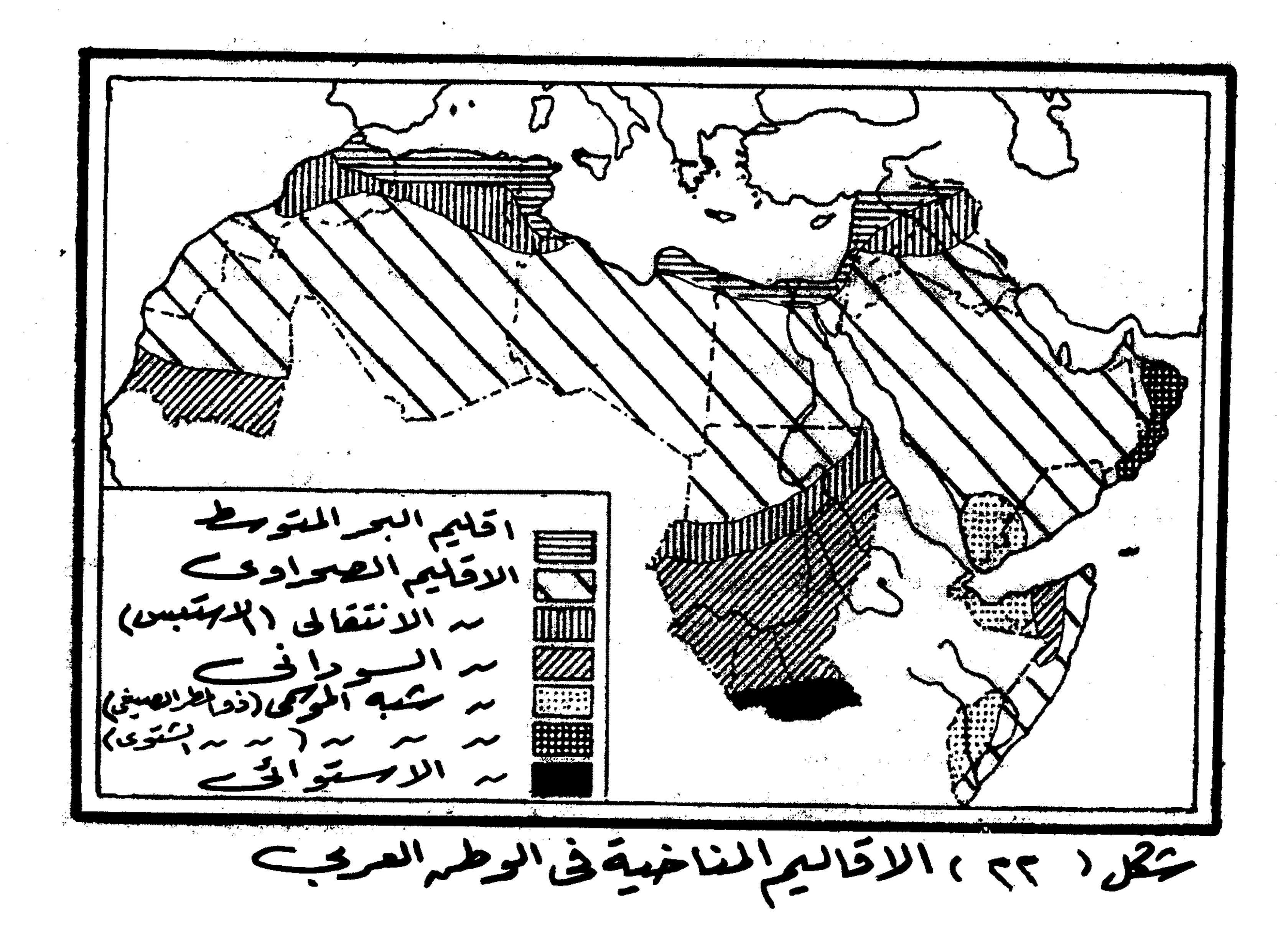
الأقاليم المناخية العربية

ذهب علماء المناخ فى العالم إلى تقسيم البيئات الجغرافية في العالم إلـى أقاليم مناخية ، كل منها له مثالب وميزات خاصة به وعليه فيمكـن لنـا أن نضع رؤية مناخية للبيئة العربية تحدد من خلالها عدة أقاليم مناخية تميزهـا كما فى شكل (٢٢) ، ولعل أهم العناصر التي يمكن الاعتمـاد عليـها فـي التقسيم وتحديد الأقاليم المناخية العربية هو عنصر المطر ، ذلك لأن المنطقة العربية تمتاز بالحرارة العالية في الأغلب الأعم لأجزائها ، كما أنها تفتقـر للنبات الطبيعي والذي تغلبت على معظم مناطقه تأثيرات العوامل البشـرية ، وغيرت فيه وأفنت منه مساحات واسعة . وعليه يمكـن أن نقسـم الأقـاليم المناخية العربية إلى :

أولا : نطاق المطر الشتوي : وهذه تضم عدة مناطق رئيسية يمكـن أن نضعها في إقليمين محددين :

١ – إقليم البحر المتوسط :

ويمتد هذا الإقليم في ظهير البحر المتوسط ويميز هذا الإقليم فصلين مـن الحرارة الأول : من أكتوبر لأبريل حيث البرودة غير الشديدة حيث يكـون متوسط الحرارة ١٠ م وإن كان شهري ديسمبر ويناير أكثر انخفاضا . أمـا الثاني : من مايو إلى سبتمبر فيميزه ارتفاع درجة الحرارة ويعد يوليو ثـم أغسطس قمة هذا الفصل الحار ، وتتركز نسبة ٧٥% من المطر السنوي في ديسمبر ويناير وفبراير ، ويعد هذا المطر إعصاريـا حيـث الانخفاضـات الجوية على البحر المتوسط ، وكما تتفاوت كمية الأمطـار علـى أجـزاء الساحل المختلفة حسب شكل الساحل كما سبق الذكر ، نجد النقص الملحـوظ المستمر شبه المنظم في كمية المطر السنوي في الطريق إلى الداخـل فـي الظهير غير المباشر ، وذلك عند مقارنة بين كمية المطـر السـنوي بيـن الإسكندرية والقاهرة ، وتعد منطقة الظهير البعيد أكثر في احتمالات الذبذبـة من سنة إلى أخرى بالزيادة أو النقصان في حدود ٢٥% من كميـة المطـر السنوي ، وتسقط الثلوج على جبال أطلس من نوفمبر إلى أبريل وفي



شكل (٣٢) الاقاليم المناخية فى الوطن العربى

المناطق المحمية تستمر للصيف ومهما يكن من أمر فان ملامح المنـــاخ الأساسية في هذه الأرض العربية تتمثل في شتاء معتدل ، تهب فيه الريـــاح التجارية الشمالية الشرقية الجافة ، التي تحمل معها البرد أحيانا ، كما تتمثـل في صيف حار ، وقد تشتد درجات الحرارة بوضوح فـــي شـــهري يوليـــو وأغسطس مع ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة .

٢ - الإقليم المداري الدافئ ذو المطر الشتوي : ويضم هـــذا الإقليـــم ظهير الساحل السوداني من جهة وظهير الساحل العماني من جهة أخرى :

أ - ظهير الساحل السوداني : يبدو هذا الإقليم ضيقا فـــي ظـــهير خـــط الساحل ، منحصرا بين خط الساحل وسلاسل جبال البحر الحمر ، ولا تكـــاد تقل درجة الحرارة على الإقليم عن ٢٠ م ، بل تصل في المتوسط إلى ٢٥ م خلال شهور ديسمبر ويناير وفبراير ، إلا أن درجة الحـــرارة أثنـــاء هـــذه الشهور معرضة للهبوط غير المنتظم بسبب هبوط الرياح التجارية الشـــمالية الشرقية الباردة ، أما في الصيف ترتفع متوسطات شـــهور يونيـــو ويوليـــو وأغسطس إلى ٣٥ م تصاحبها الرطوبة العالية التى تعد دائمة على الإقليـــم وتزيد فى الشتاء ، ويصيب هذا الإقليم ٨٠% من أمطاره أثناء الشتاء والناتج عن هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية "بميل كبير" عـــابرة المســـطح المائى للبحر الأحمر فى مسافة طولها ٤٠٠ ميلا (٦٤٠ كم) فتحمل ببخـــار الماء وتتسبب فى سقوط الأمطار ، وأحيانا تتجمع الرطوبـــة فـــى صـــورة ضباب ، أما مطر الصيف فهو عدة ملليمترات قليلة ناتجة عن رياح الجنوبية الغربية الرطبة التى تمر عبر ثغرات فى التلال متسربة للمنحدرات الشـــرقية والسهل الساحلى الضيق فى بعض أيام يوليو وأغسطس .

وتعتبر الذبذبة فى كمية المطر على الإقليم كبيرة بصفة عامة قد تصـــل إلى ٥٠% ، حيث سجلت البيانات الإحصائية هذه الذبذبة فى بـــور ســـودان بنهاية صغرى ١٨ ملليمترا أو نهاية عظمى ٣١ ملليمترا .

(ب) ظهير الساحل العمانى :

وتتلخص صفة المناخ فيه فى صيف شديد الحرارة ٣٥ م مع الارتفـــاع الملحوظ فى درجة الرطوبة التى يتميز بها المسطح المائى الحار فى خليـــج عمان والبحر العربى ، أما فى الشتاء فتعتدل الحرارة إلى حد ما ، وتســـيطر

فيه رياح شمالية شرقية تعبر المسطح المائى لخليج عمان فتحمل بالرطوبة وتسقط مطرا تضاريسيا على أرض عمان بصورة معقولة ٤٠ سم فى المتوسط نظرا لسقوطها فى شهور الشتاء .

ثانيا : نطاق المطر الصيفى :

ويشمل هذا النطاق على الإقليم المدارى المطير صيفا والإقليم الموسمى باليمن :

١ - الإقليم المدارى المطير صيفا :

ويسمى استبس العروض المدارية Bshw والسافانا بالنسبة لتقسيم "كبن" ، ويمتد هذا الإقليم من غرب إلى شرق السودان وموريتانيا ، والمناطق القريبة من الصحراء فى الإقليم ، يتميز بأمطار انقلابية تسقط ما بين يوليو وسبتمبر ، إلا أن أثرها الفعلى على النبات قليل ، كما تتميز بذبذبة فى مطرها بوضوح ، أما عن الحرارة فهى لا تختلف كثيرا عن حرارة الصحراء المجاورة ، وإن كانت قمة الحرارة تسبق قمة المطر ، أما الجزء الجنوبى من الإقليم والذى يسود فى السودان الجنوبى فيزيد المتوسط الشهرى والسنوى للحرارة على ٢٨ م وتصل متوسطات الحرارة إلى أعلى درجاتها فى أشهر الجفاف ، بينما تبلغ أدناها فى أشهر المطر .

ويعد المطر هنا من النوع الانقلابى Convectional بفعل العواصف الرعدية التى تصاحبه ، ومن ثم تلعب حركة الشمس الظاهرية شمالا وجنوبا دورا بارزا في طول فصل المطر وكميته ، إذ أن الرياح الجنوبية وهي مصدر بخار الماء الصاعد من الهواء إلى طبقات الجو العليا تتقدم نحو الشمال أو تتقهقر جنوبا تبعا لهذه الحركة . وتبدأ أشهر المطر من إبريل ، وتستمر إلى شهر أكتوبر أو نوفمبر وتظهر في أقصى جنوب السودان قمتان للمطر ،كظروف الإقليم الاستوائى وإن كان فى منطقة محدودة أقصى جنوب السودان أحدهما في مايو أي بعد التعامد الأول للشمس والثانية في يوليو أي بعد التعامد الثاني ، ثم تلتحم القمتان في الأجزاء الشمالية من الإقليم لتصبح قمة واحدة . ويتراوح المطر الساقط ما بين ٢٢٥سم في أقصى الجنوب ، وبين ٨٠سم في شمال الإقليم . ويتراوح معدل الإنحراف في المطر بين

١٥-٢٠سم عن المعدل العام ، وإن كانت هذه النسبة تتجه نحو الزيادة كلما اتجهنا شمالا ونحو النقص بالاتجاه جنوبا [٩] .

٢-الإقليم الموسمي :

ويعنى بهذا الإقليم أرض اليمن جنوب غرب شبه جزيرة العرب ، وتوصف بأنها ذات مناخ موسمي متدهور أي "النقص الواضح في كمية المطر السنوية" مقارنة بكميات المطر السنوية بنظيره جنوب شرق أسيا ، ويبدو انقسام السنة في الإقليم بقسمين : فصل حار بشكل ملحوظ بمتوسطات حرارة لا تقل عن ٣٠ م ، ومع ذلك فالارتفاع للسطح ووعورته تؤدي إلى تعديل درجات الحرارة على المرتفعات ، كما تترتب على الموقع الجغرافي بالنسبة للمسطح المائي التفاوت في درجات الرطوبة ، ويتعرض الإقليم صيفا مع ارتفاع الحرارة لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية محملة ببخار الماء ، ومع ذلك فإن كمية المطر السنوية تتفاوت حسب العامل التضاريسي ، الأمر الذي يوضح الارتفاع الملحوظ في احتمالات الذبذبة في المطر بالزيادة والنقصان من سنة إلى أخرى ، أما الفصل الثاني فهو الشتاء ويتميز بانخفاض واضح في متوسطات الحرارة الشهرية على الإقليم حسب مستويات التضاريس بها متصل في بعض المناطق إلى – ٣ م حيث الثلوج والصقيع ولذلك فإن المدى الحراري السنوي في الإقليم يصل إلى ١٧ م على وجه التقدير [١٠] .

ثالثا: النطاق الصحراوي :

وهو يكون الإقليم الصحراوي الحار وشبه الصحراوى الذي يفصل تقريبا بين النطاقين السابقين .

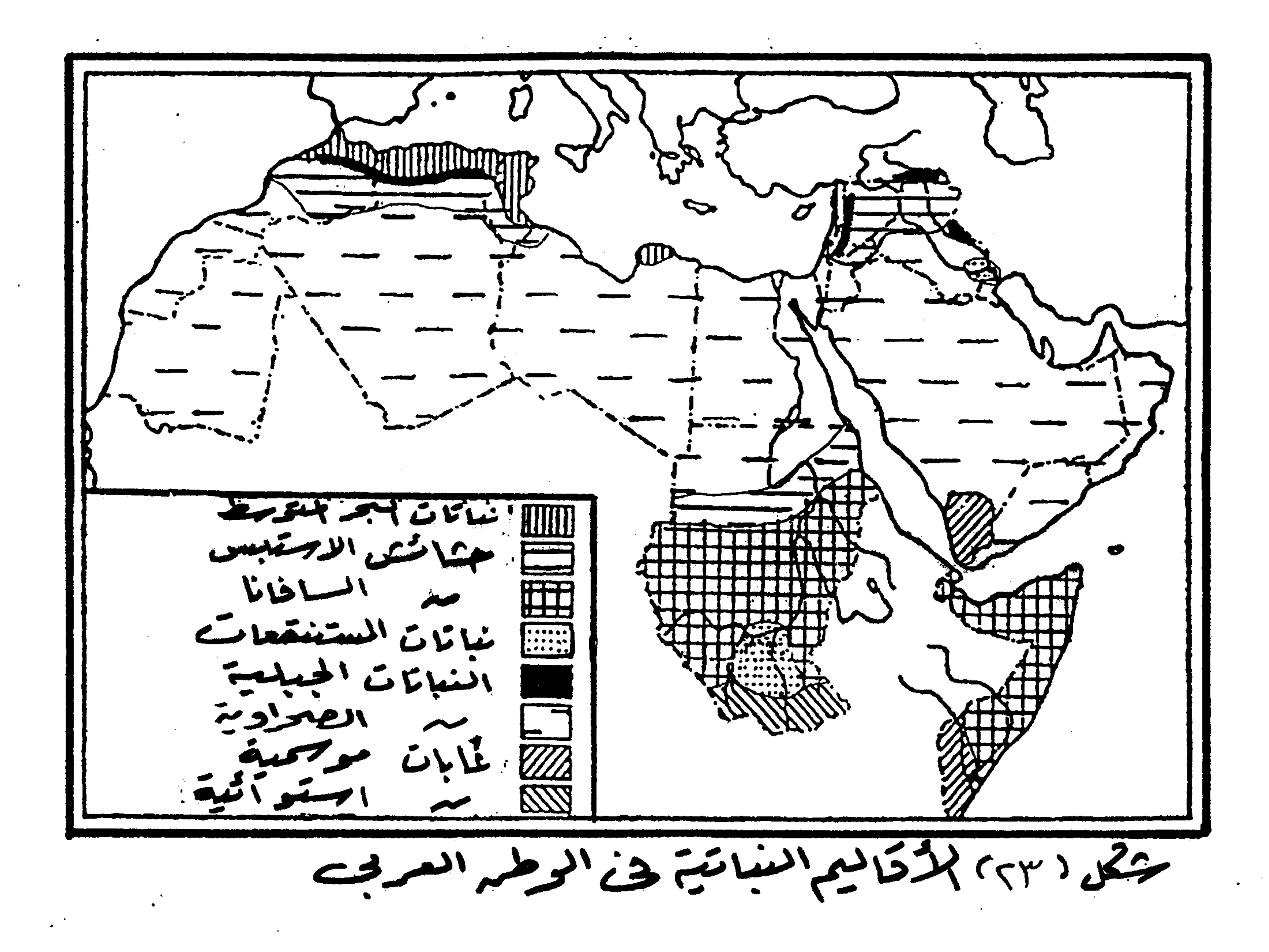
ويشمل مساحات واسعة من الوطن العربي ، متمثلة في الصحراء الكبرى وصحراء شبه الجزيرة العربية ، وسبب تكون هذه الصحاري وأشباه الصحاري هو وقوع أجزاء منها في مناطق الضغط المرتفع أو عرضة لهبوب الرياح التجارية المنتظمة عليها ، بجانب تيار كناري البارد على زيادة جفاف الجهات الساحلية . ولا تكاد تخلو الصحراء تماما من المطر (حالة جفاف تام) وإنما المطر ضئيل للغاية فمتوسطه بالرياض ٨سم والقاهرة ٣سم وتكاد محطة أسوان لا تسجل شيئا ، وإلى جانب قلة الأمطار

فهي أيضا غير منتظمة ، كما أنه لا يسقط في رخات منتشرة في مساحات واسعة بل على هيئة سيول انقلابية عنيفة في بعض جهات محدودة ، فعلى سبيل المثال وجد أن سبع عواصف كانت مسئولة عن كمية المطر التي سقطت على حلوان في مدى عشرين عاما ، وفي إحدى هذه الزوابع سقط ١٤سم من المطر أدت لحدوث سيول سارت في الأودية متجهة نحو وادي النيل مكتسحة أمامها المباني والغلات الزراعية ، وكما حدث أيضا في أسوان عام ١٩٩٤ ، ومن ثم تتحول الأودية الجافة في الصحراء الكبرى أو الصحراء الغربية إلى أودية سهلية مليئة بالرواسب المختلفة ومن ثم كانت الأوامر أثناء الحرب تحتم على القوات الفرنسية ألا تعسكر في بطون الأودية الصحراوية خشية الفيضانات المفاجئة .

ويتميز هذا الإقليم بشدة البخر بدرجة ٢٠-٣٠ مرة قدر التساقط ، فالرطوبة النسبية تنخفض في الصحراء المصرية إلى ٢% مع حرارة ٦٣ م أحيانا خلال ساعات النهار . ولعل ما يميز الحرارة في هذا الإقليم هو المدى السنوي الكبير الذي يصل إلى ٢٠ م في أسوان ، ١٩ م في الرياض ولعل هذا التفاوت يظهر ظروف الإقليم الأخرى من سماء صافية وأرض عارية . ويزيد المدى اليومي أحيانا عن المدى السنوي ، إذ يتراوح بين ١٥-٢٥ م وإذا كانت الخصائص الأساسية للإقليم الصحراوي هي ارتفاع الحرارة وقلة الرطوبة النسبية والسحب القليلة ، فإن هذه المظاهر تتعدل على السواحل الغربية للصحراء الكبرى ، حيث يمر تيار كناري وبذلك تعتبر أقرب إلى الإستبس منها إلى الصحراء ، كما تعوض الرطوبة النسبية وكثرة الضباب قلة في صحراوية الجهات الساحلية (١١) .

الأقاليم النباتية العربية

ليس من شك فى أن الذى يؤثر فى الصور النباتية تأثيرا مباشرا من حيث صفة النمو ، ويكسبها الخصائص الأساسية هو المناخ وعناصره ، إلى جانب التضاريس والتربة ، ومن هنا كان المناخ فى المنطقة العربية قد رسم الخطوط الرئيسية للنباتات الطبيعية وهى ممتدة من شمال الوطن العربى إلى جنوبه ويوضحها الشكل (٢٣) ، كما يلى :



شكل (٢٣) الأقاليم النباتية في الوطن العربي

١ - إقليم البحر المتوسط :

ويمتد مع الأجزاء الساحلية للبحر المتوسط فى الوطن العربى ، فضلا عن سفوح الجبال متوسطة الارتفاع ، والصفة النباتية السائدة فى الإقليم هى النمو الشجرى تبعا لفاعلية المطر وظروفه المناسبة التى يسقط فيها ، فى حين يبدو الفقر الملحوظ فى نمو الأعشاب والحشائش ، وتعد أشجار الإقليم غابية دائمة الخضرة فى المناطق والمساحات التى يزيد المطر فيها عن ٣٧٥ ملليمتر ، ومن أهم الأشجار السائدة شجرة الزيتون وشجرة التوت والكروم ، كما تختلط بها بعض أشجار الفاكهة المعتدلة التى تنتشر فى إقليم البحر المتوسط بالإضافة إلى أشجار البلوط والفلين والأرز ، وتزداد الأشجار المختلفة فى المساحات التى تقع على مناسيب مرتفعة تبلغ أكثر من ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، وتتمثل هذه الأشجار فى البلوط والزان الصينى والسرو والشربين ، وغير ذلك من الأشجار التى تتحمل انخفاض درجة حرارة الشتاء على المرتفعات ، إذ كلما زاد الارتفاع تناقصت أشجار البحر المتوسط لكى تسيطر على الصورة النباتية أشجار أخرى من الأنواع الزاحفة من نطاق الغابات المختلطة والنفطية فى وسط وغرب أوربا .

وتعد أشجار الإقليم من وجهة النظر الحيوية من السلالات القادرة على تحمل جفاف الصيف ورطوبته ، ومع أن الشجرة لا تنفض أوراقها إلا أنها تلجأ إلى تعميق جذورها الوتدية لتكفل لها الرطوبة التحتية أو الاقتراب من منسوب الماء الباطنى ، مثل شجرة الكروم ، وقد تلجأ بعض الأشجار إلى تحوير صفات أوراقها حتى تكسوا السطوح العلوية منها والمعرضة للشمس معظم أيام الصيف الحار والجاف بغلاله شمعية ، وقد تحور بعض الأشجار أوراقها حتى تصبح صغيرة وعلى سطوحها زغب شعرى رقيق ، وقلما توجد أشجار تخفف من أوراقها صيفا إلا البعض فى المرتفعات العالية ، وهى غالبا زاحفة من النطاق الغابى للمنطقة المعتدلة الباردة وتعد هزيلة مقارنة ببيئتها الأصلية .

وتعد نسبة عالية من هذه الأشجار فى ذمة التاريخ نظرا لاستغلالها منذ القدم كغابات الأرز التى اشتهرت بها لبنان فاسمها العلمى "Cedarus Libanis" لم يبق منها سوى أجمات صغيرة (١٢) ، ويرجع هذا لاستغلال هذه

الغابات منذ القدم كموقد للأخشاب ولصناعة السفن سواء بواسطة الفينيقيين أو المصريين القدماء ، وتغطى غابات لبنان نحو ٧٤ ألف هكتار تحميها الآن الحكومة ، أما أكبر مساحات هذا الإقليم من الغابات فتتمثل فى المغرب بمساحة ٤ مليون هكتار ، وهى على عكس غابات لبنان فمنها ما لم تقربه يد الإنسان ، لذلك نمت أشجاره نموا كبيرا ، فمن أشجار الأرز المغربية ما يحتاج لتطويقه لعشرة من الناس يلتفون حوله ، وتعمل الدولة للمحافظة على ثروتها الخشبية وخاصة فى السفوح السفلى والوسطى ، فهذه الغابات لا تنمو طبيعيا مرة أخرى بل تحل محلها أنواع متدهورة من الشجيرات بل شجيرات متفرقة وسط مساحات متسعة من السهول .

ولا تخلو العراق من هذه النوعية من الأشجار ولكن بصورة أقل ، فهى أكثر كثافة على السفوح الغربية والجنوبية للمرتفعات ، ومعظم غابات العراق مكون من البلوط بنسبة تزيد على ٩٠% إلى جانب الصنوبر إلا أنها تتعرض لأضرار القطع دون إعادة تشجيرها [١٣] .

٢ – إقليم الاستبس :

تمتد صورة حشائش الاستبس فى بيئة تسيطر عليها الحياة العشبية والأدغال الهزيلة فى مساحات منعزلة فى أنحاء من المناطق الأقل مطرا وظل المطر والمناطق الهامشية على حد الانتقال من مناطق المطر الشتوي إلى الصحراء . حيث لا يزيد متوسط المطر السنوي عن قدر يتراوح بين ١٠٠-٢٥٠ مم ، وتظهر هذه الصورة العشبية في العراق الأعلى وجزء من بادية الشام وجبال عمان والثلث الشمالي من هضبة شبه الجزيرة العربية فضلا عن برقة وهضبة الشطوط ، وفي هذه المراعي تنعدم الحياة الشجرية ، بينما تصبح الحشائش هي المظهر النباتي السائد في فصل الشتاء وتنخفض في فصل الصيف ؛ وتبدو الحشائش خشنة قوية ولا تكاد تعول ثروة حيوانية كثيرة الحجم بأعداد مناسبة ، وتعد الأغنام والماعز أنسب حيوانات الإقليم إلى جانب الإبل والخيل والحمير ، وقد يؤدي الجفاف في فصل الصيف الحار في بعض المساحات إلى سحب الرطوبة من التربة التحتية ، فتظهر بعض التكوينات على السطح ، الأمر الذي يترتب عليه عدم توفر الظروف المناسبة للنمو العشبي . غير أن ذبذبات المطر الكبيرة في مثل هذه المناطق

الهامشية أدت إلى فقدان أعداد ضخمة من حيوان الرعي وخاصة الأغنام ، قدرت بنصف أو يزيد عن النصف من قطيع الأغنام التونسي عام ١٩٤٢ (١٤) .

واتجه كثير من البدو إلى الأراضي الزراعية المستقرة للمشاركة في عمليات الزراعة كجمع الزيتون والكروم ، كما هجر الكثير منهم حرفة الرعي والزراعة معا ، قاصدين إقليم البحر المتوسط والاستقرار في المدن ، إلا أن ساكني هذا الإقليم يجدون في حشائش الحلفا موردا آخر للكسب إلى جوار حرفة الرعي ، فتجمع على ظهور الإبل ثم تنقلها العربات للتصدير لصنع الورق وخاصة أوراق العملة ، إلى جانب استخدامها محليا فى أغراض ريفية أخرى كصناعة الحصر والحبال التى أصبحت ذات طابع ونشاط سياحى الآن .

٣ - الإقليم الصحراوى :

ويشمل هذا الإقليم معظم الوطن العربى أى نحو ثلاثة أرباع مساحته ونباتاته تتلاءم مع ظروف هذه البيئة القاسية من حيث تحملها للجفاف بانتفاخ الأوراق كالصبار أو بصغرها حتى تصبح أشواكا ، وقد تنعدم الحياة النباتية لعدة مئات من الكيلو مترات كما هو الحال فى المناطق الصخرية أو المساحات الشاسعة من بحار الرمال التى تسمى بالعروق والأدهان ، اللهم إلا فى بعض المواقع التى تصيبها بعض رخات المطر وعندئذ يزدهر النمو النباتى القصير الأجل سريعا قبل حلول الجفاف ، وقد لا يستغرق وجود الأعشاب المزدهرة سوى بضعة أيام محدودة فى أعقاب رخات المطر ، مخلفة بعض النباتات الحولية مثل الخردل والبابونج ، ويلاحظ أن النمو النباتى يكون احتماله أكبر فى بطون الأودية والأغوار فى قيعان المنخفضات والأحواض ، لما تتميز به من رطوبة تحتفظ بها التكوينات فيما تحت التربة السطحية ، أو التى تتميز بالاقتراب من منسوب الماء الباطن ، ومن الطبيعى أن يكون احتمال النمو النباتى أكبر أيضا فى كل من الهامشين الانتقاليين الشمالى والجنوبى للإقليم الصحراوى وتظهر فى الصور النباتية فى كل منها نباتات متدهورة منتقلة أو زاحفة من النطاق النباتى المجاور كما فى أشجار السنط جنوب الصحراء ، وحيثما تتوفر بعض النباتات فى المنخفضات

وبطون الأودية يرعى الإنسان الإبل والأغنام والماعز ، كما يشتغل بزراعة الواحات معتمدا على مياه العيون والآبار ، وأهم المزروعات فيها الشعير والنخيل والزيتون وبعض الفواكه .

٤- إقليم السافانا القصيرة والمتوسطة :

ويمتد هذا الإقليم فى الجزء الأوسط الشمالى من السودان وأيضا فى الجزء الجنوبى من موريتانيا ، وكان لسقوط المطر فى شهور الصيف وارتفاع درجة الحرارة بشكل ملحوظ أثره فى نقص فاعلية المطر نتيجة لارتفاع درجة البخر وتمثلت ذلك فى صورة الغطاء النباتى للإقليم ، حيث حشائش متوسطة الطول ، يقل فيها النمو الشجرى ، وهنا وهناك تنمو أشجار من عائلة السنط ، والأشجار شوكية وغير طويلة ، وفى موسم المطر يخضر الإقليم وتمرح فيه أعداد كبيرة من الحيوانات كالزراف والحمار الوحشى والوعول والأسود ، إلا أن الحشائش ذات قيمة غذائية محدودة ، وإلى الشمال من هذه المنطقة ، تسود فى المنطقة الانتقالية حتى الصحراء حشائش قصيرة تزركشها أشجار شوكية وأشهرها أشجار السنط الذى ينتج الصمغ العربى وإجمالا فحشائش الإقليم يعد موسم نموها محدود ، لكنها ذات أهمية خاصة للرعى ، سواء على هامش الصحراء ، والحيوان البرى هنا يتمثل فى النعام والغزال .

٥ - إقليم السافانا العالية (السافانا الغابية) :

تسود السافانا العالية جنوب السودان وجنوبها الغربى والأجزاء الصومالية الأقرب للساحل جنوب خط الاستواء حيث تقل الحرارة نوعا ، كما تتعرض المنطقة لفصل الجفاف ، وتشتد كثافة السافانا ، ويزداد علوها بالاقتراب نحو الغابات الاستوائية أقصى جنوب السودان وامتداده ، كما تزداد أعداد الأشجار التى تكتنفها وتتداخل فيها فى نفس الاتجاه ، وما تزال الحشائش العالية هى المظهر النباتى السائد ، ولذا تسمى أحيانا بالسافانا البستانية ، وعلى ضفاف المجارى المائية التى تشق طرقها خلال السافانا تنمو الأشجار الضخمة وتتشابك فوقها مكونة بما يشبه الأروقة أو الدهاليز ، لهذا تسمى بغابات الدهاليز . ويعد النمو النباتى سريعا عقب سقوط الأمطار ، حتى ليصل طول النبات أكثر من المترين لكن الحشائش تجف وتحترق فى

موسم الجفاف ، وللحشائش قيمة اقتصادية محدودة ، فـــهى خشـــنة وقليلـــة الأهمية كغذاء للماشية ، ويعيش فى هذا النطاق الأسد والنمر والفيل والفـــهد إلى جانب الجاموس البرى والخرتيت والبقر الوحشى (١٥) .

٦ - الإقليم الموسمى المتدهور :

ويمتد هذا الإقليم من اليمن جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، وكما أن هذا الإقليم ذو مناخ موسمى متدهور كما سبق الذكر ، فهو أيضا متدهـــور نباتيا ، بالنسبة للنمو العشبى والشجرى ، ويعد الغطاء النباتى هزيل فقـــير ، قوامه العشب القصير الخشن والأشجار الهزيلة والمتدهورة ، ويمكن القـــول أن ليس سمة وجه للمقارنة بين الأعشاء والأشجار فى هذه الصورة النباتيـــة وبين الأعشاب والأشجار فى أرض المناخ الموســـمى الحقيقـــى ، فمعظـــم الأشجار هنا من الفصيلة السنطية متحملة لذبذبة الأمطار واسعة المدى . وقد تحمل هذا الغطاء البنائي عبء التدخل البشري بتخلصهم من الغطاء النبـــاتي الطبيعي منذ زمن بعيد ومارسوا عليها الزراعة ، ولذلك يمكـــن القـــول أن الصور النباتية لا تكاد تعبر في الوقت الحاضر عن صور النبات الطبيعـــي تماما ، لأنهم لم يتخلوا إلا عن المساحات التي لم تتوفـــر فيـــها الظـــروف المناسبة للزراعة والإنتاج الزراعي ، وأن الغطاء النباتي العشبي لا يكاد يفي باحتياجات ثروة حيوانية كبيرة .

٧ - نباتات المستنقعات :

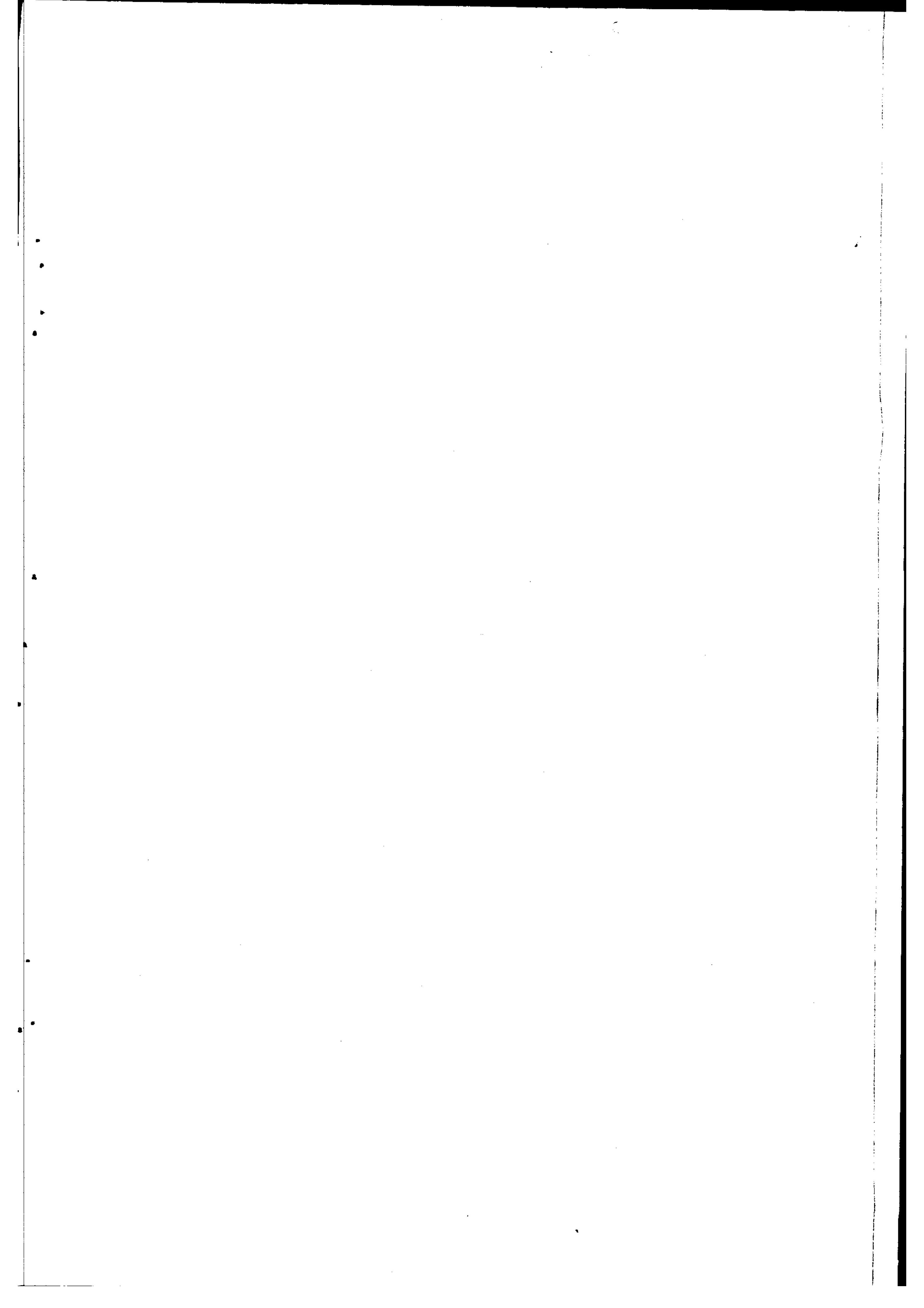
وتوجد في قطرين عربيين فقط جنوب السودان من ناحية وجنوب العراق من ناحية أخرى ، في مناطق سوء التصريف النهري . أما عن مســـتنقعات جنوب السودان ، فهي تعرف باسم منطقة السدود في شكل مثلث قاعدته إلى الشمال ، ورأسه عند بور تقريبا ، وتمتد من بحر الغزال إلى نهر السوباط ، هذه المنطقة السهلية المستوية في معظمها ، والتي لا تتصرف أو تتســـرب مياهها في منطقتها بسهولة ، تغمرها المياه فـــي فصـــل الصيـــف بســـبب الفيضانات والأمطار ، وينمو فيها الغاب الـــهندي والـــبردي وأم الصـــوف والبوص ، وتؤدى هذه النباتات إلى تكوين ما يعرف باسم السدود النباتيـــة ، وهي عبارة عن كتل من النباتات الطبيعية العائمة التي إجتثتها العاصفة مـــن جذورها ، ثم قذفت بها في المجرى الأصلي ، حيث يسهل تجمعها عند أحـــد

المنحنيات إلى أن تنتشر عبر النهر بأجمعه ، وتهبط أكثر جـــذور النباتـــات الطبيعية العائمة دون مستوى المياه فى كثير من الأحيان ، فى حين يكـــون البعض الآخر غاطسا تحت الكتل الظاهرة علـــى الســطح فتحكـــم حصـــر المجارى إلى أبعد مدى ، ويصبح السد فى النهاية عبارة عن كتلـــة صلبـــة يتيسر حتى للفيلة عبورها (١٦) .

وتؤدى هذه السدود فى كثير من الأحيان إلى تغيير النهر لمجراه وزيـــادة مساحة المستنقعات ، هذا ويمكن استغلال نباتات هذه المناطق فى صناعــــة الورق وقوالب الفحم .

أما مستنقعات العراق الأدنى : فتمتد بدورها على شكل مثلث يقع بيـــن مدن العمارة والناصرية والقرنة ، حيث تنتهى غالبا فروع الأنهار الكثـــيرة الخارجة من الدلتا وتنخفض ضفافها ، وفى نفس الوقت يعلو منسوب الميـــاه الباطنية ، وتصبح المنطقة من أكبر مناطق الفقد ، كما هو الحال فى الســدود جنوب السودان ، تتعدد أنواع النباتات هنا ، غير أن أوسعها انتشـــارا هـــو القصب والبردى . ويوجد القصب على هيئة غابات صغيرة تؤلـــف جـــزرا وسط الأهوار ، وتمتد لمسافات تزيد فى بعض الحالات على الخمسين كيلـــو مترا طولا ، والثلاثين كيلو مترا عرضا . ويستغل ســـكان الأهـــوار هـــذه النباتات سواء فى بناء المساكن أو فى عمل الحصر والطوب والوقود ، كمـــا يستخدم القصب وهو صغير كعلف للجاموس الذى يربى فى العراق ، كمـــا أنه يعتبر مادة خام مناسبة لصناعة الورق (١٧) .

الفصل السادس
الوضع المائى فى الوطن العربى



الوضع المائى فى الوطن العربى

تعاني المنطقة العربية من ندرة المياه ، وذلك لوقوع المنطقة في قلب الإقليم الجاف وشبه الجاف من الكرة الأرضية ،كما سبق توضيح ذلك من خلال دراسة الظروف المناخية للوطن العربي ، الأمر الذي يجعل الظروف المائية العربية ذات ميزة جيوبوليتيكية وإستراتيجية مع دول الجوار والمعنية ، إلى جانب الحاجة للأموال الضخمة اللازمة لتوفير حاجات المنطقة من المياه .

الموارد المائية الطبيعية العربية :

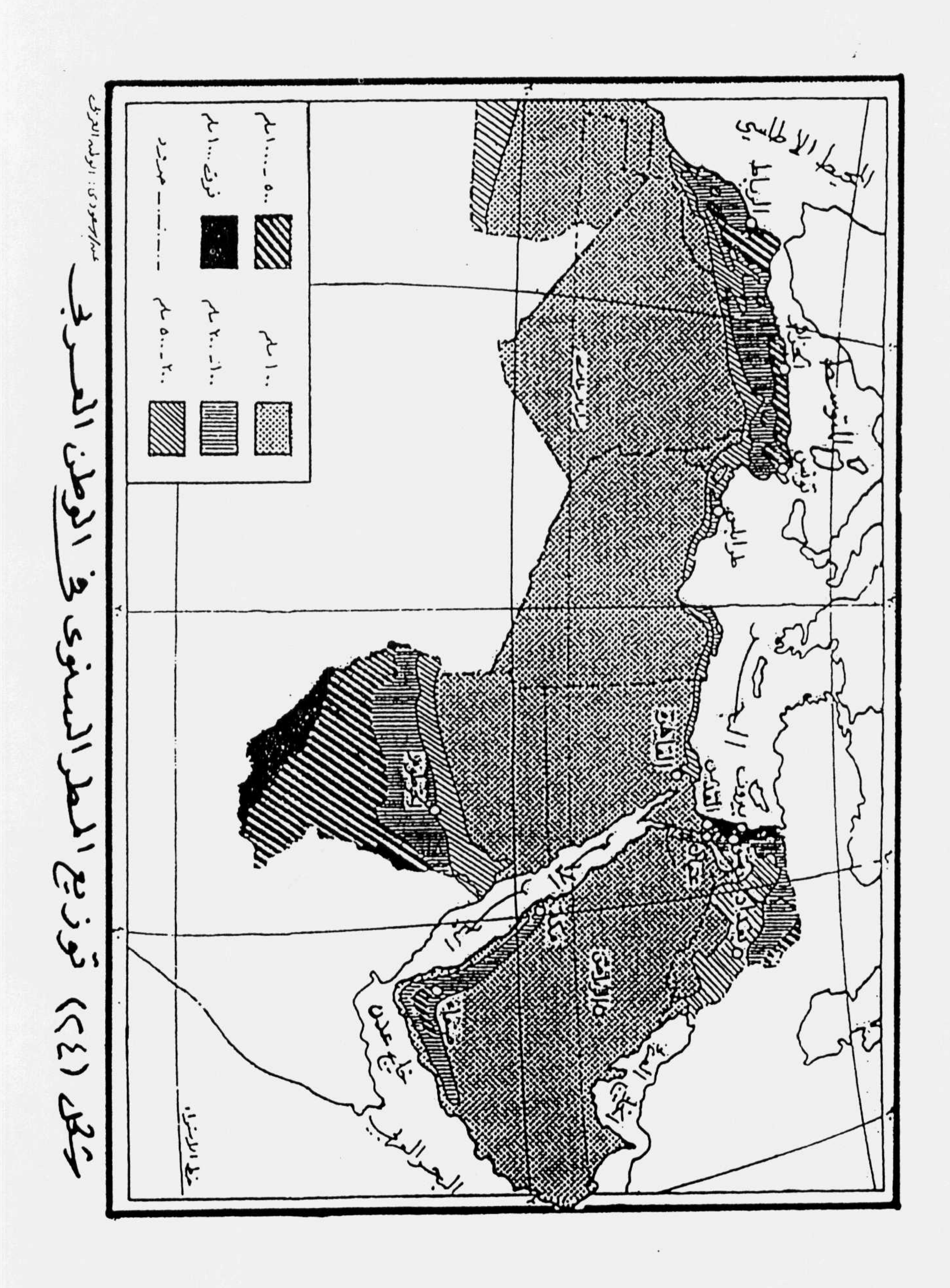
تتميز الموارد المائية العربية فضلا عن تدني نوعية مصادر العديد منها وقلة صلاحيتها للاستخدامات المختلفة ، فقد قدر المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة -الكمية المتاحة للوطن العربي من الموارد المائية المتجددة عام ١٩٩٣م بنحو ٣٣٨ مليار متر مكعب سنويا أى ٠,٣% من موارد المياه فى العالم على عشر مساحة العالم تقريبا ، ويفترض ثبات هذه الكمية مع تزايد الاحتياجات في المستقبل (١)، ويتوقع أن يكون متوسط ما يخص الفرد الواحد في حدود ألف متر مكعب مقابل ٥١٠٠م٣ بأفريقيا و٣٣٠٠م٣ بآسيا و٢٨٣٠٠م٣ بأمريكا اللاتينية و٤١٠٠م٣ باوروبا و١٧٥٠٠م٣ بأمريكا الشمالية .

وتتمثل الموارد المائية في المنطقة العربية جغرافيا وهيدرولوجيا في :

١-مياه المطر :

وتقع معظم الأراضي العربية في المنطقة الجافة وشبه الجافة كما فى شكل (٢٤) حيث لا يزيد معدل سقوط الأمطار عن ٣٠٠مم سنويا، لذلك فإن التقدير الذي يذهب إلى تحديد نسبة الأمطار التي يمكن الاستفادة منها بنحو ١٥%على مستوى الوطن العربي يبدو الأقرب للصحة (٢).

إذ يتراوح معدل سقوط الأمطار من ١٥٠٠مم سنويا في بعض مناطق مرتفعات اليمن ولبنان والمغرب والجزائر وتونس والسودان إلى نحو ٥-١٠ سم سنويا شمال السودان وليبيا ، مما يعكس انحرافا كبيرا عن المتوسط (٣٠٠مم سنويا) سواء كان هذا الانحراف سلبيا أو إيجابيا.



شكل (٤) توزيع المطر السنوي في الوطن العربي

كما قدرت كمية هطول الأمطار الإجمالية بنحو ٢٢١٣ مليار متر مكعب سنويا موزعة على النحو التالي :

-نسبة ٩,٦ % (٢١٤مليار متر مكعب) تهطل في إقليم شبه الجزيرة العربية .

-نسبة ٧,٨% (١٧٤ مليار متر مكعب) تهطل على دول المشرق العربي ، ويشمل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن .

-نسبة ٢٣,٤% (٥٢١ مليار متر مكعب)تهطل على إقليم المغرب العربي ويشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.

-نسبة ٥٩,٢% (١٣٠٤مليار متر مكعب)تهطل على المنطقة الوسطى وتشمل مصر والسودان والصومال وجيبوتي ، أكثر هطولا في السودان وأقلها في مصر [٣].

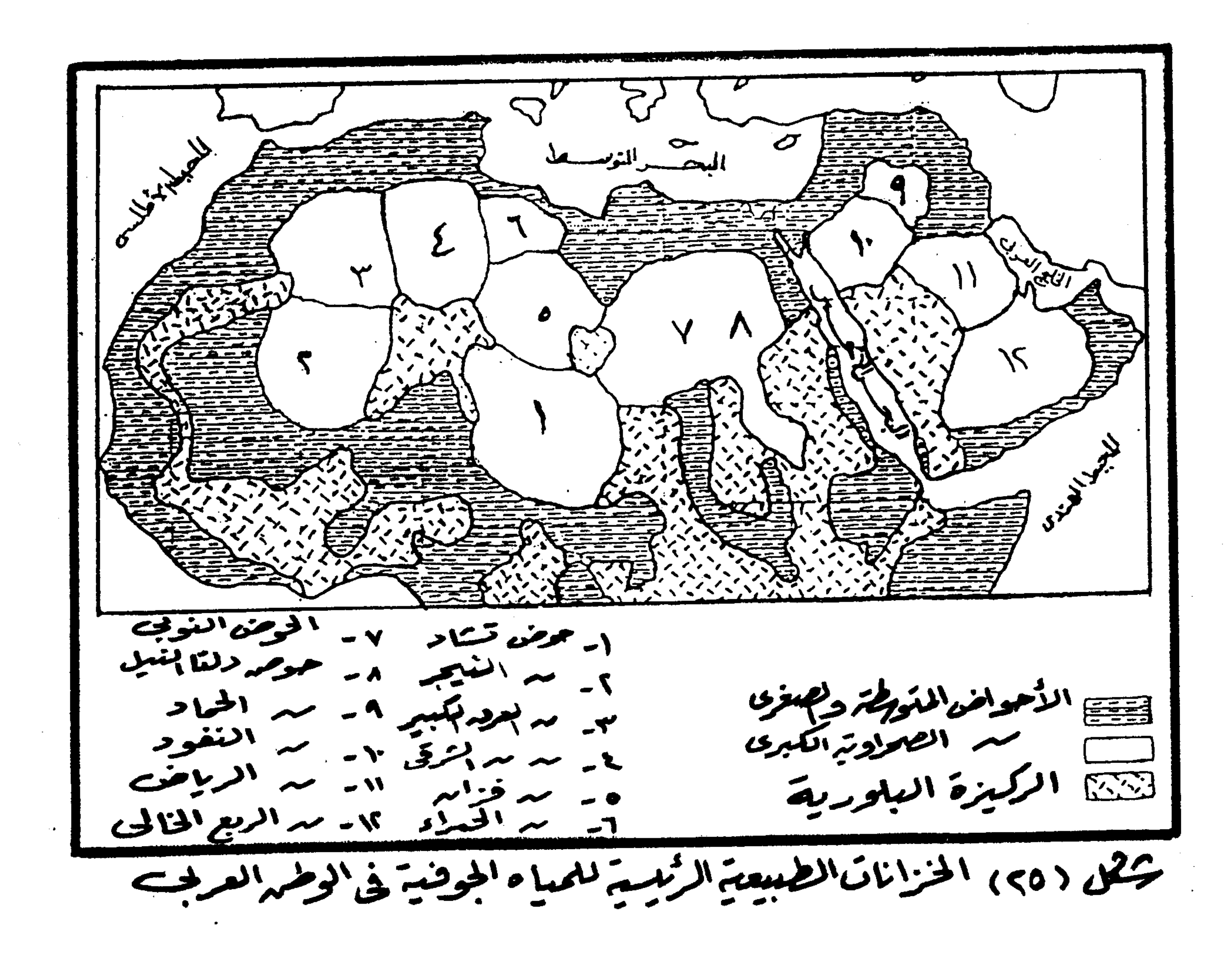
٢-الموارد المائية الجوفية :

حيث أحواض المياه الجوفية المكون من طبقة أو عدة طبقات حاملة للمياه الجوفية كما فى شكل (٢٥) إذ تكونت بشكل طبوغرافي أو تركيبي يسمح لها بتخزين حجم من المياه ، كما يسمح لهذه المياه بالحركة بحكم نفاذية الطبقات المكونة للحوض .

وترتبط المياه الجوفية بعدة اعتبارات ، حيث تزداد أهميتها والاعتماد عليها إذا كانت متجددة من روافد وسراديب أرضية مختلفة تعوض ما يفقد منها بالسحب من الباطن والتي لا ينجم عن استثمارها لفترات طويلة أي هبوط في منسوب المياه الجوفية بها ،وهذه النوعية قليلة في الوطن العربي .

أما إذا كانت طبقات حوض المياه الجوفي ذات موارد أحفورية ، أي التي ينجم عن استثمارها لمعدلات طويلة هبوط في منسوب المياه الجوفية لأنها "غير متجددة" من خلال روافد ، مثل تلك الواقعة في إقليم شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى ، ونظرا لوقوع مختلف تلك الطبقات في المنطقة الجافة العربية فإن تغذيتها وتجديدها يكون ضعيفا . ويقع هذا المخزون في الأحواض الجوفية التالية :

-**العرق الغربي الكبير** : تبلغ مساحته ٣٣٠كم٢ يقع جنوب سلاسل أطلس بالجزائر ،تغذيه الأمطار الساقطة على الجبال الشمالية ، كما يبلغ حجم



شكل (٢٥) الخزانات الطبيعية الرئيسية للمياه الجوفية في الوطن العربي

المخزون به ١٥٠٠مليار متر مكعب ، ويتغذى طبيعيا بنحو ٤٠٠ مليون متر مكعب سنويا .

-**العرق الشرقي الكبير** : تبلغ مساحته ٣٧٥كم٢ يختزن ١,٧ مليار متر مكعب ، يتغذى طبيعيا بنحو ٦٠٠ مليون متر مكعب سنويا ويقع شرق العرق الغربي الكبير والجهة الشرقية فيه تتأخم الحدود بين الجزائر وتونس.

-**حوض تنزروفت** : ويقع جنوب حوض العرق الغربي الكبير بالجزائر ومساحته ٢٤٠كم٢ وحجم المخزون به ٠,٤ مليار متر مكعب ويتغذى طبيعيا بنحو ٢٠ مليون متر مكعب سنويا.

-**حوض فزان** : ويقع في الجزء الغربي من ليبيا ومساحته ١٧٥كم٢ وحجم المخزون به ٠,٤ مليار متر مكعب ، ويتغذى طبيعيا بنحو ٦٠ مليون متر مكعب سنويا .

-**حوض صحراء مصر الغربية** : بين مصر وليبيا والسودان ، وتبلغ مساحته ١٨٠٠كم٢ ، ويقدر المخزون به بنحو ٦٠٠٠ مليار متر مكعب ، ويتغذى بنحو ١٥٠٠ مليون متر مكعب سنويا.

-**حوض دلتا النيل** : في مصر ومخزونه ٣٠٠ مليار متر مكعب ، وتقدر التغذية السنوية له بحوالي ٢٦٠٠ مليون متر مكعب سنويا.

-حوض وادي حضرموت : محدود الإمكانيات ، كما أن ٣٠% من مياهه رديئة النوعية ، وتقدر التغذية السنوية له بنحو ٢٥٧ مليون متر مكعب سنويا .

-**حوض الأزرق** : ويشغل مساحة ١٣ألف كم٢ كلها في الأردن وتقدر التغذية السنوية له بنحو ٢٠ مليون متر مكعب سنويا.

-**حوض عمان – الزرقا** : مساحته ٨٥٠كم٢ ، وتقدر التغذية السنوية له بنحو ٢٥ مليون متر مكعب سنويا .

-**تكوين بختيارى وتركيب فارس الأعلى** "بالعراق" إلى جانب تكوين الفرات الجيرى وتكوين الدمام وأم الراضومة بطاقة مائية جوفية ٢٦ مليار متر مكعب سنويا [٤].

٣-الموارد المائية السطحية (الأنهار) :

لا يتجاوز عدد الأنهار العربية المستديمة خمسين نهرا ، وتتمثل الأنهار الرئيسية في الوطن العربي في نهر النيل أطول الأنهار العربية وأغزرها ، والفرات الذي ينبع من تركيا ويدخل إلى العراق بعد أن يمر بمسافة صغيرة في سوريا ويلتقي بدجلة في العراق ، والعاصي الذي ينبع من لبنان ويسير في سوريا ثم يدخل لواء الإسكندرونة ليصب فى البحر المتوسط ، ونهر الأردن الذى ينبع من عيون ويتشكل فى ثلاثة أنهار : بانياس والدان من سوريا والحاصباني في لبنان ، وتتحد هذه الأنهار في الجزء الشمالي من وادي الحولة لتشكل نهر الشريعة ويدخل إلى بحيرة طبرية ، وبعد خروجه منها يرفده نهر اليرموك من سوريا ، بينما يقع نهر الليطاني بالكامل في الأراضي اللبنانية (٥).

نهر النيل :

من أطول أنهار العالم بطول ٦٦٧٠كم وحوضه نحو ٢,٩ مليون كم٢ ، ويبلغ الإيراد الطبيعي له عند أسوان من مصادره المختلفة ٨٤ مليار متر مكعب ، ٨٤%منها من روافد هضبة الحبشة أما نحو ١٦% من منابعه الإستوائية .

نهر الفرات :

بطول ٢٩٤٠كم٢ من نقطة منابع أطول روافده "مرادصو" حتى التقائه بنهر دجلة عند بلدة القرنة ، كما يبلغ حوضه ٣٨٨كم٢ ، وينبع الفرات من جبال تركيا عند إرتفاع ٣٠٠٠م فوق سطح البحر في منطقة بين البحر الأسود وبحيرة فان ، ويبلغ المتوسط السنوي لإيراد نهر الفرات عند نقطة الهيث داخل الحدود العراقية ٣٠ مليار متر مكعب يكون التصريف العالي من مارس إلى يونيو (٦).

نهر دجلة :

ينبع من هضبة الأناضول جنوب شرق تركيا ومن جبال طوروس وزاجروس بإيران ويدخل العراق مارا بمسافة قصيرة في سوريا وله عدة روافد مثل الزاب الكبير وتصريفه ١٣,٨ مليار متر مكعب ، والزاب

الصغير "٧,١٧ مليار متر مكعب" والكرخة "٦,٣٠ مليار متر مكعب" والدويرج "مليار متر مكعب" وديالي "٥,٧٤ مليار متر مكعب" والعظيم "٠,٧٩ مليار متر مكعب" . ويمكن أن تصل إمكانيات إيرادات نهر دجلة في حالة استكمال منشآته إلى ٣٧ مليار متر مكعب (٧).

نهر الأردن :

ينبع من أسفل جبل الشيخ (حرمون) الغربي الجنوبي من ارتفاع ٩١٠م ، وهو يفيض في الربيع ،ويبدأ النهر بعد التقاء نهر بانياس (١٦٠ مليون متر مكعب) الذي ينبع من السفوح الجنوبية الغربية لجبل حرمون في لبنان حيث يسير بعد ذلك في مجرى واحد رئيسي متجها إلى بحيرة الحولة التي تم تجفيفها يرفده نهر البربقيث قبل بلوغها (٢٠ مليون متر مكعب) بالإضافة إلى ينابيع الحولة (١٣٠ مليون متر مكعب) ويواصل نهر الأردن جنوبا مخترقا بحيرة طبرية والبحر الميت ترفده ينابيع طبريا (٢٤٠ مليون متر مكعب) ويرفده بعد طبريا نهر اليرموك وهو أهم روافد نهر الأردن على الإطلاق (٤٩٠ مليون متر مكعب)كما يتلقي النهر من مجاري الضفة الشرقية (٢٧٠ مليون متر مكعب) و (٢٥٠ مليون متر مكعب) من مجاري الضفة الغربية قبل وصوله إلى جنوب البحر الميت (٨).

بعض أنهار الهلال الخصيب الأخرى :

هناك عدد من الأنهار الصغرى الأخرى ، منها نهر العاصي : الذي ينبع من لبنان ويسير في سوريا ويصب في البحر المتوسط بعد دخوله إلى وادي الأسكندرونة ، ويقدر الإيراد السنوي لنهر العاصي بمليار متر مكعب ، كما يوجد في لبنان إلى جانب أنهار الكبير والعاصي والحاصباني المشتركة بين لبنان وبلدان أخرى ١٢ نهرا يبلغ إجمالي إيرادها ٣ مليارات متر مكعب ، أهمها نهر الليطاني أطول الأنهار اللبنانية (٩).

أهم الأنهار الأفريقية العربية الأخرى :

تعد من أهم الأنهار الأخرى الأفريقية : المجاري المائية في بلاد المغرب العربي القائمة على الأمطار ، إلى جانب ذوبان ثلوج الشتاء ، ولما كانت الأمطار فصلية متقلبة تتفاوت تصريفاتها حتى لتصبح أشبه بالقنوات ، وتبلغ

الأنهار أقصى تصريفها في ديسمبر ويناير ، وقد تمتد إلى الربيع في الجزائر وغربي تونس ، وهو ما يتفق مع ظروف مناخ البحر المتوسط وهبوب الرياح العكسية المطيرة شتاء ، وتعد أهم أنهار المغرب نهر أم الربيع أطول أنهار المغرب ويعتمد على المطر وذوبان الثلوج إلى جانب عيون الماء ثم نهر سيبو الذي لا تنقطع مياهه ، حيث تضمن له المياه صيفا بعض العيون الجبلية ذلك إلى جانب الروافد المغربية الأخرى ، والتي تشترك مع الأمطار في توفير ٧٥% من مجموع الموارد المائية المغربية التي تقدر بنحو ٢٨ مليار متر مكعب (١٠).

أما الجزائر فأنهارها أقصر وأحواضها أصغر ومياهها أقل غزارة والجداول والمنابع في الجبال أقل ضخامة كثيرة الرواسب ، ويعتبر نهر الشليف أكبر أنهارها وتسهم مع الأمطار في توفير ٧٠% من مياه الجزائر السنوية ، بنحو ١٣,٥ مليار متر مكعب ، أما في تونس نجد أنهارها أكثر طولا ووضوحا من الجزائر ، وأهم أنهارها مجرده ووادي مليان ، وبذلك تعد الموارد السطحية الشمالية ذات تدفق مستمر طوال العام ، وبذلك تسهم المجاري المائية فيها إلى جانب الأمطار بنحو ٥٣% من الموارد المائية التونسية .

الوضع المائي العربي الحالي والمستقبلي :

قد تمت قراءة إيراد نصيب الفرد من الموارد المائية ، من منظور عالمي ، مع الاعتبار لموقع الدول المختلفة في إطار صيغة التقدم والتخلف ، ومن جهة أخرى ثمة ضرورة خاصة لاستخدام هذا المفهوم في إطار هذه الدراسة تحديدا ، حيث يتم تحديد وضع الاستقرار المائي كوضع معياري لأغراض المقارنة ضمن مؤشرات فجوة الموارد المائية ، وحد الاستقرار المائي الذي تم تحديده واستخدامه في هذا الإطار التحليلي يبلغ ١٠٠٠متر مكعب للفرد سنويا ، وهذا الرقم يعتمد على أطروحة فوكنمارك (العالم السويدي) وإن كان قد حدد ٥٠٠متر مكعب للفرد سنويا كحد مناسب للمنطقة شبه القاحلة ومنها منطقة الشرق الأوسط ، إلا أن هذا الاختيار (١٠٠٠متر مكعب) يتجاوز فكرة تجنب عدم حدوث ضغوط إلى فكرة الاستقرار ، ويتفق تحديدنا

لمقدار الـ ١٠٠٠ متر مكعب مع ما حدده برنامج الأمم المتحدة للبيئة كحد أدنى مقبول لنصيب الفرد من الموارد المائية .

ويتضح من خلال المؤشرات الإجمالية للموارد والاحتياجات المائية في المنطقة العربية ، من خلال عدة تقديرات متفاوتة للموارد المائية المتجددة ، حيث يذهب البنك الدولي والأمم المتحدة إلى ان هذه الكمية تقدر بحوالي ٢٧٦مليار متر مكعب ، على حين يذهب المعهد العالمي للموارد في تقاريره إلى أن الكمية تقدر بحوالي ٣٥٢مليار متر مكعب ، وقد أختار التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٣م منتصف المسافة بين التقرير من حيث يقدرها بنحو ٣١٥ مليار متر مكعب سنويا ، وعلى ذلك فإن نصيب الفرد من الموارد المتجددة وفقا لهذا التقدير يبلغ ١٢٦٢متر مكعب سنويا .
وقد تجاوز التقرير الاقتصادي العربي لعام ١٩٩٤م هذا التقدير ، حيث اعتمد تقدير المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأرض القاحلة في تقريره عن حالة الموارد المائية في الوطن العربي والنشور في أغسطس ١٩٩٣م والذي يحدد الكمية المتاحة من الموارد المائية المتجددة بنحو ٣٣٨مليار متر مكعب سنويا ويستخدم منها ١٥٨مليار متر مكعب ، ويفترض تقرير إكساد ثبات هذه الكمية مع تزايد الإحتياجات في المستقبل ، بحيث تبلغ ٣٦٨مليار متر مكعب ، ٤٠٢ مليار متر مكعب ، ٤٩٣ مليار متر مكعب ، ٦٢٠ مليار متر مكعب ، وذلك خلال الأعوام ٢٠٠٠،٢٠١٠،٢٠٢٠،٢٠٣٠ على الترتيب مما يخلف عجزا مائيا يتفاقم باطراد حتى أنه يقفز من ٣٠مليار متر مكعب ، عام ٢٠٠٠ إلى ٢٨٢مليار متر مكعب ،عام ٢٠٣٠م [١١] .

الوضع المائي لإقليم شبه الجزيرة العربية :

وتضم ست دول هى اليمن ودول مجلس التعاون الخليجى : السعودية ، الكويت ، قطر ، البحرين ، الامارات العربية المتحدة ، عمان .
١ - **اليمن** : يقدر إيرادها المائى ٥,٢ مليار متر مكعب ، يقدر نصيب الفرد نحو ٤٧٣ متر مكعب وهو أقل من نصف الحد المعيارى للاستقرار المائى (١٠٠٠م مكعب/ سنه) وذلك عام ١٩٩٠، كما قدر نصيب الفرد علم٢٠٠٠ بنحو ٣٢٥ م مكعب ، ومن المقدر أن يصل نصيب الفرد السنوى عام

٢٠٢٥ الى ١٤٠ مترا مكعبا ، ليتفاقم العجز فى الفجوة المائية الـــى ٣١,٨ مليار متر مكعب وذلك حسب التقديرات الأكثر تفاؤلا ، ناهيك عن أن اليمـن ليس لديه موارد غير تقليدية أو متجددة .

٢-**السعودية** : يبلغ اجمالى الموارد المائية بها ٤,٩٥٠ مليار متر مكعب ، المصادر التقليدية منها ٣,٤٥ مليار و٤٥, مليار من الأمطار ثم ٣ مليار من الأحواض الجوفية سواء المتجددة أو الأحفورية ، الى جـانب مليـار مـتر مكعب نتيجة محطات التحلية الخمسة عشر على ساحل البحر الأحمر والست محطات على ساحل الخليج العربى ، ذلك بجانب ٠,٤ مليار متر مكعب مـن المياه المعالجة ، ويبلغ نصيب الفرد السنوى من الموارد المائية ٢٦٤ مـــتر مكعب ، وهو يقل كثيرا عن الحد اللازم للاستقرار المائى ويصل العجـــز المائى عام ٢٠٢٥ الى ١,٦٥ مليار متر مكعب (١٢).

٣- **الكويت** : وتعد المياه الجوفية المصدر الطبيعى الوحيد بها وتنقسم الـــى مياه عذبة وأو قليلة الملوحة أو عالية الملوحة الى جانب مياه تحلية البحـــر ، وتمثل كمية المياة المتاحة بها ٩, مليار متر مكعب ، وهى توفر إحتياطـــات الكويت للمياة حالياً إلا أنها تحتاج مستقبلا إلى ٢,٢ مليار متر مكعب حتـــى عام ٢٠٤٤ (١٣) .

٤- **قطر:** وتعد المواد المائية كافية لتغطية احتياجاتها حاليا وفى المســـتقبل البعيد وتضم ٣٢, مليار متر مكعب ، والزيادة التى تحدث تتركز فى ميـــاه تحلية البحر والمياه المعالجة (١٤).

٥- **البحرين** : وتجمع مائها من ثلاثة مصادر هى المياه الجوفية والتحليـــة والمعالجة ، وتقدر بنحو ٢٩, مليار متر مكعب من المياه ، ويبلـــغ نصيـــب الفرد ٦٧٥ مترا مكعبا عام ٢٠٠٠ وسيصل الى ٧٨٠ مـــتر مكعـــب عـــام ٢٠٢٥ ولا يدعوا حد الاستقرار المائى الى القلق بها مستقبلا (١٥).

٦- **الأمارات العربية المتحدة** : وتعتبر الأفـــلاج (١٦) والعيـــون وميـــاه الأودية إلى جانب محطات تحلية مياه البحر المصـــدر الأساســـى للمـــوارد المائية ، وتزيد الموارد المائية على ١,٠٢مليار متر مكعب عام ٢٠٠٠ ، إلا أن البلاد تشهد عجزا مائيا لتناقص الموارد وذلك للاحتياجات الناتجة عـــن زيادة السكان الملحوظة (١٧).

٧- **عمان** : وتمتلك موارد سطحية قليلة بجانب المياه الجوفية والمياه المحلاة من البحر ، ولكن دائما ما تشهد البلاد عجزا مائيا وذلك للضغط السكاني المستمر ، ويقدر إجمالى المياه بنحو ٠,٦٩مليار متر مكعب ستصل ٢,٢٨مليار عام ٢٠٥١م .

الوضع المائي لإقليم الهلال الخصيب :

ويضم خمس دول عربية هي العراق وبلاد الشام : سوريا والأردن وفلسطين ولبنان :

١- **العراق** : تمثل المياه السطحية بها ١٠٦مليار م٣ / سنة منها ٨٠مليار م٣ يحملها نهر دجلة والفرات ، كما تمتلك المياه الجوفية في خمس تكوينات حاملة للمياه ، منها تكوين بختياري وتركيب فارس الأعلى وتكوين الفرات الجيري وتكوين الدمام وأم الراضومة ويبلغ إجمالي المستغل ٤٢,٥٦مليار م٣ ، ويمكن زيادتها إلى أقصى المتاح وهو ٦٧,٦مليار م٣ في المستقبل إلا أن الموارد المائية بالعراق تغطي تماما الحاجات الحالية ، إلا أن الزيادة السكانية مستقبلا في العراق تجعلها عاجزة في تغطية الحاجة مستقبلا [١٨].

٢- **سوريا** : وتتمثل مواردها المائية في المياه السطحية من الأنهار دائمة الجريان إلى جانب المياه الجوفية ، ويبلغ إجمالي الموارد المائية بها ٥٦,٤٤مليار م٣ ، في حين أن احتياجها يبلغ ٨,٩٥مليار م٣ ، ولا يظهر عجز إلا عندما يصل عدد السكان إلى حجم الثبات الافتراضي (٦٦مليون نسمة) عام ٢٠٤٨م [١٩].

٣- **الأردن** : وتأتيها الموارد المائية من الأنهار والأودية والمياه الجوفية إلى جانب معالجة مياه الصرف الزراعي والصحي وغيرها . ويبلغ إجمالي المياه ٠,٨٨مليار متر مكعب ، وبذلك تشهد الدولة تدن في نصيب الفرد من المياه إلى جانب عجزا مزمنا [٢٠].

٤- **لبنان** : يستمد لبنان مياهه من مجموعة الأنهار الداخلية والمياه الجوفية المتجددة ، والمقدرة بنحو ٤,٦مليار متر مكعب ، وتغطي إجمالى الموارد والأغراض المختلفة ، إلا أن وصول السكان إلى ٦ملايين نسمة عام ٢٠٢٥م مع ثبات الموارد المائية يؤدي إلى انخفاض نصيب الفرد في المياه من

١٥٣٣مترا مكعبا سنويا إلى ٧٦٧مترامكعباسنويا عام ٢٠٢٥م [٢١].

٥- **فلسطين** : يبلغ تقدير إيراد المياه في الأراضي الفلسطينية بصفة عامة ١,٩٩٨مليون متر مكعب من المياه ، نصيب أراضي السلطة الفلسطينية منها نحو ١٥% لكل الأغراض الزراعية والصناعية والشرب ، في حين كانت نظيرتها الإسرائيلية تمثل ١,٧٧٠مليار متر مكعب سنويا إي بنحو ٨٥% من حصيلة الموارد المائية الكلية بفلسطين [٢٢].

وتعد أراضي السلطة الفلسطينية في حاجة للمياه الآن وعلى المدى البعيد ويزيد من خطورة الأمر بها الاعتداءات الإسرائيلية والسطو على هذه الموارد المائية حيث تعاني إسرائيل من مشكلة كبيرة في نقص المياه ناتجة عن البنية التوسعية لها ، والتي تستهدف تكثيف الاستيطان اليهودي داخل إسرائيل وخارج الحدود ١٩٤٩ وما يتطلبه ذلك من زيادة كميات المياه اللازمة للاستهلاك المنزلي والزراعي والصناعي والخدمات ، وقد قررت شركة مياه ميكروت عجز مائي إسرائيلي بحوالي ٤٥٠مليون متر مكعب أوائل التسعينات ، إلا أن توفير مصادر جديدة للمياه لا يوفر أفاقا جديدة ، لأنها طورت وبشكل تام معظم المصادر المائية المتاحة لديها ، ولا شك فإن حاجة إسرائيل الدائمة للمياه سوف يجعلها تتطلع إلى الاحتفاظ بأرض من تلك التي احتلتها عام ١٩٦٧م خصوصا الضفة الغربية ، ثم إنشاء مشاريع مائية كبرى كمشروع قناة البحرين المتوسط – الميت ثم المشاركة بمشاريع إقليمية أخرى ضمن مشاريع السلام في الشرق الأوسط وعبر المحادثات المتعددة للأطراف التي بدأت عام ١٩٩٢م [٢٣].

الوضع المائي في إقليم حوض النيل العربي :

ويتمثل في مصر والسودان .

١- **مصر** : يبلغ إيرادها ٦٣,٥مليار متر مكعب ، منها ٥٥,٥مليار متر مكعب من مياه النيل وفقا لاتفاقية ١٩٥٩م والنسبة الباقية من المياه الجوفية والمعالجة من الصرف الزراعي . ويلاحظ أن نصيب الفرد من الموارد المائية في تقديرات عام ٢٠٠٠ بلغت ١١٩٤ متر مكعب ، وعندما يصل عدد سكان مصر عام ٢٠٢٥ إلى ٨٦مليون نسمة ينخفض نصيب الفرد إلى

٦٣٧ متر مكعب ولذلك تبلغ الفجوة ناتجا سلبيا قدره ٢٩,٢٥مليار متر مكعب .

٢- **السودان** : تبلغ موارد المياه بالسودان عام ٢٠٠٠ نحو ٢٤,٢مليار متر مكعب كلها من الموارد التقليدية وعندما تظل الموارد المائية السودانية ثابتة حتى عام ٢٠٢٥م مع زيادة السكان إلى ٥٥ مليون نسمة ، في ذلك الوقت فإن الاحتياجات ستقل إلى ٣٤مليار متر مكعب سنويا ، مما يحدث فجوة قدرها ٩,٤٧مليار متر مكعب (٢٤).

الوضع المائي في إقليم المغرب العربي وشمال إفريقيا :

وتشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب :

١- **ليبيا:** يبلغ المورد المائي لها نحو ٤مليار متر مكعب ، تمثل المياه الجوفية المورد الأكبر والباقي من المطر والتحلية والمعالجة وتعاني ليبيا عجزا مائيا يفوق المليار متر مكعب ، ويتفاقم هذا الرقم تدريجيا حتى ٥,٣٤مليار متر مكعب حتى عام ٢٠٥٥م مع افتراض ثبات السكان (٢٥).

٢- **تونس** : تعد مواردها المائية تقليدية حيث المجاري المائية والمياه الجوفية والأمطار وتمثل ٤,٥٤مليار متر مكعب وهذه الكمية كافية للاحتياجات حتى ٢٠٢٥ ، ويبلغ نصيب الفرد ٥٦٧مترا مكعبا (٢٦).

٣- **الجزائر** : تتجمع الموارد المائية الجزائرية من المصادر التقليدية السطحية والجوفية إلى جانب نسبة ضئيلة من التحلية ، وتغطي الموارد المائية ١٧,٢٥مليار متر مكعب ،تحتاج الجزائر منها ٤,٣٦مليارمترمكعب ، ولا يظهر أي عجز في الجزائر حتى عام ٢٠٤٧ ، ويصل نصيب الفرد من الموارد المائية ٦٩٠مترامكعبا عام ١٩٩٠م (٢٧).

٤- **المغرب** : بلغ اجمالي الموارد المائية بها ٢٨مليار متر مكعب ، وذلك من الموارد السطحية المقدرة بنحو ٢٣مليار متر مكعب والمياه الجوفية المقدرة بنجو ٥مليارات متر مكعب ، وهذه الكمية قادرة على مجابهة الاحتياجات الحالية والمستقبلية (٢٨).

إشكالية المياه في المنطقة العربية :

تعاني المنطقة العربية من قلق واضح نتيجة ظروفها المائية القائمة وتتمثل هذه الظروف كما يوضحها الجدول رقم (١) فيما يلى :

جدول رقم (١)

الموارد المائية والاحتياجات الحالية والمتوقعة في المنطقة العربية

الاحتياجات والموارد بالمليار متر مكعب

السنة / البلد	سنة ٢٠٠٠				سنة ٢٠٢٥			
	الوارد	الاحتياجات	نصيب الفرد	الفجوة	موارد	الاحتياجات	نصيب الفرد	الفجوة
مصر	٧٤,٠٥	٧٠,٥	١١٩٤	+ ٣,٥٥	٩٤,٠٧	١٠٣,٢٥	٦٣٧	- ٢٩,٢
السودان	٢٤,٣	٢١,٥	٧٣٦	+ ٢,٨	٢٤,٣٠	٣٤,٠٤	٤٤٢	- ٩,٧٤
اليمن	٠,٢٥	٣,٣٦	٣٢٥	- ١,٨٤	٠,٢٥	٥,٣٧	١٤٠	- ٠,١٧
السعودية	٥,٥٤	٤,٧٨	٢٦٤	+ ٠,٧٦	٨,٢٥	٩,٩٠	١٩٢	١,٦٥
الكويت	٠,٧٠	٠,٣٢	٢٣٣	+ ٠,٣٨	٠,٧٩	٠,٥٩	١٩٧	+ ٠,٢٠
قطر	٠,٢٩	٠,٢٣	٨٧٩	+ ٠,٠٦	٠,٣٣	٠,٢٨	٨٤٦	+ ٠,٠٥
البحرين	٠,٢٧	٠,٢٦	٦٧٥	+ ٠,٠١	٠,٣٢	٠,٣٥	٧٨٠	- ٠,٠٣
الإمارات	١,٠٢	١,٧٠	٥١٠	- ٠,٦٨	١,٣٦	٣,٠٢	٤٥٣	- ١,٦٦
عمان	٠,٦٩	١,٣٨	٣٤٥	-٠,٦٩	١,٢١	٢,٣٥	٢٤٢	- ١,١٤
لبنان	٤,٦٠	١,٤٥	١١٥٠	+ ٣,١٥	٤,٦٠	٢,٤٣	٧٦٧	+ ٢,١٧
سوريا	٦٠,١٠	١٤,١٠	٧٨٣	+ ٤٦	٦٠,١٠	٢٧,١٥	٧٧٦	+ ٣٣
الأردن	٠,٨٨	١,٣٨	١٧٦	- ٠,٤٠	٠,٨٨	٢,٠٣	٨٨	- ١,١٥
العراق	٤٢,٥٦	٤٧,٣٣	١٦٣٧	- ٤,١٧	٤٢,٥٧	٥٧,٨٤	٨٨٧	- ١٥,١٧
ليبيا	٣,٩٨	٥,٥٨	٦٦٣	- ١,٦٠	٤,٣٤	٧,٦٣	٣١٠	- ٣,٢٩
تونس	٤,٥٤	٢,٩١	٤٥٤	+ ١,٦٣	٤,٥٤	٣,٩٥	٣٢٤	+ ٠.٥٩
الجزائر	١٧,٣٠	٦,١٠	٥٢٤	+ ١١,٢٠	١٧,٣٥	١٠,٤٤	٣٣٤	+ ٦,٩١
المغرب	٢٨	٦,٩٨	٨٧٥	+ ٢١,٠٢	٢٨	٩,٩٨	٥٩٦	+ ١٨,٠٢

المصدر : سامر مخيمر وخالد حجازى ، مرجع سبق ذكره ، ص٢١٢ .

أولا : معاناة معظم دول الوطن العربي والأكثر سكانا من فجـوة مائيـة ، وتزداد هذه الفجوة بتقدم السنين ، حيث أنه في دول حوض النيـل العربيـة حيث لا تعاني مصر والسودان من فجوة مائية حتى عام ٢٠٠٠ إلا أنـهما سوف يلاقيان فجوة مائية متزايدة عام ٢٠٢٥ ، كذلك الحال بالنسـبة لشـبه الجزيرة العربية فيما عدا الكويت وقطر ، كذلك الحال فـي إقليـم الـهلال الخصيب فيما عدا لبنان وسوريا ، كذلك الحال في ليبيا وموريتانيـا ، إلا أن دول المغرب العربي متمثلة في المغرب والجزائر وتونس لم تشـهد هـذه الفجوة المائية حتى عام ٢٠٢٥ .

وسط هذه الظروف تواجه الموارد المائية العربية تحديات العمـل علـى زيادة المساحة المنزرعة من ٦٠ مليون هكتار (١٤٣ مليون فدان) إلـى ٩٣ هكتار (٢٢٠ مليون فدان) ليمكن زيادة نصيب الفرد من الأرض الزراعيـة إلى ٠,٩ فدان بدلا من ٠,٦ فدان ، إلى جانب إمكانيـة مضاعفـة الأرض الزراعية المستديمة والمروية والتي لا تتعدى من جملة الأرض الزراعيـة ٢٠% ، تفاديا لتذبذب الإنتاج الزراعي حسب الظروف المناخية ، كما هـو الحال في المغرب العربي وبلاد الشام والعـراق والسـودان ، إذ تفـترض الظروف مجهودات عربية استثمارية لإنشاء العديد من السدود [٢٩].

ومن هذه السدود ، إنشاء خمسة خزانات بالعراق على دجلة والفـرات لتخزين ٥٢ مليار متر مكعب ، وسوريا ٦ سدود ولبنـان عـدة خزانـات موسمية بسعة ٢٢٠ مليون متر مكعب ، والأردن إنشاء ٤سدود على نـهر اليرموك ووادي العرب لتخزين ٤٠٩ مليون متر مكعب ، واليمن عدة سدود تحويلية وتخزينية للمياه المتفرقة نحو البحر ، والسودان إنشاء خزانات علـى نهر عطبرة لتخزين ١,٦ مليار متر مكعب وتعلية سد الرصـيرص لزيـادة سعته إلى ٧مليارات متر مكعب ، وإنشاء سدود بتونس لتخزين ملياري مـتر مكعب ، وإنشاء ٣سدود بالمغرب لتخزين ١,٩ مليار متر مكعب [٣٠].

ثانيا : يتجلى التناقض فى مصالح الدول والقائم بين الحدود السياسية للـدول واتجاهات تدفق الموارد المائية سواء السطحية (الأنهار) أو الجوفية ، حيـث أن ٤٠% من سكان العالم يعتمدون على أنظمة نهرية تشترك فيها دولتان أو أكثر ، ويتجلى ذلك الأمر بشكل خاص في المنطقة العربية ، إذ أن أغلـب أنهارها ذات طبيعة دولية مثل نهر النيل ، الـذي يضـم حوضـه مصـر

والسودان وأثيوبيا وكينيا وأوغندا والكنغو وروانـــدا وبورنـــدي وتنزانيـــا وأخيرا إريتريا تحت مسمى منظمة "الإندوجو" ثم دجلـــة والفـــرات ويضـــم حوضه تركيا وسوريا والعراق ، ثم حوض الأردن ويضم الأردن وســـوريا (رافدا اليرموك) ولبنان وفلسطين . ويستثنى من هذا الأمر منطقة المغـــرب العربي ، حيث تميل للتوافق مع الحدود السياسية للمنطقة [٣١]. ومما يزيـــد الأمر إثارة أن تلك الأنهار تنبع من بلـــدان غـــير عربيـــة (دول الجـــوار الجغرافي) وتصب في بلدان عربية ، ونظريا فـــإن لـــدول المنبـــع مـــيزة إستراتيجية في مواجهة دول المجرى والمصب ، مما حدا بإحدى الدراســـات المستقبلية المهمة إلى تقدير نسبة التحكم الحالية لبلدان غـــير عربيـــة فـــي شرايين المياه العربية بنحو ٨٨% [٣٢]. ويبرز خطر ذلك الأمر عندما دارت داخل أروقة الأمم المتحدة في بعض الجلسات المغلقـــة فـــي بدايـــة ١٩٩١ مناقشات حول إمكانية استخدام السدود التركية في حجب المياه عن العـــراق لدفعه للانسحاب من الكويت إلا أن تركيا اعترضت على الفكرة [٣٣].

ومن هنا تلهث كل الدول ذات المصالح فـــي تـــأمين مواردهـــا المائيـــة والحفـــاظ عليها من خلال المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكـــولات الدوليـــة كما يلي :

بالنسبة لمصر والسودان في إطار حوض النيل ، تنظم العلاقة بيـــن دول حوض النيل مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات يرجع أغلبها إلـــى وقـــت سيطرت فيه بريطانيا على مصر وسائر دول حوض النيـــل ، بدايـــة مـــن البروتوكول الموقع بين بريطانيا وإيطاليا بروما فـــي ١٥ إبريـــل ١٨٩١ ، وتنص مادته الثالثة على تعهد إيطاليا بعدم إقامة أي أعمال متعلقـــة بـــالري على نهر عطبرة يكون من شأنها تعديل تدفق مياه النيـــل ، ثـــم المعـــاهدة الموقعة بين بريطانيا وأثيوبيا وبريطانيا وإيطاليا وإثيوبيا في أديس أبابـــا ١٥ مايو ١٩٠٢ ، وقد نصت المادة الثالثة من الجزء الأول بتعهد الإمـــبراطور "منليك" بعدم السماح بأي أعمال على النيل الأزرق أو بحيرة تانـــا أو نـــهر السوباط تعوق تدفق مياه أي منها إلى النيل إلا بموافقة بريطانيا والســـودان . ثم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بلندن فـــي ١٣ ديســـمبر ١٩٠٦ ، وتنص مادته الرابعة على الحفاظ على مصالح مصر وبريطانيا في حـــوض

النيل وبشكل خاص التحكم في مياه النيل وروافده مع الأخذ في الاعتبار المصالح المحلية لدول الحوض.

ثم اتفاق ١٩ مايو ١٩٠٦ في لندن بين الملك "ليوبولد" راعي الكونغو والملك إدوارد ملك بريطانيا ، وتنص مادته الثالثة على التزام الكونغو بعدم إنشاء مشاريع على نهر السمليكي أو الأسانجو من شأنها تقلل حجم المياه الداخلة إلى بحيرة البرت إلا بموافقة السودان (٣٤).

ثم قامت مصر بإبرام اتفاقية ٧ مايو ١٩٢٩ مع بريطانيا نائبة عن السودان وأوغندا وتنجانيقا (تنزانيا) وتنص بأنه بغير الاتفاق مع مصر لا يمكن القيام بأي أعمال ري أو توليد طاقة على النيل أو روافده جميعا أو بحيراته ، تلك المشاريع التي تنقص من المياه الواردة لمصر أو تاريخ وصولها أليها . كما تضمن الاتفاق نظم تشغيل خزان سنار فضلا عن انتهاء العمل في خزان سنار عام ١٩٢٥ ، ثم اتفاقية إنشاء سد أوين بأوغندا في مارس ١٩٤٨ لتوليد الطاقة لصالح أوغندا وخزن المياه لمصر والسودان ، ثم اتفاقية ٨ نوفمبر ١٩٥٩ بين مصر والسودان ، وقد تحدد من خلالها مقدار ٤٨ مليار متر مكعب عند أسوان زيادة لإيراد مصر المائي من مشروعات ضبط النهر ، كما تحدد للسودان ٤ مليارات متر مكعب عند أسوان زيادة عن حصيلة مشروعاتها السابقة أيضا ، وقد تضمنت الإتفاقية أيضا إنشاء مصر للسد العالي عند أسوان على أن توزع صافي فوائده بين مصر والسودان (٢٢مليار متر مكعب) لمصر ٧,٥ مليار متر مكعب وللسودان ١٤,٥ مليار متر مكعب ليكون إجمالي نصيب مصر ٥٥,٥ مليار متر مكعب والسودان ١٨,٥ مليار . كما تضمنت الاتفاقية إنشاء السودان لسد الروصيرص على النيل الأزرق وأي مشروع يساعد على استغلال نصيبها ، إلى جانب دفع مصر ١٥ مليون جنيه مصري تعويضا عن أضرار السد العالي للأراضي السودانية ، كما قضت الاتفاقيات بأن يتولى السودان بالاتفاق مع مصر بإنشاء مشروعات لزيادة إيراد النيل مناصفة وذلك بمنع المياه الضائعة في منطقة السدود وبحر السوباط والنيل الأبيض ، كما نصت الاتفاقية على إنشاء لجنة فنية دائمة مشتركة لرسم خطط المشروعات وتوحيد آراء الدولتين في مقابل بلدان الحوض الأخرى ، وإذا أسفرت أي

مفاوضات عن قبول تخصيص أي كمية من مياه النهر لبلد أو آخر من بلدان حوض النيل فإن هذا القدر محسوبا عند أسوان يخصم مناصفة بينهم [٣٥].

غير أن الدول التي وقعت إعلان مشروع المحافظة على مياه النيل في المستقبل كانت آنذاك مستعمرة لا تملك أي خطط للنمو ، والزراعة بها بدائية تعتمد على الأمطار ، لذلك لم يأخذ هذا المشروع حقه من العناية ، كما أن فترة الستينيات التي شهدت استقلال هذه الدول كانت فترة الحرب الباردة التي اختلفت فيها توجهات هذه الدول ، وبالتالي كانت حساسيتها كبيرة في الحفاظ على استقلالها ، وعلى مواردها الطبيعية في مثل هذا المشروع الكبير ، واتجهت مصر نحو بديل عن ذلك إلى بناء السد العالي .

وعقب مواجهة الجفاف بعدة دول إفريقية ، اتجهت دول حوض النيل لتحميل الدول المستقرة زراعيا مثل مصر مسئولية الاستحواذ على كميات كبيرة من المياه ، وبالتالي حرمان دول أخرى منها ، كما ظهر تمسك بعض الدول بملكيتها وسيادتها على الموارد المائية بأراضيها ، ومن ذلك الحكومة الأثيوبية في مايو ١٩٧٨ حيث عبر مسئولها قائلا : "ما من عاقل أن يشك في حق أثيوبيا الذي لا ينازع في الاستفادة من مواردها الطبيعية لمصلحة جماهيرها المناضلة" وتود أثيوبيا أن توضح بجلاء لا يقبل اللبس أن لها مطلق الحرية وكمال الحق في استخدام مواردها الطبيعية من أجل تقدم شعبها [٣٦].

وقد عادت أثيوبيا إلى المبدأ القانوني المعترف به ، ألا وهو "المورد الطبيعي المشترك" فقد قرر رئيس الحكومة الأثيوبية "ملس زيناوي" في ٧ إبريل ١٩٩٨ أن حكومته هي أول حكومة أثيوبية تعترف بأن مياه النيل ليست ممتلكات خاصة لأثيوبيا ، وهي أيضا ليست مصرية أو سودانية .

وقد تم مؤخرا إنشاء مؤتمر لوزراء الري والأشغال المائية في دول حوض النيل تحت مسمى النيل ٢٠٠٢ الذي مازالت اجتماعاته متوالية لتحقيق هذا التعاون ، وكان آخرها المؤتمر السابع الذي عقد بالقاهرة في مارس ١٩٩٩ ، وتم فيه التأكيد على التوافق التام بين دول حوض النيل العشر على ضرورة التعاون لتنظيم الاستفادة من الموارد الطبيعية والبيئية والمائية لنهر النيل ، وبصرف النظر عن المصالح الوطنية لكل دولة على حدة [٣٧].

وتتحرك مصر في مجال دول حوض النيل لتعزيز التعاون المشترك مع هذه الدول للحفاظ على مواردها المائية والاستفادة منها لكافة الدول المشتركة معها ، في ظل الحقائق المتعلقة بمدى حاجة هذه الدول إلى مياه النيل مع وجود بديل يتمثل في كميات الأمطار الغزيرة التي تنهمر على دول الحوض مع إعطاء إثيوبيا أهمية خاصة باعتبار أنها تساهم أكثر من غيرها في مياه النيل القادمة إلى مصر .

مشكلة المياه في الدول العربية الأخرى :

وتتوطن هذه المشكلة في حوض دجلة والفرات وحوض نهر الأردن وأنهار لبنان :

١- فعن حوض دجلة والفرات :

كان الحوض قديما تحت الإمبراطورية العثمانية حتى معاهدة "لوزان" التي قسمتها ، وقد نصت المادة الثالثة للمعاهدة الموقعة بين بريطانيا وفرنسا (الدول المنتدبة) في ديسمبر ١٩٢٣ إلزام سوريا بعدم البدء بأي مشروع يؤثر في كمية مياه نهر الفرات التي ترد للعراق ، كما تم عقد معاهدة صداقة بين تركيا والعراق ضمن المادة الخامسة منها موافقة تركيا على إطلاع العراق على أى مشروعات تقوم بها على أى من نهرى دجلة والفرات ، وذلك في ٢٦ مارس ١٩٤٦ كما نظمت معاهدة حلب في ٣ مايو ١٩٣٠ حق سوريا في نهر دجلة ، وفي ٦ يوليو ١٩٨٧ تم توقيع بروتوكول للتعاون الاقتصادي بين سوريا وتركيا ، ويتضمن أن تضمن تركيا ٥٠٠ متر مكعب / ثانية لسوريا عبر الفرات ، على أن تتعاون سوريا فى تأمين الحدود بينهما (٣٨).

كما وقعت سوريا والعراق اتفاقا فى ١٦ إبريل ١٩٩٠ يقضى بتقسيم الإيراد المائي السنوي بينهما بحيث تحصل سوريا على ٤٢% والعراق على ٥٨% منه . وكانت سوريا قد شرعت في بناء سد الفرات (الطبقة ، الثورة) وتم الإنتهاء من تنفيذه عام ١٩٧٦ وذلك بدعم سوفيتي مالي وتكنولوجي ، ونجم عن ذلك أزمة عام ١٩٧٤ بين سوريا والعراق ، بلغت ذروتها عام ١٩٧٥ حيث انخفض تدفق الفرات للعراق بنحو ٢٥% من التدفق المعتاد (٣٩).

مما جعل العراق يهدد بتدمير سد الثورة ، وحشد القوات العراقية على طول الحدود مع سوريا ، كما أعلن العراق أن خفض التدفق قد أضر ثلاثة ملايين فلاح عراقي . ثم وافقت سوريا على إطلاق كميات إضافية مما أحبط تصاعد الأزمة [٤٠].

وقد مرت العلاقة بين تركيا - العراق - سوريا بمراحل متعددة ، فعندما شرعت تركيا في إنشاء سد "كيبان" عام ١٩٦٤ ، استطاع وفد تركي إقناع نظيره العراقي بفائدة سد كيبان في تنظيم جريان نهر الفرات من جهة درء الفيضان وتنظيم تصريف النهر ، كما نفى الوفد التركي نية تركيا في استخدام السد في الأغراض الزراعية لتركيا في حوض الفرات ، بجانب التعهد بضمان تصرف ٣٥٠متر مكعب / الثانية ، أثناء فترة امتلاء الخزان ، وقد بني على ذلك اعتراف مبدئي من العراق بأهمية السد ، ولكن علق اعترافه النهائي على ضرورة اعتراف تركيا بتصريف ٨٠٠ متر مكعب / الثانية كحق مكتسب للعراق في مياه نهر الفرات .

وبدأت تركيا عام ١٩٨٠ في وضع مخطط شامل لمشروعات مائية على الفرات ، كمقدمة لمشروعها الكبير "مشروع جنوب شرقي الأناضول الكبيرGAP" الذي بدأ عام ١٩٨١ بتكلفة ٣١ مليار دولار إذ يضم ١٣ مشروعا لأغراض الري وتوليد الطاقة (٢٧,٤ مليار كيلووات /ساعة) بجانب ري ١,٧ مليون هكتار ، وتجدر الإشارة إلى أن الأرض المستفيدة من المشروع تعتبر منطقة اضطرابات ، فهي تضم الأرمن والأكراد وعرب الإسكندرونة ، وتنظر تركيا لهذا المشروع كأنه آداة لتحقيق الاستقرار السياسي لهذه لمنطقة من خلال تنميتها ، إلى جانب إقامة بنية تحتية زراعية - صناعية ومن شانها أن تدعم وجود تركيا بقوة على المستوى الإقليمي [٤١].

وقد تكونت إثر الإعلان عن هذا المخطط التركي الشامل لجنة فنية مشتركة عام ١٩٨٢ بين العراق وتركيا ثم انضمت سوريا لعضوية هذه اللجنة عام ١٩٨٣ . وقد عقدت هذه اللجنة مرات كثيرة دون التوصل لأى اتفاقيات ثلاثية حول استخدام نهر الفرات ، وذلك لمعارضة تركيا لأى ترتيبات متعددة الأطراف على أساس أنها لا تملك تحديد مقدار المياه التي

تجري في سوريا إلى العراق وارتباط هذا المقدار بالمياه التي تجري من تركيا إلى سوريا [٤٢].

وقد أقدمت تركيا في ١٩٩٠/١/١٣ على منع مياه الفرات عن العراق وسوريا بغرض تخزين المياه خلف سد أتاتورك ، وذلك لمدة شهر ، وقد أشار الممثل التركي في المائدة المستديرة التي عقدت لنقاش هذا الموضوع إلى الاعتبارات الفنية التي تقضي بحجز المياه والمتعلقة بالمواصفات الهندسية لسد أتاتورك من جهة ، وإلى مراعاة تركيا لاحتياجات سوريا والعراق من جهة أخرى . كما أشارت إلى أن تركيا نفذت برنامجا تعويضيا في الفترة من ١٩٨٩/١١/١٣ وحتى تاريخ الإغلاق بغرض توفير فائض مائي لاستخدامه خلال مرحلة انخفاض المنسوب ، وعلى ذلك ووفقا للحسابات التركية فإن متوسط المياه المنسابة عبر الحدود التركية السورية خلال الفترة من ١٩٨٩/١١/٢٣ وحتى ١٩٩٠/١١/١٣ كانت ٥٠٩ أمتار مكعبة / الثانية [٤٣].

وقد بينت المذكرة السورية المقدمة في ذات المائدة المستديرة الاعتراضات السورية التي ترجع إلى عدم مناقشة الموضوع على مستوى اللجنة الفنية الثلاثية ، واقتصار الأمر على مجرد ذكر الموضوع في دورة اللجنة التي عقدت بدمشق في أكتوبر ١٩٨٩ دون شرح الأسباب والحصول على موافقة سوريا والعراق ، ثم مضت تركيا في تنفيذ خطتها دون العبء بالاحتجاجات العراقية السورية ، كما بينت المذكرة كيف أن هبوط تصريف النهر إلى ٤٥مترامكعبا / الثانية ، وما يترتب عليه من انخفاض منسوبة إلى ٣ أمتار وتحقيقه أضرار بالزراعة المروية المعتمدة على النهر ، كذلك الاستعمالات المنزلية نتيجة للتلوث الكثيف [٤٤].

ودائما تعتبر رؤية تركيا لحوض دجلة والفرات رؤية منحازة تقريبا لصالحها ، فقد جاءت اتفاقية ١٩٩٧ التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١مايو ١٩٩٧ بقرارها رقم ٥١/٢٩٩ بتعريف للمجرى المائي الدولي بأنه المجرى المائي الذي تقع أجزاؤه في دول مختلفة ، والمجرى المائي هو شبكة المياه السطحية والجوفية التي تشكل بحكم علاقتها الطبيعية ببعضها البعض كلا واحدا وتتدفق عادة صوب نقطة وصول مشتركة وهذا التعريف لا يأخذ بما تنادي به بعض الدول من تفرقة بين مفهوم المجرى

المائي الدولي ومفهوم النهر العابر للحدود الدولية ، كما هو الشأن في تركيا ، فهي عندما تصف نهر الفرات تقرر أنه عابر للحدود الدولية ، بمعنى أن مياه الفرات تقع حصرا ضمن السيادة التركية ، إلى أن تصل إلى الحدود السورية ، وبموجب هذا الرأي تعتبر تركيا أن النهر الدولي هو النهر الذي يرسم حدودا بين دولتين متشاطئتين ، وعلى ذلك فإن الفرات يصبح نهرا دوليا فقط عندما ينضم إلى دجلة في الأرض العراقية ليشكل شط العرب الذي يحدد الحدود العراقية الإيرانية ، وإن هذه التفرقة تهدف إلى تقرير سيادة تركيا على المياه التي تنبع من أراضيها ، وتأكيد حقوقها السيادية على النهرين ، حتى نقطة مغادرتها لإقليمها ، وهي مسألة مرفوضة من المجتمع الدولي [٤٥].

٢- حوض نهر الأردن :

ويضم دول الأردن وسوريا ولبنان إلى جانب السلطة الفلسطينية وإسرائيل : وأهم إشكاليات هذا الحوض هو تعرض مياهه للسرقة من قبل الحركة الصهيونية منذ زمن بعيد ، إذ تجسد رسالة حاييم وايزمان إلى ديفيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا يوم ١٩١٩/١١/٢٩ ، كذلك الموجهة من دافيد بن جوريون إلى حزب العمل البريطاني عام ١٩٢٠ ، كذلك قرار الحركة الصهيونية في نوفمبر ١٩٢٠ ملامح الخطة الصهيونية في قنص مياه نهر الأردن ، بغية الاستيطان والتوسع ، حيث تضمنت الرسالة ضرورة شمول حدود فلسطين منحدرات جبال الشيخ ومنابع الأردن والليطاني ، وذلك لأن خطة سايكس -بيكو تقطع منابع المياه ويحرم الوطن القومي اليهودي المزعوم من الحقول الاستيطانية الخصبة من الجولان وحوران . ثم التأكيد على أن أنهار أرض إسرائيل هي الأردن والليطاني واليرموك وأن ذلك لازم وضروري للنهوض بالزراعة والطاقة [٤٦].

وقد كلفت الحكومة الأمريكية فى ١٩٣٨ البروفيسور لودرميلك بتحرى وسائل صيانة التربة فى الشرق الأدنى ، فقدم تقريره ووسعه فى كتابه اللاحق "فلسطين - أرض المعاد" عام ١٩٤٤ ، ويضم التقرير : الاستيلاء على مياه الأردن ومصادره ونهري الحصبانى وبانياس ، وكذلك الليطانى وسحبه لرى أراضى النقب وتجفيف بحيرة الحولة وإمرار نهر الأردن إلى

بيسان ثم إلى النقب ، إلى جانب شق قناة بطول ٧ أميـــال لنقـل الكميـات اللازمة لتعويض مياه نهر الأردن التى يفقدها البحر الميت وذلك من البحــر المتوسط ، واستغلال مساقط المياه النهرية ومساقط مياه البحر للحصول على الطاقة الكهربية (٤٧).

وتعد فرضية لودر ملك بأن مياه نهر الاردن تشكل فائضا عن حاجــة زراعة واديه,يمكنها رى أراضى خارج الوادى,لم تجد تأييد أى تقرير آخـر من قبل.بل يعد هذا التقرير بمنزله واحدة من الافكار الاسرائيلية ضمــن أى مشروعات مائية منذ مؤسس الحركة الصهيونية "هيرتزل" ثم قدم "هـــايز-سافيج"بتكليف من الوكالة الصهيونية مشروعا ينتسب لمشروع لودر ميلـك ، ويهدف لتطبيقه عمليا وفقا لعشرة مراحل تستغرق كل منها ســنه ، وكــلا المشروعين "لودرميلك ، هاينز-سافيج" يتجاهل أوضاع الحدود الدولية (٤٨).
ثم جاء بعد ذلك مشروع "سيما بالاس" عام١٩٤٤ ويتضمن إمكانية الــثروة المائية للرى والطاقة فى أرض إسرائيل ، يضاف إلى مــا ســبق مشـروع "أيوفيدس" ويعد أول دراسة هيدروجرافية لوادى الأردن بتكليف من بريطانيا بعد إقتراح تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهوديـــة ، بغــرض تطويـر الأراضى القابلة لذلك لتوطين العرب الذين سيصبحون بلا مأوى بها (٤٩).
* ومع قيام دولة إسرائيل ، يمكن تقسيم ترتيبات إسرائيل المائية إلى ثــلاث مراحل :

- المرحلة الأولى :

منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٥٨ ، وتهدف إلى توفير الغذاء وإقامة المســتوطنات الزراعية وزيادة إمكانية استيعاب المهاجرين الجدد ، وبدأت إسرائيل بحفـر عدة آلاف من الآبار لدرجة استنزفت الطبقة المائية الجوفية للشريط الساحلي ، ثم شرعت بخطتي السنوات السبع والسنوات العشر بغرض الاستيلاء على ٥٠% من مياه نهر الأردن في حين ينبع من أراضيها التي تحتلـــها ٢٣% فقط من المجموع الكلي لمياه حوض نهر الأردن.

وتوازي في التنفيذ مع المشروع السابق مشروع العوجا - النقب الذي أقر عام ١٩٥٤ بهدف تأمين نقل المياه الواردة من مشروع تحويل نــهر الأردن

والضخ من بحيرة طبرية إلى أرض النقب التي حظيت باهتمـــام إســـرائيلي كبير ، ثم مشروع تجفيف بحيرة الحولة واستصلاحها [٥٠].

المرحلة الثانية :

منذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٨ ونفذت إسرائيل خلالها أضخم وأكبر مشروعاتها المائية ، مشروع طبرية شرق النقب (الناقل القطري) لنقل ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا إلى النقب الشمالي والجنوبي .

المرحلة الثالثة :

منذ ١٩٦٨ حتى الآن ولم تواكب هذه المرحلة مشروعات مائية كبرى .

وعن التفاعلات الدولية في حوض الأردن : فبرغبة من الرئيس الأمريكي أيزنهاور وحكومته كلف "إريك جونستون" بخطة تم تطويرها على مدى ٢٤ شهرا بغرض إستغلال مياه نهر الأردن عام ١٩٥٣ ، بغية إيجـــاد أرضيـــة مبدئية للتعامل المباشر بين العرب وإســـرائيل ، إلا أن الجامعـــة العربيـــة تحفظت مبدئيا على المشروع حتى شكلت لجان فنية عربية من دول الحوض ، وكان دافع الجامعة العربية لتشكيل اللجان هو وضـــع مصـــالح الشـــعب الفلسطيني في الاعتبار ، إلى جانب ما ظهر لها من تجاهل المشروع للحدود الدولية ، واختزان المياه في بحيرة طبرية التي تقع كاملـــة تحـــت الهيمنـــة الإســـرائيلية ، ومن ثم فإنهـــا تهيئ لإســـرائيل فرصـــة تدمـــير الزراعـــة العربية [٥١].

أما عن خطة "**ماكس بنجر**" الأمريكية فقد وافقت الأمم المتحدة والوكالة الأمريكية للتعاون الفني USTCA على تمويل المشـــروع ، كمـــا وافقـــت الحكومة الأردنية على المشاركة في المشروع ، حيث استثمار مياه اليرموك لصالح الأردن وسوريا ، وكان ينظر للمشروع كحل عملي لمشكلة اللاجئين ،وكان لاعتراض إسرائيل على المشروع بحجة أن لها حقوقا في الـــيرموك أثره في إعلان الخبراء الأمريكان أن الخطة الخاصة بالمشروع غير عمليـــة وغير اقتصادية وأدى ذلك إلى إغلاق ملف المشروع ونهايته .

أما عن خطة إنشاء سد "المقارن" ، فقد أعلنت الحكومة الأردنيـــة عـــن المشروع عام ١٩٧٤ ، ثم طلبت في بداية ١٩٧٥ دعما ماليا أمريكيا للبـــدء في إعداد التصميمات والدراسات ، وقد تم تصميم السد بغرض إتاحة إمكانية

أكبر للري في وادي الأردن ، وقام بتصحيحه الأردنيون تحت أسم "مشـروع ري وادي الأردن - المرحلة الثانية " وعلى الرغم من موافقة أطراف دوليـة عديدة على دعم المشروع ماليا منها الولايات المتحدة ، فإن الشرط الأساسي في التمويل يتمثل في ضرورة إتفاق الأردن مع سوريا من جهة وإسـرائيل من جهة أخرى ، وهذا ما لا يحدث حتى الآن (٥٢).

٣- نهر الليطاني وأنهار لبنان الأخرى :

وتشهد هى الأخرى أطماعا إسـرائيلية ، فحيـث لـم تتمكـن الحركـة الصهيونية من إدخال مياه الليطاني داخل حدودها المرتقبة ، فقـد إندفعـت العناصر الصهيونية إلى ولوج أساليب أخرى ، إذ تقدمت بعرض للسـلطات الفرنسية اللبنانية لإقامة معامل كهرومائية على مياه الجنوب اللبناني ، وتقديم الكهرباء مقابل ترك المياه تذهب لفلسطين بعد توليد الكهرباء ، ولما أدركـت لبنان حقيقة هذه المطامع شرعت في إقرار خطة مائية سداسـية فـي وادي البقاع وتقدم اللبنانيون بمشروعات استثمار مائي لتفادى الهدر المائي (مثـل السيد / ألبير نقاش عام ١٩٦٤) بهدف إنشاء حقوق اتفاق خاصة تحد مـن إمكانية الدولة في إجراء أى اتفاق خارجي متعلق بالمياه . وقـامت لبنـان بإعداد مشروعها الذي يعد بمنزلة رد عملي على المشروعات الصهيونيـة الراهنة والمستقبلية ، وقد صك الخبير اللبناني إبراهيم عبدالعال شعاره : "لا ينقذ لبنان إلا التصميم الشامل للمياه اللبنانيـة" وينطـوي المشـروع علـى استغلال المياه اللبنانية كوحدة واحدة لا تتجزأ ، حيث يتم التخزين الأفضـل للمياه على أعلى ارتفاع ممكن .

ولم يهدأ لإسرائيل بال حتى بدأت باستخدام مياه الليطاني عـام ١٩٧٨ ، كما يفيد بذلك تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمـم المتحدة "أسكوا" الذي وزع في عمان في مايو ١٩٩٣ ، واستخدمت في ذلـك مضخات قدرتها ١٥٠ مليون متر مكعب سنويا ، وضعـت قـرب جسـر الخردلي ، وبعد غزو لبنان عام ١٩٨٢ قامت بحفر نفق طوله ١٨كم يربـط الليطاني بإسرائيل ، وكان الدافع الإسرائيلي لغزو لبنان عام ١٩٨٢ هو القيام بهذا العمل ، حيث أن طبيعة حوض الليطاني جعلت إسرائيل تستولى علـى الجنوب اللبناني كله قبل تمكنها من تحويل مجرى الليطاني من جهته نحـو

البحر المتوسط إلى الاتجاه نحو الحدود الإسرائيلية ، كما أفاد تقرير "أسكوا" أن إسرائيل تستخدم مياه الوزاني ، بشقها طريقا طوله ١٢كم إلى الجنوب من نبع الوزاني واقتطعت المنطقة المحيطة بالنبع ، ومدت أقنية تجاه فلسطين المحتلة ، حيث تستغل إسرائيل نسبة كبيرة من طاقة نهري الوزاني والحاصباني (٥٣).

دور المشروعات المائية فى تهديد الوضع السياسي العربي :

تجد الدول العربية ولا شك تهديدات ومنغصات في مشاريعها المائية باعتبار أنها من مقومات التنمية والرفاهية والحياة لديها ، ولذلك فإن إمكان تدمير المشروعات المائية في أوقات الحرب أمر قائم ، وليست التهديدات الإسرائيلية بهدم السد العالي من آن لآخر بعيدة عن أسماعنا ، وفي هذا الصدد فقد أشار تقرير أعده فريق عمل بإشراف يوري ديفز بعنوان : (سياسة إسرائيل المائية) إلى أنه إذا أخذنا بعين الاعتبار منحى السياسة الإسرائيلية فإنه لا يبدو غريبا أن تجد بعض الظروف التي تقرر فيها إسرائيل بأن تدمر سد المقارن سيكون أقل كلفة وأكثر فاعلية في حل مجموعة المشاكل الناجمة عن وجود هذا السد ، كما دمرت أغلب المنشآت المائية العراقية بفعل قصف القوات المتحالفة خلال حرب الخليج الثانية ، حيث دمر سدان بنسبة ٧٥% ودمر سدان آخران تماما ، بينما بقي سد واحد على نهر دجلة بنسبة تدمير بنحو ٥٠% (٥٤).

ولعل قضية مشروع السد العالي يعكس مدى تحين الفرص لدى القوى المغرضة في المنطقة لتحقيق أغراضها بطريق مباشر أو غير مباشر . فيرجع التفكير في إنشاء السد العالي إلى خبير يوناني يدعى "دانينوس" وكان أهم أولويات "مجلس الإنتاج" بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولما كانت المشكلة هي تمويل المشروع فقد أبدت الولايات المتحدة استعدادها لتمويل المشروع ، إلا أن مصر لجأت للبنك الدولي في يناير ١٩٥٣ ووافق البنك في يونيو ١٩٥٤ ثم أرسل في سبتمبر ١٩٥٤ بعثة لدراسة المشروع ، فأفادت مصر بأن المشروع "أساس لرفاهية مصر ، حيث يترتب على عدم تنفيذه زيادة ضغط السكان على الأراضي الزراعية المحدودة وانخفاض مستوى المعيشة المنخفض أصلا" (٥٥).

وانضمت الولايات المتحدة وبريطانيا إلى جانب البنك الدولي إلى الموافقة على تمويل المشروع في نوفمبر ١٩٥٥ ، وكان دافع الولايات المتحدة في المشاركة هو تثبيت موقف مصر بعد إتمامها لصفقة الأسلحة التشيكية وذلك بإغراء مصر بمشروع السد العالي وإمكان مساعدة الولايات المتحدة لها على تنفيذه إلى جانب استثمار طموح مصر في دفعها لقبول شروط وضمانات تجعلها خاضعة للسيطرة الغربية ، ويصل التصور الإستراتيجي مداه بتصور فحواه "شروط أكثر سخاء في بناء السد العالي مقابل الصلح مع إسرائيل" . أما بريطانيا فكان هدفها من المشاركة هو تثبيت الموقف المصري وإطالة زمن المفاوضات ، حتى الوقت الكافي لإعمال خططها المستقبلية للمنطقة والتي لم تكن قد تبلورت بعد وقد أملت بريطانيا والولايات المتحدة والبنك الدولي على مصر شروطا مجحفة من شأنها الإخلال بالسياسة المصرية ، وهي موافقة مصر على شروط تمويل السد العالي ، وكانت أهم التعهدات المطلوبة من مصر عدم الارتباط بأي قروض أجنبية أخرى طوال فترة تنفيذ المشروع ، وكان هذا الشرط لم يسبق له مثيل في كل تعاقدات البنك الدولي ، ولكن الحكومة الأمريكية كانت تزداد إصرارا عليه كل يوم (٥٦).

ونجم عن مجمل الظروف المشار إليها سحب البنك الدولي لعرضه ، وذلك بعد سحب الولايات المتحدة وبريطانيا عروضهما في ١٩٥٦/٧/١٩ ، وتلا ذلك إعلان الرئيس جمال عبدالناصر تأميم قناة السويس وإيرادها آنذاك بلغ ١٠٠ مليون دولار ، وقد أعقب التأميم العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، أي أن مشروع السد العالي كان أحد دوافع الحرب ، وقد تم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة السوفيتية على أن يساهم الاتحاد السوفيتي في تمويل مشروع السد العالي بقرض قدره ٤٠٠ مليون روبل سوفييتي وذلك في أكتوبر عام ١٩٥٨ . وكان الاتحاد السوفييتي يطمع في بناء جسر يتيح له وجودا إيجابيا في المنطقة عبر اتفاقه مع مصر على تمويل السد العالي متجاوزا في ذلك اعتبارات أيديولوجية كانت تحكم حركته .

وبذلك كانت عملية بناء السد العالي بؤرة تجمعت فيها الخيوط التي تكشف عن طبيعة العلاقات الدولية في فترة بنائه ، وموضحة أن المؤسسات الدولية ومنها البنك الدولي ليست مستقلة عن القوى المهيمنة في النظام

الدولي ، حيث تعكس قراراتها وشروطها في التحليل الأخير توجهات تلك القوى المهيمنة . وقد قامت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي في استخدام دول حوض النيل في الضغط على مصر ، فقد طالبت السودان بضرورة الاتفاق مع مصر على حصته في مياه النيل قبل البدء في أي أعمال تتعلق بالسد العالي ، مع ضرورة قيام مصر بتغطية النفقات اللازمة لإعادة توطن سكان وادي حلفا (٥٧).

وقد أيد البنك الدولي مطالب السودان في مذكرته في إبريل ١٩٥٥ على الرغم من أن السودان لم يكن عضوا بالبنك الدولي آنذاك ، وقد كان هذا نتيجة لمسعى بريطاني كما أفادت بذلك رسالة السفارة المصرية في واشنطن ٢١/١٠/١٩٥٥ (٥٨).

وقد واكبت فترة الإعلان عن مبادرة مصرية صرح بها رئيس مصر محمد أنور السادات آنذاك في ١٦/١٢/١٩٧٩ باعتزامه مد مياه النيل إلى القدس تكشف لبعض الأبعاد التي تحكم العلاقات الدولية ، ودعمتها الرسائل المتبادلة بين الرئيس السادات وبيجن رئيس وزراء إسرائيل آنذاك في أغسطس ١٩٨٠ ، وقد كان تصريح السادات باعثا على الكشف عن مطامع إسرائيلية عميقة في استغلال مياه النيل عبر مشروعات سابقة وحالية ، حيث تقدم "تيودور هيرتزل " بمشروع اتفاقية إلى الحكومة المصرية عام ١٩٠٣ وذلك لمنح الصهاينة امتياز التوطن في سيناء (٥٩).

ويتضمن استغلال مياه النيل من خلال سحبها بأنفاق تمر تحت قناة السويس ، وقد رفض السير / وليام أ .جارستين وكيل نظارة الأشغال العمومية آنذاك هذا المشروع من منطلقات فنية (٦٠). وقد حاول هيرتزل الضغط على الحكومة المصرية لقبول المشروع عبر خطابه إلى الخارجية البريطانية ، إلا أنه لم ينجح .. ويأتي بعد ذلك مشروع "اليشع كالي" والمعروف بمشروع "مياه السلام" الذي يقضي باستخدام "٠,٥% من مياه النيل" لري النقب الشمالي عبر أنابيب تمر تحت قناة السويس بجانب الإسماعيلية ، حيث تصب المياه في الجانب الآخر في قناة مبطنة بالخرسانة حتى خان يونس ، حيث تتفرع في اتجاهين : غزة أوفاكيم وبئر سبع (٦١).

إلى جانب ما سبق كان هناك مشروع ثالث لإسرائيل يدعى "شاؤول أرلوزوروف" ويقضي بحفر ثلاث قنوات تحت قناة السويس لتوصيل مياه

النيل إلى نقطة ضخ في سيناء بالقرب من مدينة بالوظة وتدفع في قناة مفتوحة تسير بمحازاة ساحل سيناء الشمالي وتنتهي عند بداية جهاز الري الإسرائيلي في النقب ، وقد لاقت النية المتجهة لتنفيذ هذه المشروعات معارضة شديدة ، وخصوصا من القوى الوطنية داخل مصر ، ونجم عن ذلك أن تولد اتفاق عام على رفض مناقشة الفكرة من حيث المبدأ ، وفي هذا الصدد ، فإن السفير فوزي الابراشي ممثل مصر في المباحثات متعددة الأطراف (لجنة المياه) قد أفاد بأنه قد تم الاتفاق بين الجانبين المصري والأمريكي في اليوم الأول للجولة الأولى في فيينا على إبعاد موضوع النيل من المفاوضات والقضايا التي ستناقشها مجموعة العمل الخاصة بالمياه ، كما تم الاتفاق على ألا يمس الموضوع حتى في المؤتمرات الصحفية على أساس أن التعاون بخصوص المياه يكون بين دول حوض النيل وفي إطار الاتفاقيات الدولية مع هذه الدول ، وعندما أثير الموضوع تلميحا من الجانب الإسرائيلي ، اعترض الوفد المصري على أساس أن النيل خارج أعمال اللجنة ، وأيده الأمريكيون في ذلك (٦٢).

وفي اعتقادي لم يكن لنهر النيل أن يصب إلا في مصر أو أن تبدل الأرض غير الأرض والبشر غير البشر . فهل هذا من الإمكان ؟ .

الفصل السابع
السكان في الوطن العربي

السكان في الوطن العربي

تعد القضية السكانية بالمنطقة العربية من الأمور المحورية المهمة والفاعلة ، إذ أنها ذات إشكالية واضحة واضحة فالسكان هم العمالة المنتجة والمعمرة والحامية لأرض الوطن والمحددة لكيانه الاستراتيجي وخططه التنموية وأنشطته الاقتصادية وأحواله الاجتماعية ، وهى أيضا مدعاة للفقر والديون والبطالة ، أو بمعنى آخر فإن الوضع السكاني العربي يضم في مكنونه العديد من المفارقات تستوجب الدراسة .

توزيع السكان في الوطن العربي :

قدر عدد السكان في الوطن العربي بنحو ٢٨٠ مليون نسمة عام ١٩٩٨ ، أي نحو ٤,٥% من جملة سكان العالم ، وعليه يحتل الوطن العربي المركز الرابع بين المجموعات السكانية العالمية ، إذ يأتي في الترتيب بعد الصين والهند والولايات المتحدة ، يعيش نحو ٧٠% من السكان على نفس النسبة من المساحة في الجناح العربي الإفريقي ، ثم يعيش ٣٠% من السكان على نفس النسبة من المساحة في الجناح العربي الآسيوي ، تتفرد مصر بنحو ربع سكان العرب (٦٥ مليون) فى نفس العام ، ويأتي المغرب والجزائر والسودان بنحو ثلث السكان العرب حيث تصل كل منها إلى ٣٠ مليون نسمة تقريبا ، ثم هناك مجموعة عربية آسيوية تضم نحو ٢٧% من سكان العرب هي : العراق والسعودية وسوريا واليمن ، حيث يتراوح السكان لكل منها بين ١٥ – ٢٥ مليون نسمة ، ثم يضم مجموعة دول يكمن عددها في فئة بين ٥ – ١٠ ملايين نسمة هي الصومال وتونس وليبيا والأردن ، وتضم نحو ١٠% فقط من سكان العرب وأخيرا هناك مجموعة دول تقل في سكانها عن خمس ملايين نسمة بل منها مالا يتجاوز المليون وهي : لبنان والإمارات وموريتانيا وعمان والكويت وغزة والضفة وإريتريا والبحرين وجيبوتي وقطر وتضم نحو ٨% فقط من سكان العرب [١].

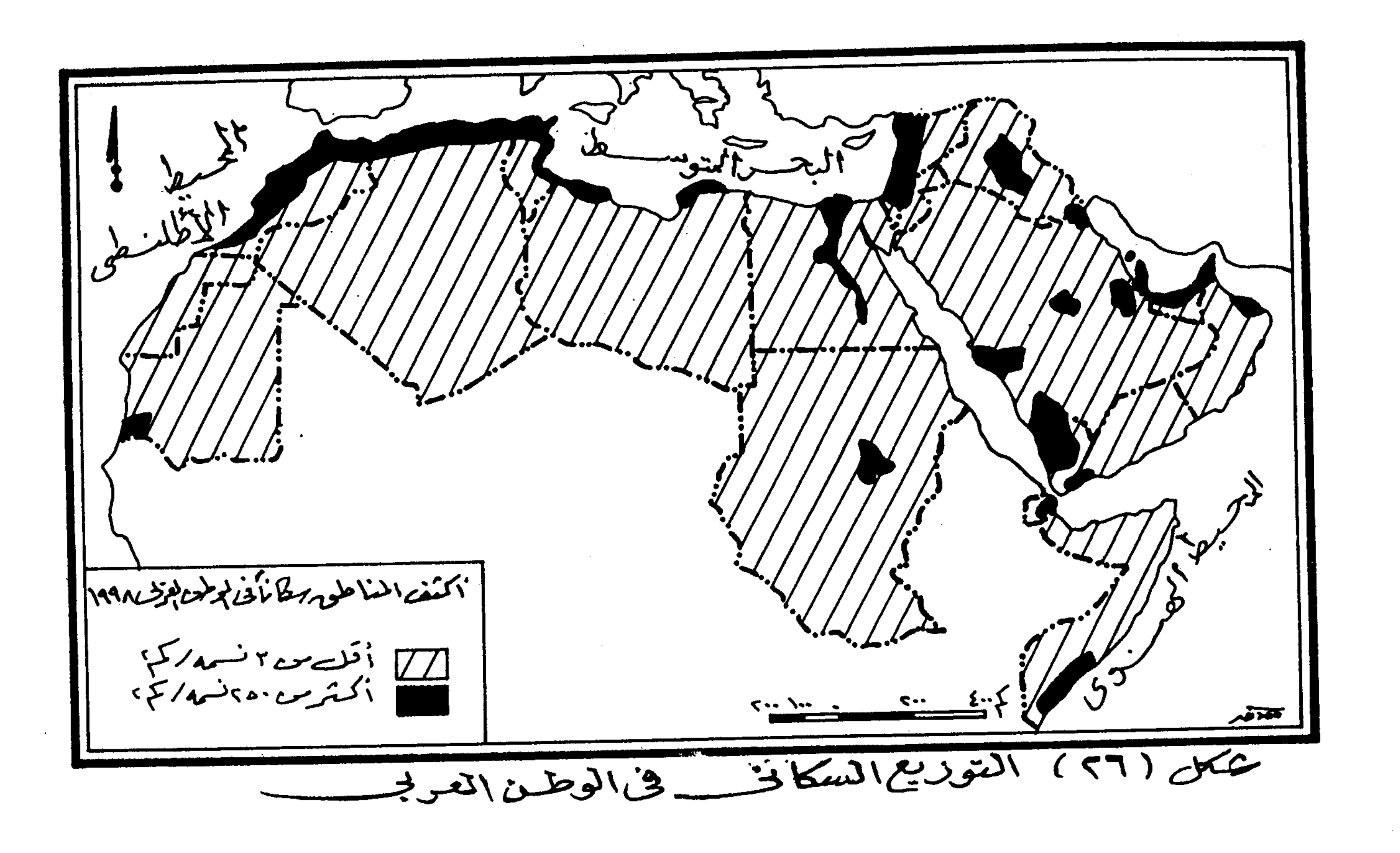
ويتوزع من جهة أخرى سكان الأقاليم الجغرافية في الوطن العربي كما يلي : حوض النيل والقرن الإفريقي يضم نحو ٣٩% من سكان الوطن العربي على مساحة ٣٠% منه (٤,٢مليون كم٢) ، ويعد النيل محور التركز السكاني في مصر والسودان كما يتركز سكان الصومال حول نهر جوبا

وشبيلي ، ثم منطقة الشمال الإفريقي وتضم نحو ٣٠% من سكان الوطن العربي على ٤٣% من مساحته ، يتركز غالبيتهم على السهول الساحلية الأطلنطية والبحر المتوسط ، ثم يتبعثر الباقي بشدة في واحاته المتناثرة ، كما يضم إقليم الهلال الخصيب نحو ١٧% من جملة سكان الوطن العربى على مساحة ٥% منه يتركز فى الأطراف المطلة على البحر المتوسط وسهل دجلة والفرات وأخيرا شبه الجزيرة العربية التى تضم نحو ١٤% من سكان الوطن العربى على مساحة ٢١% منه ، تتركز بين الأودية وعلى المرتفعات الجنوبية وسهل البحر الأحمر والخليج العربى ومناطق التعدين [٢].

ومن هذا التوزيع تبدو مظاهر التباين فى التوزيع غير المتساوى للسكان لأن التجزئة السياسية للوطن العربى أدت لوجود فوارق مساحية وسكانية واقتصادية ضخمة بين الوحدات المكونة له كما هو الحال بين دول الخليج واليمن ، أو بين الأردن وفلسطين أو بين مصر وليبيا ، كما تختلف الأقطار العربية فيما بينها فى قوى الجذب والطرد فى مجال حركة السكان الجغرافية ، فالدول الأكثر سكانا لا تتأثر بالهجرة الدولية تأثرا كبيرا فى الوقت الذى يكون فيه لهذه الهجرة أثر كبير فى سكان الدول الأقل سكانا ، فمعظم الدول ذات الحجم السكانى القليل تعد مراكز جذب قوى للمهاجرين الوافدين من الدول العربية الأخرى ، ومن خارج الوطن العربى ، وقد كانت الهجرة النازحة المبكرة انعكاسا للضغط السكانى على الموارد فى بعض الدول العربية مثل لبنان التى كانت ومازالت مصدرا لتيار هجرى كبير منذ ١٨٦٠ حتى أن عدد السكان ذوى الأصل اللبنانى فى الخارج يزيد على مليون ونصف مليون نسمة .

ويتميز التوزيع السكانى بالدول العربية بوجود جزر سكانية على رقعتها كما فى الشكل (٢٦) ، تمتد أحيانا على هيئة شريط مواز للساحل أو متعامد عليه بمساحات قليلة مقارنة بالمساحة الكلية للدولة التى يتركز ٩٩% من سكانها على ٣,٥% من مساحتها كمصر مثلا ، كذلك العراق حيث يعيش نصف السكان على ١٥% من المساحة .

ويوجد بكل دولة عربية تقريبا منطقة واسعة يتبعثر بها السكان أو غير مسكونة ، ولا يوجد بها مراكز عمرانية إلا فى الواحات المبعثرة أو فى



شكل (٣٦) التوزيع السكاني في الوطن العربي

مناطق التعدين ، ويصعب الاتصال بين أجزائها ، وذلك لظروفها الطبيعية الطاردة ، ومع أن كثير من المناطق الصحراوية فى الدول العربية مناطق إنتاج بترولى ضخم ، إلا أنه لا يجب تصور أن هذه المناطق الصحراوية ستصبح أكثر سكانا بسبب ثروتها البترولية ، ذلك لأن صناعة البترول قد ساهمت فى تضخم كثير من المراكز العمرانية خارج مناطق حقول البترول أكثر من داخلها وأنه من مظاهر التناقض أن الدول كبيرة الحجم السكانى مثل مصر والمغرب لا تنتج كما من البترول يتلاءم مع حجمها السكانى وحاجته له ، بالرغم من أن بعض الدول الصحراوية الصغيرة السكان بلغت شأنا كبيرا فى ذلك (٣).

توزيع السكان بين الريف والحضر :

تتجه الحياة البدوية فى الوطن العربى إلى التقلص ، حيث يقدر عدد الرحل أو أشباه الرحل بنحو عشرة ملايين نسمة أى أقل من ٥% من جملة السكان العرب ، ليسكن عدد منهم فى شبه جزيرة العرب وبادية الشام ، والسودان والصحراء الجزائرية وموريتانيا فضلا عن الصومال وأعداد قليلة فى مصر لا تتجاوز ٧٥ ألفا فقط . وتتناقص نسبة البدو تدريجيا لاستقرار بعضهم وتحولهم لسكنى القرى والمدن لما تبذله الحكومات العربية من جهود لتوطين البدو وتشجيعهم على الاستقرار ، كواحدة من مجهودات التنمية لكلى منها (٤).

وتتجاوز نسبة سكان المدن ٤٠% من جملة سكان الوطن العربى التى تتزايد باستمرار ، حيث كانت هذه النسبة نحو ٣٠% فقط خلال عقد السبعينيات من القرن العشرين ، وتختلف نسبة الحضرية بين أقطار الوطن العربى فهناك دول تزيد نسبة الحضرية بها عن ٨٠% ، أعلى النسب فى الكويت (٩٧%) ثم قطر والبحرين ولبنان وليبيا والسعودية والإمارات وجيبوتى وعمان (٨١%) . ثم هناك دول تزيد نسبة الحضرية بها عن ٥٠% وأقل عن ٨٠% من جملة السكان وهى على الترتيب العراق (٧٦%) ثم الأردن وتونس والجزائر وسوريا وموريتانيا والمغرب (٥٤%) أما باقى الدول فتقل بها نسبة الحضرية عن ٥٠% وهى مصر (٤٥%) ثم اليمن والسودان والصومال (٥).

ويعد النمو الحضرى بالدول العربية غير مخطط ، إذ يتزايد سكان المدن بمعدلات تصل إلى ضعف معدل النمو القومى بصفة عامة حيث تصل نسبة النمو الحضرى إلى ٦% سنويا ، وفى دول المدينة **City-States** مثل الكويت وقطر ، فإن المعدل يتزايد بشكل واضح يصل إلى ١٠% ، ١٥% سنويا ، مما يؤدى لتضاعف الحجم السكانى فى أقل من عشر سنوات ، إلى جانب ذلك لا يعد النمو نتيجة خطط عمرانية حديثة بل نتيجة الزيادة الطبيعية للسكان والهجرة الوافدة من الريف وتدفق أعداد كبيرة من الوافدين عبر الحدود بحثا عن العمل بأجور أعلى ، مما ألقى بأعباء ضخمة على المدن فى هذه الدول وعلى الخدمات بها ، وإن كانت الموارد المالية فى هذه الدول تسمح باستيعاب النمو الحضرى الذى يخضع فى معظمه لتخطيط أفضل من مثيله فى الدول الأخرى [٦].

يمثل سكان القرى الريفية غالبية سكان الوطن العربى بنحو ٥٥% وهى آخذة بطبيعة الحال نحو التناقص متجهة جهة الحضر وتتزايد نسبة سكان الريف فى الصومال "٩٠%" ثم السودان "٦٦%" ثم اليمن "٦٤%" فمصر "٥٥%" وذلك عام ١٩٩٨ ، أى نحو ٤٧% من جملة سكان الريف العربى أو ٢٦,٥% من جملة السكان ككل . وهذا يعنى أن هذه الدول الأربع تضم تقريبا نصف ريف الوطن العربى وذلك لتأثرها بطبيعتها الزراعية من ناحية ثم لظروف الإنتاج والأسلوب المعيشى الريفى من ناحية أخرى . كما أنه هناك خمس دول أخرى تتمثل نسبة الريفية بها بين أقل من ٥٠% - ٣٥% وهى المغرب "٤٦%" ثم سوريا "٤٥%" وموريتانيا "٤٥%" والجزائر "٤٢%" فتونس "٣٦%" وهذه الدول الخمس تضم نحو ٢٤,٣% من جملة الريفيين العرب . أما النسبة المتبقية من الريفيين فهى متوزعة على الدول العربية الأخرى الثلاثة عشر المتبقية والتى لا تعد زراعية فى الأساس ولا تعتمد على الزراعة كمورد للدخل القومي بها [٧].

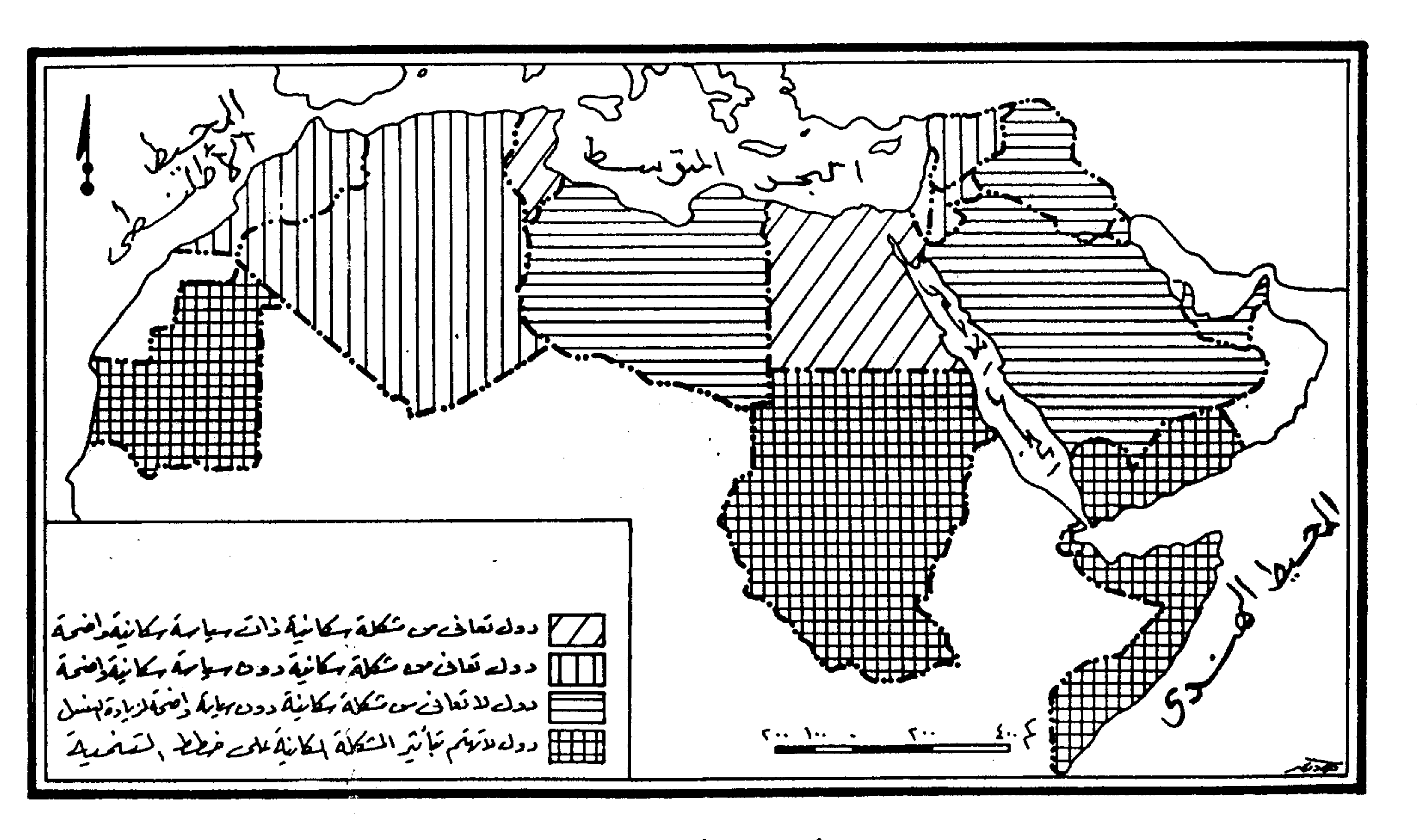
اتجاهات النمو السكانى العربى :

يرتفع معدل النمو السكانى فى الوطن العربى بصفة عامة ارتفاعا كبيرا ، إذ يبلغ نحو ٣% سنويا ، ويعد هذا من أعلى المعدلات فى العالم ، ويعنى هذا المعدل أن سكان الوطن العربى يتزايدون سنويا بما لا يقل عن سبعة

ملايين نسمة أى نحو ٧,٨% من حجم الزيادة فى عدد السكان السنوية على مستوى العالم ، ذلك فى وقت بلغ فيه معدل الزيادة السكانية السنوية فى العالم ١,٦% سنويا مقابل ٠,٣% فقط بالدول المتقدمة و ٢% بالدول النامية وإذا لجأنا إلى المستوى الإقليمى يكون غرب أفريقيا أعلى معدلات النمو السكانى (٣,١%) بينما يسجل غرب أوربا أدنى المعدلات (٠,١%) ، وعلى ما سبق سوف يزيد حجم السكان العربى من نحو (٣٠٠ مليون نسمة) عام ٢٠٠٠ أو ٤,٥% من جملة سكان العالم إلى ٤٩٠ مليون عام ٢٠٢٥ أو ٦,٥% من جملة سكان العالم (٨).

وتتفاوت الأقطار العربية من حيث نموها السكانى ما بين الارتفاع الملحوظ الذى يتعدى ٣,٥% وقد يصل إلى ٥,٥% سنويا كما فى قطر "٥,٤٥%" والكويت والإمارات والبحرين والأردن والسعودية وعمان وكلها تزيد نسبة نمو سكانها سنويا على "٣,٥%" ويرجع ارتفاع معدل النمو فى معظمها إلى الهجرات التى تستقبلها فضلا عن الزيادة الطبيعية الناجمة عن الفرق بين المواليد والوفيات وتعدد الزوجات والزواج المبكر وغيرها ، وكل هذه الدول لا تؤمن بخطورة المشكلة السكانية شكل (٢٧) ، بل تشجع الزيادة السكانية دون سياسة معلنة ، كما أن هناك مجموعة دول عربية يبلغ نمو السكان السنوى بها بين ٣,٥% و ٢,٥% وهى اليمن وموريتانيا والعراق وسوريا وجيبوتى وهى دول لا تعطى أولوية للظروف السكانية كما هو الحال بالنسبة لبرنامج التنمية لديها ، أما مجموعة الدول الأخرى فهى تقل فى معدل نمو السكان السنوى عن ٢,٥% وهذه الدول ما عدا الصومال ذات نشاط فعال لتنظيم الأسرة بسياسة سكانية معلنة كما فى مصر وتونس منذ الستينات أو غير معلنة كما فى لبنان والجزائر والمغرب (٩).

ويرجع ارتفاع معدل النمو السكانى فى معظم هذه الدول إلى الهجرات الوافدة ، فضلا عن الزيادة الطبيعية الناجمة عن الفرق بين المواليد والوفيات ، حيث يرتفع معدل المواليد إلى (٤٥ فى الألف فأكثر) فى الصومال واليمن وعمان وجيبوتى والأردن وموريتانيا والسودان ، وينخفض معدل المواليد نوعا (أقل من ٣٥ في الألف) في لبنان والبحرين والإمارات وقطر والكويت وتونس ومصر . إلا أن معدلات الخصوبة الكلية أكثر دلالة على الإنجاب من معدلات المواليد ، فهناك دول يقل معدل خصوبتها الكلية عن خمسة



شكل (٢٧)
توزيع الدول العربية حسب السياسة السكانية

أطفال للمرأة كما فى لبنان وتونس والبحرين والإمارات والكويت ومصر والمغرب ودول تتراوح خصوبتها بين خمسة وسبعة أطفال للمرأة وهى قطر والجزائر والعراق وموريتانيا والصومال وجيبوتى واليمن وسوريا وليبيا . وباقى الدول تزيد خصوبتها عن سبعة أطفال للمرأة الواحدة .

أما الوفيات فقد شهدت معظم الأقطار العربية انخفاضا واضحا فى معدلاتها نظرا للرعاية الصحية والخدمات الطبية وتتباين معدلات الوفيات فى الوقت الحاضر بين الأقطار ، فهى مازالت مرتفعة عن ١٥ فى الألف فى الصومال (٢٠ فى الألف) وموريتانيا (١٩ فى الألف) وجيبوتى (١٨ فى الألف) والسودان واليمن (١٦ فى الألف) ، أما فى سائر الدول العربية الأخرى فقد انخفضت معدلات الوفيات انخفاضا ملحوظا لدرجة تقل عن ١٠ فى الألف .

ويعد معدل وفيات الأطفال الرضع من المقاييس المهمة أيضا فى دراسة مستويات الوفيات وتطورها ، ذلك لأنه يعكس مدى ما تقدمه الدولة من خدمات صحية ، كما يعتبر معدل وفيات الأطفال بمنزلة مقدمة هبوط معدلات الوفيات العامة ، ومن هنا نجد أن معدلات وفيات الأطفال الرضع تزيد على ١٠٠ فى الألف فى الصومال (١٣٢ فى الألف) وموريتانيا وجيبوتى واليمن والسودان ، بينما تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ فى الألف بعمان وليبيا والمغرب والجزائر والسعودية والبحرين والعراق . وتقل عن ذلك فى سائر الدول العربية الأخرى . ويمكن أن نقرر فى ضوء تحليل اتجاهات النمو السكانى العربى أن هذا الوطن ما زال يعيش فى صميم المرحلة الانتقالية التى تتسم خلالها معدلات المواليد بالارتفاع وتتجه معدلات المواليد بالانخفاض وتأخذ معدلات الوفيات فى الانخفاض التدريجى أيضا ، ويرجع التفاوت فى معدلات الوفيات فى أنها لم تبدأ فى الانخفاض فى وقت واحد ، فالبلاد التى دخلت المرحلة الانتقالية مبكرا انخفضت فيها معدلات الوفيات انخفاضا ملحوظا ، أما البلاد التى لم تدخل المرحلة الانتقالية إلا أخيرا فما زالت معدلات الوفيات فيها مرتفعة نوعا ، ومازالت بحاجة إلى بعض الوقت لتصل إلى مستوى معتدل . من هنا كانت ظروف نمو السكان فى الوطن العربى متجهة نحو الارتفاع البارز بين كافة أقاليم العالم المختلفة [١٠].

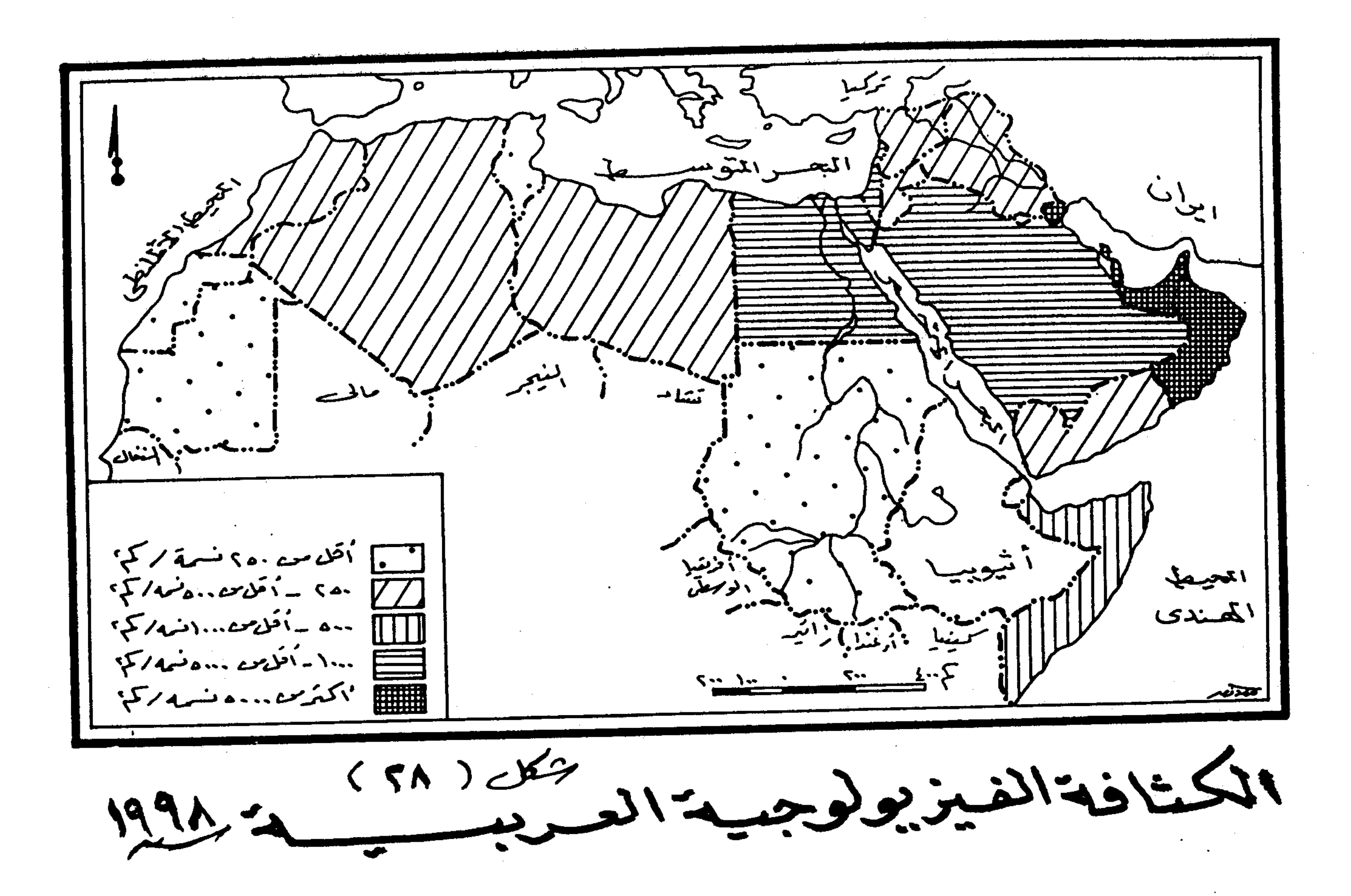
كثافة السكان فى الوطن العربى :

تعد الكثافة السكانية التى تحسب بقسمة عدد السكان على المساحة الكلية العربية (الكثافة العامة) من أقل الكثافات العالمية التى تصل إلى ٢٠,٧ نسمة لكل كم٢ عام ١٩٩٨ ، إلا أن هذه الكثافة تتفاوت داخل أقاليم الوطن العربى من ١٦ نسمة /كم٢ بإقليم شبه الجزيرة العربية إلى ٦٢ نسمة/كم٢ بإقليم الهلال الخصيب ثم ٢٤ نسمة/كم٢ بإقليم حوض النيل والقرن الأفريقي ، وتنخفض إلى ١٣ نسمة/كم٢ بإقليم المغرب العربى وليبيا ، إلا أن هذه النوعية من الكثافات لا تعبر عن واقع الكثافة العربية نظرا لتبعثر السكان فى مناطق محدودة بالوطن العربى دون الأخرى التى تخلو تماما من السكان كما فى الربع الخالى وأجزاء شاسعة من الصحراء الكبرى الأفريقية.

وتعتبر الكثافة الفزيولوجية (الحقيقية) أكثر تعبيرا حيث إنها تحدد عدد السكان على المساحة المعمورة والتى هى تقريبا المساحة المنزرعة بالدولة . فقد مثلت هذه النوعية من الكثافة ٧١٤ نسمة/كم٢ كمتوسط بإقليم شبه الجزيرة العربية ولكنها تتفاوت أيضا بين دول الإقليم بين ٣٢٣ نسمة/كم٢ باليمن وأكثر من ٢٠ ألف نسمة/كم٢ بدولة الكويت إلا أن الإقليم يغلب عليه سكنى المدن حيث قلة المساحة المنزرعة إلى أدنى درجة عدا السعودية واليمن .

وتمثل الكثافة الفزيولوجية متوسط ٤٤٥ نسمة/كم٢ بدول الهلال الخصيب ، وهى أقرب الأقاليم العربية إلى الكثافة الفزيولوجية العربية بصفة عامة (٤٥٠ نسمة/كم٢) ، إلا أن هذا الإقليم يعد متجانسا فى كثافته الفزيولوجية بين دوله المختلفة شكل (٢٨) .

وبلغت الكثافة الفزيولوجية بإقليم حوض النيل والقرن الإفريقى أعلى الكثافات بأقاليم الوطن العربى (٥٤٧ نسمة/كم٢) وتتراوح هذه الكثافة فى دول الإقليم بين ١٤٥٠ نسمة/كم٢ بوادى النيل ودلتاه بمصر و ٢٠٠ نسمة/كم٢ بدولة السودان ، أما إقليم المغرب العربى وليبيا فقد مثلت كثافته الفزيولوجية ٣٠٧ نسمة/كم٢ ، كما يوجد تجانس فى الكثافة الفزيولوجية بين دول الإقليم ، إذ لا تزيد عن ٣٩٢ نسمة/كم٢ بالجزائر كأعلى معدل كثافة فزيولوجية بالإقليم ولا تقل عن ١٧٣ نسمة/كم٢ بتونس كأقل معدل لسعة



شكل (٢٨)

الكثافة الفيزيولوجية العربية ١٩٩٨

المساحة المعمورة مقارنة بحجم السكان ، وبصفة عامة يعد الإقليم من أقل أقاليم الوطن العربى فى كثافته الفزيولوجية [١١].

قوة العمل العربية :

باعتبار سن الخامسة عشرة بداية سن العمل وسن الستين نهاية له ، فإن تصنيف السكان عمريا إلى ثلاث فئات عريضة يفيد كثيرا فى تحديد حجم قوة العمل بالقياس إلى الحجم الكلى للسكان . ويتميز النمط السائد فى البلاد العربية بارتفاع نسبة الأطفال (– ١٥ سنة) على حساب نسبة البالغين (١٥– ٦٠ سنة) مما يترتب عليه انخفاض نسبة قوة العمل بالقياس إلى الحجم الكلى للسكان ، إذ تقل هذه النسبة فى كافة الدول العربية عن ٥٠% ، بينما نجدها تزيد على ٦٠% فى الدول المتقدمة الأمر الذى يترتب عليه زيادة نسبة الإعالة وطبقة المستهلكين على حساب قوة العمل المنتجة ، وقد بلغت أعلى معدلات فى قوة العمل العربية بدولة الصومال ٤٦,٥% وموريتانيا ٤٦,٢% وذلك لقلة أعداد المتعلمين ودخول الأطفال والصبية سوق العمل مبكرا ، ثم قطر ٤٦,٢% والإمارات ٤٥,٥% ، والبحرين ٤١,٨% ، أما أقل هذه المعدلات فهى العراق (٢٦,٢%) من حجم السكان عام ١٩٩٨ [١٢].

وإذا اعتبرنا السكان البالغين (١٥–٦٠سنة) الذين يمثلون قوة العمل هم العائلين ، واعتبرنا الأطفال (–١٥سنة) والشيوخ (٦٠ سنة فأكثر) هم المعولين ، فإن التركيب العمرى للسكان فى البلاد العربية يشير إلى انخفاض نسبة العائلين وارتفاع نسبة المعولين ، ويرجع ارتفاع عبء الإعالة إلى أن ارتفاع معدلات الخصوبة بمعظم البلاد العربية أدى إلى ارتفاع نسبة الأطفال ، أو بمعنى آخر اتساع قاعدة الهرم السكانى ، يضاف لذلك عدم دخول المرأة العربية سوق العمل إلا فى حدود ضيقة (١٠% فقط من سن قوة العمل لدى المرأة) ليقع العبء الأكبر من انتاج السلع والخدمات على عاتق الذكور دون الإناث [١٣].

المشكلة السكانية العربية

قد خلقت الأوضاع السكانية مشتركة مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية العربية مشكلة سكانية تتباين بين أقطار الوطن العربي من حيث نوعيتها ، حيث وجدت دول عربية تعاني من فائض سكاني وقوة بشرية عاملة عجزت عن تصريفها ، وأخرى تعاني من نسبة عجز سكاني وقلة في حجم قوة العمل المتاحة لديها . وتختلف نسبة الفائض والعجز من دولة لأخرى كما يلي :

أولا : دول الفائض :

وتعاني من مشكلة التضخم السكاني في ضوء الموارد الاقتصادية المحدودة بها ، وهذه الدول هي : مصر وسوريا ولبنان والأردن واليمن وتونس والمغرب وموريتانيا والصومال والجزائر فضلا عن السودان ، وهذه الدول تمثل ٧٧,٤%من سكان الوطن العربي ويمكن مضاعفة هذا العدد بعد قرابة ربع قرن ، لولا أن هناك بعض الدول كمصر والمغرب والجزائر أكثر الدول العربية في عدد السكان يقل بها معدل النمو السكاني السنوي عن ٢,٥ % . وتنقسم هذه الدول إلى ثلاث فئات حسب موقفها السكاني وعلاقته بظروف التنمية كما يلي :

١- مجموعة يتسم هيكلها الاقتصادي بالطابع التقليدي ، إذ تعتمد على الزراعة والرعي بنسبة ٨٠% من العمالة بها فهي الصومال وموريتانيا واليمن والسودان ، فضلا عن نقص الخبرة وأعباء الديون التي تصل ضعف الناتج القومي . إضافة لانخفاض الدخل الفردي لأقل من ٥٠٠ دولار سنويا مما جعلها ضمن أفقر ٣٦ دولة في العالم ، ذلك في ظل ارتفاع معدلات الخصوبة والأمية والبطالة .

٢- مجموعة يتسم هيكلها الاقتصادي بأنه هيكل مركب ، وإن غلب عليه الطابع الزراعي (٢٥%-٤٥%) من العمالة وتضم : تونس والجزائر والمغرب وسوريا والأردن ، وقد قطعت هذه الدول شوطا في التنمية ، ولازالت ، وتعد هذه الدول أكثر تميزا عن سابقتها اقتصاديا ، فهي مجتمعة ضمن الدول متوسطة الدخول (المتوسطة الدنيا حسب تقديرات البنك الدولي) . وتعد هذه الدول من أعلى معدلات النمو الحقيقي للناتج المحلي بالوطن

العربى بين ٥%-٧% عام ١٩٩٧ ، كما تتأثر هذه الدول بالديون الخارجية بصورة أقل من سابقتها ، وتعد فرصة ارتفاع نسبة القوى العاملة السنوية بهذه الدول نتيجة أنها من أعلى نسب نمو العمالة بالوطن العربى بنسبة ٥.٢% بالأردن حتى ٢,٧% بالمغرب ، أثره فى عجز سوق العمل عن توفير فرص العمل لكل الداخلين لسوق العمل ، خاصة وأن القطاع الزراعى بها أصبح أقل استيعابا للعمالة نظرا لتحديثه ، ومن جهة أخرى فإن الأنشطة الخدمية والصناعية أقل فى إسهامها من المطلوب فى توفير فرص عمل .

٣- مجموعة يختلف الموقف السكانى بها عن سائر الدول العربية ذات الفائض السكانى ، وتضم مصر ولبنان ، فمصر رغم هبوط نمو السكان السنوى ١,٩% سنويا ، إلا أن معدل نمو العمالة بلغ ٢,٨% سنويا ، وتعانى مصر من ضغط سكانى على الوادى والدلتا رغم مجهودات برنامج الإصلاح الاقتصادى المتبعة وتعديل قوانين العمل والعمل على جذب الاستثمارات وزيادة الرقعة المنزرعة وانخفاض معدل التضخم ، وزيادة نسبة فرص العمل للعمالة النسائية ودخولها سوق العمل لتزيد عن ٣٠% من قوة العمل مقابل ١٠% فى الوطن العربى ، وتحقق لذلك انخفاضا فى معدل البطالة ليصبح ٩% فى تعداد عام ١٩٩٦ مقابل ١٤,٧% فى تعداد عام ١٩٨٦ ، إلا أن مصر لازالت تعانى هذه المشكلة ، التى تمثل أعداد متعطليها ١٥,٥% من جملة ١٢ مليون متعطل عربى . أما لبنان فهى مغايرة لسائر الدول العربية ، فهى البلد العربى الوحيد الذى ينخفض فيه معدل الخصوبة والوفاة معا وكاد يصل إلى مرحلة النضج السكانى الناتج عن انخفاض معدلى المواليد والوفيات معا ، ويصل نمو السكان ١,٩ مقابل ٢,٩% للعمالة سنويا ، نظرا لزيادة نسبة الداخلات فى مجال العمل بصورة تفوق العديد من الدول العربية ، فنظرا لصغر المساحة ، فهى تشهد كثافة فزيولوجية مرتفعة (١١٧٦ نسمة/كم٢) لزيادة نسبة الأرض الجبلية ، وعليه يشهد لبنان نوعا من الهجرة المغادرة منذ عهد الفينيقيين ، إلا أنه فى الآونة الأخيرة لم يشهد لبنان مشكلة كبيرة فى فائض العمالة فى ظل النمو الحقيقى للناتج المحلى الذى بلغ ٧% عام ١٩٩٦ ، كما أن تقديم عمليات إعادة الإعمار وبدء دوران عجلة الاقتصاد على نطاق واسع أتاح فرصة امتصاص جانب من العاطلين فيه [١٤].

ثانيا : دول العجز :

ويمكن ترتيب هذه الدول حسب ارتفاع نصيب الفرد من الناتج القومى وهى الإمارات والكويت وقطر وليبيا والبحرين والسعودية وعمان فضلا عن العراق ، ويعتبر دخول الثلاث دول الأول منها ضمن فئة الدول ذات الدخول العليا فى العالم ، ثم الأربعة التالية تقع ضمن دخول الدول المتوسطة العليا ، وتبقى العراق ضمن الدول ذات الدخول المتوسطة الدنيا ، ويتميز الوضع السكانى لهذه المجموعة بأنها ذات كثافة فزيولوجية مرتفعة ، فيما عدا العراق والسعودية وليبيا ، وفيما عدا الكويت تشهد كل هذه الدول نموا سكانيا واضحا ، إذ أن الكويت الآن فى حالة تقليل من العمالة الأجنبية بها ، أما باقى الدول فتشجع الزيادة السكانية ، كما أن نمو العمالة بهذه الدول تعد مرتفعة مقارنة بالدول العربية الأخرى فيما عدا الكويت أيضا .

وتعتبر دول الخليج مستوردة لخدمات قوة العمل بكافة مستوياتها المهارية وتخصصاتها ، إلا أن تلك الدول تعانى من انتشار أحد أنماط البطالة "الاختيارية" بسبب الثراء الكبير الذى حققته تلك الدول بعد ارتفاع أسعار النفط والغاز الطبيعى الذى تنتجهما وتصدرهما بما أتاح رفع مستويات المعيشة ، بناء على ريع المواطنة وليس عائد العمل بشكل جعل الكثيرين يفضلون البقاء متعطلين ، وهذه الظاهرة تعكس مدى عدم الطموح وفقدان الإحساس بالتطورات المتسارعة إقليميا ودوليا ، كذلك إحداث خلل كبير فى النظرة القيمية فى المجتمعات الخليجية ، حيث تبدو المناصب أو الأعمال المقترنة بالوجاهة الاجتماعية فى الإدارة العليا وأجهزة الإعلام والسلك الدبلوماسى والجيش والشرطة هى المطلوبة ، بينما الأعمال التى تتطلب مهارات عالية أو عادية تبدو غير مرغوبة ، بما يستدعى استقدام عمالة أجنبية وهو أمر سيظل يقلل من الفاعلية الاقتصادية الذاتية فى دول الخليج (١٥).

وتنتمى ليبيا إلى تلك المجموعة التى تتسم بعوائد نفطية ضخمة ، يذهب جزء منها فى برنامج تحديث وإنماء واسعة كما تتسم بقلة عدد السكان ، مما حدا بها إلى استخدام عمالة من خارجها للاضطلاع بأعباء مشروعات التحديث والإنماء فيها بدرجات متفاوتة أدت إلى جعل الوافدين أكثرية فى

قوة العمل والسكان ، وتقدم هذه البلاد مزايا مادية عديدة للعاملين الوافدين إليها ، كما تضع قيودا شديدة على الدخول والعمل والإقامة بها ، وتنشئ قدرا من التفرقة قانونا وفعلا . بين المواطنين والوافدين بما فى ذلك العرب ، وتعد ليبيا سوق عمل طبيعية لأبناء المغرب العربى - خاصة تونس - وأيضا مصر نظرا للقرب الجغرافى والحضارى ، شريطة أن لا تتأثر أحوال العمال المهاجرين بالتقلبات السياسية . ولما تعرضت ليبيا لحظر دولى محدود لا يقارن بالحظر الشامل المفروض على العراق ، دخل اقتصادها فى ركود عميق ، ثم تمكن من النهوض وتحقيق نمو إيجابى محدود بلغ ٢% عام ١٩٩٦ ، بعد أن تأقلمت ليبيا على التعامل مع الحظر المفروض عليها .

تميز العراق بالكبر النسبى فى عدد السكان عن باقى دول هذه المجموعة ، إلى جانب تنوع البنيان الاقتصادى به ، فقد ظهرت الحاجة أيضا إلى قوة العمل الوافدة للمساهمة فى مشروعات التنمية خلال السبعينيات والثمانينيات ، ولكن ما يميز العراق خلال تلك الفترة هو عدم وضع أى قيود قانونية على الدخول والعمل والإقامة بالنسبة للعرب ، كذلك لا يحصل العامل العربى الوافد للعراق على المزايا المادية التى تتأتى له فى بلدان الخليج الأخرى . وإن كانت المزايا المادية للعامل العربى الوافد للعراق تزيد أحيانا عن نظيره من المواطنين ، وقدر أن عدد العمال الوافدين فى العراق ربما تجاوز المليون فى بداية الثمانينيات إلى أن زادت بعد ذلك إلى ٢ مليون قبيل حرب الخليج الثانية غالبيتهم كانوا من المصريين ، وقد ساعد على النمو السريع لهجرة المصريين أن العراق هو البلد النفطى الوحيد الذى لم يكن يشترط تأشيرة دخول أو تصريح عمل للعرب ، وكثيرا ما كان ينظر إليه كمعبر لبلد خليجى آخر تكون الهجرة إليه أكثر ربحية .

تعرض العراق منذ أغسطس ١٩٩٠ وحتى الآن لأطول وأقسى حظر تتعرض له دولة فى التاريخ الحديث ، وقد ساهم هذا الحظر فى تدهور الناتج المحلى الإجمالى للعراق على نحو درامى فانخفض بنسبة ٢٦% عام ١٩٩٠ ، ثم بنسبة ٦١,٣ عام ١٩٩١ ، قبل أن تبدأ فى التماسك عند مستويات متدنية فى السنوات التالية ، وقد حقق هذا الاقتصاد نموا إيجابيا محدودا بلغ ١% ، ٢% ، ٢% أعوام ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ على

الترتيب ، وقد حقق قفزة إيجابية فى عام ١٩٩٧ على ضوء تطبيق اتفاقية النفط مقابل الغذاء ، ولكنه يبقى عند مستويات شديدة التدنى مقارنة بما كان عليه قبيل حرب الخليج الثانية ، ومن الطبيعى فى كل الظروف التى خلفها الحظر الاقتصادى الدولى الشامل المفروض على العراق أن تنتشر البطالة على نطاق واسع بكل ما لها من الآلات وآثار سلبية على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وإن كان من المتوقع أن يتمكن العراق من امتصاص هذه البطالة إذا رفع الحظر الدولى عنه بالنظر إلى ما ستولده عمليات إعادة الإعمار وإعادة تشغيل عجلة الاقتصاد [١٦].

سياسة دول العجز السكانى مع العمالة فى ظل الوضع السكانى القائم :

يشهد الوطن العربى مشكلة سكانية ، إما مشكلة سالبة أو موجبة ، ولذلك كان لابد من حركة سكانية تبادلية فاعلة بين أرجائه مساهمة لحل هذه المشكلة ، ولكن ما يشهده وضع العمالة العربية يساعد على زيادة الشعور والإحساس بالمعاناة ، من آثار الضغط السكانى على الأرض وفائض العمالة منها فى ظل انخفاض الدخل بدول الإرسال ، ويبدو ذلك فى بلوغ عدد العاطلين العرب نحو ١٢ مليون متعطل عام ١٩٩٦ ، وقد بدت هذه الظروف وتفاقمت نتيجة الإيقاع السريع للتغير فى سوق العمل فى أقطار الخليج العربى والعراق وليبيا والمغرب . يعتبر النفط فيها صاحب الدور الرئيسى كما يلى :

قبل عام ١٩٧٣ وبالتحديد عام ١٩٧٢ بلغ دخل دول مجلس التعاون الخليجى من النفط ٥ ٥٩٨ مليون دولار فقط وحتى ذلك الحين كان الدور الذى تلعبه الأقطار العربية المصدرة للنفط بشكل خاص فى عمليات البنك الدولى ضئيلة جداً ، إذ كان يقتصر على العضوية الشكلية ، وفى ذلك الحين بالذات كان البنك قد رفض تقديم القروض للاستثمار فى مجالات حيوية كتطوير الريف والتعليم والإسكان بليبيا ، بحجة أن مثل هذه القروض لا تحقق استثمارات إنتاجية خالصة ، وأنه ليس هناك مبرراً اقتصادياً لهذا الاستثمار ، وذلك بعد عام واحد من اكتشاف النفط وأقل من عام على بدء تصديره بليبيا .

ومن جهة ثانية كانت ظروف الهجرة فى مصر كأكبر مصـــدر للعمالـــة العربية قبيل عام ١٩٧٣ خاصة الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٧ قد شهدت تشـــجيع من قبل الدولة بالتحديد للهجرة ، ووضعت لجنة وزاريـــة لشـئون القـــوى العاملة عام ١٩٦٤ سياسة هجرة راسخة ، تشمل تشجيع العمل للخـــارج ، ومسح شامل للقوى العاملة والتركيز على تخصصات حسب العجز والزيـادة ، وتبسيط الإجراءات الحكومية للهجرة والتشجيع على تحويـلات العـاملين للخارج ، واعتبار الهجرة عملاً سياسياً مقبولاً وشـــرعياً وحـلاً للمشـكلة السكانية ، إلا أن هذا لم يتعد جانب التشجيع النظرى ، لأن الحكومة تـلولت غالبية المهن الإنتاجية ومنعتها من الهجرة وأخضعتها بـــأوامر التكليـف ، وعلى ضوء الطفرة الثورية التى تميزت بها الستينيات فى أولها وتأكيدهـــا للتنمية الاشتراكية والاعتماد الذاتى ، لم يكن هناك مجـــال واســـع للـــهجرة وغادر البلاد عدد قليل جداً ، ففى نوفمبر عام ١٩٦٤ قدم لـــوزارة العمـــل ٢٨٢ طلباً للهجرة ولم توافق الوزارة إلا على ٢٧ منها ، وفى ذات الشـــهر تمت الموافقة على إعطاء ١٢٥ تصريح عمل للخارج . وفى أعقاب هزيمـــة ١٩٦٧ انحدر معدل النمو الاقتصادى المصرى وتوجه الاســـتثمار المنتـــج للمجهود الحربى ، وتزايدت أعداد الملتحقين بالجيش فحرمت منهم قوة العمل فى البلاد ، وانخفضت طموحات مصر والعرب وآمالهم فى تحقيـــق التقـــدم الاقتصادى السريع والاشتراكية والوحدة العربية ، وانحصرت طلباتهم علـــى تحرير الأرض العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ ، وكان ذلك نقطـــة تحـــول انقلبت على أثرها ثقة الشباب لدى الحكومة ، وترجم ذلك إلى رغبة الكثيرين من الجامعيين فى الهجرة ، وأصدر الجـــهاز المركـــزى للتعبئـــة العامـــة والإحصاء أول تقرير شامل عن هجرة العمالة عـــام ١٩٦٩ والذيـــن كـــان أغلبهم من المدرسين وحصلوا على تصاريح عمل للخارج وصل عددهم ٢٨ ألف طلب مقارنة بالعدد ١٥ ألف الذى حدث فى الست ســـنوات الســـابقة ، وشهدت مصر مع ظهور الحكم الجديد للسادات وإعلان الدستور الدائم فـــى ١٩٧١ والذى نص فى المادة ٥٢ منه ، على أن الهجرة الدائمة والمؤقتة هى حق لكل مواطن ، وأن تكون الإعارات على أساس تحقيق التـــوازن كمـــاً ونوعاً باحتياجات خطط التنمية والاعتبارات السياسية والاقتصادية ، كذلـــك

توفير الوسائل اللازمة لحماية المواطنين بالخارج ويحد من تسرب الكفاءات المطلوبة لمشروعات التنمية .

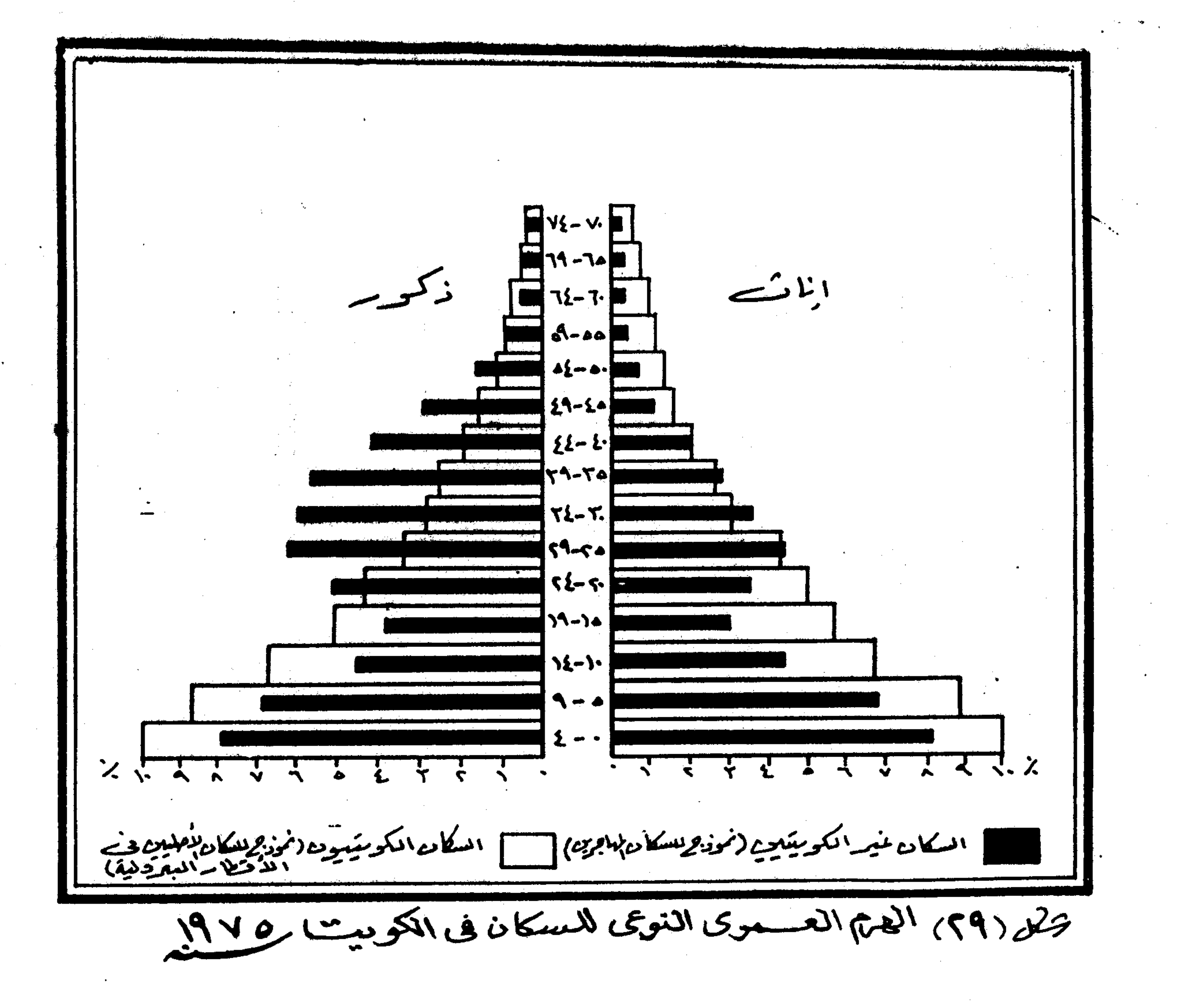
تميزت هذه الفترة فى دول النفط بالنمو التدريجى فى العائدات النفطيـة ، وشهدت هذه البلاد محاولات تحديث الاقتصاد والتحديث الاجتماعى فى ظـل تواضع عائدات النفط فى هذه الفترة واتجاه الحكومات نحو الإنفاق الموجـه لقطاع الخدمات محور الحركة الاقتصادية فى ذلك الوقت ، وقد واكبت هـذه الظروف عمالة أجنبية فى قطاع النفط الذى يعمل بمعزل عن باقى قطاعـات الاقتصاد القومى ، إلى جانب عمالة وافدة تقتصر على المدرسين والأطبـاء وبعض الفنيين معظمهم من البلاد العربية ، ثـم العمالـة العاديـة اليدويـة والزراعية الغير مقننة من اليمن وبعض الأقطار الآسيوية .

تعتبر مرحلة حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحتـى ١٩٨٢ مرحلـة الازدهـار النفطى وارتفاع العائدات بمستويات غير مسبوقة بدول النفط ، نتيجة لارتفاع السعر وحجم الإنتاج ، فقد ارتفع دخل دول مجلس التعاون الخليجـى مـن النفط إلى ١٥٠٢٩١ مليون دولار عام ١٩٨١ مقابل ٥٥٩٨ مليـون دولار عام ١٩٧٢ ، وانعكس ذلك على الناتج المحلى الإجمالى ليصل إلـى ١٩٢,٤ مليار دولار عام ١٩٨١ مقابل ١٤ مليار دولار فقط عـام ١٩٧٢ ، معنـى ذلك أن النفط هو العامل الحاكم فى اقتصاديات الخليج ومحـور التغـيرات الأخرى ، فالصناعة الاستراتيجية (الصناعات البترولية) مثلت ٦٢,٧% مـن الناتج المحلى عام ١٩٨٠ ، وباقى الصناعات والزراعة والتشـييد والبنـاء مجتمعة مثلت ١٥% من هذا الدخل ، ومثلت الصادرات السلعية من النفـط الخام ومشتقاته ٥٨,٤% من الناتج المحلى الإجمالى ، واستندت إلى العائدات النفطية بشكل شبه مطلق إيرادات الموازنة الحكومية والاحتياطى حتى عـام ١٩٨١ ، فبدأ انحسار المد النفطى لانخفاض الطلب العالمى عليـه لـتراجع دور منظمة الأوبك فى السيطرة على أسواق النفط فانخفض سعر الـبرميل من ٣٤ دولار عام ١٩٨٢ إلى ١٨ دولار للبرميل عـام ١٩٨٥ ، بجـانب انخفاض الكمية المنتجة من النفط من ١٤ مليون برميل يومياً عـام ١٩٨٠ إلى ٦ ملايين برميل منتصف الثمانينيات .

وقد كان لحرب الخليج منذ ١٩٨٠ أثر فى انخفاض نشاط النقل البحـرى من وإلى المنطقة وارتفاع قيمة التأمين على البضائع أو السفن وارتفاع تكلفة

السلع المنقولة وانخفاض كمياتها المتداولة مما جعلها تسهم فى إضافة موجة جديدة من الكساد أعقبت موجة سابقة كانت انعكاساً لحالة الركود الاقتصادى العالمى الذى ساد الولايات المتحدة والأقطار الصناعية منذ بداية الثمانينيات وانخفضت معه معدلات نموها ، وبالتالى وارداتها النفطية .

على ضوء ما سبق فقد شهدت الفترة منذ ١٩٧٤ - ١٩٨٢ أحجاماً استثمارية ضخمة فى قطاعات البنية الأساسية والإسكان والمرافق والمشروعات الصناعية الكبرى ومشروعات التعليم والتدريب وارتفاع حجم الواردات بكافة نوعياتها ، ثم كان لتراجع العائدات النفطية وتصاعد حرب الخليج أثره فى انكماش الاستثمار واقتصاره على ما سبق البدء فيه من مشروعات ، والعمل على توجيه جانب كبير من الإنفاق العام إلى الأغراض الدفاعية فى ذلك الوقت . ثم الاتجاه إلى استكمال مشروعات كبيرة فى مجالات البنية الأساسية بطاقات عالية غير مستحدثة ، وقد ترتب على ما شهدته الدولة النفطية الخليجية من تطورات تغيراً فى هيكل سوق العمل ، فقد ارتفع الحجم السكانى من ٩,٧ مليون نسمة عام ١٩٧٥ إلى ١٧,٣ مليون نسمة عام ١٩٨٥ بنمو سنوى ٦% وارتفاع حجم سكان المواطنين من ٧،٧ مليون نسمة عام ١٩٧٥ إلى ١١.٢ مليون نسمة فقط عام ١٩٨٥ بمعدل نمو سنوى ٣,٩ % مقابل ٢ مليون نسمة لغير المواطنين عام ١٩٧٥ مما كان له بالغ الأثر على تركيب السكان بدول الخليج ، كما يوضح الشكل (٢٩) بدولة الكويت كنموذج لدول استقبال العمالة ، ثم إلى حوالى ٦,٨ مليون نسمة علم ١٩٨٥ بمعدل نمو سنوى ١١,٨ % ، وفى ذات الاتجاه زادت العمالة من ٢,٩ مليون مشتغل عام ١٩٧٥ إلى ٦ مليون مشتغل عام ١٩٨٥ بمعدل نمو سنوى ٧,٧ % فى وقت كانت فيه نسبة الزيادة السنوية فى حجم قوة العمل المواطنة ١,٧% فقط مقابل ١٣,٦ % زيادة سنوية فى معدل العمالة الوافدة ، حيث أن معدل نمو السكان خلال الفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٥ كان بالغ الارتفاع (٦%) سنوياً لارتفاع معدل نمو السكان لغير المواطنين الذى بلغ ١١,٨ % سنوياً ، إلا أن هذه الدول عادت لتسجل معدلات أقل فى معدل نمو السكان لدول الخليج عام ١٩٨٥ ، ليصل عام ١٩٩٥ بالسعودية ٣,٧ % ونحو ٥,٩ % بالبحرين ثم - ٩,٤ % بالكويت وإن كان الأمر مخالفاً بالإمارات والبحرين ، ولكن تأثيرهما محدود لقلة أعدادها السكانية ، ويرجع



شكل (٢٩) الهرم العمري النوعي للسكان في الكويت سنة ١٩٧٥

ذلك الانخفاض إلى عمل الحكومات لهذه الدول على الحد من الهجرة الدائمة أو المؤقتة وتفضيل ربط العمالة الوافدة بعمليات استثمارية محدودة فى إطار تعاقدات أوسع نطاقا ، حيث ينتهى استخدام العمالة المرتبطة بها بمجرد انتهاء مهامها دون استمرار الإقامة ، ويقترن بهذا الاتجاه أيضاً قواعد وقوانين صارمة تتعلق بالإقامة ومنح تأشيرات دخول وتعقب حالات الإقامة غير القانونية [١٧].

مساهمة العمالة العربية المرسلة فى سوق العمل الخليجى :

لجأت البلدان الخليجية العربية إلى الاستعانة بالعمالة من الخارج وبدأت موجات الهجرة تأتى أولاً من الدول العربية المجاورة (اليمن ومصر والأردن وسوريا) ثم اتسعت الدائرة بعد ذلك لتشمل العمالة من جنوب آسيا (الهند وباكستان) ثم تبعهم القادمون من شرق وجنوب شرق آسيا (الفلبين وتايلاند وكوريا الجنوبية وإندونيسيا) وساعد على ذلك بالنسبة للهند وباكستان الجوار الجغرافى ، والعلاقات التاريخية ، ووجود عدد كبير من السكان المسلمين ، ويلاحظ بصفة عامة أن العمالة الآسيوية تمثل أغلبية العمالة الوافدة فى الإمارات وعمان وقطر والبحرين ، فى هذه البلدان تفوق أعداد العمالة القادمة من آسيا تلك الوافدة من الدول العربية المجاورة ، ففى قطر يمثل الآسيويون ٦٣% من العمالة الوافدة ، ونحو ٨٥% بالبحرين .

وتزايد فى زمن قصير جداً حجم العمالة الآسيوية الوافدة لدول الخليج من ١٣٠ ألف عامل عام ١٩٧٠ إلى ٣٧٠ ألف عامل عام ١٩٧٥ ثم إلى ١,٩٨ مليون عام ١٩٨٠ ثم إلى ٣,٣ مليون عام ١٩٨٥ ، ولكن يقدر البعض أن العدد الإجمالى للآسيويين العاملين فى الخليج فى الفترة من ١٩٨١ – ١٩٨٥ قد وصل إلى حوالى ٥,٣ مليون عامل وافد ، ويشمل ذلك التقدير من سافر إلى العمل أكثر من مرة ولكنه يستبعد المهاجرين غير الشرعيين ، فنجد أن حجم العمالة الآسيوية قد تزايد بمعدل ١٨% سنوياً مقابل ١٣% للعمالة العربية الوافدة ، وعليها تزايدت نسبة الآسيويين لجملة السكان غير المواطنين من ٢٠% عام ١٩٧٥ إلى ٣٠% عام ١٩٨٠ ، وقد انعكس الوضع الاقتصادى فى انخفاض العائدات النفطية بعد ذلك على خطط التنمية الخليجية المستقبلة للعمالة ، فاستهدفت خطة التنمية الرابعة فى السعودية

(١٩٩٠/٨٥) خفض العمالة الأجنبية بنسبة ٢٣,٦% - أى ٦٠٠ ألف عامل - نصيب القطاع الخاص منه ٣٧٤ ألف عامل ، وتضع الخطة معدل انخفاض سنوى ٥% للعمالة الوافدة مقابل نمو العمالة السعودية بنسبة ٣,٩% سنوياً ، كذلك خفضت الكويت العمالة بنحو ٦ آلاف عامل منذ ١٩٨٥ حتى ١٩٩٠ . وتجدر الإشارة إلى أنه من المتوقع أن تتزايد العمالة الآسيوية وليس العكس ، حيث يمثل القطاع الخاص موقعاً هاماً فى النشاط الاقتصادى ، مما يساعد على فتح الطريق أمام العمالة الآسيوية والتى يدعمها عدة مواقف هامة هى :

-انخفاض مستوى الأجور للعمالة الآسيوية مقارنة بالعربية حتى فى حالة تساوى الخبرة وظروف العمل دون المهارة .

-تميز نمط انتقال العمالة الآسيوية بالتنظيم والدراسة من خلال مكاتب التوظيف ، فنجد صورة أكثر تقدماً فى التنظيم من حيث تعبئة وتوظيف العمالة وإرسالها قد ظهرت لدى المرسلين فى بلدان شرق وجنوب شرق آسيا .

-الاتجاه غير الموفق للحومات المستقبلة للعمالة نحو الاستثمار فى العنصر البشرى بها ، فهو يتوجه بصورة لا تتوائم مع احتياجات سوق العمل ، فقد نجح النظام التعليمى فى تخريج أعداد متنامية من المواطنين ولكن فى مقابل ذلك فشل فى تخريج كفاءات كافية فى فروع معينة من العلوم ، فقد أجرى مسح على طلبة المرحلة الثانوية فى الكويت ١٩٨٥ أوضح أن ٧٨% من الطلبة يفضلون التعليم غير الفنى ، كما تفيد إحدى الدراسات فى الكويت أيضاً أنه إذا كانت المهن الهندسية قد تشهد فى المستقبل ارتفاعاً فى نسبة العمالة المواطنة بها ، إلا أن المهن الإنتاجية الماهرة ستظل الأيدى العاملة المحلية قاصرة على شغلها ، كذلك الحال بالسعودية إذ يواجه المخططون مشكلة الأعداد المقدرة من السعوديين لدخول سوق العمل قد لا تتوافر بالحجم المتوقع لها ، وإن توافرت فقد لا تكون بالمهارات والمؤهلات التعليمية والتدريبية المطلوبة ، كما أنهم قد لا يرغبون فى الالتحاق بالقطاع الخاص الذى يفترض أن يوفر معظم فرص العمل ، بناء على ما سبق فإن حجم التوظيف الأجنبى فى قطاع الخدمات الهندسية لدعم الاستثمار العربى فى الآونة الأخيرة قد زاد على مليونى

مهندس وفنى ، وهذه الأرقام لا تشمل عدد العمال فى الموقع لبناء مثـــل هذه المشروعات ، وفى قطاع النفط والغاز العربى وحــده قــد تحققــت خسارة توظيف مليون مهندس وفنى مستخدمين فى هذا القطاع من خارج الوطن العربى [١٨].

الفصل الثامن
الإنتاج الزراعى فى الوطن العربى

الإنتاج الزراعى فى الوطن العربى

يعد الإنتاج الزراعى العربى عماد حيوى من أعمدة الحياة الاقتصادية فى الوطن العربى كما فى الأرجاء المختلفة على سطح الأرض ، ويمكن أن **نحدد أهمية الزراعية العربية فى الآتى :**

* يحتفظ قطاع الزراعة بأهمية كبيرة فى الغالبية الساحقة من الدول العربية ، وذلك نظراً لضخامة حجم قوة العمل التى يستوعبها هذا القطاع (٢٦ مليون عامل) عام ٢٠٠١ أى ٣١% من إجمالى قوة العمل العربية ، بل هناك العديد من الدول تعد العمالة الزراعية بها تمثل الأغلبية بين الأنشطة الإنتاجية الأخرى كما فى الصومال (٧٣,٨%) والسودان (٦٧,٩%) واليمن (٥٦,١%) وموريتانيا (٤٧,٥%) ، وبنسبة أقل فى عمان (٤١,٧%) والمغرب (٤٠%) ومصر (٣١,٩%) ، ثم باقى الدول العربية تقل بها النسبة إلى ما بين ٢٤% و ١,٥% ، إضافة لذلك فإن غالبية السكان العرب لا يزالون معتمدين على الزراعة فى تكسبهم بنسبة(٤٥%) [1].

* تبلغ نسبة مساهمة الناتج الزراعى فى الناتج المحلى الإجمالى إلى نحو ٨٠ مليار دولار عام ٢٠٠١ أى نحو ١١,٣% من إجمالى الناتج المحلى ، بل ترتفع مساهمة الناتج الزراعى فى الناتج المحلى الإجمالى فى العديد من الدول ففى الصومال (٥١%) والعراق (٣٤%) والسودان (٣٣%) وسوريا (٢٧%) وموريتانيا (٢٣%) والمغرب (١٨%) ومصر (١٦,٥%) ثم اليمن (١٥%) وتقل النسبة فى باقى دول الوطن العربى بل تنخفض إلى ٠,٤% فى الكويت وذلك شئ طبيعى بهذه الدول فى معظمها ، خاصة وأن قطاع استخراج النفط والغاز كبير للغاية بها لدرجة جعلته يسهم بنحو خمس الناتج المحلى الإجمالى العربى [2].

* وتتبع أهمية قطاع الزراعة من أنه المسئول بصفة أساسية عن الأمن الغذائى ومستوى الاكتفاء الذاتى من الغذاء ، والذى أثبتت التطورات السياسية والاقتصادية فى المنطقة - وبالذات حالة العراق تحت الحصار - أهمية أن تكون هناك درجة عالية من الاكتفاء الذاتى من السلع الغذائية التى ينتجها - إجمالاً - قطاع الزراعة فى أية دولة ، علماً بأن مستوى الاكتفاء الذاتى من السلع الغذائية الرئيسية لا تزال أقل من المطلوب فى الوطن

العربى ، حيث تشير التقارير الاقتصادية الخاصة بالأمن الغذائى العربى إلى أن حجم الفجوة الغذائية الإجمالى لكافة الدول العربية ، يتراوح عام ٢٠٠١ ما بين ١١ - ١٣ مليار دولار وتتصف بالتذبذب من عام إلى آخر بسبب التغير فى الإنتاج النباتى والحيوانى وحجم الاستهلاك وتقلبات الأسعار العالمية للسلع الغذائية ، وتمثل الحبوب المكمن الأكبر للفجوة الغذائية ، حيث أن نسبة الاكتفاء الذاتى منها ٧٢,٢% واللحوم ٨٤,٣% والسكر ٣٤% والألبان ٥٧% والزيوت والشحوم ٤١% ، وأكد الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية أن الوطن العربى مازال بعيداً عن تحقيق الأمن الغذائى له ، مما يعرض الدول العربية لسيطرة الدول الخارجية ، وذلك بالرغم من أن الإحصاءات تشير إلى أن حجم الفجوة الغذائية العربية انخفض من نحو ٢١ مليار دولار فى الثمانينيات إلى نحو النصف حالياً ، وفى الوقت الذى يزخر فيه الوطن العربى بإمكانات هائلة فى المجال الزراعى فمازالت الفجوة الغذائية كبيرة [٣].

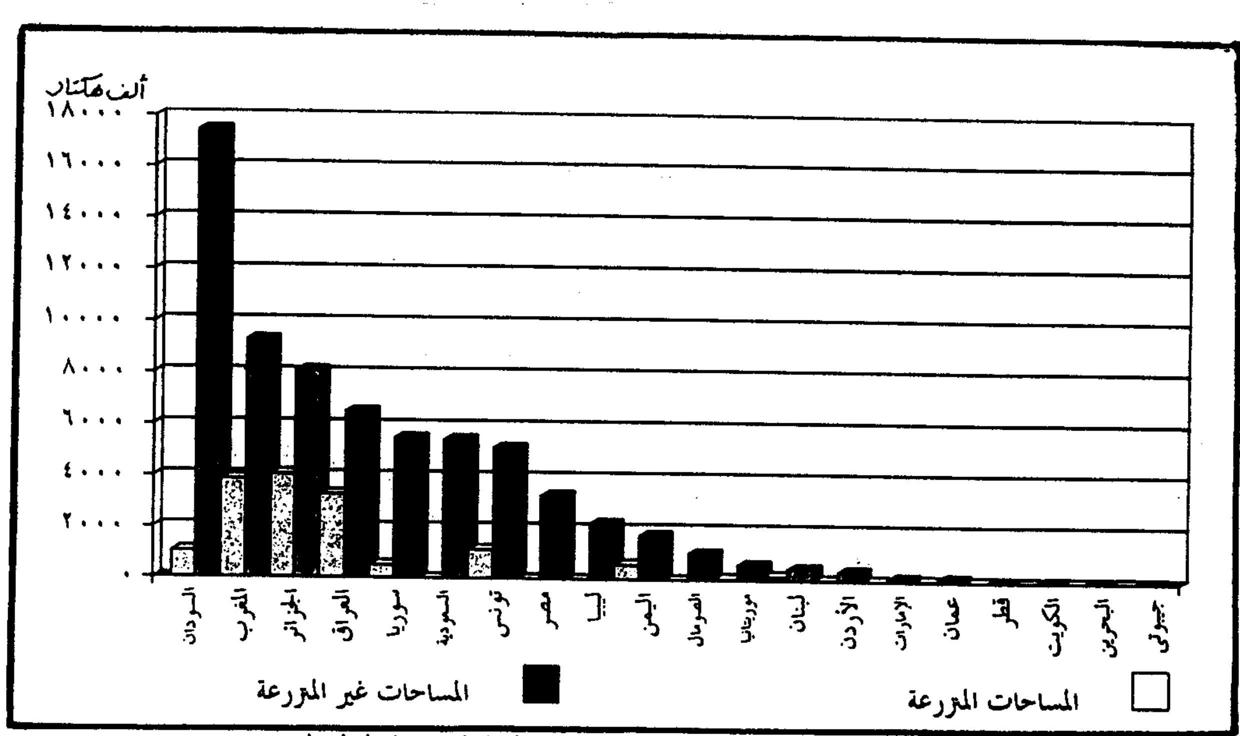
وضع الإنتاج الزراعى العربى :

وتتمثل هذه الإمكانيات فى الأراضى القابلة للزراعة ، إلى جانب الموارد المائية المتاحة ، وقوة العمل الزراعية ، وتوفر رأس المال اللازم للزراعة ، إلى جانب التنظيم والإدارة والتسويق وغيرها .

١ - الأراضى الزراعية واستخداماتها :

بلغت الأراضى القابلة للزراعة فى الدول العربية فى مجموعها نحو ١٩٧,٤ مليون هكتار حسب تقديرات أعدت فى منتصف الثمانينيات ، ووردت فى التقرير الاقتصادى العربى الموحد عام ١٩٨٧ ، وإذا افترضنا ثبات هذه المساحة ، رغم أن تطور التكنولوجيا الزراعية يتيح إدخال مساحات جديدة ضمن الأراضى القابلة للزراعة ، فإن الأراضى المزروعة منها فعلياً والتى بلغت ٦٧,٤ مليون هكتار عام ١٩٩٥ لا تشكل سوى نحو ٣٤,١% من الأراضى القابلة للزراعة كما فى الشكل (٣٠) ، وهذا يعنى أن قرابة ثلثى الأراضى القابلة للزراعة فى الدول العربية لا يتم زراعتها [٤].

ويبدو ذلك فى أن هناك ثلاث دول عربية رئيسية هى : السودان والجزائر والمغرب ، تمتلك مساحات هائلة قابلة للزراعة ، بلغت على الترتيب نحو ٥٨,٩ ، ٣٩,٥ ، ٣٥,٣ مليون هكتار ، فى حين أن المساحات



شكل (٣٠) : توزيع الأراضى المزروعة وغير المزروعة من المساحات القابلة للزراعة فى الوطن العربى

المزروعة فعليا فيها عام ١٩٩٥ بلغت على الترتيب ١٧,٥ ، ٨,١ ، ٩,٣ مليون هكتار ، أى أن المساحات المزروعة لا تتجاوز ٢٦,١ % فقط من المساحات القابلة للزراعة فى الدول الثلاث مجتمعة ، ذلك بالإضافة إلى عدم استخدام مساحات كبيرة قابلة للزراعة فى الصومال وموريتانيا وتونس والعراق قدرت هذه المساحات على الترتيب بنحو ٧,٨ ، ٧,١ ، ٥,٩ ، ٥ ملايين هكتار ، وبذلك فإن سبع دول عربية لديها قرابة ٩٦% من الأراضى العربية غير المزروعة رغم كونها قابلة للزراعة (٥).

فقد وجدت الفورة النفطية منذ منتصف السبعينيات حتى أوائل الثمانينيات اهتمام الجزائر والعراق بقطاع الزراعة يتراجع بسبب تركيز الجهود على الاستخراج والصناعة والخدمات ، كما أن حربى الخليج الأولى والثانية قد عطلتا مشاريع التنمية الزراعية العراقية ، ورغم حاجة العراق الماسة لتطوير قطاع الزراعة لمواجهة احتياجات سكانه من الغذاء فى ظل الحظر الدولى الجائر المفروض عليه ، إلا أن هذا الحظر ذاته جعل العراق عاجزا عن تمويل التنمية الزراعية ورفع مستوى الإنتاجية حتى فى المساحات المزروعة فعليا .

أما فى الجزائر فدوامة العنف بها جعل الدولة تضع قيودا على نمو الاستثمار غير الحكومى فى مجال الزراعة وغيرها ، فضلا عن المجازر التى تعرضت لها قرى بأكملها منذ عام ١٩٩٧ ، والتى خلفت حاجزا معنويا أو حالة من الخوف لدى المواطنيين من التوجه للزراعة ، بل فرضت تيارا من الهجرة من الريف غير الآمن إلى المدن الكبيرة الأفضل حالا من الريف .

أما المغرب والسودان فإن العائق هو رأس المال غير المتوفر ، إضافة إلى افتقاد الأمن اللازم لنمو الاستثمارات الزراعية فى السودان بسبب الحرب الأهلية منذ الثمانينيات . . أما تونس فإن نقص التمويل وارتفاع الأجور والعائد فى قطاعى الصناعة والخدمات مقارنة بقطاع الزراعة وما ترتب عليه من تركز السكان فى المدن أدى إلى بقاء مساحات كبيرة قابلة للزراعة بدون زراعة . . وفى موريتانيا يبرز الفقر وضعف القدرات التمويلية ومحدودية دور الدولة فى التنمية الزراعية كعوامل رئيسية وراء عدم استغلال الأراضى القابلة للزراعة ، أما فى الصومال فإن الحروب

الأهلية الطاحنة وتفكك الدولة والبنية الاجتماعية ذاتها ، والافتقار لرؤوس الأموال المحلية والأجنبية الضرورية للتنمية الزراعية هي عوامل أدت إلى محدودية استغلال الأراضي القابلة للزراعة هناك [٦].

ويمكن القول باختصار أنه من بين ١٩٧,٤ مليون هكتار قابلة للزراعة في الوطن العربي ، هناك نحو ١٣٠ مليون هكتار (٣٠٩ مليون فدان) غير مزروعة كما في الشكل (٣١) ، تشكل مجالا لأى توسع أفقي في الزراعة العربية في الفترة القادمة .

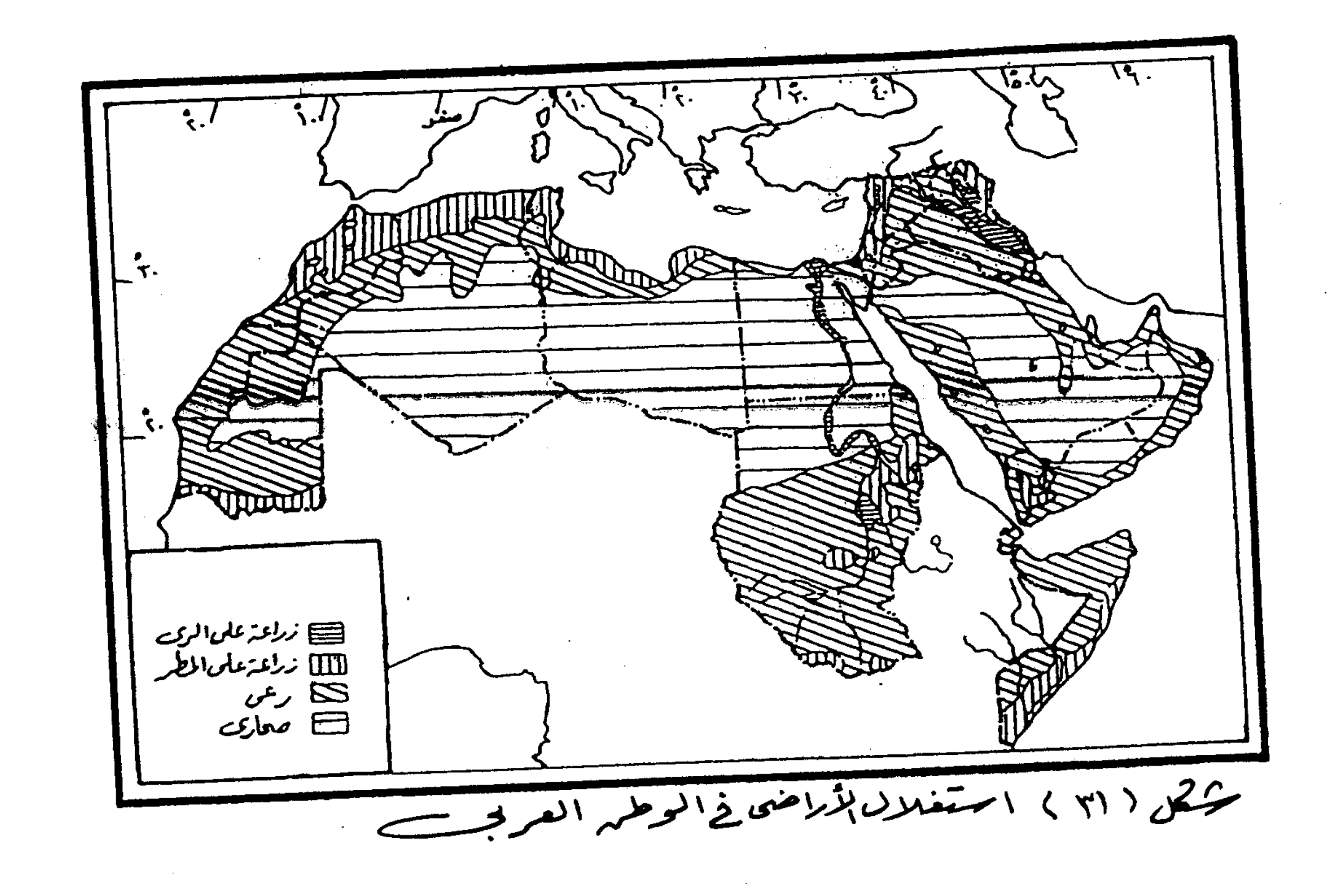
٢-حجم الإنتاج الزراعي ومستوى الإنتاجية :

كان الإنتاج الزراعي قد حقق نحو ١١,٣% من جملة الناتج المحلي الإجمالي العربي عام ٢٠٠١ والبالغ ٧٠٩ مليار دولار ، أي أن إنتاجية العامل في الزراعة العربية قد بلغت ٣٠٧٧ دولارا ، وهي إنتاجية متدنية إذا ما قورنت بنظيرتها في الولايات المتحدة (٣٩٣٤٣ دولارا) واليابان (٢٧٦٢٢ دولارا) وفرنسا (٢٧٩٠٩ دولارا) [٧].

وإذا انتقلنا من الإجمالي العام للناتج الزراعي العربي إلى مكوناته من السلع المختلفة نجد أهم هذه المكونات هي :

أ- الحبوب الغذائية :

بلغ إنتاج الحبوب في الوطن العربي نحو ٤٠ مليون طن أي ٧٢,٢% من إجمالي الطلب العربي على الحبوب وذلك على مساحة نحو ٢٨ مليون هكتار عام ٢٠٠١ [٨] ، وقد بلغت إنتاجية الهكتار من الحبوب في الوطن العربي نحو ١,٤ طن مقابل ٢,٧ طن للهكتار في المتوسط العالمي ، ورغم أن مصر تحقق مستوا مستقرا أو متزايد باستمرار من إنتاجية الحبوب بنحو ٦,١ طن للهكتار عام ١٩٩٥ ، بما يضعها ضمن أعلى مستويات الإنتاجية في العالم [٩]. إلا أن مجمل الدول العربية الأخرى ذات مستوى متدن ومتذبذب في الإنتاجية ، ويفسر ذلك الأمر بأن الزراعة المصرية مروية بالأساس ، حيث يزرع نحو ٧٥,٨ % من الأراضي الزراعية المصرية بالري إلى جانب الزراعات المستديمة التي تشغل نحو ١٨% ومروية أيضا ، بما يجعل الزراعة المروية تشغل ما يزيد على ٩٠% من الأراضي الزراعية المصرية [١٠].



شكل (٣١) استغلال الأراضي في الوطن العربي

وبالمقابل فإن الزراعة المروية المستقرة الإنتاجية فى الـــدول العربيــة الزراعية الرئيسية تمثل ٢٢,٣% سنويا بسوريا والسودان ١٧,٥% والمغرب ٩,٦% وتقل عن ذلك بالجزائر وتونس وذلك من جملة الأراضى الزراعية ، يؤدى ذلك إلى التذبذب الحاد للإنتاجية من الحبوب والمحاصيل عموما ، كما هو الحال فى المغرب عام ١٩٩٧ حيث أدت كل هذه الظروف إلى انخفاض معدل النمو الاقتصادى لنسبة ٣% فقط ، مقابل ١٠,٣% عام ١٩٩٦ نتيجــة للجفاف واضطرابات الطقس المؤثرة .

وتعتبر مصر أكبر الأقطار العربية إنتاجا للحبوب (٤٣,٢%) تليها سوريا (١٣,٦%) ، السعودية (١٢,٤%) ، والعراق (٨,٣%) ، الســودان (٨%) ، المغرب (٧,٤%) وبنسب أقل فى الجزائر وتونس واليمن ، ولكن نظــوا لأن هذه الأقطار تختلف كثيرا فى عدد السكان ، تأتى سوريا فى مقدمـــة إنتـــاج الحبوب بالنسبة للفرد (٣٩٠ كجم) ، ثم الســعودية (٢٩٧ كجــم) ، مصـــر (٢٥٢ كجم) ، تونس (٢٢٣ كجم) ، العراق (١٦٥ كجم) ، الســودان (١١٥ كجم) ، المغرب (١٠٩ كجم) ، ومتوسط الأقطار العربية (١٦٤ كجم) ، وفى المقابل ما يخص الفرد على المستوى العالمى نحو(٣٤٠ كجم) فى المتوسط.

وتجدر الإشارة إلى أن الوطن العربى قد حقق تقدما كبـــيرا فـــى إنتـــاج الحبوب عموما ، مقارنة بما تحقق على المستوى العالمى ، وجاء معظم هذا التحسن على خلاف الاتجاه العالمى ، حيث الزيادة الكبيرة فى الإنتاج الكلـــى وفى المساحة والإنتاجية ، وبينما نقصت مساحة الحبوب فى العالم بنحو ٤% منذ ١٩٧٩ - ١٩٩٣ ، زادت فى الوطن العربى بنحو ٢٣% ، وبينمـــا زاد الإنتاج العالمى بنحو ٢٠% ، زاد فى الوطن العربى بنحو ٦١% ، وبينمـــا زادت الإنتاجيــة فى العـــالم بنحـــو ٢٥% ، زادت فى الوطـــن العربـــى بنحو ٣١% [١١].

يعد **القمح** أهم الحبوب المنتجة فى الوطن العربى على الإطلاق ، حيـــث جاء القمح فى المقام الأول بالنسبة للإنتاج مـــن الحبـــوب (٤٦,٤%) علـــى مساحة ٣٧% منها ، وكانت للظروف الطبيعية والبشرية دورا فى سيادة هذا المحصول بين باقى أنواع الحبوب ، حيث تسود فى الوطن العربى نوعيـــة القمح الشتوى الذى يزرع فى نهاية الصيف وبداية الخريف ، ويحصد أواخر الخريف وبداية الصيف ، وتناسب زراعة هذا النوع من القمح فى المنـــاطق

المعتدلة الدفيئة والباردة نسبيا ، وتتباين كمية الأمطار التى يحتاجها تبعا لاختلاف الحرارة وخصائص التربة ، وزيادة الأمطار عن حاجة القمح تسبب رقاده وتعطل عمليات الحصاد وخدمة الأرض ، كما تحد قلة الأمطار من نطاقات زراعة القمح ، إذ لا يزرع فى المناطق نادرة الأمطار إلا إذا توافرت مياه الرى الصناعى كما فى مصر ، بينما تكفى عشرة بوصات كحد أدنى لكمية الأمطار اللازمة لنمو القمح فى الجهات المعتدلة الدفيئة فى بعض جهات الوطن العربى ، بينما تصل إلى حوالى ٧٠ بوصة فى بعض الجهات المدارية لارتفاع معدل التبخر [١٢].

إضافة لذلك تعد حاجة الإنسان العربى للقمح والطلب مع الارتفاع فى مستوى المعيشة وزيادة عدد السكان سببا آخر فى التوسع فى زراعة القمح والعمل على زيادة إنتاجيته وإنتاجه . وبناء على ما سبق تركزت زراعة القمح فى الوطن العربى بإقليم البحر المتوسط والذى يعد الأنسب لظروف زراعته .

وتعد مصر أولى الدول العربية إنتاجا للقمح ، حيث بلغ الإنتاج ٣٢,٥% من إنتاج الوطن العربى البالغ ١٨.٥ مليون طن وتعتمد زراعته فى مصر على مياه الرى ويسهم الوجه البحرى بما يزيد على ٦٠% من الإنتاج كما فى الشرقية والدقهلية والبحيرة ، كما تتصدر سوهاج محافظات الوجه القبلى فى الإنتاج .

تلى مصر فى الإنتاج المملكة المغربية بنحو ٢٠% من إنتاج الوطن العربى ، حيث مناطق الإنتاج الملائمة للزراعة كما فى النطاقات السهلية بين فاس ومكناس وشرق أطلس الريف ، والسهول الساحلية المطلة على البحر المتوسط إلى جانب نطاقات متفرقة من السهول الساحلية المطلة على المحيط الأطلنطى ولكن أغلب هذه المناطق مطرية الزراعة متذبذبة الإنتاج.

يلى المغرب فى الإنتاج سوريا بنحو ١٦,٥% من جملة إنتاج الوطن العربى ، وتتمثل أهم مناطق الإنتاج بها فى السهول الشمالية المجاورة لتركيا وهى أهم مناطق إنتاج القمح السورى حيث تضم الحسكة ما يقرب من نصف أراضى القمح بالبلاد ، ثم سهول حمص وحماة ومنطقة دمشق وإقليم حوران بمحافظتى السويداء ودرعا ثم سهل اللازقية الأقل إنتاجا لغزارة مطره . ثم يحتل الجزائر المركز الرابع فى الإنتاج بنحو ١٣% ويتركز

الإنتاج فى إقليم التل بالشمال ، أما النسبة المتبقية من الإنتاج العربى فهى تتوزع على السعودية وتونس والعراق والسودان وغيرها من الدول العربية

ويحظى دائما القمح باهتمام خاص بين الحبوب الأخرى بالوطن العربى على خلاف الاتجاه العالمى ، ففى خلال الفترة ١٩٧٩ - ١٩٩٣ ، بينما نقصت المساحة المنزرعة قمحا فى العالم بنحو ٦% ، زادت فى الوطن العربى بنحو ٢٤% ، وبينما زادت الإنتاجية فى العالم بنحو ٣٧% ، زادت فى الوطن العربى بنحو ٦٧% ، ومن ثم زاد الإنتاج الكلى العالمى بنحو ٢٩% زاد فى الوطن العربى بنحو ١٠٧% ، ومع ذلك فإن إنتاجية الهكتار من القمح أقل من المتوسطات العالمية بنحو ٣١% (١٣).

ثم يأتى **الأرز** بعد القمح من حيث الأهمية ، فقد بلغ إنتاجه ٤,٥ مليون طن (١١.٤%) من جملة الحبوب ، وإذا كانت نسبة الاكتفاء الذاتى من القمح انخفضت إلى ٤٧% إلا أنها وصلت فى الأرز إلى ٧٥% وقد أدى اختلاف الظروف المؤدية لزراعة الأرز إلى أنه أكثر تمركزا دون انتشار ، مختلفا فى ذلك عن القمح ، إذ يعد الأرز من المحاصيل الغذائية الهامة فى الوطن العربى ، وإن كانت زراعته محدودة ، حيث لم تتعد مساحة حقوله فى أى عام المليون هكتار وهو ما يوازى أقل من ٥% من جملة المساحة المزروعة بالحبوب الغذائية ، وذلك لعدم توافر المياه بالدرجة الكافية فى مساحات واسعة من الأراضى العربية ، لاحتياجه لكميات وفيرة من المياه خلال معظم مراحل نموه (٤٠-٨٠ بوصة) من مياه الأمطار أو مياه الرى ، وهذا لا يتوافر إلا فى نطاقات محدودة ، إضافة إلى احتياجه لأرض مستوية حتى يسهل غمر حقول الأرز بالمياه ، ولذلك كان التوزيع الجغرافى للأرز قاصرا على مساحات محدودة إذ استحوذت مصر على ٩٤% من إنتاجه فى الوطن العربى فى السهول الفيضية لنهر النيل خاصة الدلتا ثم منطقة شط العرب بالعراق بنحو ٢% ، أما النسبة الباقية فهى موزعة السهول السلحلية بالمغرب العربى والسودان وسوريا (١٤).

ويأتى **الشعير** فى المرتبة الثانية ، بإنتاج ٦,٧ مليون طن (١٧%) من حجم الحبوب ، ويحتاج الشعير لشروط طبيعية مماثلة تقريبا شروط نمو القمح ، إلا أنه يعد أوسع انتشارا من القمح لقدرته على مقاومة الجفاف وتحمل تباين درجات الحرارة وعدم جودة التربة وفقرها ، ولذا فهو أقل

تأثرا بتذبذب الأمطار ، وإذا أضفنا إلى ذلك نضج الشعير مبكرا قبل القمح وارتفاع انتاجيته بشكل يفوق القمح والذان يشتركان فى نفس مناطق الزراعة ، إلا أن الشعير يخصص له الأرض الأقل خصوبة والأقل مطرا ، ويتوزع الشعير على المملكة المغربية التى تضم ٥٢% من الإنتاج العربى فى السهول الغربية وحوض نهر سيبو وسهول مراكش ووادى سوس ، ويلى المغرب سوريا بنحو ١٥% من الإنتاج العربى ويتوطن بين المساحات المنزرعة بالقمح وإن زادت على هوامشها ، وتحتل الجزائر المركز الثالث بنحو ١٤,٩% من الإنتاج العربى ويزرع فى مساحات واسعة متناثرة بدءا من النطاق الساحلى فى الشمال حتى الواحات فى الجنوب ، أما نسبة الإنتاج الأخرى فهى موزعة على تونس والعراق وبعض الدول الأخرى (١٥).

وتحتل **الذرة الشامية** المرتبة الثالثة بين الحبوب الغذائية العربية بنحو ٥,٣٥ مليون طن (١٣,٥%) من إنتاج الحبوب ، وتتميز الذرة الشامية بأنها محصول يزرع فى الأقاليم المعتدلة الدفيئة حيث ارتفاع الحرارة واختفاء الصقيع وزيادة الإشعاع الشمسى ووفرة الأمطار أو مياه الرى ، ولذا فهى من أهم المحاصيل الصيفية فى مصر والتى تستحوذ على ٨٨% من الإنتاج العربى وتتركز أراضيها فى الوادى والدلتا المصرية المروية الخصبة أما نسبة الإنتاج المتبقية فتتوزع على المغرب وعدد من الدول الغربية أهمها السودان والعراق واليمن وسوريا (١٦).

أما باقى محاصيل الحبوب الأخرى فهى تحتل نسب أقل بين جملة إنتاج الحبوب بالوطن العربى وهى الذرة الرفيعة بنحو ٤ مليون طن (١٠%) وبنسب أقل الدخن والشيلم .

ب- السكريات :

يعتمد العالم فى الحصول على احتياجاته من السكر على ثلاثة مصادر رئيسية هى : قصب السكر وبنجر السكر ، وهما الأكثر أهمية ومصدر السكر بالوطن العربى ، ثم السكر المصنع من الذرة ، ويعد قصب السكر من محاصيل المناطق الحارة ، ويبقى فى الأرض نحو ثلاثة أعوام أو أكثر ، ويحتاج إلى كميات وفيرة من مياه الرى (٤٠٠٠ م٣ ماء) لإنتاج الطن الواحد من سكر القصب ، إلى جانب احتياجاته لتربة خصبة وعمالة وفيرة رخيصة وصناعة حاضرة ، أما بنجر السكر ، فهو من محاصيل المناطق

الباردة المعتدلة وهو موسمى ، ويلزم نحو ١٣٠٠ م٣ ماء لرى الطن الواحد من السكر ، ويحتاج لتربة خصبة إذ أنه من المحاصيل المجهدة للتربة ، لذا يجب الاهتمام بتسميد الأرض بصفة دورية ، كما يجب أن تكون التربة هشة حتى لا تعوق نمو المحصول . . والمصدر الثالث هو عسل الذرة عالى الفركتوز (أيزوجلوكوز) . فيصنع من نشا الذرة الشامية ، استنادا إلى التقدم الذى تم إحرازه فى مجال التكنولوجيا الحيوية التقليدية ، خاصة تكنولوجيا الإنزيمات ، ودرجة حلاوته أعلى من سكر القصب بنحو ١,٧ مرة ، كما أنه أرخص سعرا ، وقد تزايد استخدامه حديثا خاصة فى تحلية المشروبات الغازية والصناعات الغذائية ، وتنتج الولايات المتحدة منه نحو ثلاثة أرباع الإنتاج العالمى . . بل وهناك مصدر رابع لإنتاج السكر لا يزال فى مرحلة التطوير ، ولكنه يمثل آفاقا جديدة ، إذ يعتمد على مركبات بروتينية ذات درجة حلاوة عالية جدا - تبلغ نحو ٢٥٠٠-٣٠٠٠ مرة مثل السكر ، وتلعب هندسة الوراثة دورا أساسيا فى تطويره [١٧].

زاد إنتاج الوطن العربى من السكر لنحو ٢,٣ مليون طن عام ١٩٩٥ بمتوسط إنتاج للفرد نحو ٩,٥ كجم مقابل ١٩,٦ كجم للفرد سنويا على المستوى العالمى ، يمثل سكر القصب نحو ثلاثة أرباع هذا الإنتاج والباقى لسكر البنجر ، وبلغت نسبة الاكتفاء الذاتى نحو ٤٢,٢% فقط .

استحوذت مصر على أكثر من ٧٠% من إنتاج قصب السكر العربى ويتركز أكثر من ٩٦% منه فى الوجه القبلى والباقى فى الوجه البحرى ، أما السودان فتنتج نحو ٢٠% منه وتتوزع النسبة الباقية على المغرب والصومال والعراق واليمن ولبنان ، وتبلغ إنتاجية الهكتار نحو ٨٩,٣ طنا فى مجموع الدول العربية عام ١٩٩٥ ، وتصل إلى حدها الأدنى فى لبنان (٢٢ طنا للهكتار) وإلى حدها الأقصى فى مصر (١١١,١ طنا للهكتار) ، علما بأن متوسط إنتاجية الهكتار فى العالم بلغت ٦٢,٧ طنا [١٨].

كما استحوذ المغرب على ٦١% تقريبا من إنتاج بنجر السكر العربى ، يليها سوريا بنحو ٢٢% منه أما النسبة المتبقية فهى من نصيب مصر وتونس وفلسطين والعراق والجزائر ولبنان ، وتعد إنتاجية البنجر العربى عالية بصفة عامة حيث بلغت ٤٦,٤ طنا للهكتار عام ١٩٩٥ ، مقابل ٣٤ طنا على الصعيد العالمى [١٩].

ويتركز إنتاج السكر العربى فى أربعة أقطار رئيسية هى مصر (١,٠٩٢ مليون طن) ، والمغرب (٥٢٠ ألف طن) ، والسودان (٥١٢ ألـف طـن) ، وسوريا (١٤٢ ألف طن) ، ثم كميات محدودة فى تونس (٢٠ ألف طـن) ، والصومال ولبنان (١٥ ألف طن) ، والعراق (ألف طن) ، على الرغم مـن تحقيق الوطن العربى زيادة كبيرة فى إنتاج السكر منذ أواخـر السـبعينيات حتى منتصف التسعينيات بنحو ٧٤% مقابل ٢٥% على المستوى العـالمى ، ومع ذلك تظل نسبة الاكتفاء الذاتى منخفضة إلى حد كبير ، وفى هذا الصدد تتوزع الأقطار العربية إلى ثلاث مجموعات :

الأولى : مكتفية ذاتيا ، وتشمل السودان فقط ، حيث كان متوسـط إنتـاج الفرد ١٨,٧ كجم والاستهلاك ١٦,١ كجم ، ومن ثم كان فائض التصدير نحو ٧٥ ألف طن .

الثانية : أقطار منتجة وغير مكتفية ذاتيا وهى : مصر بنسبة اكتفاء (٨٢%) ، والمغرب (٥٦%) ، وسوريا (٣٢%) ، ولبنان (١٣%) ، وتونس (٨%) ، أما الصومال (٣٩%) مع ملاحظة انخفاض متوسط استهلاك الفرد إلـى ٤ كجم / سنه فقط [٢٠].

وتجدر الإشارة إلى ارتفاع متوسط استهلاك الفرد العربـى إلـى (٢٦,٤ كجم/سنه) مقابل ١٩,٩ كجم/سنة كمتوسط عالمى ، ولذا يجب الأخـذ فـى الاعتبار ترشيد الاستهلاك ليكون فى حدود المعقول ، أما تحقيـق الاكتفـاء الذاتى فسوف يستلزم زيادة الإنتاج إلى أربعة أمثال مستواه الحالى [٢١].

جـ - وبالنسبة للحبوب البقولية ، فقد بلغ الإنتاج العربى منها نحو ١٢,٣ مليون طن وذلك عام ١٩٩٥ ، أنتجت مصر وحدها قرابة ثلث هذا الإنتاج ، وأنتجت مصر وسوريا والمغرب والسودان مجتمعة نحو ٧٧% منها ، وقـد بلغـت إنتاجيـة الهكتـار من البقوليات فى الوطن العربى نحو ١،١ طنـا عام ١٩٩٥ [٢٢].

علما بأن متوسط إنتاجية الهكتار على المستوى العالمى بلـغ نحـو ٠,٨ أطنان فى العام نفسه ، وفقا لبيانات الفاو ، وقد بلغت نسبة الاكتفاء الذاتـى العربى من البقوليات نحو ٧٢,٣% عام ١٩٩٥ ، وهو نفس المستوى مـن الاكتفاء الذاتى من البقوليات المتحققة خلال حقبة التسعينيات ، أمـا البـذور الزيتية فإن الإنتاج العربى منها بلغ نحو ٢,٧ مليون طن عام ١٩٩٥ ، أنتج

السودان نحو ٤٧,٨% منه ، وأنتجت مصر وسوريا والسودان نحو ٩١,٥% من الإنتاج العربى من البذور الزيتية عام ١٩٩٥ [٢٣].

د – الخضر والفاكهة :

لا يبدو أن الوطن العربى يواجه عجزا أو مشكلة نقص فى الخضر والفاكهة ، فبالنسبة للخضروات فإن الدول العربية فى مجملها مكتفية ذاتيا منها ، حيث أنتجت ما يزيد على ٩٨% من احتياجاتها خلال حقبة التسعينيات وتجدر الإشارة إلى أن إنتاجية هكتار الخضروات بلغت ١٦,٨ طنا فى المتوسط ، بلغت ذروتها فى الإمارات (٤٨,٨ طنا للهكتار) وفى مصر (٢٥,٦ طنا للهكتار) وتصل إلى حدها الأدنى فى موريتانيا ٠,٣ أطنان للهكتار ، وتونس (٥,٥ طنا للهكتار) عام ١٩٩٥ . . . أما الفاكهة ، فإن الدول العربية مكتفية ذاتيا منها تقريبا ، حيث أنتجت نحو ٩٩,٥% من احتياجاتها خلال حقبة التسعينيات [٢٤] .

يمتلك الوطن العربى إمكانيات زيادة معدلات ما يخص الفرد من معظم أنواع الخضر والفاكهة ، وإمكانيات التعامل والتصدير ، وحتى منتصف التسعينيات كان متوسط الإنتاج العالمى من الخضر ٨٤ كجم/فرد/سنه مقابل ١٠٨ كجم بالوطن العربى ، والفاكهة ٦٧ كجم متوسط الإنتاج العالمى مقابل ٧٣ كجم بالوطن العربى .

ويتباين متوسط ما يخص الفرد من الخضر والفاكهة فى الأقطار العربية تباينا كبيرا ، فبالنسبة للخضر ، نجده عاليا فى لبنان (٣١٤ كجم) والإمارات (٢٢٦ كجم) ، وليبيا (١٥٨ كجم) ، والسعودية (١٥٠ كجم) ، ومصر (١٣٣ كجم) وسوريا (١٢٤ كجم) ومنخفضا فى اليمن (٤٠ كجم) ، وبالنسبة للفاكهة نجد متوسط ما يخص الفرد من الإنتاج المحلى عاليا فى لبنان (٤٥٩ كجم) ، والإمارات (١٦٦ كجم) وعمان (١١٩ كجم) وسوريا (٩٩ كجم) ومصر (٨٩ كجم) والمغرب (٨٦ كجم) والعراق (٧٨ كجم) وينخفض فى السودان إلى (٣١ كجم) واليمن (٢٧ كجم) . وإجمالا وسط هذه الإمكانيات وتوافر الأسواق الآمنة ، يمكن القول بأن سوقا عربية مشتركة يمكن أن تحقق للوطن العربى الأمن الغذائى من الفاكهة والخضر [٢٥] .

وتجدر الإشارة فى هذا الشأن إلى تميز الوطن العربى فى إنتاج عدة محاصيل تحتل فيها مركز عالمى متقدم مثل :

نخيل التمر . . ويضم الوطن العربى أكثر من ثلاثة أرباع مجموع نخيل العالم ، أما الربع الباقى فمن نصيب إيران وباكستان والولايات المتحدة والمكسيك ، وكان للوطن العربى السيادة على هذا المحصول ، حيث أن نخيل التمر من أشجار المناطق الجافة الحارة وشبه الحارة ، ويحمل النخيل ثمرا إذا كان معدل درجة الحرارة ١٠ م أو أكثر لشهر يناير ، وحيث تزيد الفترة التى يصل معدلها الحرارى إلى ١٨ م على ستة أشهر ، وينمو النخيل فى النطاقات الجافة والرطبة على حد سواء ، فهو ينمو حول سواحل الخليج العربى وفى جزر البحرين ومناطق متفرقة فى الساحل الشمالى لمصر ، تماما كما ينمو فى الواحات بالصحارى العربية حيث يعد أكثر أنواع الأشجار المثمرة تحملا للجفاف ، أما من حيث التربة فينمو فى كل أنواع التربات كما يمكنه تحمل ارتفاع نسبة الأملاح الذائبة فى التربة إلا أن هذه القدرة تقل كثيرا خلال المراحل الأولى للنمو (٢٦) .

ويتركز قرابة ثلثى الإنتاج فى العراق والسعودية ومصر على التوالى والنسبة المتبقية موزعة على باقى دول الوطن العربى جميعها بلا استثناء ، لذا يعد التمر أوسع أنواع الفاكهة انتشارا وأكثرها استهلاكا ، مما حدا بالبعض إلى تسميته بالفاكهة العربية الشعبية ، ويحتل الوطن العربى نحو ٨٥% من تجارته الدولية مع أرجاء العالم الأخرى (٢٧) .

الموالح . . يحتل الوطن العربى مكانة متميزة فى إنتاج الموالح ، حيث زاد الإنتاج العربى عن ١١% من الإنتاج العالمى ، مما جعل الوطن العربى يمثل المركز الثالث عالميا بعد البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية (٢٨) .

وتضم الموالح أصناف البرتقال ، اليوسفى ، الليمون بأنواعه (المالح والحلو والأضاليا) ، والنارنج ، والجريب فروت وتعرف بأسماء مختلفة فى الوطن العربى ، بينما يطلق عليها الموالح بمصر تعرف بالحمضيات فى الشام وبالقوارص فى المغرب العربى ، وعلى الرغم من أنها فاكهة المناطق شبه المدارية ، حيث لا تزال تنمو بعض أصنافها بريا ، إلا أن قدرتها على تحمل الأجواء ذات الخصائص المختلفة عملت على زراعتها خارج موطنها الأصلى ، وعلى نطاق واسع ، خاصة إقليم البحر المتوسط الذى يعد أهم أقاليم العالم المنتجة للموالح من حيث كمية الإنتاج والمساحة .

وتنمو الموالح فى ظروف مناخية متباينة الخصائص ، إلا أنـــها تعطـــى أحسن إنتاج إذا توافرت حرارة تتراوح بين ١٥ -٣٣ م ، ورطوبة نســـبية محدودة بين ٦٥-٧٠% ، ورياح غير قوية خاصة وقت الإزهار ، ومصـــدر ثابت لمياه الرى طوال العام ، كما يفضل زراعتها فى نطاق الترب الرملية الخصبة عميقة القطاع ذات المسامية الواسعة مما يساعد على التهوية ، حيث احتياجها لنسبة عالية من الأكسجين [٢٩] .

وتتفرد فلسطين ومصر بنحو ٦٠% من الإنتاج العربى بإضافة المغـــرب لهما يبلغ الإنتاج نحو ثلاثة أرباع الإنتاج العربى وتتوزع النســـبة المتبقيـــة على باقى الدول العربية الأخرى كالجزائر ولبنان والعراق وسوريا وتونـــس والأردن والصومال .

العنب . . ويعرف بعدة أسماء هى الكروم ، العنب ، الكرمة ، وهـــو مـــن فاكهة المناطق المعتدلة الدفيئة ، لذا يحتاج لصيف حار جاف وشتاء معتـــدل ممطر لكمية ٢٧ بوصة فى المتوسط أو مـــا يعادلـــها مـــن رى ، ويضـــر بالشجرة الرياح الشديدة التى تؤدى لإرقادها وتساقط ثمارها ، ويمكن نمـــو أشجار العنب بنجاح فى معظم أنواع الترب لقدرتها على مقاومة الارتفـــاع النسبى للأملاح الذائبة في التربة ، ويعد لذلك إقليم البحـــر المتوســـط أهـــم مناطق الزراعة العربية للعنب ، ويزيد إنتاج الوطن العربى منه علـــى ٨% من الإنتاج العالمى [٣٠] .

ويمكن تحديد ثلاثة نطاقات رئيسية لإنتاج العنب في الوطن العربي هـــي الأطراف الشمالية للجناح الأسيوي والتي تدخل فـــي حـــدود دول العـــراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن (٤٤,٦% من الإنتـــاج العربـــي) ، ثـــم المغرب العربي (٣٠%) ثم مصر (١٤%) من جملة الإنتاج العربي [٣١] .

هـ - الزيتون :

ولهذه الشجرة أهمية خاصة ، فهي شجرة عربية الأصل "وشجرة تخـــرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين" ويمثل الساحل الشرقي للبحـــر المتوسط في جنوب غرب آسيا الموطن الأصلي لشجرة الزيتـــون ، ومنـــه انتشرت زراعتها في كل جهات حوض البحـــر المتوســـط ، حيـــث تلائـــم خصائص العناصر المناخية من حرارة مرتفعة ، وجفـــاف خـــلال شـــهور الصيف ، واعتدال الحرارة وسقوط الأمطار في الشتاء يؤدى إلى نمو أشجار

الزيتون بنجاح ، وتعد هذه الشجرة أنسب أنواع النباتات التي يمكن نموها في الترابات الجيرية منخفضة الخصوبة ، فهي من الأشجار التي يمكنها النمو في الأراضي الفقيرة ، وأشجار الزيتون معمرة يتعدى عمرها مائة عام ، وهي بطيئة النمو في مراحلها الأولى ، كما أنها لا تغل محصولا جيدا إلا بعد سنوات طويلة ، ثم تستمر في الإثمار لعشرات السنين .

بلغ الإنتاج العربي نحو ١٤% من الإنتاج العالمي للزيتون وزيته ، ونصيب دول المغرب العربي بلغ ٤٧,٥% من جملة الإنتاج العربي تتقدمهم المغرب بل تتقدم كل الدول العربية وذلك بعد أن تبنت مشروعا لزراعة ربع مليون شجرة زيتون سنويا للنهوض بهذا المحصول ، في حين جاءت بلاد الشام في المركز الثاني ، حيث بلغ إنتاج دولها : سوريا ، الأردن ، فلسطين المحتلة ٤١,٥% من إنتاج الوطن العربي .

وقد تصدرت دول المغرب العربي الثلاث أقاليم الوطن العربي الأخرى المنتجة لزيت الزيتون (٤٩% من جملة الإنتاج العربي) وبلاد الشام ٤٥,٥% من جملة إنتاج الوطن العربي [٣٢] .

و - القطن :

يعد القطن أهم الألياف العربية على الإطلاق والتي بلغت عام ١٩٩٥ ما يزيد على ١,٦٤ مليون طن ، ويعد القطن أهم الألياف المستخدمة في إنتاج المنسوجات وتزداد الحاجة إليه ولذا يعد أكثر الألياف استهلاكا رغم المنافسة القوية التي يلقاها من الخيوط الحيوانية كالأصواف ، أو الألياف الأخرى سواء النباتية منها كالكتان والقنب أو الكيميائية كالنايلون والحرير الصناعي [٣٣] ، وللقطن ظروف خاصة لزراعته جعلت أمر زراعته محدودة في الدول العربية بل فى العالم ، فهو محصول مداري يحتاج لحرارة مرتفعة بمتوسط يومي ٧٧ ف في خلال فصل النمو ، ويتأثر الإنتاج ونوعيته بكمية سطوع الشمس خاصة خلال مراحل نموه الأخيرة ، حيث يحتاج بين ٢٤٠٠-٢٥٠٠ ساعة شمسية إلى جانب مطر بين ٢٥-٤٥ بوصة أو ما يعدلها لها من مياة الرى ، كما يحتاج القطن لتربة خصبة جيدة الصرف ، وتعد التربة الطينية المتوسطة التي تحتفظ طبقاتها بالرطوبة أنسب أنواع الترابات ملاءمة ، كما يحتاج إلى التسميد المستمر ، كما يحتاج لأيدي عاملة وفيرة لذلك فهو يزرع في المناطق كثيفة السكان .

وقد حددت هذه الظروف مناطق زراعة القطن العربي ، فكان نصيب مصر نحو ٥١% من إنتاج الوطن العربي ويزيد على ٤% من الإنتاج العالمي ، إلا أن جودة القطن المصري طويل التيلة جعل مصر تسهم بنحو ٥٣% من جملة الأقطان طويلة التيلة في العالم ، حيث يزرع في الدلتا نحو ٦٦% منه والوادي النسبة الباقية ويتوزع الإنتاج المصري من الأقطان بين الأقطان الممتازة طويلة التيلة جدا - حسب التقسيم العالمي - وهي تلك التي يزيد طول تيلتها على (٨/٣ و ١) بوصة ، والأقطان طويلة التيلة التي يتراوح طول تيلتها بين (٨/١ و ١ - ٨/٣ و ١) ومن أشهر وأجود أنواع الأقطان المزروعة في مصر نذكر جيزة ٤٥ ، جيزة ٧٠ جيزة ٦٨ (فوق ٨/٣ و ١ بوصة) ، وجيزة ٦٧ ، جيزة ٦٩ ، دندره (فوق ٤/١ و ١) ، جيزة ٦٦ ، جيزة ٧٢ وأشموني (٨/١ و ١) .

تلي مصر في الإنتاج سوريا لتحتل المركز الثاني بين الدول العربية المنتجة للقطن بنحو ربع الإنتاج العربي ، ويزرع القطن السوري معتمدا على مياه الري بنسبة ٨٣% بمنطقة الجزيرة ووادي العاصي والخابور ، أما القطن المطري ففي مناطق حلب وحماة وحمص واللازقية ، وتعد الأقطان السورية متوسطة التيلة ، وقد أدخلت زراعة بعض الأصناف المصرية طويلة التيلة منذ عام ١٩٥٦ ، وإن كانت زراعتها لم تنتشر على نطاق واسع .

وتلي سوريا السودان وتنتج نحو ١٣% من جملة الإنتاج العربي ، وتعرف السودان زراعة القطن منذ زمن بعيد ، حتى أنه يعتقد أن السودان كان مصدر القطن الذي زرع في مصر على نطاق واسع مع بداية القرن التاسع عشر ، ويزرع القطن بالسودان معتمدا على مياه الري والأمطار ، فيزرع بالري بأرض الجزيرة حيث خزان سنار المقام على النيل الأزرق ، ويزرع بالري أيضا في دلتا خور القاش ودلتا خور بركة في شرق السودان ومديرية النيل الأزرق . كما يزرع القطن على مياه الأمطار جنوب السودان بمديريات أعالي النيل ، بحر الغزال ، المديرية الاستوائية ، أيضا منطقة جبال النوبا بمديرية كردفان ، وذلك لأن أمطار هذه الجهات الجنوبية أغزر كمية وأقل تذبذبا من أمطار الجهات الشمالية .

ويعد السودان أهم منافس لمصر في إنتاج الأقطان طويلة التيلة ، حيث يمثل السودان أكثر من ثلث الإنتاج العالمي ، لذا يحتل السودان المركز الثاني بين دول العالم المنتجة لهذه الأقطان بعد مصر ، وتمثل مصر والسودان بذلك نحو ٨٦% من الأقطان طويلة التيلة العالمية . كما تنتج الدول العربية نحو ٧% من جملة الأقطان العالمية (٣٤) .

ز – الإنتاج الحيواني :

يضم الوطن العربي مساحات واسعة من المراعي الطبيعية ، بحوالي ٢٥٤٩٩٥ ألف هكتار أي ٢٣% من المساحة العربية ، وعادة تمثل نطاقات المراعي جهات تقل أمطارها عن حاجة الزراعة ، وتكفي لنمو حياة عشبية تتوقف كثافتها وغناها وخصائصها على كمية الأمطار ونوع التربة والموقع الجغرافى وطبيعته ،وتتميز المراعى العربية بثلاثة أنماط رئيسية هي :

* مراعي حارة ،حيث حشائش السافانا جنوب السودان والصومال وموريتانيا وجيبوتي وأودية اليمن وتزدهر في الصيف دون الشتاء وتعد مرتعا للماشية والأغنام والماعز والأبل حسب وفرة العشب الناتج عن ظروف المطر.

* مراعي معتدلة ،شمال الوطن العربي ،حيث حشائش الأستبس بالمغرب العربي وشمال ليبيا وشمال العراق وبعض جهات سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة والأردن .

* المراعي الصحراوية ، وهي وسط الوطن العربي بجناحيه الأفريقي والأسيوي والصومال ، وهي فقيرة بصفة عامة لندرة الأمطار،التي تصيب وأجزاءها الجنوبية صيفا والشمالية شتاء ،لذا يعيش فيها بعض القبائل المتنقلة من البدو متجولة بين أنحاء الصحراء بحثا عن الكلأ والمياه . وتوجد أكبر نطاقات هذه المراعي بالسعودية وموريتانيا .

تحتل السعودية بمفردها نحو ثلث المراعي العربية تليها موريتانيا بنحو ١٥،٣ % ثم الجزائر١٤،٦ % والصومال ١١،٣ % والسودان ٩،٤ % والمغرب ٣% ولكن الأهم من المساحة الرعوية هو مدي غني أو فقر هذه المراعي بالعشب .

ويمكن القول بان المراعي الطبيعية في الوطن العربي فقيرة في معظمها ،كما أن القيمة الغذائية لحشائشها محدودة ،مما أنعكس على نوعية الإنتاج

الحيواني .فالحيوانات هزيلة في معظمها ,صغيرة الحجم ، وتشهد المنطقة الرعوية العربية عدم ثبات كمية الأمطار الساقطة وتذبذبها ،ومن ثم تباين الغطاء العشبي ،خاصة في المناطق المجاورة للأقاليم الصحراوية القاحلة . ويؤدى هذا التباين في كمية الأمطار لفقر المراعي الطبيعية وبالتالي هلاك أعداد كبيرة من الحيوانات خلال بعض السنوات ،ففي بعض النطاقات الرعوية بالمغرب أدى تذبذب الأمطار وما تبعه من انكماش مساحة المراعي إلى هلاك نحو ٨٠% من ثروتها الحيوانية ، كما أدت موجات الجاف المتتالية بموريتانيا أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين إلى تدمير نحو ٧٠% من مراعيها ، مما انعكست آثاره السيئة على حجم الثروة الحيوانية الموريتانية . كما ينخفض سعر رؤوس الحيوانات خلال فترة الجفاف اتقاء لمخاطر الجفاف وما يتبعه من نفوق الحيوانات المختلفة (٣٥) .

كما تتعرض الثروة الحيوانية العربية للأمراض والأوبئة في جهات مختلفة فتفتك بأعداد كبيرة ، وكان لانتشار ذبابة تسي تسي المعروفة باسم Glossina Balbalis في بعض جهات جنوب السودان وخاصة الجنوب الغربي أكبر الأثر في الحيلولة دون تربية الماشية في هذه الجهات .

يضاف إلى الظروف السابقة المؤثرة على الثروة الحيوانية العربية تأثيرا سلبيا سوء تربية الحيوانات وذلك باستخدام الأبقار والجاموس في الخدمة الزراعية بمصر والعراق والسودان ، الأمر الذي يؤدى إلى انخفاض معدل إنتاجها من الألبان واللحوم وقلما يهتم المربون العرب في أغلبهم باختيار الغذاء والمأوى المناسب لكل حيوان ، كما لا يهتم المربون باختيار الفصائل الجيدة عالية الإنتاج أو التركيز على تتبع معدلات الإنتاج وتتابع الأجيال ورصد سماتها ومعدلات إنتاجها (٣٦) .

وضع الإنتاج الحيواني العربي :

يضم الوطن العربي نحو ٥٢,٦ مليون رأس من الماشية أي ٤% من الإنتاج العالمي ، وتقل أعداد الماشية عن الأغنام والماعز نظرا لحاجة الماشية لمراعى غنية وأعلاف وهو ما لا يتوفر في نطاقات واسعة عربية ، تتصدر السودان الدول العربية بنحو ٥١% من الإنتاج العربي ، ثم الصومال (١٠,٦%) والمغرب (٨,٧%) والعراق (٧%) .. ويرتبط التوزيع الجغرافي

للجاموس بالمناطق الرطبة التي تتوافر فيها المياه ولذا اقتصرت تربيته في مصر والعراق وسوريا ، وتتصدر مصر الدول العربية بنحو ٩١,١% (٢٥٤٧ ألف رأس) ثم العراق (٨و٨%) [٣٧] .

كما ضم الوطن العربي نحو ٨٢ مليون رأس من الأغنام والماعز ، وتمثل الأغنام العربية نحو (٩,٦%) من الإنتاج العالمي ، تتصدر السودان الدول العربية بنحو (١٦,٥%) ثم المغرب (١٣,٦%) وسوريا (١٠,٧%) كما تمثل أعداد الماعز نحو ١٤% من الإنتاج العالمي ، تتصدر الصومال الدول العربية بنحو ٢٥,٨% ثم السودان (١٩,٧%) واليمن (١٣%) والمغرب (٩%) [٣٨] .

تمثل الإبل المركز الرابع بين عناصر الثروة الحيوانية العربية من حيث العدد ، بنحو ١١,٦ مليون رأس ، وهو ما يوازي نحو ٦٠% من مجموع الإبل في العالم ، ومرد ذلك تربيته على نطاق واسع في معظم الدول العربية ، وإن تباينت أعداده في كل دولة تبعا لمساحة المراعى ، ومدى ما أصاب البادية من تحضر أو تغيير ، بلغ نصيب الدول العربية الإفريقية ٩٣% من مجموع الإبل العربية وتتكاثف الإبل على نطاق واسع في الدول العربية ذات المراعى الصحراوية الواسعة ، والتي لا يزال يعيش بها أعداد كبيرة من البدو أو القبائل المحترفة لتربية الإبل كما في السودان والصومال وموريتانيا ، حيث تضم الدول الثلاث ٨٥,٦% من جملة الإبل العربية ونحو ٥١,٢% من جملة إبل العالم . أما الخنازير فتربى بأعداد محدودة للغاية لاعتبارات دينية واجتماعية ، وتكاد تقتصر تربيتها على الأقاليم مرتفعة السكان الأجانب والمسيحيين ، كما في دول المغرب العربي (٢٠ ألف رأس) ولبنان (٢٠ ألف رأس) وفلسطين المحتلة (٩٩ ألف رأس) ومصر (١٥ ألف رأس) [٣٩].

مردود الإنتاج :

بلغ الإنتاج الحيواني العربي من اللحوم الحمراء نحو ٣٢ مليون طن عام ١٩٩٥ ، ورغم أن هذا الإنتاج يحقق مستوى الاكتفاء الذاتي العربي بنحو ٨٤,٥% إلا أن الإنتاج يعد هزيلا مقارنة بحجم الثروة الحيوانية العربية سابقة التوضيح ، فهذا الإنتاج يعكس ضعف إنتاجية رأس الماشية من اللحوم ، ويطرح بالتالي تحديا حقيقيا يتعلق بتحسين نوعية الماشية وإنتاجيتها لتوازى حجمها الكمى ، بما يرفع مستوى الاكتفاء الذاتي من اللحوم ، ويتيح

فائضا للتصدير ، وعلى سبيل المثال بلغ متوسط وزن الذبيحة من الأبقـــار نحو ١٥٥ ، ١٥١ ، ١٣٧، ١١٠كم في الجزائر ومصر والمغرب والسودان على الترتيب ، في حين كان متوسط وزن الذبيحة من الأبقار في المتوســـط العالمي نحو ٢٠٤كم بالعام نفسه (٤٠) .

بلغ الإنتاج العربي من الألبان نحو ١٦,٨ مليون طن ، ولم تتجاوز نسـبة الاكتفاء الذاتي ٥٧% ، ويعود ضعف الإنتاج العربي مـــن الألبـــان رغـم الأعداد الكبيرة للماشية إلى انخفاض إنتاجية رأس الماشية العربية من الألبان بالقياس مع المستوى العالمي والدول الأكثر تقدما .. حيث بلغـــت إنتاجيـة البقرة نحو ٢,١ طن سنويا من الألبان في المتوسط العالمي عـــام ١٩٩٥ ، ونحو ٦,٥ ، ٦,٤ ، ٧,٥ ، ٥,٤ ، ٤,٩ أطنان سنويا في الدانمارك وهولنـدا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا على الترتيب ، في حين بلغـــت إنتاجيــة البقرة من الألبان نحو ١,٠ ، ٠,٦ ، ٠,٥ ، ٠,٧ ، ٢,٥ طن فـــي الجزائـــر ومصر والمغرب والسودان وسوريا على الترتيب وهي كلها بما فيها سـوريا منخفضة الإنتاجية بالمقارنة بمستوى الإنتاجية في الدول الأكثر تقدما التـــي أوردناها آنفا (٤١) .

وقد حقق الإنتاج العربي من اللحوم البيضاء نحو ١٦,٥ مليـــون طـــن ، محققة بذلك نسبة اكتفاء ذاتي زادت على ٧٨% عام ١٩٩٨ ، كما وصلـــت نسبة الاكتفاء إلى نهايتها من حيث الإنتاج العربي للبيض (٤٢) .

حـ - الإنتاج السمكي :

بلغ الإنتاج العربي من الأسماك ٢,٤ مليون طن عام ١٩٩٨ ، وهو مـــا يوازي ١,٤ فقط من الإنتاج العالمي ، مما يقلل من استهلاك الفرد العربي ، ففي حين كان نصيب الفرد العربي في العام نحو ٤كجم/سنة كـــان نصيـــب الفرد الياباني ٣٣كجم/سنة والإيطالي ١٤كجم/سنة ، ومع ذلـــك يعـــد هـــذا الإنتاج يزيد عن حاجة الدول العربية من الأسماك ، حيث بلغ ١١٥,٧% من الاستهلاك العربي للأسماك .

ولكن باستثناء دول المغرب وموريتانيا وعمان والإمارات ، حيـــث بلـــغ إنتاجها على الترتيب ٨٤٤ ، ٣٩٣ ، ١١٦ ، ١٠٦ ألف طن . مشكلا نحـــو ٦٣,١% من الإنتاج العربي في ذلك العام ، فإن باقي الدول العربية تعتـــبر دولا مستوردة للأسماك بمستويات مختلفة ، رغم وجود شواطئ هائلة علـــى

العديد من البحار والخلجان وعلى المحيط الأطلنطي ، وتوافر مساحات مائية عذبة من الأنهار والبحيرات ، ويمكن أن تشكل أساسا مركزا لإنتاج سمكي أعلى بكثير من المتحقق ، وهو ما يطرح تحديا أمام الزراعة العربية لزيادة الإنتاج السمكي بشكل كبير ، يتلاءم مع الإمكانيات الكبيرة العربية [٤٣] .

إشكالية الزراعة العربية :

تعاني الزراعة العربية من عدة مشكلات تحول دون إسهامها بقوة في بناء اقتصاد عربي قوى ، ويتمثل ذلك في :

أولا : ضعف المردود الزراعي : الأمر الذي يعكس معه خطرا استراتيجيا على الوضع الاقتصادي العربي ، ففي الوقت الذي بلغ معدل العمالة الزراعية عام ٢٠٠١ نحو ٣١% من جملة العمالة العربية مقابل ١٧% للعمالة الأوروبية على سبيل المثال ، بلغ الناتج المحلى الزراعى العربي ١١,٣% من الناتج المحلى الكلى مقابل ٥% للناتج الأوروبى ، ومع ذلك فقد حققت الزراعة العربية فجوة غذائية كما تشير التقارير الاقتصادية الخاصة بالأمن الغذائي العربي حاليا ما بين ١١- ١٣ مليار دولار ، تمثل الحبوب المكون الأكبر للفجوة الغذائية [٤٤] . ذلك في وقت يمكن للإمكانات الزراعية العربية أن تحقق رواجا يفوق ذلك بمراحل ، ولكن هناك معوقات عكستها الظروف الزراعية العربية .

أ- **فبالنظر إلى مستوى الميكنة والتطور التكنولوجي العربي** : فإن قطاع الزراعة يعاني من ضعف وتأخر حقيقي في مستوى الميكنة ففي حين كان لخدمة ١٣٥ هكتار من الأرض الزراعية العربية جرار زراعي كان المتوسط العالمي جرار لكل ٥٦ هكتار ، ويصل الأمر إلى جرار لكل ٧,٦ هكتار في إيطاليا وجرار لكل ٩,٢ هكتار بألمانيا وجرار لكل ١٣,٥ هكتار بفرنسا وجرار لكل ٣٩ هكتار في الولايات المتحدة .. وبالنسبة للحاصدات كانت الحاصدة العربية تخدم ١٩٥٢,٧ هكتار من الأرض المنزرعة ، في حين بلغ المتوسط العالمي حاصدة لكل ٣٤٥,٥ هكتار ، وبلغ المعدل حاصدة لكل ٨٥,٧ هكتار في ألمانيا و ٢٨٥ هكتار في الولايات المتحدة الأمريكية . وبذلك يتضح أن مستوى الميكنة العربية في الأراضي الزراعية ، يعد من أدنى المستويات في العالم ، وهو ما يفسر جانبا من ضعف إنتاجية الأرض

، وعلـــى أي الأحوال فإن تطوير وتفعيل استخدام الأسمدة والمخصبات ومضادات الآفات والأمراض النباتية والحيوانية يعتبر أحد التحديات المهمة التي تواجه الزراعة العربية في طموحاتها لرفع مستوى الإنتاج والإنتاجية ، وإن كـــان ذلك لا يعني بالضرورة رفع معدل استخدام الأسمدة والمبيدات ؛ لأن الثورة الخضراء الثانية قائمة على حد تعبير "أجناس ساكس" على أساس من ضروب التقدم الجارية في التكنولوجيا الحيوية والعلوم الزراعية ، تتيح تهيـــئة زراعـــية عالـــية الإنـــتاج تجدد التربة وتستخدم القليل من الأسمدة والمبيدات الحشرية ، ومن ثم فهي ملائمة للبيئة (٤٧) .

تعـــد الزراعة المروية أقوى محكات الزراعة العربية على الإطلاق ، إذ تعتـــبر الـــزراعة المروية حتى في صورتها البدائية نقلة تكنولوجية هائلة ، بالمقارنـــة مع الزراعة المطرية (البعلية) ، أما في حالة تطور وسائل رفع المـــياه لـــلأرض الزراعية وأساليب الري فإنها تكون زراعة مروية عالية التطور بالمقارنة مع الأنماط التقليدية من الزراعة المروية .

بلغـــت الـــزراعة المروية العربية نحو ١٠,١ مليون هكتار (١٥%) من إجمالـــي الرقعة المزروعة ، تتركز في مصر والسودان والعراق والسعودية وســـوريا بالأســـاس بـــنحو ٢٤,٥ ، ١٦,٦ ، ١٤,٣ ، ١٠,١ ، ٩,٥% على الترتيـــب وعلـــى أي حـــال ، فـــإن هيمنة الزراعة المروية على الزراعة المصـــرية مثلاً تعد عاملاً رئيسياً في تفسير الارتفاع الكبير لإنتاجية وإنتاج الزراعة المصرية ، وكانت مصر صاحبة الأراضي الزراعية المحدودة التي لا تـــزيد علـــى ٤,٩% من اجمالي الرقعة الزراعية العربي قد أنتجت نحو ٣٢,٥% من القمح العربي ونحو ٨٨% من إنتاج الذرة العربية ونحو ٩٤% مـــن إنـــتاج الأرز العربي ونحو ٤٣,٢% من جملة الحبوب العربية ونحو ٣٧,٤% مـــن الدرنيات والجذور ونحو ٥١% من السكر الخام ونحو ٣٢% مـــن البقوليات ونحو ٢٩% من البذور الزيتية ونحو ٣٤% من الخضروات ونحو ٢٧% من الفاكهة ونحو ٤٦% من الألياف ، مع ملاحظة أن الزراعة المـــروية تتسم بارتفاع واستقرار الإنتاجية بشكل كبير بالمقارنة مع الزراعة البعلـــية المنخفضـــة والمـــتذبذبة الإنتاجية والخاضعة لتقلبات المطر ، لكن الـــزراعة المروية تحتاج لاستثمارات ضخمة لإقامة الخزانات والسدود ومد شبكة الترع والمصارف وأساليب الري الحديثة .

وتعتــبر الســودان والصــومال والجزائر والمغرب وموريتانيا والعراق واليمــن وتونس أهم الدول العربية المعنية بضرورة إنشاء سدود وخزانات صغيرة ، حيث يبلغ حجم الأمطار التي تسقط بكثافة أكثر من ٣٠٠مم سنوياً فــي هــذه البلدان نحو ٩٧٦ ، ١٤٣٥ ، ٩٤,٥ ، ٨٦,٧ ، ٥٤,٥ ، ٤٠,٧ ، ٢٩,٤ ، ٢٤,١ مليار متر مكعب سنوياً على الترتيب (٤٨) .

ويمكــن استخدام وسائل تقليدية تعتمد على العمالة بشكل كثيف أو وسائل تقنــية حديثة لبناء تلك السدود والخزانات الصغيرة ، لكن وأياً كانت الوسيلة فإن الأمر يتطلب إرادة اجتماعية وسياسية مبنية على إدراك عميق لإمكانية وأهمية تطوير الموارد المائية المحلية . وكما أن هناك ضرورة لمعالجة مياه الصرف الزراعي والصحي ، فهناك أيضاً ضرورة لتغيير أساليب الري في الــدول العربية بشكل حاسم لتقليل الاعتماد على الري بالغمر الذي يستهلك كميات ضخمة من المياه لصالح زيادة الاعتماد على الري بالرش والتنقيط ، ولإدراك الوفــر المائــي الممكن تحقيقه من تغيير أساليب الري ، يكفي أن نشــير إلى أن استهلاك هكتار القطن المروي بالغمر في سوريا عام ١٩٩٢ بلــغ نحو ١١٦٦٧ متراً مكعباً (٤٩) ، في حين بلغ استهلاك الهكتار المروى بالرش والرشح والتنقيط على الترتيب نحو ١٠١٥٢ ، ٧٤٣٦ ، ٦٨٢٩ م٢ . وإذا علمنا أن ٧٥% من الزراعات المروية العربية يمكن سقايتها بالرش ، و ١٠% يمكــن ســقايتها بالتنقيط (٥٠) فإن ذلك يعنى إمكانية توفير كميات هائلة من المياه ؛ لأن الري بالتنقيط يستهلك ما يتراوح بين ٥٠% - ٦٠% مــن المياه التي تستهلك عند الري بالغمر ، كما أن الري بالرش يستهلك ما بين ٨٠% ، ٩٠% من المياه التي تستهلك عند الري بالغمر .

ب- وبالــنظر إلى السياسات الزراعية والتحديات التي تواجهها : فهي مختلفة لحد التناقص بين الدول العربية ، كما أن سياسات الإنتاج في العديد من الدول العربية تترك المنتجين أحراراً في زراعة المحاصيل ، حتى مصر وســوريا خففــت قبضتها أو أزالت القيود التحكمية باستثناء القطن ، بحيث أصــبح هــيكل المــزروعات يعكس إرادة المزارعين ومفاضلتهم للعائد من المحاصــيل المخــتلفة وخبراتهم في زراعة بعض المحاصيل دون غيرها . كذلــك فــإن تدخــل الدولة في ليبيا في قطاع الزراعة يرتبط بتحديد أسعار مســتلزمات الإنــتاج ودعــم بعض السلع الزراعية ، بحيث تباع للمستهلك

بأسعار أقل من السوق مع دعم منتجي بعض المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والزيتون [٥٢] .

وهذه السياسة الليبية مشابهة للسياسة السعودية في دعم منتجي القمح من خلال شراء القمح منهم بأسعار أعلى من الأسعار في السوق الدولية عدة مرات ، وأعلى من الأسعار المدعومة في السوق المحلية كثيراً ، وهذه السياسة تعكس نظرة قطرية ، تتعامل مع ضعف التعاون العربي البيني كأمر واقع ولا تقوم بأعمال اقتحامية لتغييره ؛ لأن هناك في الواقع إمكانات كبيرة لحل مشاكل نقص بعض المحاصيل الاستراتيجية في هذه الدول العربية أو تلك بالتعاون مع دول عربية أخرى ، بدلاً من اللجوء إلى تقديم دعم كبير ومبالغ فيها للمزارعين المحليين ، وهو دعم يشوه هيكل الأسعار ويجعل هيكل المزروعات لا يعكس الميزات النسبية . كما يؤدى إلى فقدان القطاع الزراعي لقدرته على المنافسة في أسواق حرة أما بالنسبة للتسويق فإنه رغم التحرر النسبي لسياسات تسويق المحاصيل الزراعية في غالبية الدول العربية ، فإن تسويق بعض المحاصيل الزراعية ما زال إجبارياً في بعض هذه الدول ، مثل القمح بالعراق والقطن والقصب بمصر [٥٣] .

وإذا نظرنا إلى أسعار توريد القطن في مصر ، نجد أن سعر توريد قنطار القطن الزهر ١٥٧,٥٠كجم - من القطن ببذرته - قد بلغ نحو ٤٠٠ جنيه مصرى عام ١٩٩٥/١٩٩٦ ، وهذا القنطار من الزهر يخرج منه أكثر من قنطار مترى من القطن الشعر - القنطار المتري ٥٠كجم - ونحو ١٠٧,٥كجم من بذرة القطن ، وقد بلغ سعر تصدير مصر لقنطار القطن الشعر وحده في ذلك العام نحو ٢٠٨,٧ دولار أمريكي [٥٤] .

وإذا أضيف سعر بذرة القطن ، فإن الحكومة المصرية تكون قد باعت مكونات قنطار القطن الزهر بما لا يقل عن ٩٠٠جنيه مصري ، حظ المزارع ٤٤,٤% فقط منها [٥٥] ، وتهيمن السلطات الخارجية المهمة دوماً على الفلاحين اقتصادياً ، وتلك السلطات قد تكون مالك الأرض أو الإقطاعي أو المرابي وصاحب الحانوت والتاجر أو جامع الضريبة ولاحقاً المصارف وبورصة البضاعة ، وبصورة متزايدة في كل مكان ، الدولة التي تقوم بكل هذه الأدوار [٥٦] .

وقد تخلت غالبية الدول العربية عن سياسات دعم مدخلات الإنتاج وذلك فـــي إطـــار تحرير اقتصادياتها ، والتي يفترض في الوقت الحالي أن يقوم القطـــاع الخاص بالجهد الرئيسي في التوسع الأفقي والرأسي ، ولكن الواقع هـــو أن الـــدول ما زالت تقوم بالبنية الأساسية للمناطق الجديدة ، وما زالت تلعب الدور الأساسي في مجال الاستصلاح ، ويبدأ دور القطاع الخاص بعد ذلك وهو ما يعكس ضعف القدرات الاقتحامية لدى القطاع الخاص ، إلا في حالات قليلة .

وتعتـــبر أهـــم التحديات التي تواجه السياسات الزراعية العربية هو تحد داخلـــي كامن في تلك السياسات ذاتها فبعد أن كفت الدول عن دعم مدخلات الإنـــتاج وأسعار السلع الأساسية في غالبية الدول العربية ، ليس من المنطق أو العدل في شراء المحاصيل التي ينتجها الفلاحون بأسعار أقل من متوسط الأســـعار العالمية ، أو أسعار الواردات المناظرة لها ، ولذلك فإن السياسات الزراعـــية التي تلتزم روح الحرية الاقتصادية في تسعير مستلزمات الإنتاج الزراعي يجب أن تلتزم نفس الروح أيضاً في تسعير المنتجات التي ينتجها القطـــاع الزراعـــي ، بحيث تصبح أسعار الشراء من المزارعين قريبة من متوسط الأسعار العالمية (٥٧) .

إضافة لما سبق فقد تعرض الريف في العديد من الدول العربية وحتى في الدول الصناعية المتقدمة في بدايات انطلاقها الصناعي - لعملية نزح للفائض الاقتصادي منها ، لتمويل تنمية الصناعة وبناء الدولة ، وإذا كان هذا النزح مقـــبولاً مـــن زاويـــة اجتماعـــية باعتباره إجراءاً ضرورياً لإنجاز العملية التاريخية لبناء اقتصاد صناعي ، فإنه يتحول إذا استمر بعد ذلك إلى سلوك غـــير عـــادل وغـــير رشـــيد اقتصـــادياً ، حيث يجعل الزراعة - كالنشاط الاقتصـــادي - فـــي وضـــع سيئ من زاوية معدلات الربح فيها ، بالمقارنة بالقطاعـــات الأخرى بما يشجع الهجرة من الريف إلى المدينة باتجاه قطاعى الصناعة والخدمات (٥٨) .

ثانياً : تحديات الزراعة العربية للعولمة ومدى فاعليتها :

شاهدت البيئة الاقتصادية الدولية -وبالذات فيما يتعلق بإنتاج وتجارة السلع الزراعـــية - تغيرات حادة في السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، ويعد أهم هذه التغيرات هو اتفاقية (الجات . Gatt) تحرير التجارة الدولية بشكل

تدريجي ، والذي تم التوقيع عليه في إبريل ١٩٩٤ بأورجواى ، ودخل حيز التنفـيذ بـالفعل في بداية عام ١٩٩٥ ، وهو الاتفاق الذي تأسست بمقتضاه مـنظمة التجارة العالمية ، وقد تضمن هذا الاتفاق باباً يتعلق بتخفيض دعم الصـادرات الزراعية باعتبار أن هذا الدعم يشكل نوعاً من الحماية وعاملا مشوهاً لهيكل الأسعار في الأسواق الدولية ، وقد أدى الاتفاق لدى بدء تطبيقه إلـى حـدوث ارتفاع كبير في أسعار بعض السلع الزراعية الرئيسية ، مثل الحبوب التي كانت العديد من الدول الصناعية المتقدمة تقدم دعماً لمزارعيها ، لرفع قدرتهم التنافسية بشكل مفتعل في الأسواق الدولية ، بما يدعم أهدافها بالسـيطرة علـى حـركة الصـادرات الدولية من الحبوب لأسباب سياسية واستراتيجية .

وعلـى سـبيل المثال ارتفعت أسعار طن القمح في الأسواق الدولية من نحـو ٩٠ دولاراً فـي المتوسط عام ١٩٩٣ ، إلى ٢٢٥ دولاراً للطن عام ١٩٩٥ (٥٩) .

وعلى أي الأحوال ، فإن تخفيض الدعم لصادرات بعض السلع الزراعية والحـبوب بشـكل أساسي وفقاً لاتفاقية الجات ، قد أدى لارتفاع أسعار تلك السلع ، وأدى مباشرة إلى زيادة مدفوعات الدول العربية المستوردة للحبوب ، وبقـدر مـا طرح ذلك تحدياً حقيقياً أمام هدف تحقيق التوازن في موازين تجـارة السلع الزراعية في الدول العربية ، بقدر ما يتيح فرصة كبيرة أمام منتجـي الحـبوب العـرب ،وأيضاً أمام التوسع الأفقي في الزراعة العربية بصفة عامة ، اعتماداً على أن تخطيط دعم الصادرات الزراعية وفقاً لاتفاقية الجـات ، يعنـي أن تكلفة إنتاج الحبوب في كثير من الدول العربية سوف تتمـتع بوضـع تنافسي أفضل من ذي قبل ، كما أن تكلفة الإنتاج من أرض جديـدة سـوف تصبح مقبولة وإن كانت هذه الميزة ذاتها تطرح تحدياً أمام الزراعة العربية تتعلق في حدود قدرتها على تحويل التوسع الزراعي الأفقي ، للاسـتفادة من توافر إمكانية الإنتاج بتكلفة اقتصادية من أرض كانت في السـابق لا يمكن الإنتاج منها بأسعار تنافسية في زمن الصادرات الزراعية المدعومة قبل اتفاقية الجات (٦٠) .

ومما يزيد الأمر حذراً وترقباً في هذه الظروف ، ما حذر به المدير العام للمـنظمة العربـية للتنمية الزراعية من أن التجارة الزراعية العربية تواجه

منعطفاً حرجاً بدخول المبادلات التجارية الدولية من المنتجات الزراعية والغذائية مرحلة العولمة والتحرر في إطار منظمة التجارة العالمية بعد مؤتمر الدوحة في نوفمبر ٢٠٠١ ، كما أقر بأن تحرير التجارة الزراعية في إطار منظمة التجارة العربية الحرة الكبرى ما زالت دون الطموح ، رغم قرب موعد استكمال المنطقة في عام ٢٠٠٥ والتي من شأنها أن تضمن الاتفاق بين النظم والسياسات التجارية في الدول العربية بتخفيض الرسوم الجمركية والضرائب على السلع الزراعية ذات المنشأ العربي في إطار تطبيق منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى ، يعتبر خطوة يتعين أن تتلوها خطوات متعددة لتعميق التكامل الاقتصادي العربي (٦١) .

ويعد التحدي الواضح للزراعة العربية في ظل العولمة هو مدى مسايرة التطور السريع والمذهل في استخدام علم الهندسة الوراثية في الزراعة بشكل أدى لارتفاع إنتاجية المحاصيل وسلالات الماشية بشكل فائق في الدول المتقدمة ، وهو ما يطرح تحدياً حقيقياً لقدرة الزراعة العربية على الاستمرار في الإنتاج بأسعار تنافسية ، ويجعل تحديثها ضرورة قصوى لمواكبة التطورات العلمية المذهلة في العالم المتقدم ولكن هذا أمر يمكن أن يكون مرهوناً بفاعلية العون الأجنبي ومصداقيته وزيادة روافد التمويل وتفعيل دور البحوث الزراعية العربية وتقويتها والعمل على فاعلية سبل التدريب الفني ورعايته .

الفصل التاسع
الإنتاج المعدني
فى
الوطن العربي

الإنتاج المعدني فى الوطن العربي

زادت المعــادن علــى نحــو ٢٠٠ معــدن لكل منها توزيعه الجغرافي وخصائصــه واقتصادياته ، وتصنف حسب خواصها وتكوينها واستخداماتها واشهر تصنيفاتها هى :

١ - **المعــادن الفلــزية** : وهي القابلة للطرق والسحب وجيدة التوصيل للحــرارة والكهــرباء ، مــثل الحديد والأخلاط الحديدية كالمنجنيز والكروم والنــيكل والموليبدنــيم والتنجســتن والكوبالت والفانديوم ، والمعادن الغير حديديــة كالــنحاس والرصــاص والزنك والقصدير والألمنيوم والمغنسيوم والتيتانــيوم ، والمعادن الثمينة كالذهب والفضة والبلاتين ، والمعادن النادرة كاليورانيوم والراديوم والبرليوم والزئبق والثوريوم والبلاتنيوم .

٢ - **المعــادن اللافلــزية وتنقسم إلى** : معادن الطاقة كالفحم والبترول والغــاز الطبيعــي ، ومواد البناء كالرمل والزلط والحجر الجيري والطفلة والبازلت والجبس وخامات الأسمدة الكيماوية كالفوسفات والبوتاس والنترات والكبريــت والأمــلاح وخامــات الخزفيات كالصلصال والفلسبار وخامات الحــراريات كالصلصال والمجنزيت والجرافيت ، وخامات السجح كالحجر الرملــي والماس الصناعي والكوراندوم والجارنت ، والعوازل كالاسبستوس والمــيكا ، والمرشحات كالباريت والدياتوميت ، واللافلزات الثمينة كالماس والزبردج والياقوت والبريل والتراكواز والتوباز (١) .

وتعد التكوينات المعدنية عبارة عن نتاج عمليات جيولوجية ، وأن توزيع المعــادن يرتــبط ارتــباطاً وثيقاً بالتركيب الجيولوجي وأغلبها في المناطق القديمــة والجبلــية التي تعرضت لعوامل التعرية ، ويرتبط توزيع معظمها بــتوزيع الصخور النارية التي بردت في باطن الأرض ثم تعرضت لعوامل الالتواء والانكسار والتعرية ، فساعد ذلك على سهولة كشفها واستخراجها ، أمــا الفحــم والبــترول والغــاز الطبيعي فيقتصر وجودها على الصخور الرسوبية (٢) .

ولــنا أن نوضح أولاً توزيع المناطق الغنية بتكويناتها المعدنية ومن بينها المنطقة العربية ، وهذه المناطق هي جبال روكى غرب الولايات المتحدة ، وتحــتوي علــى عــدد كبير من المناجم يستخرج منها النحاس والرصاص

والــزنك والفضة والموليبدنيم وغيرها ، والكتلة الكندية التي تشتهر بالحديد والنــيكل والــنحاس والذهــب ، ويبدو إقليم التعدين في أمريكا الشمالية في صــورة مثلث كبير رأسه بالمكسيك ، وقاعدته جنوب كندا وتتمثل أضلاعه فــي جــبال روكى وفي جبال الأبلاش في الكتلة اللورنشية ، وبذلك يشمل غالبية الولايات المتحدة وجنوب كندا ووسط المكسيك وتعتبر أمريكا الشمالية أغــنى القارات بالثروة المعدنية . ويوجد بالبحر الكريبي إقليم معدني لإنتاج البــترول والغــاز الطبيعي والبوكسيت .. أما في أمريكا الجنوبية فإن إقليم التعديــن يمــتد في غربها على طول جبال الأنديز حيث النترات والقصدير والــنحاس والفضة ، كما يوجد إقليم عرضى آخر من كولومبيا إلى فنزويلا وسورنيام وجوايانا وجيانا إلى البرازيل ويشتمل على البترول والحديد الخام والبوكســيت ، ويمــتد إقليم الثروة المعدنية الرئيسي بقارة أفريقيا في القسم الجنوبــي مــن القارة من كاتنجا في الشمال إلى مقاطعة الكيب في الجنوب حيــث النحاس بزامبيا وزائير فضلا عن المواد المشعة في الأخيرة والحديد في زمبابوى ، والذهب والماس والفحم والحديد في دولة جنوب أفريقيا [٣] .

وهناك إقليم آخر يمتد من الشرق للغرب في غرب أفريقيا من الكاميرون إلــى غينيا إلى موريتانيا ، حيث الحديد والبوكسيت والمواد المشعة والذهب والفوسفات والبترول والغاز الطبيعي ، أما الإقليم الثالث فهو شمال القارة أي الجناح العربي الإفريقي، ويضم الفوسفات والبترول والغاز الطبيعي والحديد الخام .

ويعــد إقلــيم الاتحــاد السوفيتي السابق غني بالثروة المعدنية في جبال الأورال والقوقــاز وجنوب أوكرانيا إلى جانب إقليم وسط سيبيريا الممتد من الغرب للشرق، وكانت اوروبا من القارات الغنية بالثروة المعدنية لكن لطول فــترة اســتغلالها فقــد أرهقت، وقد استغلت اوروبا نسبة هائلة من معادنها الجــيدة النوعــية ، ولكــن مازال عندها مقادير كبيرة من الخامات المعدنية القلــيلة الجودة ، كما أن هذه القارة غنية بالفحم ، ويمتد الإقليم التعديني في اوروبــا مــن الشمال إلى الجنوب من السويد والنرويج وفنلندة حتى أسبانيا متوغلا في وسط القارة وجنوبها حتى البلقان ، وظهر حديثا إقليم تعديني في بحــر الشــمال للبترول والغاز الطبيعي ، ويوجد في آسيا عدة أقاليم للثروة المعدنــية مــنها ، إقليم الشرق الأقصى في اليابان وكوريا والصين ، حيث

يعدن النحاس والحديد والفحم والتنجستن والبترول ، وإقليم آخر جنوب شرق القـارة فـي مالـيزيا وإندونيسيا وبروناى والهند ، حيث الفضة والقصدير والبـترول والغـاز الطبيعـي ، وهناك إقليم بترول كبير جنوب غرب آسيا بإيـران والجـناح العربي الآسيوي ، كما يوجد إقليم تعديني بشرق أستراليا وفـى جـنوبها الشـرقي وجنوبها الغربي حيث البوكسيت والحديد والزنك والفضة (٤) .

أهم المعادن العربية

يتميز الوطن العربي باحتوائه على معادن كثيرة للتنوع الجيولوجي لبنيته ، ولكـن نحصر الدراسة لأنواع المعادن التي لها مساهمة بارزة في الإنتاج وسوف نتناولها حسب ترتيب الإنتاج ولأهمية :

أولا : الفوسفات :

كـان لطبـيعة البيـئة في الجناح العربي الأفريقي دور في احتواء خام الفوسفات بدرجة جعلت الوطن العربي ضمن أوائل مناطق العالم المنتجة له . فالفوسفات ذات تكوينات رسوبية متباينة في أصل النشأة والتكوين ، وتضم الفوسـفوريت والحجـر الجيري الفسفوري والجوانو (نترات من إفرازات الطـيور البحرية) وبقايا عظمية مختلفة ، كما أن الفوسفات عنصر معدني صخري يمكن الحصول عليه من خبث الحديد الذي يستغل أحياناً في صناعة السماد الفوسفورى .

ويسـتخلص من الفوسفات عنصر الفوسفور أهم العناصر اللازمة لجميع الكائـنات الحـية خاصة النباتات في نموها واتمام عملية التزهير وبالتالي النضج ، إذتبين أن الطن المتري الواحد من القمح مثلاً يمتص ما وزنه ١٠ كجـم تقريباً من هذا العنصر الذائب في التربة الزراعية ، وعدم توافره في الـتربة بالدرجة الكافية يؤثر في إنتاجية الأرض في وقت زادت فيه حاجة الإنسان للإنتاج ، ومن هنا كانت أهمية الفوسفات في صناعة الأسمدة (٥) .

يتمـيز الإنتاج العربي من الفوسفات بالضخامة على المستوى العالمي ، حـتى أواخر تسعينيات القرن العشرين كان متوسط الإنتاج العربي يزيد عن ربـع الإنتاج العالمي (٣٥ مليون طن) ، ويأتي الفوسفات في المركز الثاني بين المعادن العربية من حيث الحجم والأهمية بعد البترول .

يتوزع الإنتاج العربي على ثلاثة أقاليم هي :

أ – دول المغـــرب العربي : بنحو ٧٥% من الإنتاج العربي ، يحتل المغرب المركـــز الثالث عالمياً بنحو ٢١% من إنتاج العالم ،ونحو ٦٠% من الإنتاج العربـــي ، واكتشف الفوسفات بالبلاد عام ١٩٠٨ المنتشرة في طبقات ذات ســـمك بيـــن ١٨٠ – ٣٠٠ســـم خلال تكوينات الزمنين الجيولوجيين الثاني والثالث والتي تتراوح بين الحجر الرملى والحجر الجيرى والطفل .

ويمـــتلك المغـــرب نصف احتياطي العالم تقريباً من الفوسفات . ويتركز الإنتاج والاحتياطي معاً في : منطقتي اليوسفية (القنطور)وتتميز خامات هذه المنطقة بموقعها القريب من الساحل حيث يسهل تصديره ، ومنطقة خوريبكا (أولاد عبدون) ويتميز بعلو جودته ، حيث تراوحت نسبة الفوسفات بين ٧٦ – ٧٨% فى الخام .

وتحتل تونس المركز الثاني عربياً بنحو ١٥% من الإنتاج العربي ويذكر الإنتاج في نطاق جفصة ونطاق رديف / متلوي .

ب – دول الشـــام : ويـــتراوح الإنتاج بين الربع والخمس من إنتاج الوطن العربـــي ، وأهـــم دول الإقليم في الإنتاج هي الأردن نحو ١٢% من الإنتاج العربي ويعدن الفوسفات بها بمنطقتي الرصيفة والحسا ، وتمثل الأردن ثالث الـــدول العربـــية المنتجة للفوسفات . ثم فلسطين المحتلة التي تحتل المركز الـــرابع عربياً في الإنتاج بنحو ٧% من الإنتاج العربي من مناطق أورون وماختش وديبي ووادى عربه .

ج– مصـــر : وإنـــتاجها نحو ٣% من الإنتاج العربي ، ينتشر في مساحات واسعة منها في نطاق البحر الأحمر ووادي النيل وصحراء مصر الغربية(٦).

ثانياً : الحديد :

يأتـــي الحديد في مقدمة المعادن الصناعية ، ويتميز بانتشاره الواسع في القشـــرة الأرضـــية (٥%مـــن مجمـــوع العناصـــر التي تتألف منها القشرة الأرضية) كما يمتاز بسهولة استخراجه ورخص ثمنه بين المعادن الأخرى ، وسهولة سحبه وطرقه ، ودائماً ما يختلط بشوائب ومواد متنوعة أخرى .

وتتعدد أنواع الحديد وأجودها الماجنيت **Magnetite** أسود اللون وموطنه الســـويد وتبلغ نسبة المعدن في خاماته ٧٢% ثم الهيماتيت وهو أحمر اللون وتكونـــت فـــي صـــخور متحولة ورسوبية وتبلغ نسبة المعدن فيه ٧٠% ،

الليمونيـت وتـبلغ نسـبة المعـدن بها أقل من ٦٠% وهو أصفر اللون ثم السيدريت وتبلغ نسبة المعدن به ٤٨% ويتراوح لونه بين الرمادي والبني ، ثم البيريت وتبلغ نسبة المعدن بها ٤٥% ويتراوح لون خاماته بين الرمادي والبني .

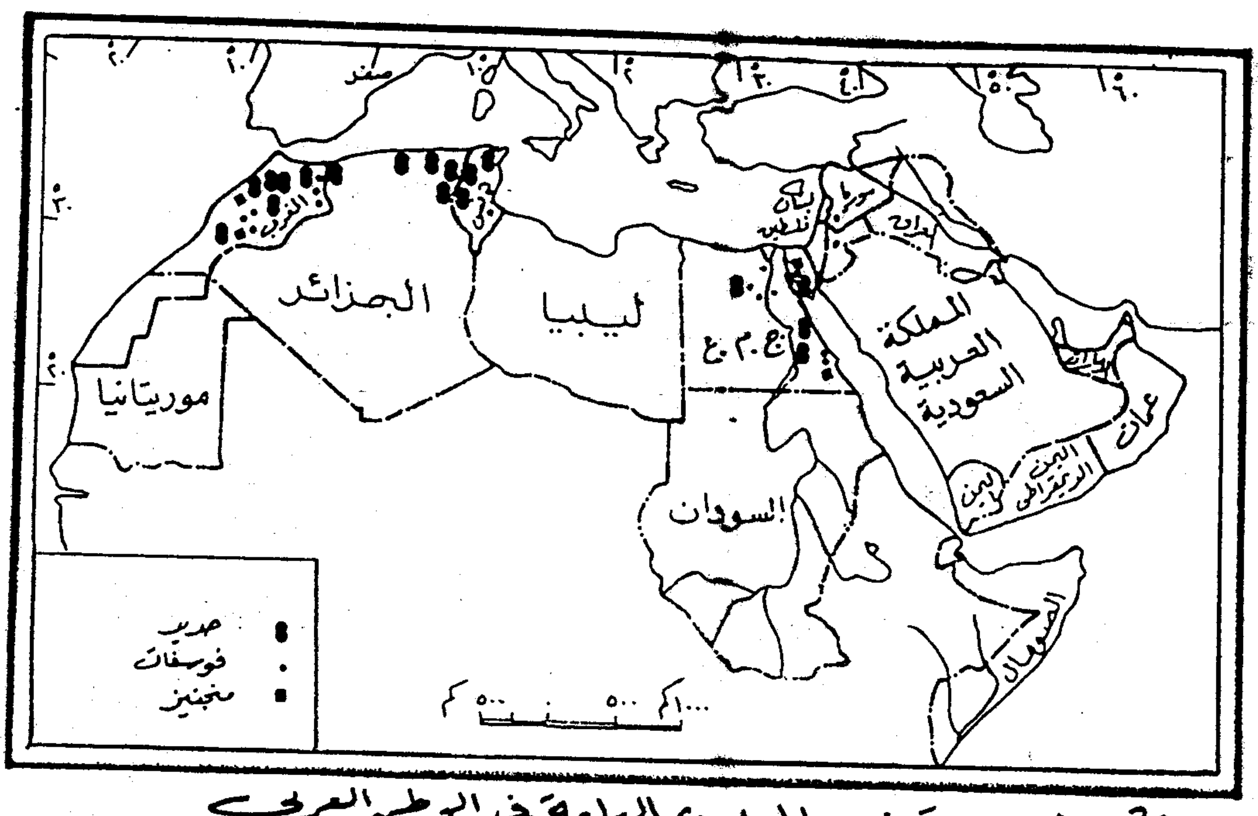
الإنتاج العربي للحديد :

يتميز الإنتاج العربي من الحديد بالضآلة مقارنة بالإنتاج العالمي ، حيث لا يزيد متوسط الإنتاج العربي عن ٦% من جملة الإنتاج العالمي في أواخر التسـعينيات مـن القرن العشرين (١٥ مليون طن) ، كما يمتاز خام الحديد بضـيق دائرة انتشاره ، حيث لا تعدن هذه الخامات على مستوى ناجح في الوطن العربي إلا خمس دول عربية تقريباً ، موريتانيا كما في الشكل (٣٢) .. وتنتج نحو نصف الإنتاج العربي من الحديد ، حيث تمتلك احتياطياً كبيراً يقدر بأكثر من ألفي مليون طن متري وتتمثل أهم مناطق الإنتاج في منطقة كدية الجل وهي أقدم وأجود المناطق المنتجة إلى جانب مناطق : تيريس وأم الرواجن والعيوج والنعيم .

الجزائـر .. وأنتجـت في أواخر التسعينيات نحو ربع الإنتاج العربي من الحديد ويتركز الإنتاج في منطقتي عوينزة / بوخضرة ، وتقعان بالقرب من الحـدود السياسية مع تونس وهما تشكلان أهم مناطق إنتاج الحديد في البلاد وأجودهـا ، ثم النطاق الساحلي الشمالي بدءاً من عنابة في الشرق حتى بني صـاف قرب خط الحدود مع المملكة المغربية في الغرب ، ثم منطقة جارة جبيلات .

مصـر .. ويـزيد الإنتاج المصري عن ١٢% من جملة الإنتاج العربي ، ويـتركز في مناطق الواحات البحرية في منطقة جبل غرابي بصفة خاصة وكذلـك الجديـدة وناصـر والحارة ، وتعد الجديدة أهم مناجم المنطقة على الإطلاق ، ثم شبه جزيرة سيناء ويكون فيها حديد مختلطاً بالمنجنيز كما هو في أم بجمة وجبال الحمرة وأبو مسعود ، ثم منطقة البحر الأحمر من سفاجة حتى رأس بناس ، ثم منطقة شرق أسوان وهي أقدم المناجم المصرية .

وتلـي **تونـس** مصر في الإنتاج بنحو ٣% من الإنتاج العربي ويتركز الإنتاج في المناطق الحدودية مع الجزائر ثم الساحل الشمالي وجبل عنق ،



شكل (٣٢) توزيع المعادن الهامة في الوطن العربي

وتلى المغرب تونس بنحو ١% من الإنتاج العربي ويستخرج من مناطق الريف الساحلية وأية عمار وخنيفره وتافيلالت وفرايد (٨) .

ثالثاً : المنجنيز :

تــرجع أهميــته إلى أنه يمثل عنصراً رئيسياً في صناعة الصلب ، وذو القدرة الكبيرة على تحمل الاحتكاك ودرجات الحرارة المرتفعة ، إلى جانب خاصــية الصــلابة ، لــذا يستغل في العديد من الصناعات ، حيث تستغل صناعات الصلب حوالي ٩٠% من جملة إنتاجه على مستوى العالم والنسبة الباقــية تستخدم في الصناعات المعدنية والكيميائية . ويزيد الإنتاج العربي عــن ٩٠٠ألــف طن في أواخر التسعينيات من القرن العشرين ، استحوذت المملكــة المغربــية وحدها على قرابة نصف الإنتاج ، وأهم حقولها جليب النعام ووجدهة وبو عرفه وأمينى وتيوين .

ويمتلك المغرب احتياطياً كبيراً من الخامات يقدر بعدة ملايين الأطنان ، ويعانــي الإنتاج المغربي من سوء الموقع الجغرافي للخدمات المطلوبة لنقل المــواد الخــام ، بالإضافة لصعوبة نقل الخدمات من أقاليم الإنتاج لمناطق التجهيز .

ويتبايــن إنتاج المنجنيز في مصر من عام لأخر بمتوسط ٢٠٠ألف طن أواخر التسعينات ، وتوجد خامات المنجنيز التي تتباين نسبة المعدن بها في عدة مواقع منها شرم الشيخ وجبل موسى في شبه جزيرة سيناء ، وجبل عش الملاحة ووادي عربة شمال الصحراء الشرقية .

وتنتشــر بالســودان خامات المنجنيز أقصى شمال شرق البلاد في نطاق يمكــن اعتــباره امــتداداً لمنطقة حلايب / علبة المصرية . ويمتد النطاق الســوداني هــنا بين النطاق السهلي ومرتفعات البحر الأحمر ، كما اكتشفت خامــات المنجنــيز في النطاق الجنوبي للسودان شرق وشمال شرق ملكال ويزيد الإنتاج السنوي عن ١٠٠٠ طن متري تقريباً (٩) .

الإنتاج العربي من المعادن الأخرى :

رغــم أهمية النحاس في الصناعة العربية ودخولها شتى مناحى الحياة ، إلا أن الإنــتاج العربي ضئيل جداً مقارنة بالإنتاج العالمي أو لا يتعدى (٠,٠٣%) مــنه والــبالغ ٧,٩ مليون طن ، ولذا تستورد الدول العربية كميات من الــنحاس مركزاً ومصهوراً لتغطية حاجة أسواقها المختلفة وتسهم موريتانيا

بـــنحو ٧١% مـــن جملة الإنتاج العربي من منطقة أم قرين - جنوب شرق نواذيبو - ومنطقة قاديار ومبوط وديافيلي ، وتأتي المغرب في المرتبة الثانية في الإنتاج للنحاس العربي بنحو خمس الإنتاج من مناطق بوصقور ، قطارة ، تاوريـــرث ، ازيجور ، ثم تأتي الجزائر بعد ذلك [١٠] في الإنتاج ففلسطين المحتلة فتونس فالأردن .

كمـــا بلغ إنتاج الوطن العربي أواخر التسعينيات من الرصاص نحو ٣,٦ % مـــن الإنـــتاج العالمـــي الـــبالغ ٣,٥ ملـــيون طن ، ويكاد يقتصر إنتاج الرصـــاص على دول المغرب العربي ، المغرب (٩٢%) ، تونس (١,٨%) ثم الجزائر والتي تمثل وحدة جيولوجية ذات خصائص متماثلة .

توجـــد رواســـب الزنك في الطبيعة مختلفة غالباً بخام الرصاص ، لذلك كثـــيراً ما ينتج الزنك والرصاص من منجم واحد . ويعد الإنتاج العربي من الـــزنك محدود وحيث يعادل (٠,٣%) فقط من الإنتاج العالمي (٥,٦) مليون طـــن . تتصـــدر تونس الإنتاج العربي من الزنك بنحو ٤٥,٥% من الإنتاج العربي والمغرب ٣٤% ثم الجزائر ٢٠,٥% [١١] .

الطاقة في الوطن العربي

بانت مشكلة الطاقة واضحة بعد ١٩٧٣ ، وعندما شعرت الدول الصناعية بـأن السـيطرة على العالم تشاركها فيها البلاد المتخلفة والتي تمتلك فائض الخامات وأسواق الاستهلاك ومصدر الطاقة المهم (البترول والغاز الطبيعي) ، فقـد ضـغطت الشـركات الأجنبية العاملة في حقل موارد الثروة بالدول المخـتلفة على بلادها لتعدل من سياستها إذاء المشاكل السياسية والاقتصادية التـي تعانـي منها الأقطار المتخلفة ، وظهر ذلك جلياً في ضغط الشركات الأمريكـية والهولـندية واليابانية على حكوماتها حتى تعدل هذه الأخيرة من موقفهـا حيال المشكلة بالشرق الأوسط عندما استخدمت الدول العربية ورقة البترول ، كما أن الدول الغنية استيقظت على حقيقة وهى أن عصر الخامات والطاقـة الرخيصـة أذن بالانـتهاء ، وذلك في وقت تزداد فيه الكفاءة في اسـتخدام الطاقـة ، حيث زادت حاجة الإنسان إليها بنحو ٥% سنوياً ، لما أحرزه الإنسان من تقدم تقنى (١٢) .

وأسـهم البـترول فـي الآونـة الأخـيرة بنسبة ٣٨% من حجم الطاقة المسـتخدمة في العالم مقابل ٣٠% بالنسبة للفحم ونحو ٢٠% بالنسبة للغاز الطبيعي ، أي أن الغاز الطبيعي مشتركاً مع البترول أسهما بنحو ٦٨% من إجمالـي إنتاج الطاقة ، أما الطاقة النووية والكهرباء المائية فلا تسهمان إلا بنسـبة ١٢% من مجموع استهلاك الطاقة . أي أن مصادر الطاقة الحفرية مازلـت تسـيطر على مصادر الطاقة ولعقود قادمة على الأقل ، وذلك على الـرغم مـن محاولات الدول المتقدمة لخفض اعتمادها على البترول بصفة خاصة ، واستخدام الطاقة النووية والمتجددة (١٣) .

ولكن تكمن مشكلة الطاقة النووية في التكاليف الباهظة وصعوبة التخلص من النفايات والمخلفات ، كما أن الطاقة الشمسية يعيبها عدم استمراريتها من حيـث المكـان والـزمان ، كما أن معداتها تعمل بكفاءة متدنية ولذلك فإن تكالـيفها لازالـت باهظة ، وما يقال عن الطاقة الشمسية ينطبق على طاقة الرياح ، وعن تسييل الفحم فقد أنجزتها ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكـن بتكلفة مرتفعة غير اقتصادية . وأثبتت التجارب أن طن الفحم الواحد يعطـي ٤ برامـيل من البترول ، أي أربع أسباع طن البترول . ولما كان الاحتياطـي المؤكد للفحم ضخم ، وعمره الإنتاجي يمتد لقرون ، فإنه يمثل

مصدراً هائلاً للوقود السائل ، واعتقد البعض بأنه سيتم مع نهاية الثمانينيات تحويل الفحم إلي بترول بتكلفة رخيصة ، ولم يتحقق ذلك ، ويعيب الفحم أنه لا ينتج إلا نوعاً واحداً من الوقود السائل ، في حين أن البترول ينتج مشتقات مختلفة من الوقود السائل [١٤] .

تأتي الكتلة الروسية وما انفصل عنها من دول مضافاً لها أوروبا الشرقية بنحو ثلث إنتاج الطاقة ، تليها أمريكا الشمالية "٢٨,٦%" والشرق الأوسط "١٣,٤%" وأسـيا بـدون الشرق الأوسط "١٠%" وأوروبا عدا شرقها "٩%" وإفريقيا "٥,٢%" وأمريكا الجنوبية "٣,٨%" والاقيانوسية "١,٨%" .

يرتبط إنتاج كل من الفحم والغاز الطبيعي نسبياً بمناطق استهلاكه ، ولا يدخـل فـي التجارة الدولية إلا بنسبة ضئيلة لارتفاع تكاليفه وصعوبة نقله ويسـتهلك أساساً حيث ينتج في أمريكا الشمالية وروسيا وأوروبا ، وما قيل عن الفحم والغاز الطبيعي ، يقال عن الكهرباء المائية والنووية ويمثل إنتاجها فـي أمـريكا الشـمالية "٣٨,٥%" غرب أوروبا "٢٧,٧%" الكتلة السوفيتية السـابقة "١٢,٧%" أسيا بدون الشرق الأوسط "٨,٧%" وتتكرر هذه النسب أيضـاً في حالة الاستهلاك أي أن إنتاج الكهرباء المائية والنووية يستهلك ، حيث ينتج ولا تدخل في التجارة الدولية ، وحتى لو عبرت الكهرباء الحدود فـإن ذلك يكون في نطاق إقليمي فقط ، وذلك لصعوبة نقلها لمسافات طويلة بـتكلفة اقتصادية ، وعلى الرغم من ذلك تتمتع الطاقة عموماً بتجارة دولية نشـطة ، إذ يدخل نحو ثلث إنتاجها في التجارة العالمية ، والفضل في ذلك للبترول أساساً [١٥] .

وتكمن المشكلة ومتعلقاتها في البترول ، إذ أنه أكثر انتشاراً من مصادر الطاقـة الأخـرى ، حيث تساهم سبع مناطق في إنتاجه : أمريكا الشمالية (٢٥,٨%) والشـرق الأوسط (٢٣,٥%) والكتلة الروسية وما يتبعها (٢٢,٥%) وأفريقـيا (٨,٤%) وأسـيا بـدون الشـرق الأوسط (٧,٥%) وأمريكا الجنوبـية (٦,٢%) وأوروبـا الغربـية (٥,٥%) ، كما يعد أيضاً استهلاك البـترول أوسـع انتشـاراً من استهلاك أي مصدر آخر للطاقة ، لرخصه وسهولة نقله وتعدد مشتقاته وملاءمته لاستخدامات كثيرة .. ولكن يلاحظ أن أربعاً فقط من هذه المناطق هي : الكتلة الروسية وتبيعاتها وأمريكا الشمالية . وأوروبـا بـدون شـرقها وآسيا بدون الشرق الأوسط يخصها ٨٨,٣% من

استهلاكه ، ويتضح من هذا وقوع ثلاث مناطق منتجة في مجال استهلاك البترول بكميات لا تذكر بالمقارنة مع إنتاجها هي الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، ومعنى هذا أن البترول يدخل بنسبة أكبر من أي وقود آخر في التجارة الدولية ، إذ تصدره المناطق السابقة بكميات ضخمة إلى دول العجز بأمريكا الشمالية وغرب أوروبا وآسيا (١٦).

خصائص البترول العربي :

امتاز البترول العربي بعدة خصائص جعلته أكثر قدرة على المنافسة بين دول إنتاج الطاقة بل والمنتجة للبترول أيضاً وأهم وهذه الخصائص هي :

- غزارة إنتاج الآبار العربية نظراً لسلامة معظم أراضي البترول من الهزات الأرضية وما يتبعها من تشققات ، لذا تتميز الحقول العربية بخلوها من الانكسرات ، مما جعلها تتسم بمعظم مساحتها وميلها المحدود ، وساهم هذا في خزنها لكميات كبيرة من البترول وعدم تسربها ، مع احتفاظها بضغط مناسب ، مما عمل بدوره على عظم الكميات المنتجة بأقل عدد من الآبار .. فبينما يتراوح متوسط الإنتاج اليومي للبئر الواحد بين ١٠٢٩ – ١٣٥٠١ برميل في السعودية ، ١٥٦٦ – ٢٣٨٠٦ برميل في العراق ، ٤-١٤ ألف برميل في قطر ، ٢٧٤- ٥٧٠٠ برميل في ليبيا ، لا يتعدى هذا المتوسط ما بين ٢٠٠- ٢٨٠ برميل في فنزويلا ، ٢٠٠ برميل في إندونيسيا ، ٦٧ برميل في روسيا في حين يبلغ أدناه في الولايات المتحدة الأمريكية حيث لا يتجاوز ٣٠ برميلاً . وبدأت معظم الدول العربية المنتجة للبترول لذلك في تقنين عملية الإنتاج بتقليل الكميات المستخرجة من الآبار خلال السنوات الأخيرة (١٧).
- نتج على ما سبق أنه أصبح عدد الآبار في الحقول العربية محدود مقارنة بالحقول العالمية ، فبينما يتراوح عدد الآبار في كل حقل سعودي ما بين ٢-١٠٠ بئر ، ولا يتعدى عدد الآبار في الحقل ٤٤ بئراً في العراق ، ثم ٤٨ بئراً في قطر ، ١١٦ بئراً في ليبيا ، في حين يصل هذا العدد إلى ٣٠ ألف بئر في الولايات المتحدة الأمريكية .

إلى جانب ما سبق هناك الانخفاض النسبي لأجور الأيدى العاملة العربية ، الأمــر الــذي يفســر الأهمية الخاصة التي يتمتع بها البترول العربي في المجال الدولي في انخفاض تكلفة الإنتاج في معظم الدول العربية (١٨).

وســوف يشهد العقد القادم زيادة في الطلب على النفط بنحو ١,٤ مليون برمــيل يومــياً ثلثيها من أوبك والآخر من خارجها ، ستكون الاستثماريات التراكمية حوالي ٧٠٠ مليار دولار ، مما يؤكد أن دول أوبك أقل تكلفة مما يتصــل بالاستكشــاف والــتطوير ، ونحن في الدول العربية لا نحتاج أن نســتثمر نصــف هذا المبلغ وستكون الاستثمارات في حدود خمس أو سدس هذا الرقم من الاستثمارات الكلية (١٩).

- تنتشــر معظــم الحقول العربية في نطاقات ساحلية تطل على مسطحات بحــرية تســتخدمها أهــم الطرق الملاحية البحرية في العالم ، إذ تتركز مــناطق البترول العربي الرئيسية على الجانبين الشمالي والغربي للخليج العربي ، وحول خليج السويس ، وبالقرب من ساحل البحر المتوسط في شــمال أفريقيا ، مما يمكن من نقل الإنتاج بسهولة وبتكاليف معقولة إلى مرافئ تصدير البترول تمهيداً لنقله إلى الأسواق العالمية ، وحتى الحقول البعيدة نسبياً على خط الساحل كما هي الحال بالنسبة لحقول شمال العراق ، وحقــول الجنوب والوسط في ليبيا والجزائر تم ربطها بمواني التصدير عن طريق شبكة ضخمة من الأنابيب (٢٠).
- يمتلك الوطن العربي احتياطياً هائلاً من البترول يتزايد بصورة عامة من عــام لآخر مع الاكتشافات البترولية المتتالية تقدر بنحو ٥٤% من جملة الاحتياطــي العالمي ، وقد أكسب حجم الاحتياطي المنطقة العربية أهمية خاصة حيث أصبحت محط أنظار القوى الكبرى ومحور اهتمامها خاصة بعد تناقص مخزون العديد من دول العالم المنتجة (٢١).

الإنتاج العربي للنفط وتوزيعه :

زاد الإنــتاج العربــي من النفط على ٢٩,٥% من إنتاج العالم للنفط عام ١٩٩٨ (أي نحــو ٢٤,٨ ملــيون برميل) بالإشتراك مع ماينتجه العرب من الغاز ، أصبح الوطن العربي يسهم بخمس إنتاج الطاقة في العالم (٢٢) ، ولا غــنى للعالم عن الإنتاج العربي ، حيث أن النمو الاقتصادي العالمي خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات أدى إلى عودة النمو في الطلب على البترول

،فــارتفع مـــن ٦٠ مليون برميل يومياً منتصف الثمانينيات إلى ٧٦ مليون برمـــيل يومياً حالياً ، ويتوقع الزيادة في الطلب العالمي خلال العشرين سنة القادمـــة لـــتزيد عن ١٢٠ مليون برميل يومياً ، وأن الدول العربية ستساهم بتلبية معظم الزيادة في الطلب العالمي ، حيث يقدر حجم الاحتياطي بحوالي ٦٤٥ملـــيار برمـــيل ، بينما تقدر نسبة الإنتاج إلى الاحتياطي المعروف في أمـــريكا بعشر سنوات وفي بحر الشمال بسبع سنوات وفي روسيا ٢١ سنة مقـــابل ٨٥ سنة في الوطن العربي ، ويعد معدلاً مرتفعاً ، حتى عند مقارنته بـــدول ومناطق ذات احتياطيات مرتفعة مثل فنزويلا ونيجيريا ومنطقة بحر قزوين [٢٣].

ويتضح من خلال الجدول رقم (٢) توزيع الإنتاج العربي للبترول العربي للبترول وما لديه من احتياطي كما يلي .

معدل إنتاج النفط إلى نسبة احتياطي النفط المؤكد
بالوطن العربى عام ١٩٩٩/٩٨

الدولـــــة	الاحتياطي بملايين البراميل ١٩٩٩	الإنتاج بملايين البراميل ١٩٩٨	القدرة علـــى الاستمرار بالسنوات
١ – السعودية	٢٦١٥٠٠	٨,٣٥	٨٥,٧٥
٢ – الإمارات	٩٧٨٠٠	٢,٢٨	١١٧,٣٩
٣ – العراق	١١٢٥٠٠	٢,١١	١٤٦,٣١
٤ – ليبيا	–	٢,١	–
٥ – الكويت	٩٦٥٠٠	٢,٠٧	١٢٧,٧
٦ – الجزائر	–	١,٠٩	–
٧ – عمان	٥٢٨٣	٠,٩٠	١٦,٠٧
٨ – مصر	٣٥٠٠	٠,٨٨	١٠,٨٦
٩ – قطر	٣٧٠٠	٠,٦٦	١٥,٣٦
١٠ – سوريا	٢٥٠٠	٠,٥٥	١٢,٣٨
١١ – اليمن	٤٠٠٠	٠,٣٨	٢٨,٥٩
١٢ – البحرين	١٦٠	٠,١١	٣,٩٩
١٣ – تونس	–	٠,٠٨	–
١٤ –العالم عدا الوطن العربي	١٠٣٤٦٦٩	٧٣,٢٠	٣٨,٧٣

المصدر : Oil And Gas Journal , 28 December , 1998 .

أولاً السـعودية : تتصـدر الدول العربية باحتياطي يزيد على ٣٥% من جملة الاحتياطي العربي (٢٤% من جملة الاحتياطي العالمي) ، كما تتصدره بإنـتاج ٨,٣٥ ملـيون برميل سنوياً ، ويتركز الإنتاج السعودي بالقرب من ساحل الخليج العربي ، مما أسهم في سهولة نقله إلى موانى التصدير المتمثلة في رأس تنورة ورأس الخفاجي ومرسى الجعيمة ومرسى الظلوف من خلال خـط أنابيـب عـبر الـبلاد العربية (التابلاين TAP Line) وخط أنابيب السعودية / البحرين .

وتضـم السعودية أكبر حقول العالم البرية شكل (٣٣) وهو الغوار ، ثم أبقيق والخرسانية والقطيف وأبو حدرية ومنيفة والفاضلي والدمام وخريص والوفـرة وفـوارس والجنوبي وجنوبي أم قدير وحرملية وبري ومعظمها يعمـل بالـتدفق الذاتي عدا عدد محدود يعمل بالضخ ، كما تضم السعودية حقـولاً كالسـفانية (أكـبر الحقول البحرية في العالم) وأبو سعفة والظلوف ومرجان والحوت والخفجي [٢٤] .

ثانياً : الإمارات : ثاني الدول العربية المنتجة (٢,٢٨ مليون برميل سنوياً) أي (٧و٧%) مـن الإنتاج العربي وتعد أبو ظبي أولى إمارات الإنتاج (٨١ %) وأهم حقولها مربان وأبوحيدو (أصاب) إلى جانب حقول بحرية أولها أم شايف وزاقوم وأبو البكوش ومبرز والبندق .

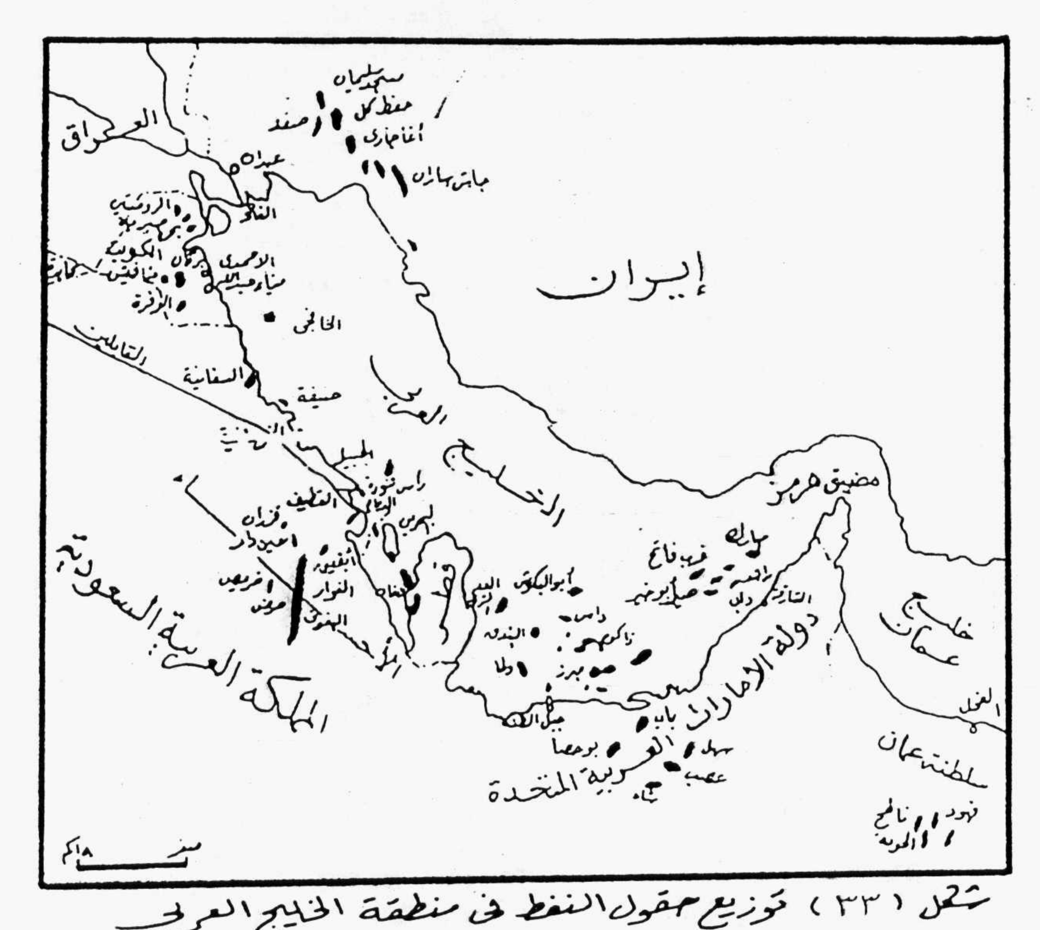
وتعـد دبـي ثانـي الإمارات بنحو (١٦%) من إنتاج الدولة بحقلي فاتح وراشـد ، كما يوجد كميات بترولية بإماراتي الشارقة ورأس الخيمة وتمتلك الإمارات احتياطياً يقدر بحوالي١٣%من الاحتياطي العربي .

ثالثاً : العراق : ومارست ضخ البترول بعد الحظر الاقتصادي عليها نتيجة حـرب الخليج الثانية تحت مظلة النفط مقابل الغذاء وبلغ الإنتاج العراقي (٢,١١ مليون برميل) عام ١٩٩٨ ، أي ٧,١٥% من جملة الإنتاج العربي ، ويتركز الإنتاج في خمس مناطق رئيسية كما فى الشكل (٣٤) .

١- مـنطقة كـركوك . وتضم حقول كركوك (أكبر وأقدم الحقول العراقية) وباى حسن وجمبور .

٢- منطقة الشمال . وتضم حقول عين زاله وبطمة .

٣- منطقة خانقين . وتضم حقلي خانقين وخانه .



شكل (٣٣) توزيع حقول النفط فى منطقة الخليج العربي

إيران
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العراقية
المملكة الأردنية الهاشمية
المملكة العربية السعودية
لبنان
فلسطين
البحر المتوسط
كركوك
بغداد
البصرة
الكويت
الحديثة
نفط خانة
الرميلة
خط التابلين
محايدة

شكل (٣٤) حقول النفط وخطوط الأنابيب بالعراق وسوريا

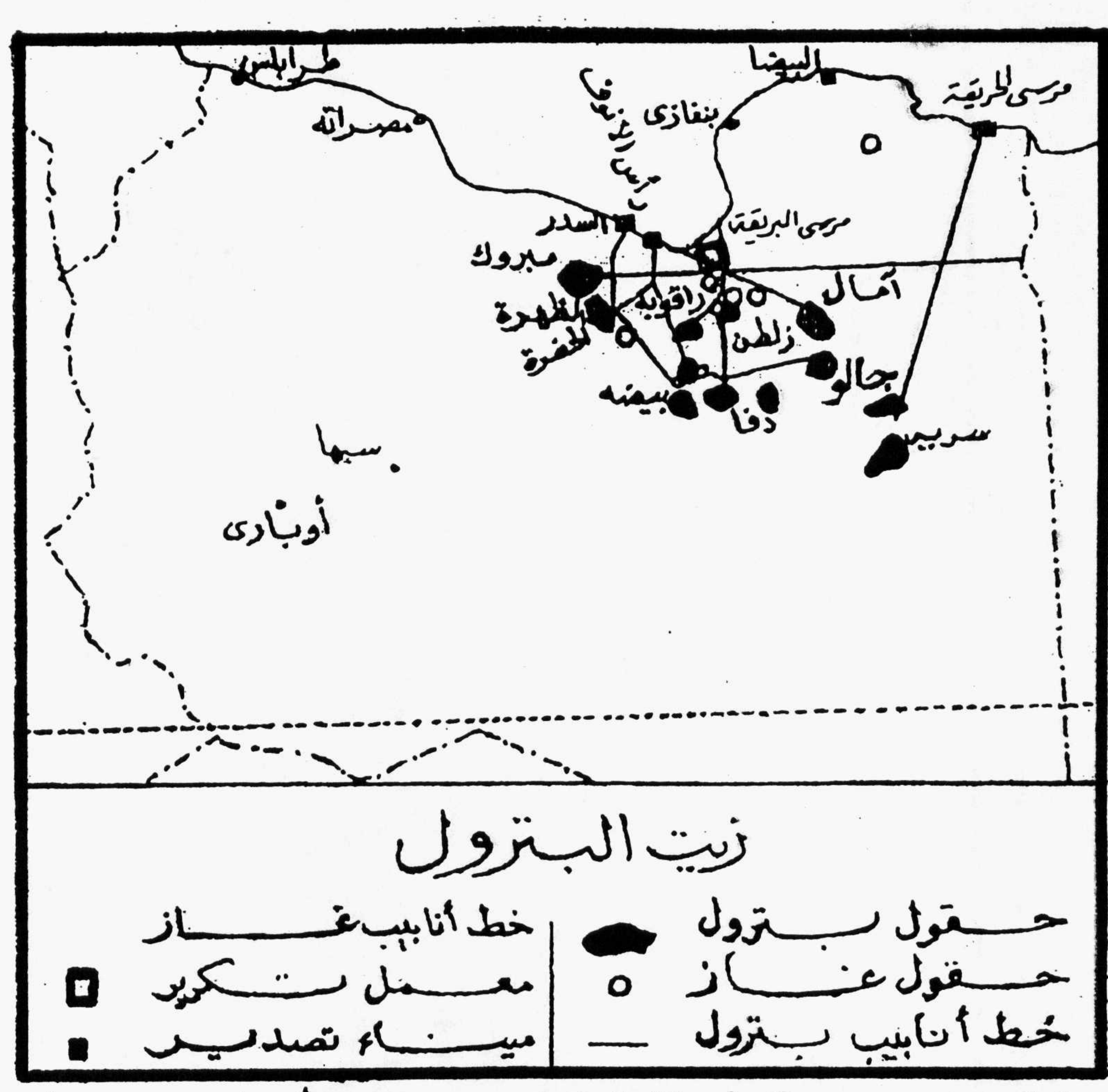
٤- منطقة الجنوب . وتضم حقول الرميلة والزبير .
٥- منطقة غرب كركوك . وتضم حقول قصب وجوان وبجمة والقيارة .

ويمثل الاحتياطي العراقي نحو ١١% من جملة الاحتياطي العربي و١٥ % من الاحتياطي العالمي بل هناك تقارير تبشر بزيادة الاحتياطى العراقى لينافس الاحتياطى السعودى .

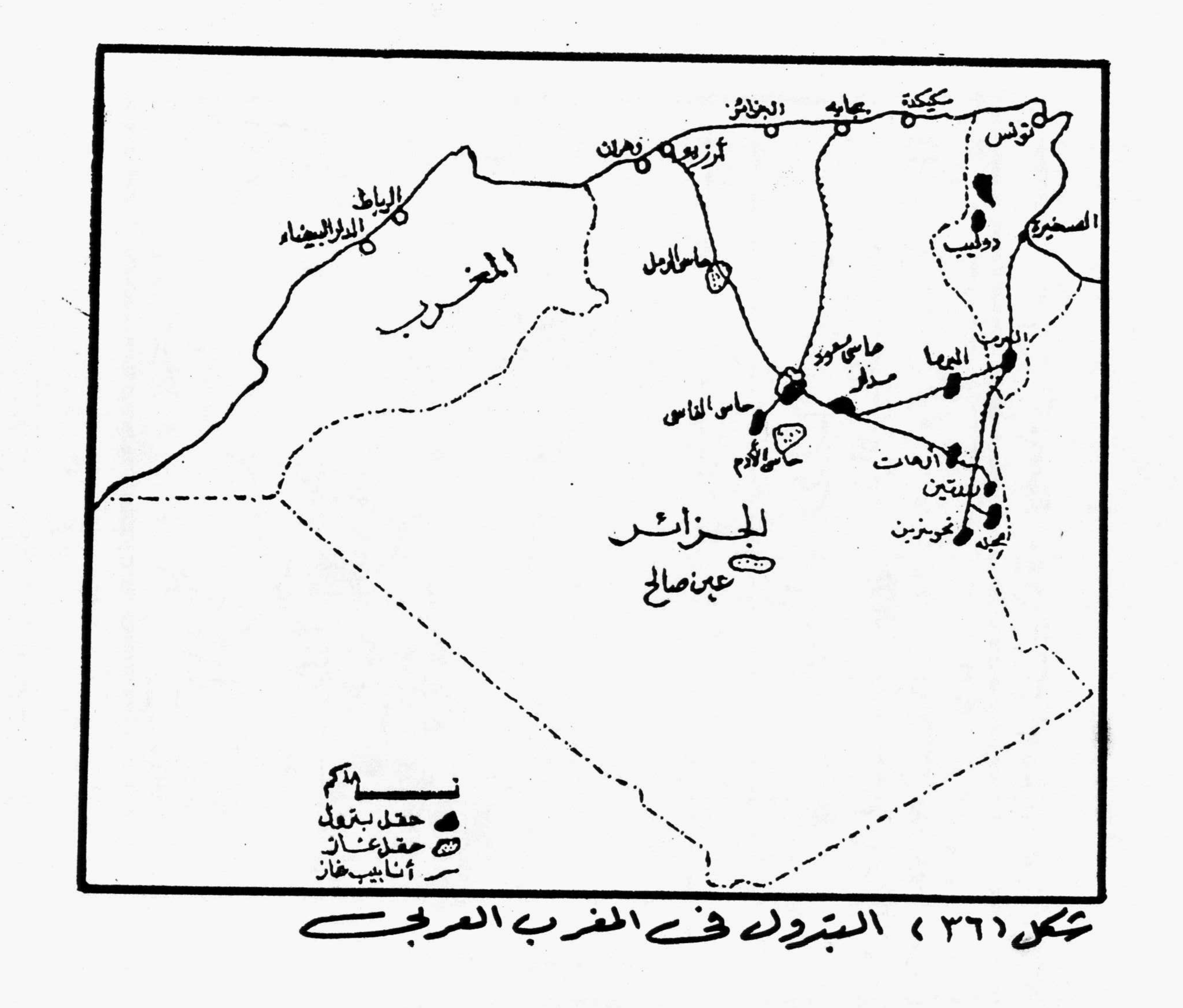
رابعاً : ليبيا : بلـغ الإنتاج الليبي عام ١٩٩٨ حوالي ٢,١ مليون برميل أو ٧,١% مـن الإنـتاج العربي . وتضم ليبيا عدة حقول كما فى الشكل (٣٥) أقدمهـا كـان الحفـرة (١٩٥٨) ثم زلطن والبيضا وآمال وماجد والضهرة والـراقوبة وجـالو وسـرير وجبل والعودة وسماح وزقوم ورالح وأم فرود والنافورة وراشد ولهيب وأوجلة والدور وانتصار وباهي وصحابي ومنصور ويقدر الاحتياطي للبترول الليبي بما يوازي ٨,١% من الاحتياطي العربي .

خامسـاً : الكويت : أنتجت ٢,٠٧ مليون برميل عام ١٩٩٨ أي ٧% من جملـة الإنتاج العربي وينتشر البترول بعدة حقول بعد اكتشافه بحقل البرقان عـام ١٩٣٨ مـثل الأحمدي والروضتين والبحرة والصابرية والمناقيش وأم قديـر ويـزيد والاحتياطي الكويتي من البترول على ٢٣% من الاحتياطي العربي ونحو ١٣% من الاحتياطي العالمي .

سادسا : الجزائر : وبلغ إنتاجه عام ١٩٩٨ (١,٠٩ مليون برميل) أي ٣,٧ % من جملة الإنتاج العربي وتتوزع إنتاج الجزائر كما فى الشكل (٣٦) في حقـول حاسـى مسعود والعقرب القاسي وعجيلة والعهانة الشمالي والعهانة الجنوبي وتان أمليل الشمالي وتان أمليل الجنوبي وتين موبية وورض البغل السـكارن والسـقايفات وغازي الطويل وغازي الطويل الشرقي وورض الـنورس وغشب وزرزارتين وغشب غرب وحاس مزولة جنوبي وحوض بـرقاوي والـنزلة الشـمالي وتين موبية الشمالي وتين طبنكورت ومصدار ومصـدارغرب والـنزلة شرقي وعديين [٢٥] . ويقدر الاحتياطي من بترول الجزائر بنحو ٣% من جملة الاحتياطي العربي .



شكل (٣٥) حقول الطاقة ومعامل التكرير بليبيا



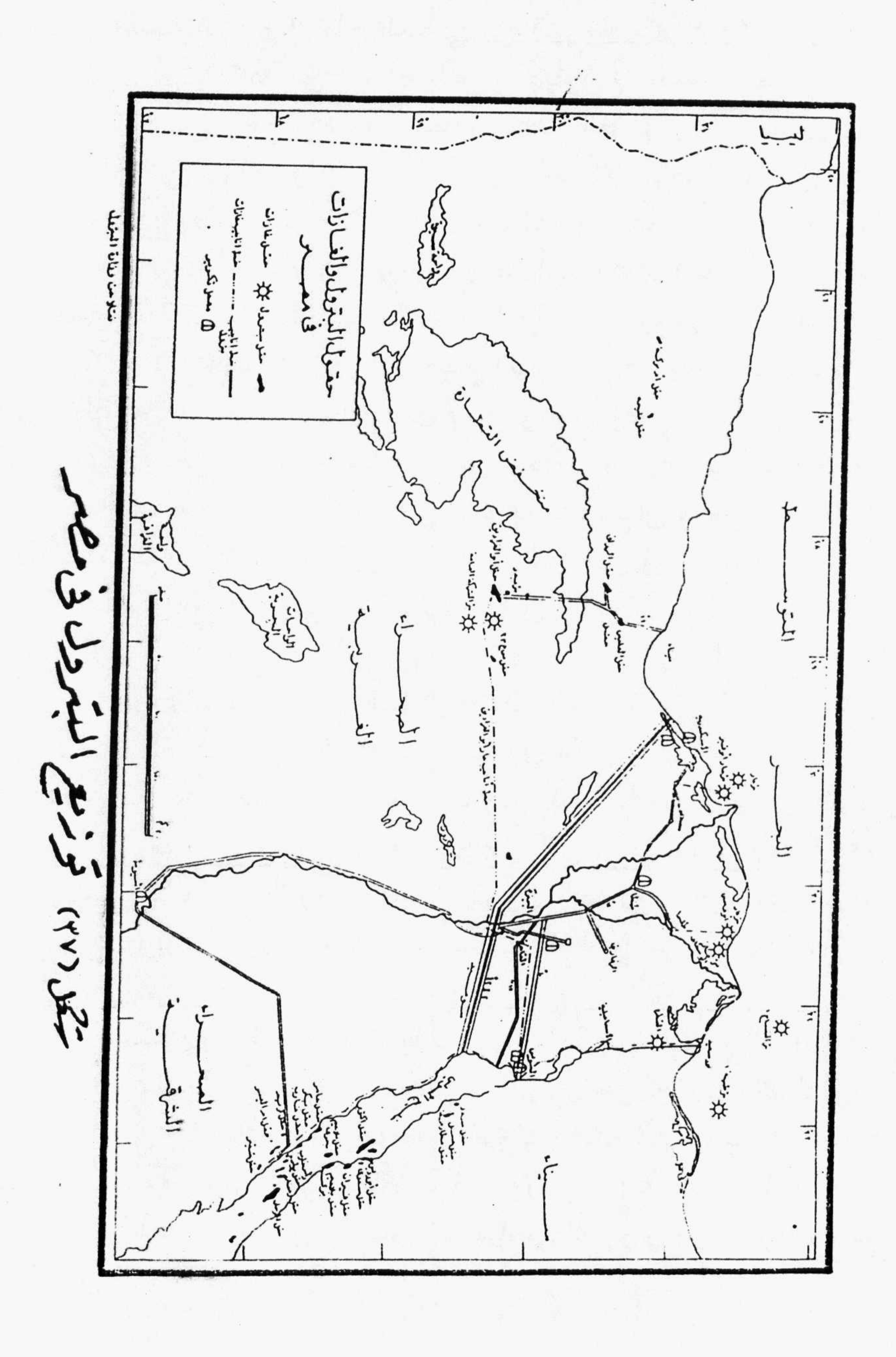
شكل (٣٦) البترول في المغرب العربي

سـابعاً : عمـان : بلغ الإنتاج العماني من البترول عام ١٩٩٨ نحو ٠,٩ مليون برميل أي ٣,١% من الإنتاج العربي ويتوزع البترول العماني على عدة حقول هي ناطح والفهود والجبل وناطح الغربي والهويسة ، ويقدر الاحتياطي العماني من البترول بنحو ١% من جملة الاحتياطي العربي .

ثامنا : مصر : وصل الإنتاج المصري من البترول عام ١٩٩٨ نحو ٣% من الإنتاج العربي (٠,٨٨ مليون برميل) وتعد أقدم الدول العربية في إنتاجه على نطاق تجاري من حقل جمسة (عام ١٩٠٨) ، ويتركز إنتاج البترول شكل (٣٧) . في مصر في حوض خليج السويس وهو يضم مجموعة من الحقول البرية على ساحل الخليج مثل سدر وعسل وفيران وبلاعيم وشقير وعامر وبكر وخير وأم اليسر وكريم ، أما الحقول البحرية في الخليج فهي أكتوبر وبلاعيم بحري ورأس فنار ويوليو ورمضان والمرجان والأمل والزيت ، كما تساهم الصحراء الغربية بحقول هي الرزاق ومليحة وبدما وأم بركة . ويقدر الاحتياطي المصري من البترول نحو ٣% من جملة الاحتياطي العربي .

تاسعا : قطر : وقدر الإنتاج القطري بنحو ٠,٦٦ مليون طن أو ٢,٢% من الإنتاج العربي عام ١٩٩٨وينتج البترول القطري من عدة حقول هي حقل دخان في غرب شبه جزيرة قطر ، وهو أكبر حقولها ، وينقل إنتاجه بالأنابيب إلى ميناء أم سعيد لشحنه للخارج ، إلى جانب حقول بحرية منها ميدام ومحزام والعدا الشرقي ويشحن بترول الحقول البحرية عن طريق مرسى في جزيرة حالول . ويقدر الاحتياطي القطري من البترول العربي نحو ١,٦٣% .

عاشراً : سوريا : ويقدر إنتاجها بنحو ١,٩% من الإنتاج العربي عام ١٩٩٨ (٠,٥٥ مليون طن) ويستخرج البترول من حقل كراتشوك وهو امتداد لحقل عين زالة بالعراق ، أما حقل السويداء فيقع في جنوب كراكشوك ، بينما يقع حقل جبيسة في شمال شرق سوريا ، ويقع حقل المالكية على مقربة من الحقل السابق . ويقدر الاحتياطي السوري من البترول بنحو ٠,٣٥% من الاحتياطي العربي .



شكل (٢٧) توزيع البترول في مصر

حادي عشر : اليمن : أنتجت نحو ١,٣% من الإنتاج العربي عام ١٩٩٨ (٠,٣٨ مليون طن) ويقدر احتياطي اليمن من البترول ٠,٦% من الاحتياطي العربي .

ثاني عشر : البحرين : وبلغ إنتاجها ٠,١١ مليون برميل أو ٠,٣٧% من إنتاج البترول العربي عام ١٩٩٨ . ويستخرج بترولها من حقل عوالى ولا يتعدى احتياطها البترولي ٠,١% من الاحتياطي العربي إلا أنها تضم واحداً مــن أكبر معامل تكرير البترول بالشرق الأوسط جعلها سادس دولة عربية من حيث تكرير البترول بعد السعودية والكويت والجزائر والعراق ومصر .

ثالــث عشــر : تونس : بلغ الإنتاج التونسي حوالي ٨٠ألف برميل عام ١٩٩٨ أو ٠,٢٧% من الإنتاج العربي واكتشف أولي حقولها عام ١٩٦٣ ، وهــو حقــل الــبرمة ثم حقل الدوليب وتامس ميد أو سيدي الأثيم وعشتار الــبحري ، ويــبلغ الاحتياطي التونسي من البترول نحو ٠,٧١% من جملة الاحتياطي العربي .

الطاقة التكريرية للبترول العربى :

لا تمثل الطاقة التكريرية العربية أكثر من ٨% من إجمالى طاقة التكرير علــى مستوى العالم ، والتى بدأت فى مصر ، والتى تعتبر أول بلد عربى وإفريقى بدأ فيه هذا النشاط ، وإن كانت البداية متواضعة عام ١٩١٣ بطاقة تكريــرية سنوية بلغت ١٢٠ ألف طن فقط ، وكان ٨٠% منها تابع لشركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية والباقى يمثل طاقة معمل التكرير الحكومى الذى كان يقوم بتكرير خام الإتاوة (٢٦) .

وتحــتل الســعودية : المركــز الأول فــى تكرير البترول العربى بطاقة تكريرية تزيد على المليون برميل يومياً ، بعد أن كانت الكويت تحتل المرتبة الأولــى فــى عام ١٩٧٤ . وتزيد معامل تكرير المملكة عن عشرة معامل لتكرير البترول أهمها .

- معمل تكرير رأس تنورة ويتبع شركة الزيوت العربية الأمريكية(أرامكو).
- معمل تكرير الخفجى ، ويتبع شركة الزيوت العربية المحدودة (اليابان) .
- معمل تكرير ميناء سعود ويتبع شركة جيتى للزيوت .
- معمــل تكريــر جدة وتملكه المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) وتبلغ طاقته ٣٣ ألف برميل يومياً .

- معمــل تكريـــر الرياض وتملكه أيضاً المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) .

الكويت : تضم ثلاثة معامل رئيسية لتكرير البترول بطاقة تزيد على ٦٠٠ ألف برميل يومياً وهى :

- معمل تكرير الأحمدى .. وزادت طاقته التكريرية على ٢٥٠ ألف برميل يومياً ، وهو من إنشاء شركة نفط الكويت المحدود عام ١٩٤٩ .
- معمــل تكرير ميناء عبد الله .. وأنشأته شركة الزيوت الأمريكية المستقلة عام ١٩٥٨ وتزيد طاقته التكريرية عن ٣٥٠ ألف برميل يومياً .
- معمل تكرير الشعيبة .. الذى بدأ إنتاجه فى إبريل ١٩٦٨ وطاقته اليومية تزيد على مائة ألف برميل .

العــراق : وتحتوى على ثمانية معامل لتكرير البترول وأغلبها متوقف الآن منذ حرب الخليج الثانية والتى دمروا تلف فيها العديد منها ، وكانت أهم هذه المعامل هى :

- معمــل الــدورة : وهو أكبر معامل التكرير العراقية ، حيث بلغت طاقته حوالى ٧٥ ألف برميل يومياً .
- معمل الواند : وكانت طاقته التكريرية ١٢,٥ ألف برميل يومياً .
- معمل القيارة : وكانت طاقته التكريرية ٢,٣ ألف برميل يومياً .
- معمل كركوك : وكانت طاقته التكريرية ٢,٣ ألف برميل يومياً .
- معمل الحديثة : وكانت طاقته التكريرية ٦,٥ ألف برميل يومياً .

وكانت الطاقة التكريرية العراقية تبلغ ٣٣٥ ألف برميل يومياً [٢٧] .

الإمــارات : تعد من المفارقات ، أنه رغم ضخامة الإنتاج الإماراتى للنفط الخــام إلا أن أبوظــبى ظلت تعتمد فى استهلاكها البترولى على المنتجات المكــررة المســتوردة من السعودية حتى شهر إبريل عام ١٩٧٦ ، حين تم افتــتاح معمــل أم النعيم لتكرير البترول بالقرب من مدينة أبوظبى ، وتقدر الطاقة التكريرية لهذا المعمل بنحو ١٥ ألف برميل يومياً .

كمــا افتتح معمل ثان فى الرويس وأصبحت الطاقة التكريرية فى الإمارات تزيد على ١٥٠ ألف برميل يومياً .

قطر : تضم قطر معملين لتكرير البترول هما :

- معمــل نــادكو القديــم : فــي أم السعيد وتمتلكه الشركة الوطنية لتوزيع المنــتجات البترولــية (نــادكو) وتعد طاقته التكريرية محدودة ، حيث لا تتجاوز ٦٨٠ برميل يومياً .

معمل التكرير الجديد .. في أم السعيد أيضاً ، وقامت على إنشائه شركتا نادكو وهدسن الهندسية ، بطاقة إنتاجية ٦٠٠٠ برميل يومياً .

البحريــن : أنشئ معمل كبير لتكرير البترول عام ١٩٣٦ ، ويعد الآن من أكبر المعامل في الشرق الأوسط ، إذ تبلغ طاقته التكريرية حوالى ٢٥٠ ألف برمــيل يومياً ، وتعتمد البحرين على البترول السعودى لكفاية طاقة التكرير البحرينية .

ســوريا : يوجــد بســوريا عدة معامل لتكرير البترول أهمها معمل تكرير حمص الذى أنشئ عام ١٩٥٩ ، بطاقة مليون طن مترى سنوياً ، وكان هذا المعمل يعتمد على بترول العراق ، إلا أنه اصبح يعتمد على الإنتاج السورى مــنذ عام ١٩٧١ ، وتبلغ طاقة التكرير اليومية فى سوريا ٢٥٠ ألف برميل يومياً .

الجزائــر : يوجــد فى الجزائر خمسة معامل تكرير للبترول أهمها المعامل التالية :

- معمل تكرير الحراك .. غرب الجزائر العاصمة وتبلغ طاقته السنوية نحو ٢,٥ مليون طن
- معمــل تكريــر حاسى مسعود .. وهو صغير لا تتعدى طاقة تكريره ٢٠٠ ألف طن سنوياً .

معمل تكرير أرزو .. وتقدر طاقته التكريرية بنحو ٣ مليون طن سنوياً[٢٨].

وتزيد الطاقة التكريرية للجزائر عن نصف مليون برميل يومياً . وتحتل المركــز الثالــث من حيث تكرير البترول فى الوطن العربى بعد السعودية والكويت .

ليبيا : وتمتلك ليبيا أربعة معامل لتكرير البترول أهمها معمل مرسى البريقة الذى أنشأته شركة أسو ستاندرد عام ١٩٦٤ وتبلغ طاقته التكريرية ١٠ آلاف برميل يومياً ، أما معمل الزاويا فتبلغ طاقته التكريرية ٥٠ ألف برميل يومياً ، وتزيد الطاقة التكريرية اليومية بليبيا عن ١٥٠ ألف برميل يومياً .

مصــر: يوجـد فــى مصــر ســتة معامل لتكرير البترول تملكها شركات الإســكندرية للبــترول والسويس لتصنيع البترول والنصر للبترول ، وتبلغ جملــة الطاقة التكريرية نحو ١٠ مليون طن سنوياً موزعة على أقاليم مصر المختلفة فى السويس ومسطرد وطنطا والإسكندرية والمكس وأسيوط .

تونــس : وتضم تونس معملاً لتكرير البترول فى مدينة بنزرت تم إنشاؤه عام ١٩٦٤ وتبلغ طاقته التكريرية ١,٦ مليون طن سنوياً .

المغــرب : وتضــم المغرب معملين وهما .. المحمدية وأنشئ عام ١٩٦١ وطاقــته الــتكريرية ٢,٣ مليون طن سنوياً ، إلى جانب معمل سيدي قاسم بطاقة تكريرية ٨٠٠ ألف طن سنوياً ، ويتم استيراد النفط من الخارج لكفاية الطاقة التكريرية للمعامل المغربية .

الغاز الطبيعي العربي :

صار الغاز الطبيعي من أهم مصادر الطاقة في الوقت الحاضر ، بعد أن أهدرت الدول العربية كميات هائلة منه ، ففي الفترة السابقة لم تستغل الدول العربية سوى ٢٠% من كميات الغاز الطبيعي المنبعثة من حقول البترول ، أمــا باقي الكمية فتحترق معظمها في الهواء دون استغلال [٢٩] ، أثناء إنتاج البترول ، وذلك لعدم إدراك لقيمته الاقتصادية ولصعوبة الاستفادة منه وكذلك لتعقد نقله ، ومكنت التكنولوجيا الحديثة في النقل وتسييل الغاز من الاستفادة منه بعد التغلب على هذه العقبات واعتبار الغاز من أقل مصادر الطاقة تلويثاً إلــى جانب أنه من أهم مصادر الطاقة لاحتوائه على وحدات حرارية أكثر ممــا فــي الفحم والبترول ذاته ، فطن الفحم يحتوي على ٢٧ مليون وحدة حرارية (British Btu thermal unit) ، وطن البترول ٤٥ مليون وحدة حــرارية Btu ، وطــن الغاز الطبيعي المصاحب ٩٠ مليون وحدة حرارية Btu [٣٠] .

وتجــدر الإشارة إلى أن معظم الغاز الطبيعي المنتج في العالم الآن يعد مرتــبطاً بإنــتاج البترول بل يأتي من حقول متخصصة ، إلا أن تكلفة نقل الغــاز مــرتفعة ، ويلزم لاستغلاله رأس مال ضخم كالبترول لاستثماره في البحــث والتنقيــب وحفــر الآبار ومد شبكات الأنابيب وإنشاء مستودعات التخزين وأجهزة التنقية وخزانات التخزين ومخازن التوزيع [٣١] .

إنتاج الغاز العربي وتوزيعه :

يـتدنى الإنــتاج العربي من الغاز الطبيعي إلى أقل من ٣% من الإنتاج العالمــي فــي وقت زاد فيه الإنتاج الروسي والأمريكي عن نصف الإنتاج العالمــي وإذا أضــيف لهما أوروبا ينحصر قرابة ثلاثة أرباع الإنتاج بهذه المناطق .

ويتمــيز توزيع الغاز الطبيعي العربي بالتركز ، حيث يتركز ثلثا الإنتاج في ثلاث دول فقط وهي الجزائر (٤١%) ثم قطر (١١,٨%) وليبيا (١١,٥ %) ويــنوزع الثلــث الباقي من الإنتاج على الإمارات والبحرين والكويت ومصر والعراق والسعودية وتونس [٣٢] .

لا يعــد ضــآلة الإنــتاج العربــي مــن الغاز الطبيعي معبراً من ضآلة الإمكانيات العربية منه ، ولكن ترجع ضآلة الإنتاج العربي إلى الإهمال منذ زمــن في الغاز الطبيعي وإحراقه للضعف التكنولوجي الذي يسئ استخدامه من جهة ومن جهة ثانية سيطرة النفط على الاهتمامات الاقتصادية العربية ، ومــن جهــة ثالثة الحاجة إلى رؤوس الأموال اللازمة للاستثمار فيه وهي باهظة في الحقيقة .

أهمية الاحتياطي العربي للغاز :

تكمن أهمية الغاز الطبيعي العربي فيما لديه من احتياطي مؤكد منه ، فمع توســيع حركة البحث والكشف والتنقيب في مناطق العالم المختلفة من أجل إضعاف تأثير النفط العربي على العالم الصناعي ، امتدت الاكتشافات لتغطي المــناطق المخــتلفة ســواء فــي الصين وفيتنام وماليزيا وبرما إلى اليمن والجــابون وكوبا ، بلغ الاحتياطي المؤكد عام ١٩٨٥ نحو ٩٦٢٠٠ مليون متر مكعب أي ٩١% من حجم احتياطي البترول ، ويبلغ معدل الاحتياطي / الإنتاج (العمر الزمني) ٥٧ سنة بعد السماح بإعادة الحقن في مقابل ٣٤ سنة للبــترول . وفــي الوقت الذي يتسم فيه احتياطي الغاز في الشرق الأوسط وأفريقيا لطول عمره ١٠٠ سنة ويزيد ذلك العمر في الاحتياطي العربي إلى ٢٠٠ سنة [٣٣] .

فــي حين بلغ الاحتياطي من الغاز لدى كتلة الكومنولث المستقلة ٤٠,٢١ % مــن الاحتياطـــي العالمي ، بلغ الاحتياطي العربي ٢٨,٥٢% ، كما بلغ احتياطي الأوبك نحو ثلث الاحتياطي العالمي .

زادت أهمـــية الاحتياطي العربي للغاز مع زيادة الطلب عليه لكونه طاقة نقـــية على البيئة ، مع ميزات متعددة في استخدامه في المولدات التي تعمل بطريقة الدورة المركبة ، التي تتمتع بكفاءة عالية في عمليات الإنتاج ، مما حـــدا بـــزيادة استهلاكه بدول الاتحاد الأوروبي بنسبة ١٠% سنوياً ، مقابل تراجع في حصة استهلاك أوروبا للنفط من ٤٣,٤% إلى ٤٢,١% من جملة الطاقة المستهلكة بها حتى عام ٢٠١٠ ، حسب توقعات (روبرت مايرو)[٣٤].

جدول رقم (٣)

العمر الاحتياطى للغاز الطبيعى للدول العربية المؤثرة

الدولة	عمر الاحتياطي المخزون بالسنوات
العراق	٢٨١٨
الكويت	٣٠٠٠
عمان	١٣٧
قطر	٦٩١
السعودية	١٦٢
الجزائر	٦٦
ليبيا	١٩٤
تونس	٣٧٥
إمارة أبو ظبي	٢٨٧
إمارة رأس الخيمة	٨٥٠
إيران	٧٦٢
تركيا	١٤٠

المصدر : petroleum economist , August , 1992 , P. 8 .

ويبيـــن الجـــدول رقـــم (٣) أهمية الاحتياطي وطول فترته لدى المنطقة العربية ، ولكن هناك تحديات تواجه صناعة الغاز العربي ومستقبله . أولها : الـــتكلفة الـــباهظة لتسييل الغاز حتى يمكن نقله واستخدامه ، ويحتاج ذلك لاســـتثمارات مالـــية كبيرة . ثم المنافسة الكبيرة من جانب الدول الأخرى ، إيـــران التي تستحوذ على تغذية منطقة آسيا الوسطى ، حيث يوجد خطوط أنابيـــب للغـــاز مع أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وأوكرانيا ، ناهيك عن أن

جنوب الصين عام ٢٠١٠ سوف يكون أضخم سوق للغاز في العالم ، ناهيك عما تغذى به روسيا الاتحادية دول الاتحاد الأوروبي (خمس) احتياجها [٣٥].

وقد أدى تطور المنافسة إلى تحد آخر ، وهو تسعير المتر المكعب من الغاز ، حيث تصر كل الدول العربية على اتفاقات طويلة الأجل يتم من خلالها تحديد سعر أدنى ، ولكن نجحت الاحتكارات النفطية ومستهلكوا الغاز في كسر هذا الموقف ، والإصرار على عدم الالتزام بسعر حد أدنى ، إنما ربط سعر الغاز بترمومتر برميل النفط الذى ستكون له آثار ضارة ، نظراً للتكاليف الضخمة في إقامة منشآت صناعة الغاز ، فتصبح مشروعات التسييل غير مجدية خلال السنوات العجاف [٣٦] .

تحديات الطاقة العربية

تعيش الأمة العربية في ظل نظام دولى جديد قوامه الرأسمالية وتطورها التقني المتقدم ، ويطمح في فرض نظام نفطي يتحكم فيه هو كمستهلك لا الأوبك والعرب كمنتج . والمعضلة الراهنة للنفط العربي ، أنه المورد الاستراتيجي لدى الأمة العربية ومحور الثروة والنهضة ، إلا أنه قد فقد الكثير من عناصر فاعليته بفعل الضعف الشديد للإرادة السياسية لدى منتجيه وفقدان الاستراتيجية النفطية المنسقة لديهم [٣٧] ، وتواجه الطاقة العربية عدة تحديات أهمها :

١- إضعاف الدول المستهلكة للإرادة العربية حتى لا تتحكم في سوق الطاقة :

وتعمل الجماعة الأوروبية وأتباعها لذلك ، حيث طرحت منذ عام ١٩٨٩ ضرورة قيام سوق موحدة أوروبية للطاقة من فيلاديفوستك إلى الأطلسى (الميثاق الأوروبي للطاقة) ، من أهداف هذه السوق ، تبادل المعلومات التقنية والتمويل وفتح المنافذ التسويقية المشتركة ، بالإضافة لترتيب التعامل المباشر مع الجمهوريات الإسلامية لإدخال إمكانياتها الهائلة من النفط والغاز إلى المنظومة الأوروبية الجديدة ، ويهمنا هنا ما قاله السنيور كاجلياري (منظر الميثاق الأوروبي للطاقة) في ندوة عقدت بمركز لندن لدراسات الطاقة عام ١٩٩٠ : "إن النفط والغاز لدول الكومنولث المستقلة يمكنها تغطية الجزء الأعظم من احتياجات القارة الأوروبية ، مما يضع بذلك نهاية

للاعتماد على نفط الشرق الأوسط ، ومن تهميش Marginalize دور منظمة الأوبك ، فالكومنولث قادر على إنتاج ١٨ مليون برميل من النفط يومياً ، وحوالي ١٠٠ مليار متر مكعب من الغاز ، وفي ظل هذه الفاعلية سترضخ دول الشرق الأوسط لقبول نظام نفطي أوروبي وبشروطنا" [٣٨] .

وقد سعت وتسعى الدول الأوروبية الصناعية لإضعاف الموقف العربي واستخدام سلاح الطاقة من خلال عدة خطوات أهمها :

* السيطرة على عملية التسعير لبرميل النفط والمتر المكعب من الغاز من قبل المستهلكين من خلال الأسواق الورقية Paper oil تلعب فيها الاحتكارات النفطية والبنوك وبيوت الاستثمار الدور الأكبر في تحديد الأسعار ، ما يعني أن التقلبات السعرية أصبحت حادة ومفاجئة وانتهت خرافة العرض والطلب وانتقلت قضية التسعير إلى برصة خام برنت Brent (نفط بحر الشمال) بلندن ، علماً بأن الاحتكارات النفطية قد ربطت برميل النفط العربي بحركة سعر النفط المنتج من إحدى المراكز الرأسمالية ، بالرغم من أن الكمية المستخرجة منه (البرنت) لا تساوي ١: ١٠ من النفط المستخرج من دولة واحدة عربية هي السعودية .

وقد سعت الدول الأوروبية إلى تطويق امتداد الخطوط التسويقية للدول العربية للمناطق الواعدة ، مثل جنوب شرق آسيا ، وهي منطقة الامتداد الطبيعي للنفط العربي ، ويصل الاستهلاك اليومي لليابان وحدها أكثر من ٤ مليون برميل/يوم ، والاستهلاك اليومي لكوريا الجنوبية أكثر من ٩٠٠ ألف برميل/يوم ، أما معدل الزيادة السنوي لليابان من استهلاكها فهو ٥% وعند كوريا ٩% وعند ماليزيا ٩% وعند تايوان ٥,٢% ، ومع بداية السعودية والكويت وإيران في النفاذ بالنفط الخام والمشتقات البترولية لمنطقة جنوب شرق آسيا ، فإن الاحتكارات النفطية كانت تراقب الموقف ، وتنسق جهودها لاحتكار عمليات توريد النفط إلى مصافي التكرير في سنغافورة ، وهي مركز التكرير الرئيسي لجنوب شرق آسيا [٣٩] .

* عمل الغرب جاهداً للسيطرة على الوسائل الإعلامية المؤثرة في صناعة النفط والغاز ، مثل المجلات والنشرات والتقارير اليومية والأسبوعية التي تبث اتجاهات السوق والأسعار ، وتقدم الرؤى التحليلية لمصالح الاحتكارات

النفطية وتوجيهها نحو المسارات التي تضعف من الموقف التفاوضي للدول العربية المنتجة للنفط والغاز .

فمــع ارتفاع أسعار النفط العالمية توجه أجهزة الأعلام الأوساط السياسية فـي الدول المستهلكة سبل اتهاماتها إلى منظمة أوبك لتحولها إلى كبش فداء وجعلهـا مسـئولة مسئولية أساسية عن ارتفاع الأسعار ، ويتم الضغط على أوبـك ودفعها لضخ المزيد من الإنتاج لخفض الأسعار ، ولكن مع كل مرة تـرتفع فيها الأسعار تتضاعف أرباح الشركات الغربية العملاقة التى تجني وبهدوء أرباحاً طائلة تترتب على الارتفاع وهي أرباح في كثير من الأحيان الفوائـد التي تجنيها الأوبك ، كما تغض الدول المستهلكة أنظارها عن هذه الشـركات التـي تمرر إلى المستهلكين أي ارتفاع يحدث في أسعار الخام ، لكـنها تحجب عنهم أي انخفاض يطرأ عليها والمتتبع لمسار شركتي أكسون موبل وشيفرون حيث استطاعتا مضاعفة أرباحهما في أعقاب ارتفاع أسعار النفط ، وقد أكدت منظمة أوبك أن شركات النفط الكبرى في مجموعة الدول الصـناعية السبع تجني وحدها أرباحاً من تكرير النفط تصل إلى ٢٦% من سـعر الوقـود بالمقارنة مع إيرادات البلدان المصدرة للنفط الخام ، التي لا تـتجاوز ٢٥% مـن هـذا السعر الحقيقي ، في حين يذهب الباقي في شكل ضـرائب ورسـوم تجنيها حكومات الدول المستهلكة ، لذا يمكن القول بأن الهجـوم علـى أوبك من حين إلى آخر باعتبارها مسئولة بشكل مباشر عن أسعار الوقود يعتمد على معطيات غير دقيقة لا تأخذ بعين الاعتبار الأرباح التـي تجنـيها شركات النفط الكبرى من عمليات التكرير ، وتتجاهل حجم الضرائب التي تفرضها حكومات الدول المستهلكة (٤٠) .

فقـد فرض ميثاق الطاقة الأوروبي على منتجى النفط ما يسمى "بضريبة الكـربون" منذ عام ١٩٩٢ بصورة متدرجة ، حيث تبدأ الضريبة بما يعادل حرارياً برميلاً من النفط إلى ٣دولارات للزيت الخام و٢,٦٣ دولاراً للغاز ، ٠,٤٣ دولاراً للفحـم ، ثم ترتفع الضريبة سنوياً بمقدار ثلث رقم الأساس ، وقـد قدرت مصادر الاتحاد الأوروبي الزيادة في دخل دول الاتحاد من هذه الضريبة بنحو ١١% بينما قدرت أجهزة منظمة أوبك مجموع خسائر الدول المنـتجة حتى عام ٢٠١٠ بحوالى ١٧٥ بليون دولار مقدرة بسعر البرميل عام ١٩٩٢ (٤١) .

٢- العجز العربي في مواجهة التطورات العالمية لسوق الطاقة: تشهد منظمة أوبك ضعفاً بين دولها وعدم التجانس ، بنشوب ما أشبه الحرب بين بعض الدول المنتجة لها واتساع رقعة الانقسام بين الأعضاء ، وخروج العديد من الدول المؤثرة عن الإجماع ، وسيادة الغش في الحصص ، وتحويل كل دولة لممارسة لعبتها الخاصة في الإنتاج والتسويق والبيع (٤٢) .

وتتميز دول الأوبك وغيرها العربية المنتجة للنفط والغاز بعدم التحكم الكامل في مسألة "نقل التقنية المتقدمة" في إنتاج النفط أو البحث والتنقيب عنه ، وهو ما أدى على سبيل المثال - بدولة الجزائر التي لديها إمكانيات نفطية كبيرة إلى أن تعاني من تدهور إنتاجية الحقول ، بسبب تقادم أساليب الإنتاج وحجب الوسائل الجديدة عنها ، خصوصاً في ظل التقنية المعقدة المستخدمة حالياً ، وتعرف باسم (الحفر الأفقي Horizontal Drilling) ، والتي أدت لزيادة إنتاجية الحقول القديمة بشكل هائل ، كما طور العالم الصناعي تقنية التكرير ، بحيث أصبحت مصافي التكرير في روتردام قادرة على هضم أي نوع يقدم إليها ، سواء كان نفط متدني من النوعية أو مرتفع الكبريت والرصاص ، فتحوله لمشتقات نفطية خفيفة (مقطرة ممتازة) ، وهي عكس المعمول بها في كافة المصافي الموجودة في الوطن العربي ، أو حتى على مستوى العالم الثالث ، الذي لا يعرف سوى مصافي تكرير ذات تقنية محدودة (٤٣) .

فإذا استعرضنا أوضاع صناعة التكرير على مستوى الوطن العربي ، نجد أن عدد المصافي بلغ ٦٠ مصفاة يمكنها إنتاج ٦ ملايين برميل ، ويمثل ذلك ٣٠% من إجمالي إنتاج النفط الخام ، ورغم ذلك فإن هذه الطاقة التكريرية تمثل ٨% من إجمالي طاقة التكرير على مستوى العالم ، وهي إمكانية ضئيلة ، حيث يبلغ نصيب شرق آسيا مثلاً ٢٠% وأوروبا ١٩% ، ورغم ذلك فإن التحدى الأهم هو تراجع التقنية ، ومن ثم انخفاض الطلب على زيوت الوقود الثقيلة نتيجة الآليات الصارمة للحفاظ على البيئة (٤٤) .

٣-التربص الصهيوني بالطاقة العربية: (٤٥)

تقف إسرائيل موقف المتربص الذي يسيل لعابه والمتعطش لاستغلال الطاقة العربية التي عن يمينه والسوق الغربية الرائجة التي عن شماله ،

محـــاولاً الاســـتفادة بـــالموقع الجغرافي الممتاز لفلسطين المطل على البحر الأحمـــر والـــبحر المتوسط ومن موقع القلب من مسارات البترول القادم من مـــنطقة الخلـــيج العربـــي ، والمتجهة إلى دول القارة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا .

وقد استغلت إسرائيل فرصة "التطبيع" لكي تحصل من كعكة العرب على النصـــيب الأكبر ، وبدأت نشاطها الأكبر مع توقيع اتفاقية "أوسلو" وفي عهد رئـــيس الـــوزراء الأســـبق شيمون بيريز الذي كان القوة الدافعة وراء تلك المشـــروعات ، حـــتى جاءت حكومة الليكود وتعرقلت مسيرة الاستراتيجية الإســـرائيلية نحـــو التطبـــيع النفطـــي مـــع العـــرب . ولنا أن نلخص هذه الاستراتيجية في عدة نقاط :

*حاولـــت إســـرائيل إقامـــة شبكة من خطوط الأنابيب لنقل البترول العربي بواسطتها : وسعت في مشروع تجميع خطوط أنابيب نقل البترول من منطقة الخليج العربي إلى إيلات ، حسب دراسة جدعون فيشلسون (صندوق أرماند هافر للتعاون في الشرق الأوسط) ، الذي قال : "إن البترول العربي أهم مادة خـــام فـــي الشرق الأوسط ، وتمثل عملية نقل النفط من الخليج العربي إلى أمـــريكا الشـــمالية وأوروبا حجماً كبيراً من سوق النقل ، ومن ثم فإن عائد النفط يجب تقسيم فوائده على كل الدول الموجودة في منطقة الشرق الأوسط" وطـــرح مشـــروعه الذي يتلخص في .. مد خطوط أنابيب تربط بين إيلات وحقول الكويت والسعودية والإمارات وعمان ، إلى جانب تشغيل وتمديد خط التابلاين القديم والذي كان يخترق سوريا إلى حيفا ، أي تتحول منطقة إيلات / العقـــبة إلى مركز تجميع ثم تتجه بخط رئيسي حتى ميناء غزة الفلسطيني تحـــت الســـيادة الإســـرائيلية ، وقدرت عائدات المشروع بنحو ٨٠٠ مليون دولار ســـنوياً بطاقـــة تشـــغيل ٨٠ ملـــيون طن سنوياً . وقد حددت مزايا المشروع من وجهة النظر الإسرائيلية في : أن المشروع سيعمل على التنمية الاقتصـــادية والتعاون الإقليمي بين الأردن وإسرائيل وقطاع غزة ، كما أن المشـــروع سيســـاعد إسرائيل على الاستفادة من موقعها الاستراتيجي ، فلا تـــترك الساحة خالية أمام "مصر" التي تمتلك قناة السويس ولديها خط أنابيب "ســـوميد" كما هاجمت دراسة فيشلسون أيضا فكرة محاربة إقامة خط أنابيب

لنقل النفط العراقي عبر ميناء العقبة الأردني أو أن تكون الأردن هي منطقة وبؤرة تجميع لجزء من النفط العربي .

وقد حاولت : إسرائيل من قبل هذا المشروع (فيشلستون) أضعاف دور قناة السويس المصرية ، ففي عام ١٩٧٦ أقامتا إسرائيل وإيران خط طوله ٢٥٤كم كبديل لقناة السويس ولنقل البترول الإيراني إلى مصافي التكرير الرومانية ، ولكنه توقف بسبب نجاح مصر في تنفيذ مشروع مضاد وهو خط أنابيب سوميد . ولكن منذ عام ١٩٩٠ أعادت إسرائيل تشغيل الخط لتموين مصافي التكرير الإسرائيلية في حيفا وأشدود وعسقلان بالبترول الخام ، وفي أعقاب اتفاقية أوسلو بدأت إسرائيل توسيع خط الأنابيب ليتمكن من نقل مليون ومائتي ألف برميل من النفط يومياً بدلاً من ٩٠٠ ألف برميل / يوم ، وقد تكالبت الشركات الدولية المتخصصة في تجارة البترول لاستخدام خط إيلات / عسقلان ، خاصة في نقل البترول الإيراني ، بل أنها نقلت من خلاله النفط المصري العالي الكبريت ، مثل خام رأس غارب ؛ لأن خط أنابيب "سوميد" مصمم فقط لنقل الخامات قليلة الكبريت . وقد أعرب رئيس الوحدة الاقتصادية بهيئة قناة السويس آنذاك بأن تشغيل خط أنابيب إيلات/عسقلان "منافس خطير" لخط سوميد وقناة السويس ، خاصة لو أعتمد عليه الإيرانيون في نقل وتسويق بترولهم لدى أوروبا وأمريكا الشمالية وحتى أواخر التسعينيات فأوصت إيران إسرائيل لاستعادة ملكية إيران لخط الأنابيب ، وطالبت بحصتها كاملة في الملكية والتشغيل والتي تبلغ خمسين بالمائة .

تمكنت إسرائيل مع تراجع المقاطعة العربية من تطوير معامل تكريرها خلال الثمانينيات والتسعينيات من خلال التشغيل لحساب الغير والمشاركة في التشغيل ، مما جعلها مركزاً في حركة التداول لمنتجات بترول الشرق ، ولكن لصغر حجمها والتشديد الشرعي في مجال البيئة وحمايتها من التلوث عمدت نحو إقامة مشروعات لصالحها خارج الكيان الصهيوني ، كانت البداية مشروع مصفاة التكرير المشتركة مع مصر "ميدور" غرب الإسكندرية وتقدمت الفكرة بعد تعسرها في أعقاب توقيع اتفاقية أوسلو ، واستهدف المشروع تكرير ١٠٠ ألف برميل يومياً بتكلفه قدرها مليار دولار ، وسار المشروع في خطوات دقيقة "مع مسيرة السلام" حتى أخذت

إجــراءات تمهيد الأرض بدءاً لإقامة المصفاة ذاتها ليكون المشروع جاهزاً حــتى عــام ١٩٩٨ حسب المفترض ولدى إسرائيل عدة مشروعات أخرى عرضــتها على رأسها إقامة مصفاة تكرير مشتركة مع الأردن وآخرى مع إريتريا ولكنها تعثرت مؤقتاً مع مجئ حكومة الليكود للحكم .

ســعت إسرائيل لاستغلال الغاز الطبيعي في منطقة الشرق الأوسط الذي يمثل ثلث احتياطي العالم والغير مستخدم بطريقة تجارية حتى الآن ولضمان حصــولها علــى طاقة نفطية ، ولذلك طمحت إسرائيل في أن تكون مركزاً لتجميع وتسويق الغاز في الشرق الأوسط وبشروطها .

فقــد طرحــت إسرائيل على مصر مشروع خط أنابيب الغاز المصري الإســرائيلي Trans Gas مــنذ عام ١٩٨٩ ، وتقوم فكرة المشروع على : تجمــيع الغــاز من حقول شمال الدلتا ويبدأ خط أنبوب الغاز من مدينة بور فؤاد ، ثم شمال سيناء حتى مستوطنة "كريم شالوم" ، ثم يأخذ خطاً فرعياً إلى مدينة بئر سبع لتغذية محطات الكهرباء والمصانع فى مستوطنتى روش بينا "وناحــال بــيكا" بصحراء النقب ، ثم مدينة أشدود بطول ٧٠ كم ، ثم يتجه شــمال غــزة لتموين محطة كهرباء "الزيتيم" ويتكلف المشروع ٥٠٠ مليون دولار ، وتحصــل إسرائيل على ٢٥٠ مليون قدم مكعب يومياً ، ومن فوائد المشــروع أن الفــرق فــى تكلفة النقل عبر أنبوب الغاز ، أو نقله بواسطة البواخر يحقق خفضاً قدره ٢٣ دولاراً فى الطن الواحد ، وقد أعلنت إسرائيل أن المشــروع يستهدف المرور بالغاز إلى لبنان ، ومنه إلى تركيا ، ثم يعبر البوسفور نحو جنوب أوروبا .

ورغــم الجدل الكبير بين الأوساط العلمية والسياسية في مصر حول بيع الغاز المصري لإسرائيل ، لأن حجم الاحتياطي المصري قد قدر بنحو ٢١ تريليون قدم مكعب فقط فى ذلك الوقت مقابل ٥٠٠ تريليون في قطر ، ٦٠٠ تريلــيون بإيران و ١٢٨ تريليون بالجزائر ، و ٢٠٠٠ تريليون بروسيا ، إلا أن المشروع مضى قدماً بسب الضغوط الإسرائيلية للتطبيع مع مصر .

كانــت المفاجأة عندما أعلن في مؤتمر القمة الاقتصادية بعمان في نوفمبر ١٩٩٥ ، توقــيع اتفــاق إسرائيلي/أمريكي/قطري ، من خلال مشروع تبلغ تكلفــته ٤ملــيارات دولار بحصول إسرائيل على الغاز من قطر ، وهو ما أصــاب مســئولي قطاع البترول المصري بالارتباك ، والدهشة خاصة وأن

الإعـــلان عن الاتفاق جاء في ذروة المفاوضات المصرية الإسرائيلية لتقرير السعر الذي سيباع به الغاز المصري لإسرائيل .. وفي حقيقة الأمر قد أضر المشروع القطري الموقف المصري في اتجاهين :

الأول : اسـتقواء موقــف المفــاوض الإسرائيلي تجاه مسألة تسعير الغاز المصري المتجه لإسرائيل .

الثاني : حرمان مصر من مرور بواخر الغاز القطري عبر قناة السويس ، لأن الـبواخر سـتقوم بـتفريغ حمولـتها فـي محطة التجميع والتفريغ في العقـبة/ايـلات ، وتلـك خسارة كبيرة لقناة السويس فاضطرت القناة لمنح حكومــة قطر تخفيضاً في رسوم العبور لأي بواخر تحمل غازاً قطرياً قدره ٣٥% عن الرسوم المعتادة .

جاءت في ظل هذا المناخ المشحون "**المفاجأة الحقيقية**" التي لم تكن في حسبان الأطراف العربية الأخرى ، والتي تصورت أن الفائدة ستعم - كانت المفاجأة هي الكشف عن وجود مفاوضات منذ قبل عامين من ذلك الحين بين هيـئة الطاقــة الإسرائيلية وبين شركة "بوتاش" التركية ؛ لإقامة أنبوب من الغــاز يبدأ من روسيا ويخترق ست مدن تركية بطول ١٤٠٠كم ، ثم يعبر الغــاز لإسرائيل بواسطة بواخر أو يرتبط بالخط المصري/الإسرائيلي الذي ينطلق عبر لبنان لسوريا وتركيا ، تصل تكلفة المشروع ٣ مليار وأربعمائة ألــف دولار ، وقــد تعــثرت المفاوضـــات بســب وجـــود الحكومـــة الإسلامية/العلمانية آنذاك .

وأشــارت بعــض التوقعات عن رغبة إسرائيل في ربط غاز تبوك بخط يــتجه إلى العقبة ، وهناك مشروع إسرائيلي آخر لإقناع اليمن بتمرير الغاز حديث الظهور بها (١٣ تريليون قدم مكعب) عبر محطة التجميع الإسرائيلية ومــنها إلى أوروبا ولنا بعد ذلك أن نتساءل .. في ظل التطبيع بين العرب وإســرائيل . هــل تستطيع الحكومات العربية مجاراة المناورات والمفاجآت والطموحــات والأطمــاع والضــربات الإسرائيلية ؟ أم أن إسرائيل ستفوز بنصيب الأسد من الكعكة ؟ .

٤- العجز العربي عن وضع تصور آمن لمستقبل طاقته :

تعــد أخطــر الأمور على مستقبل الطاقة العربية هو غياب استراتيجية عربية نفطية منسقة ، تتعامل بكفاءة مع المتغيرات والتحديات ؛ لأن الإرادة

السياســية غائــبة والوحـــدة أو الـــتكامل الاقتصادي والصناعي والزراعي والتكنولوجي يكاد يكون غير موجود ، لم يحقق النفط والغاز بالوطن العربي مـــا هو مأمون ؛ ليرضي طموحات الشعوب العربية ، فلقد ذهبت الفوائض المالــية النفطــية إلــى قطــاع المـــال والفندقة الفاخرة وتجارة الواردات والصناعات الخفيفة ، بل أن خمساً من هذه الفوائض هي التي تستثمر داخل الوطن العربي ، والباقي خارجه (٤٦) .

والأخطــر مما سبق هو ما سوف يتعرض له النفط العربي خلال العقود القادمـــة ، وهو اتفاق الدول الصناعية مع الاحتكارات النفطية الدولية على اجبار الدول المنتجة للنفط على "بيع" احتياطيها المخزون في باطن الأرض وذلــك للسيطرة عليها للأبد .. ويقول السنيور كاجلياري Cagliari رئيس شــركة إنـــي Eni الإيطالية : "إن استقرار صناعة النفط في العالم يتطلب الـــتحكم الشامل والكامل لأبعاد السوق النفطية ، وطرح التصورات الخلاقة لذلك . وهذا الاستقرار يأتي من اتساع حركة التجارة الدولية في الاحتياطي النفطي المدفون في باطن الأرض" (٤٧) .

وبدأت تلك السياسات منذ عدة سنوات وبهدوء وعلى نطاق ضيق ، ومن خـــلال تعتـــيم إعلامـــي ، ففي نيجيريا قامت الهيئة النفطية ببيع جزء من الاحتياطي يساوي ٢,٥ مليار دولار لشركة أجيب .Agip الإيطالية إلى شل الهولـــندية وإلى إلف أكيتان الفرنسية ، أما أنجولا فقد باعت نحو ١٥% من احتياطـــيها لشركة شيفرون الأمريكية وإلف أكيتان الفرنسية ، وتتراوح قيمة برمـــيل الـــنفط مـــن الاحتياطي مابين ١٠,٥ دولار حسب درجة نقاء الخام وكثافـــته في الحقل بباطن الأرض .. ويطلق على هذه النوعية من الصفقات "مـــيجا Mega Deals" ولكن بعد حرب الخليج الثانية تقدمت الاحتكارات الدولية نحو منطقة الشرق الأوسط ، ووجهت رأس الحربة للجزائر ، حيث ضغطت شركة توتال الفرنسية Total وأجيب الإيطالية لشراء ما بين ١٠-٢٥% من الاحتياطي النفطي الجزائري مقابل ٧ مليارات دولار حتى تتمكن الجزائر من تغطية جزء من مديونيتها . كما قامت عدة مؤسسات مالية دولية متخصصة في تمويل تجارة النفط العالمية ومشتقاتها بإصدار سندات وأوراق مالـــية مضـــمونة لتمويل شراء النفط امدة ٥ سنوات تالية بسعر نفط ثابت للبرميل من يوم التعاقد على شراء الورقة المالية (٤٨) .

الفصل العاشر
الإنتاج الصناعي
فى
الوطن العربي

الإنتاج الصناعي فى الوطن العربي

بـدأت الصناعة العربية في مستهل القرن التاسع عشر على درجة كبيرة مـن الـتأخر ، فقـد اقتصرت على تزويد السكان بالضروريات الأولية من الغـذاء والكساء والأدوات المنزلية ولم تكن هناك صناعات تحويلية تتطلب استخدام عدد أو آلات معقدة الصنع ، أو قوى محركة ، سوى القوة العضلية والمواشي ، وظل هذا الحال حتى ظهر "محمد على" على ولاية مصر ، وبدأ تنشـيط الصناعة لغرض حربي ، غير أن تلك الصناعات ما لبثت أن زالت بـزوال نفوذ محمد على وقوقعته داخل حدوده الأولى مرة ثانية بفعل القوى الأجنبية خاصة إنجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت .

أتاحت ظروف التدهور العظيم للصناعة في مصر والوطن العربي أجمع فرصـة كاملة للبضائع الأجنبية لأن تجد سوقاً عربية متسعة حسبما رسمت القـوى الأجنبـية ، وروج الاسـتعمار لفكرة أن الوطن العربي لا تتوفر له مقومـات للصناعة ، تضافرت عوامل كثيرة اقتصادية وسياسية واجتماعية فـي مستهل القرن العشرين — خاصة بعد الحرب العالمية الأولى — لوضع الأسس الأولية للصناعات لآلية في الوطن العربي منها : النقص الذي عانته هـذه الـدول في كثير من السلع التي كانت تأتيها من الخارج نظراً لتوقف حـركة السـفن والتجارة الخارجية أثناء الحرب ، ذلك إلى جانب كثير من التغيرات الإدارية التي حدثت عقب هذه الحرب ، فقد أصبحت دول المنطقة بعـد زوال السـيادة العثمانـية عليها أقدر على استعمال الرسوم الجمركية كوسيلة لحماية بعض الصناعات المحلية .

ويعتـبر عام ١٩٣٠ الذي تخلصت فيه مصر وسوريا ولبنان من النظام الجمركـي السابق ، هو عام مشهود بالنسبة للصناعة في هذه الأقطار ، وقد سـاعد علـى هـذا النمو ظهور الوعي السياسي والتفكير القومي في البلاد العربية ، فبدأت الأصوات الوطنية تنادي بأن تخلف العرب السياسي يرجع إلـى تخلفهم الصناعي ، وأن الدول الصناعية المستعمرة مصرة على إبقاء العـرب زراعييـن ، فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وانعدمت المنافسة الأجنبـية تقريباً اتسع المجال أمام الصناعات الوطنية مرة أخرى ، فأخذت تـتطور ، وكـان هذا التطور ظاهراً في مصر بصورة أكثر مما فى الدول

العربية الأخرى ، فأخذت الصناعة تتطور بنسب متفاوتة بين أقطار الوطن العربي [١] .

خصائص الصناعة العربية :

لا تعتبر الدول العربية صناعية في المرتبة الأولى ، ولكن بدأ يظهر في بعضـــها نظام الصناعة الحديثة . إلا أنها لا زال أمامها مشوار طويل على درب التنمية والتصنيع .

وكمـا يـبدو مـن الجدول رقم (٤) أن هناك دولاً عربية يسهم الدخل الصناعي فيها بنسب عالية في إجمالي الناتج المحلي كما هو الحال في عشر دول عربية على الأقل ففي السعودية (٥٥,٤%) عام ١٩٩٨ وقطر (٥٤%) والجزائــر(٤٩%) واليمــن (٤٦,٦%) والكويت (٤٦%) وليبيا (٤٣,١%) والإمــارات (٣٣,٨%) والبحريــن (٣٣,٤%) والمغرب (٣٢%) ، ويغلب علــى هــذه الــدول جميعها فيما عدا المغرب الاعتماد على تكرير البترول وتصــدير مشتقاته والتوسع في صناعته والاستثمار فيه بجانب صناعة الغاز الطبيعي واستثماره أيضاً . إلا أن مساهمة هذا القطاع الصناعي في احتواء العمالــة تعد قليلة فهي لا تتعدى ١١% بالسعودية و٧,٥% بقطر و٢٢,١% بالجزائــر و١٢,٧% بعمــان و١,٠٣% باليمــن و٣٠,٥% بليبيا و٣٣,٨% بالإمــارات و٣١,٥% بالبحرين و٢١% بالمغرب ،الأمر الذي يدل على أن قطاعات الصناعة خاصة البترولية آلية لا يعتمد على العمالة الكثيفة .

فـــي المقـــابل هناك دول تزيد فيها نسبة العاملين في مجال الصناعة من جملة العمالة عن نسبة مساهمة الدخل الصناعي في إجمالي الدخل المحلي ، كمـــا هو الحال في العراق وذلك لتوقف معامل التكرير وتدمير أعداد كبيرة مـــنها أثـــناء حـــرب الخليج الثانية والاعتمـــاد على الصناعـــات الأخرى الخفيفة

جدول رقم (٤)

توزيع الدخل الصناعي والعاملين بقطاع الصناعة في الوطن العربى عام ١٩٩٨

الدولة	الدخل الصناعي من الدخل الكلي (%)	العاملين بالصناعة من جملة العمالة (%)
السعودية	٥٥,٤	١٠,٩
قطر	٥٣,٧	٧,٥
الجزائر	٤٩	٢٢,١
عمان	٤٧,٣	١٢,٧
اليمن	٤٦,٦	١٠,٣
الكويت	٤٦	٣٠,٥
ليبيا	٤٣,١	٢٠
الإمارات	٣٣,٨	٣٣,٨
البحرين	٣٣,٤	٣١,٥
المغرب	٣٢	٢١
مصر	٢٩,٨	٢٣,٥
تونس	٢٩,٦	٢٩,٦
الأردن	٢٥,٩	٢٥,٩
موريتانيا	٢٥,٧	٥,١
لبنان	١٩,٢	٣٦
سوريا	١٩	٢١
جيبوتي	١٧	١٧
السودان	١٦,٩	١٠,٩
العراق	١٣,٩	٢٤,٢
الصومال	٧,٩	٢

*جمعت بيانات هذا الجدول من خلال . التقرير السنوي للأمين العام ،الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية لعام ١٩٩٩ ، حزيران (يونيو) ٢٠٠٠ .

كثـيفة العمالــة كذلك لبنان حيث لا تعد صناعة تكرير البترول بها هي الأساس بل صناعات أخرى كثيفة العمالة ، كذلك سوريا ولكن بنسبة أقل .

لا يعـد الارتفـاع في نسبة مساهمة الدخل الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي بنحو نصف الدول العربية عن ٣٠% مؤشراً على التقدم الصناعي العربـي ، ولكـن يغلـب علـى معظم هذه الصناعات الصفة الاستخراجية بصـورة تـزيد علـى التحويلية في أغلب الدول العربية . كما أن الإنتاج الصـناعي التحويلـي فـي المـنطقة العربية لا يتجاوز ٤,٥% من الإنتاج الصـناعي التحويلي في الدول النامية ، ويتركز نحو نصف نشاط الصناعة التحويلية في ثلاث دول عربية فقط هي مصر والسعودية والجزائر [٢].

الوضع الصناعي في الدول العربية [٣]:

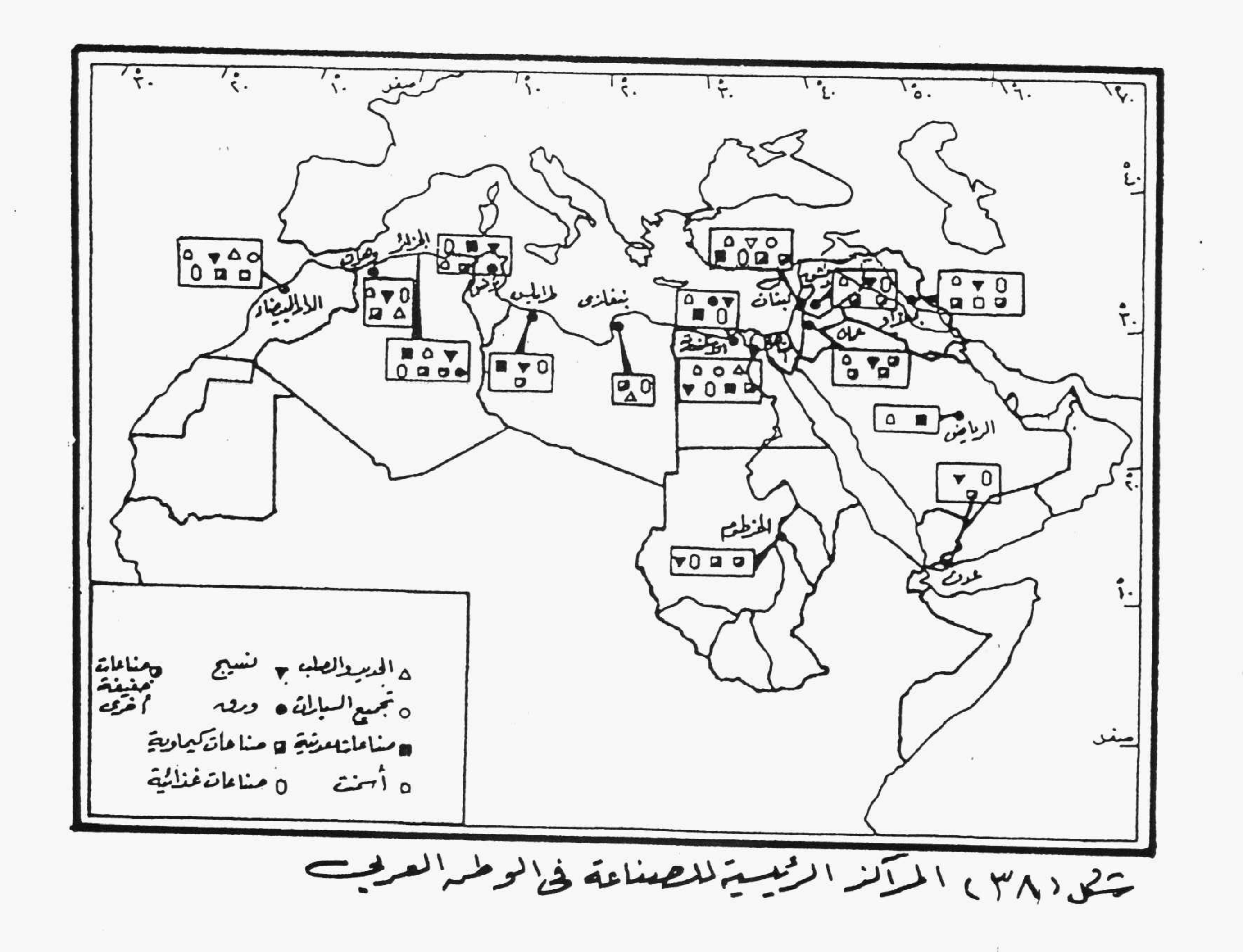
وإذا تتبعـنا الوضـع الصناعي بالدول العربية بالترتيب حسب مساهمة الدولة بالدخل الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي وبملاحظـة الشكل رقم (٣٨) نجد . .

١ - السعودية :

يتمـيز قطاع الصناعة بسيطرة صناعة النفط والغاز ، وهذا أمر طبيعي بدولـة تنتج ثلث ماتنتجه منظمة الأوبك وأولى دول الوطن العربي إنتاجاً ، ويلعـب قطاع النفط دوراً محورياً في الاقتصاد السعودي مشكلاً ٣٦% من الـناتج المحلي الاجمالي و٩٠% من عوائد الصادرات و٧٥% من إيرادات الخزيـنة . كمـا تصـنع السعودية الحديد والصلب والصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والأسمدة والصناعات الخفيفة كمواد البناء والمنتجات الغذائية والحيوانـية ، وتشـكل الصناعات التحويلية نسبة ٩,٥% من الناتج المحلي الإجمالي مقابل ٣٧,٢% للصناعات الاستراتيجية .

٢ - قطر :

سيطر قطاع النفط على الاقتصاد القطري مشكلاً ٣٦% من الناتج المحلي الإجمالي و٨٠% من عوائد الصادرات و٦٥% من إيرادات الحكومة ، ومن أسباب ذلك ونتائجه معاً قامت قطر بتطوير عدد من المشاريع الصناعية التي تسـتخدم كلقـيم مـثل البتروكيماويات والأسمدة إلى جانب مشاريع الحديد والصـلب . ويشـمل القطاع الصناعى البتروكيماويات والأسمدة ، وتعسيل الغاز وتكرير النفط وصناعة الحديد والصلب والأسمنت ، ومطاحن الدقيق ،



شكل (٣٨) المراكز الرئيسية للصناعة في الوطن العربي

إلى جانب المنظفات والأصباغ والجبس ومستحضرات التجميل ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ٧,٥% من الناتج المحلي الاجمالي مقابل ٣٨,١% للصناعات الاستخراجية ، وتجدر الإشارة إلى أن البلاد تحتل مركز الصدارة في حجم النشاط الصناعي للغاز الطبيعي في المنطقة ، حيث تقوم بل قامت بتنفيذ مشروعين كبيرين لتصدير الغاز السائل (قطر غاز وأرس غاز) بمشاركة شركات عالمية .

٣- الجزائر :

تمتلك الجزائر قاعدة صناعية متينة تؤهلها للتطور ، وتعتمد البلاد أساساً على صناعة الغاز الطبيعي والنفط ، التي تشكل حوالي ٥٧% من الإيرادات الحكومية و٣٠% من الناتج المحلي الإجمالي ، وأكثر من ٩٥% من الصادرات ، ويذكر أن المؤسسات العامة الصناعية في الجزائر تساهم بأكثر من ثلاثة أرباع الإنتاج الجزائري وإلى جانب صناعات النفط والغاز ، بها صناعة الحديد والصلب والصناعات الخفيفة والبتروكيماويات والصناعات الغذائية ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ٩% من الناتج المحلي الإجمالي مقابل ٣٠% للصناعات الاستخراجية .

٤- عُمان :

تسيطر على الصناعة العمانية تكرير النفط والغاز ، فرغم المحاولات في تنويع مصادر الدخل ، وإقامة بيئة اقتصادية جاذبة لرؤوس الأموال المحلية والعالمية ، فلا يزال النفط يلعب دوراً مركزياً في الاقتصاد العماني وتؤثر إيراداته على مستوى أداء النشاطات الاقتصادية الأخرى ، وبالإجمالي يشكل ٨٠% من عوائد الصادرات و٧٨% من إيرادات الحكومة وحوالي ٤٠% من الناتج المحلي الإجمالي ، وإلى جانب صناعة النفط وتكريره والغاز الذى يحظى باستثمارات تزيد على ٤ مليارات دولار ، هناك صناعة النحاس ، إلى جانب صناعات صغيرة ومتوسطة الحجم ، ولدى البلاد مشاريع في صناعة البتروكيماويات والألمنيوم والأسمدة .

٥- اليمن :

تعد صناعة اليمن خفيفة فيما عدا صناعة تكرير البترول ، تضم اليمن صناعة المنتجات الغذائية والمشروبات والأسماك المعلبة والنسيج وصناعة منتجات المعادن وصناعة الأسمنت ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ١١

% من الناتج الإجمالي المحلي ، مقابل ٣٠% للصناعات الاستخراجية ، وقد أفـــاد مســـح صناعي بأن المنشآت الصغيرة تمثل ٩٥% من إجمالي منشآت الصـــناعات التحويلـــية وتســـتخدم ٤٨% من العاملين في القطاع الصناعي وتحقـــق ٢٦% من القيمة الإجمالية للإنتاج ، ويستحوذ القطاع الخاص على ملكـــية معظـــم المنشـــآت الصناعية ، فيما لا تتجاوز حصة القطاع الخاص الأجنبي سوى ١٢% .

٦- **الكويت** :

تســـيطر صناعة النفط وتكريره على معظم الصناعة الكويتية ، ذلك أن قطـــاع الـــنفط يعتـــبر عماد البناء الاقتصادي مشكلاً نسبة ٤٥% من الناتج المحلي الإجمالي و ٩٥% من عوائد الصادرات و٨٥% من مداخيل الدولة ، وقـــد أدى نمو الصناعة والقطاع المالي إلى تحسين الأداء الاقتصادي للبلاد خلال الفترة ١٩٩٤ - ١٩٩٨ ، في أعقاب حرب الخليج الثانية ، وإلى جانب صـــناعة تكريـــر الـــنفط هناك صناعة البتروكيماويات والمنتجات المعدنية والصـــلب والأســـمنت وصناعة مواد البناء والمواد الغذائية ، بالإضافة إلى بعـــض الصناعات الخفيفة . وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ١٣,٣% من الناتج المحلي الإجمالي مقابل ٤٠% للصناعات الاستخراجية .

٧- **ليبيا** :

تمـــتلك ليبـــيا قطاعـــاً صـــناعياً يضـــم العديد من النشاطات ،ومن أهم الصناعات في ليبيا صناعة النفط والغاز ويشكل النفط عماد الاقتصاد الليبي ، إذ يشـــكل حوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي ومجمل الصادرات ، وعلى الـــرغم من الحظر الدولي المفروض على البلاد ، إلا أن الشركات النفطية الأوروبـــية والكندية وسعت نشاطاتها النفطية في ليبيا . وإلى جانب صناعة الـــنفط والغـــاز هـــناك صناعة البتروكيماويات والأسمدة والحديد والصلب والأسمنت ، إلى جانب صناعات خفيفة أخرى ، وتشكل الصناعات التحويلية نســـبة ٩,٧% مـــن الـــناتج المحلـــي الإجمالـــي،مقابل ٢٤,٨% للصناعات الاستخراجية .

٨- **الإمارات** :

تضم الإمارات العديد من الصناعات أهمها النفط والغاز ، إذ يلعب النفط دوراً مهمـــاً فـــي التنمية الاقتصادية ، وعلى الرغم من سياسة تنوع مصادر

الدخــل ، بلغت مساهمة هذا القطاع ٣٦% من الناتج المحلي الإجمالي و٤٧ % مــن عوائد الصادرات و٦٩% من الإيرادات الحكومية ، كما تضم البلاد صـــناعة الحديـــد والصلب والألمنيوم والكيماويات والبتروكيماويات ومواد البــناء والــزجاج والأصباغ وصناعة الغزل والنسيج والملابس والجلود ، وتشــكل الصـــناعات التحويلية نسبة ١١,١% ، مقابل ٣٠,٦% للصناعات الاستخراجية .

٩- البحرين :

وقــد ســيطرت على الصناعة البحرينية صناعة النفط والتي شكلت هذه الصـــناعة حوالي ٦٧% من إجمالي الصادرات و٥٧% من إجمالي إيرادات الدولــة ، وتــتكون من نفط خام مستورد أساساً من السعودية ، والتي قامت بتحويل نفط حقل أبو سعفة على حدود البلدين إلى البحرين في عام ١٩٩٦ ، مما زاد من عائدات البحرين النفطية ، وتجدر الإشارة إلى أن البحرين هي الوحــيدة بيــن دول مجلس التعاون الخليجي التي تصدر منتجات نفطية ولا تصــدر نفطــاً خاماً ، وتشهد البلاد عدداً من المشاريع الصناعية ومشاريع التوسعة ، ولا سيما في قطاع النفط والغاز والألومنيوم ، إلى جانب عدد من المشــاريع الصــغيرة والمتوسطة ، ويساعد في ذلك تمتع البلاد بأنظمة نقل واتصــالات مــتطورة ، ممــا جعلهــا مركزا لعدد من الشركات العالمية ، ومركــزاً للأنشــطة المالــية والاستثمارية . كما تضم البلاد صناعة صهر الألومنــيوم وصـــناعة الحديـــد والصــلب والصناعات الخفيفة والمتوسطة وإصــلاح الســفن ، وتشكل الصناعات التحويلية حوالي ١٤,٧% من الناتج المحلي الإجمالي ، مقابل ١٨,٧% للصناعات الاستخراجية .

١٠- المغرب :

وتضم المغرب صناعة الفوسفات ومنتجات النسيج والألبسة والصناعات الغذائــية والجلود والأحذية والورق ومصنوعاته والصلب والحديد ومنتجات منجمــية مصنعة ومنتجات معدنية وكيماويات ومعدات كهربائية وإلكترونية ومنــتجات مطاط وبلاستيك ، وتشكل الصناعات التحويلية حوالي ١٧,٧% من الناتج المحلي الإجمالي ، والصناعات الإستخراجية ١,٨% .

١١- مصر :

تشـــهد مصـــر حـــركة اقتصادية نشطة في قطاع الصناعة ، وتعد أهم صناعاتها هي المنتجات النفطية التي تمثل أولى صادرات مصر ، إلى جانب صـــناعة الغـــزل والنســـيج والمنـــتجات الغذائية وصناعة الحديد والصلب والألومنـــيوم والمنـــتجات المعدنية والهندسية ومنتجات الأسمدة والمنتجات الكـــيماوية والدوائـــية ومنتجات مواد البناء والأسمنت والفوسفات ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ١٧% من الناتج المحلي الإجمالي ، مقابل ٦,٢% للصناعات الإستخراجية .

١٢- تونس :

تهتم تونس بقطاع الصناعة لحاجتها لتنويع القطاعات الاقتصادية ، وتعد أهـــم الصـــناعات التونســـية هي المنسوجات والألبسة والصناعات الغذائية والجلود والأحذية ومواد البناء والمعدات الكهربائية والإلكترونية ، إلى جانب الفوســـفات وتكريـــر البترول والأسمنت ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ١٨,٦% من الناتج المحلي الإجمالي ،مقابل ١,٨% للصناعات الإستخراجية.

١٣- الأردن :

يســـيطر قطـــاع الخدمات الأردنية على حوالي ٧٥% من الناتج المحلي الإجمالـــي أثر ذلك على القطاع الصناعي الذي تحاول الدولة النهوض به ، وتتشكل أهم الصناعات الأردنية من الفوسفات والبوتاس والمنتجات البترولية والأســـمنت والصـــناعات الغذائـــية والنسيجية والكيماوية والأدوية وتشكل الصـــناعات التحويلـــية نسبة ١١,٤% من الناتج المحلي الإجمالي ، مقابل ٣٠,٦% للصناعات الإستخراجية .

١٤- موريتانيا :

تعاني البلاد من نقص في اليد العاملة الماهرة ، وتخلف في البنية التحتية ، أثـــر ذلك على القطاع الصناعي ، الذي يتمحور حول صناعة الأسماك ، حيـــث يعتـــبر قطاع صيد الأسماك وتصنيعه مصدراً حيوياً لمعيشة السكان كمداخـــيل الـــبلاد التصديرية ، إلى جانب تعدين خامات الحديد والجفصين والـــنحاس والذهب ، وليس لموريتانيا مصادر هيدروكربونية ، لكن صناعة الـــنفط تعتـــبر قطاعاً هاماً لاقتصادها وتعد موريتانيا واحدة من أصل أربع بلـــدان فـــي غـــرب أفريقيا تمتلك مصفاة تكرير عاملة ، وتشكل الصناعات

التحويلـية نسـبة ٨,٦% مـن الـناتج المحلي الإجمالي ، مقابل ١٠,٩% للصناعات الإستخراجية .

١٥- لبنان :

يسهم القطاع الصناعي اللبناني بنحو ١٩,٢% من الناتج المحلي الإجمالي تعـد أغلـبها صـناعات تحويلية ، وتعد أهم الصناعات في لبنان ، صناعة المنسـوجات والألبسـة والـورق ومصـنوعاته والمصـنوعات الغذائـية ومصـنوعات الأحجـار الكـريمة والمعادن الثمينة ، والصناعات المعدنية والأجهـزة الكهربائـية ومنـتجات الصناعات الكيماوية والأسمنت وصناعة الجلود والأحذية .

١٦- سوريا :

تقوم سياسة الحكومة في المجال الصناعي ، في الحفاظ على القطاع العام الصـناعي وتنميـته وتوسعته والسماح بدخول القطاعين الخاص والمشترك كافـة الأنشـطة الصـناعية ، ويشـتمل الإنتاج الصناعي على الجرارات الزراعـية والأسـمدة والأسمنت والكهرباء والصناعات الأساسية ومنتجات الـنفط والغاز ، والمنتجات القطنية وتعليب الفواكه والخضروات ومنتجات الألـبان ومصافي السكر وطواحين الدقيق ومعاصر الزيوت والزيتون ، هذا فضلاً عن الأدوية والزجاج وأجهزة التليفزيون والغسالات وغيرها .

١٧- جيبوتي :

يتصـف القطاع الصناعي في جيبوتي بالحجم الصغير والتي تقوم على صـناعة المـأكولات والمشروبات والأساس والألبان والورق ومواد البناء وتعبئة المياه والمصنوعات الحرفية ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ٣,٦ % من الناتج المحلي الإجمالي ،مقابل ١٢,٤% للصناعات الإستخراجية.

١٨- السودان :

تضـم السـودان عـدة صناعات تتمثل في الصناعات النسيجية وتكرير السـكر وشحن الدقيق وإنتاج الزيوت النباتية والصناعات الجلدية والأسمنت والصـناعات الصـغيرة ويعمـل القطاع الصناعي بطاقة استخدام متدنية ، وتشكل الصناعات التحويلية نسبة ٨,٨% من الناتج المحلي الإجمالي، مقابل ٨,١% للصناعات الإستخراجية .

١٩- العراق :

تعاني العراق من عدم توفر مستلزمات الإنتاج والتي دمرت وعانت أثناء حرب الخليج الثانية ، وقامت السلطات العراقية بإعادة بناء جزء كبير مما دمر ، وقامت بإصلاح معظم المنشآت الإنتاجية النفطية لديها وبعض من البنية التحتية ، ولكنها تواجه نقصاً حاداً في ظل الحصار الاقتصادي الحصول على المواد الأولية وقطع الغيار الضرورية لتنشيط القطاع الصناعي ، مما أدى إلى إغلاق العديد منها ، والعراق من الدول الغنية بالثروت الطبيعية والمائية ، وكان لديها صناعات هامة في مجال النفط والفوسفات والصلب والحديد والألومنيوم والبتروكيماويات ، وتتركز الصناعة أساساً على قطاع النفط .. وقبل الحرب كانت هناك مشاريع صناعية مهمة على صعيد إنتاج الفوسفات والحديد والصلب والبتروكيماويات والأسمدة والألومنيوم والصناعات التقنية والهندسية ، وشكلت الصناعات التحويلية نسبة ٧,٨% من الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٩٧ ، مقابل٢,٢% للصناعات الإستخراجية ، وكانت هذه النسبة عام ١٩٩٠ نحو ٨و٨% و ١٤,٣% على التوالي .

٢٠- الصومال :

تأثرت الصناعة الصومالية للظرف الداخلية والاقتصادية بها ، إذ تعتبر الصومال من الدول الأقل نمواً في العالم ، ويتركز القطاع الصناعي حول تصنيع المنتجات الزراعية وخصوصاً تكرير السكر وتعليب اللحوم وتصنيع الأسماك والدباغة ، إلى جانب تكرير النفط ، وبلغ إجمالي الطاقة التصميمية القائمة في الصومال لتكرير النفط ١٠ آلاف برميل يومياً عام ١٩٩٦ ، ويوجد في الصومال مصفاة واحدة في مقديشيو تقوم بتكرير النفط الخام المستورد من السعودية .

أهم التحديات التي تواجه الصناعة العربية :

بدا من عرض الفصول السابقة أن الوطن العزبي من ملاك المواد الخام البارزة واللازمة لأهم الصناعات على مستوى العالم.. ولكن المادة الخام وحدها ما هي إلا إحدى يدي التصفيق ، ولو استعرضنا قصة الصناعة في مراحلها المختلفة يتضح لنا ذلك . فلقد كان للتغيرات الناجمة عن الثورة الصناعية الأولى في العالم أثر ضخم في البنية التحتية لنقل البضائع وأنظمة التجارة ، وأدخلت الثورة الصناعية الثانية زيادة دراماتيكية في مجال المنتجات والخدمات التي أصبحت متوفرة ، والتي كانت لها شعبية وعليها طلب في أرجاء العالم .

أدرك آدم سميث أن الثورة الصناعية ستؤدي إلى فك الارتباط التدريجي للاقتصاد مع المادة .. لقد أدرك أن المهارات البشرية والإبداع كانت في عام ١٨٠٠ أكثر أهمية من المواد الخام ، وأن هذه الحقيقة وحدها ستخفض تدريجياً أهمية المواد الخام والعمالة غير الماهرة في الاقتصاد . وتصارعت عملية فك الارتباط مع المادة كثيراً خلال القرن العشرين ، وكادت تكون مكتملة اليوم ، وإجمالي الناتج الوطني العام في البلدان الصناعية الرئيسية مرتكزة على "العلم" . وعلى العكس من ذلك فإن اقتصاديات البلدان العربية لا تزال مرتكزة كلياً على تصدير المواد الخام ، ولا تشكل المنتجات المعتمدة على المهارة والقيمة المضافة سوى نسبة صغيرة من إجمالي الناتج القومي العربي [٤].

وتواجه الصناعة العربية عدة حقائق هامة يعد اجتيازها بمثابة نكون أو لا نكون وتتحصر أهم هذه التحديات في :

١- تدخل المنطقة العربية القرن الحادي والعشرين وتوزيع الوظائف في قطاعاتها الإنتاجية مشابهة لما كان علية الحال في القرن الثامن عشر ، فعلى سبيل المثال ، فإن حصة الزراعة في مصر (٣٢%) وفي المغرب (٤٠%) وفي عُمان (٤١,٧%) وفي تونس (٢٢,٧%)_وفي اليمن (٥٦,١%) [٥] ذلك مقابل (٥%) بالدول الأوروبية .

كذلك لا تعكس الحصة العالية للعاملين في قطاع الخدمات في البلدان العربية اقتصاداً علمياً حديثاً مرتكزاً على الثقافة المعلوماتية ، بل هي تعكس وجود بيروقراطيات حكومية غير كفوءة ، ويبدو ذلك بوجه خاص في بلدان

مجلس التعاون الخليجي ، حيث تزيد حصة العاملين في قطاع الخدمات على (٦٠%) في الأردن ، (٦٧%)في البحرين ، و(٥٧%) بالإمارات و(٧٦%) بالسعودية و(٩٠%) بقطر و(٦٨,١%) بالكويت و(٧٤%) بليبيا . وفي الواقع فإن كل البلدان العربية تعاني عدداً فائضاً من الموظفين في وظائف متدنية الكفاءة ومنخفضة القيمة المضافة في قطاع الخدمات (٦).

وإذا انتقلنا إلى قطاع الصناعة فتقل به القيمة المضافة إلى أدنى مستوياتها ، حيث تسيطر الصناعة الإستخراجية لا التحويلية على أغلب الصناعات فى غالبية الدول العربية ، فقد بلغت نسبة مساهمة الصناعة الإستخراجية من جملة مساهمة الدخل الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي في قطر نحو ٨٤,٥ %والسعودية ٧٩,٧% وجيبوتي ٧٧,٥% والجزائر ٧٦,٩% والإمارات ٧٣,٤% واليمن ٧٣% والأردن ٧٢,٩% وليبيا ٧١,٩% والبحرين ٥٦% وموريتانيا ٥٥,٩% والكويت ٧٥%والسودان ٤٨% في المقابل منها وصلت إلى مستوى متدني عن ذلك بكثير في باقي الدول العربية فلا تتعدى ٢٦,٧% بمصر و٨,٨% بالمغرب و٨,٦% بتونس و٢٢ % بالعراق .ناهيك عن مستوى الدخل الصناعي المنخفض مقارنة بالدول الصناعية الكبرى أو التي تخطو خطوات جادة نحو التصنيع (٧) .

وقد خلف التقدم الصناعي الهائل أمراً يتطلب التحدي لدى القطاعات الصناعية العربية ، هو أن عدد الوظائف المتوفرة للعمال غير المهرة آخذ في الاختفاء بسرعة ، ويقدم "ريفكن" تنبؤات دراماتيكية عن الاستغناء المتوقع عن العمال في شركات أمريكية رئيسية ، وهو يتصور نهاية العمل كما نعرفه اليوم ، ويتنبأ بانخفاض التوظيف في التصنيع وفي صناعات الخدمات (٨) .

كما أظهرت دراسة حديثة أن استثمارات الولايات المتحدة الخارجية لم تعد تجتذبها العمالة الرخيصة ، بل ٧٦% من إجمالي الاستثمارات الأمريكية الخارجية عام ١٩٩٦ كانت في بلدان مرتفعة الأجور . في ظل ذلك فإن التحصيل العلمي للعمالة العربية لا يؤهلها للمنافسة الدولية ، وأظهرت دراسة حديثة "للبنك الدولي" أن معدل سنوات الدراسة في عام ١٩٩٢ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كان ٣,٦ سنة ، وفي الصين كان المعدل ٥,٢ سنة ، وفي أمريكا اللاتينية ٤,٩ سنة ، بينما كان في بلدان منظمة التنمية

والـتعاون الاقتصـادي ٩,٦ سنة ، وفي بلدان حلف شرق آسيا ٨,٢ سنة ، وكـان التنـبؤ للعام ٢٠١٠ في حد يتراوح بين ٤,٥ إلى ٥،٥ سنة للمنطقة العربية بالمقارنة بـ ٥,٤ إلى ٦,١ في الصين و٧,٣ إلى ٧,٩ في شرق آسيا و٥,٥ إلى ٦,١ في أمريكا اللاتينية (٩) .

وانعكـس على ما سبق مستوى شديد الانخفاض للقيمة المضافة من قبل العمال العرب ، ومستوى شديد الانخفاض من الإبداع ومستوى بالغ الارتفاع من عدم الاستقلال التقني .

٢ – تكمن الضرورة في تصحيح خطط ومناهج التطوير التقني .. فقد سعت الدول العربية منذ استقلالها إلى التخلص من علاقات التبعية مع مستعمريها السابقين ، وقد استثمرت هذه الدول بكثافة في التعليم والبنى التحتية ، إلا أنها أخفقت في تطوير أنظمتها الوطنية للعلم و التكنولوجيا .

فقـد تضـمنت القوى العاملة العربية التي بلغ تعدادها عام ١٩٩٧ أربعة وثمانين مليوناً نحو عشرة ملايين من خريجي الجامعات ، وكان حوالي ٣٥ % مـن خريجي الجامعات هؤلاء يحملون شهادة بكالوريوس في العلوم أو شهادة أعلى في العلوم الأساسية أو التطبيقية ، ومن بين هؤلاء نحو ٥٠ألف يحملون شهادة دكتوراه في أحد حقول العلوم الأساسية أو التطبيقية إلى جانب نحـو ٧٠٠ ألـف يحملـون شـهادة الهندسة ، وكان يتخرج في الجامعات المصرية حتى عام ١٩٤٢ ثلاثمائة مهندس سنوياً ، وفي عام ١٩٨٥ تخرج فـي الجامعات العربية ما مجموعة ٢٤ألف مهندس ، أي أن البلدان العربية تغلبـت علـى النقص الحاد في أصحاب المهن والحرف منذ وقت طويل .. وارتفـع عـدد الجـامعات العربية من ١٠ عام ١٩٥٠ إلى ١٧٥ عام ١٩٩٥ (١٠) .

مـع مـا سبق فليس هناك ما يدعو للابتكار الصناعي أو التطوير التقني العربـي الخـالص أو القيمة المضافة من قبل العمال العرب ، وأبرز ذلك الوضـع دراسـة الـتطورات الاقتصـادية والاجتماعية في منطقة الاسكوا الصادرة عام ١٩٩٧ عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (اسكوا) الـتابعة للأمم المتحدة ، كذلك التقارير الاقتصادية الموحدة السنوية الصادرة عن جامعة الدول العربية والصندوق العربي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية وصندوق النقد العربي ومنظمة البلدان العربية المصدرة للنفط "أوبك" .

ولـــم تســـع تقاريـــر الاسكوا الاقتصادية السنوية ولا التقرير الاقتصادي الموحد إلى تفسير كيف أن المنطقة العربية استثمرت نحو ألفي مليار دولار أمريكـــي فـــي إجمالي تشكيل رأس المال الثابت (G.F.C.F) خلال السنوات الخمـــس عشرة الماضية ، ظل النمو الاقتصادي للفرد فيها خلال الثمانينيات والتســـعينيات من القرن العشرين يتراوح بين الصفر والسلبي .. ولعل من الواضح أن ما يكمن في أساس تسجيل الصفر في نمو إجمالي الناتج الوطني بالنســـبة للفرد هو تطبيق طريقة تسلم المشاريع جاهزة ومكتملة "Turn-key" مـــن الشـــركات الأجنبية صاحبة الالتزام ، دونما التعرف على التكنولوجيا المســـتخدمة فـــي هذه المشاريع . ولم تتطرق هذه المنظمات أو غيرها من المنظمات الوطنية أو الإقليمية إلى دراسة ظاهرة التنمية الاقتصادية العربية علـــى الـــرغم من الأهمية الجوهرية لهذه الحقائق في عمليات العولمة وفك الارتباط مع المادة Dematerialization [١١] .

ويجري التعاقد عادة مع شركات أجنبية لتنفيذ المشاريع الرئيسية للقطاع العام العربي ، وخصوصاً تلك المتعلقة بالنفط والغاز والمطارات والأسمنت والفوســـفات والصـــناعة مع توفير ضئيل لانتقال التكنولوجيا ، حيث طلب اتحاد الصناعات الكويتي من حكومته تطبيق قرارها دعم المتعهدين المحليين ، وقـــال الاتحاد أن قطاع النفط والغاز يفضل شركات أجنبية على الشركات المحلـــية [١٢] ، واتبعت البلدان العربية بوجه عام مزيداً من سياسات التبعية التكنولوجـــية فـــي وقت كانت تزيد فيه من عدد القوة العاملة المهنية فيها ، وكانـــت النتـــيجة الصـــافية لذلك انخفاض عائدات الاستثمار وإنتاج العمالة وازدياد كلفة البرامج .

ولـــم يـــلق التنســـيق بين الأنظمة التعليمية وسوق العمالة سوى اهتمام تحليلـــي محدود ، وليس هناك من تناسب بين العرض والطلب ، سواء في المـــيدان أو فـــي وضـــع مناهج الدراسة ، وإحدى وظائف منظومة التعليم والبحـــث والتطوير والسياسة الاقتصادية وسوق العمل ، وساهم عدم التلاؤم بيـــن هذه الوظائف المهمة المختلفة في إنتاجية عمل متدنية وإنتاج اقتصادي منخفض وانتشار البطالة وهجرة الأدمغة على مدى واسع [١٣] .

واليوم ... فإن تأسيس آليات النمو والمؤسسات التي تسهل تحويل الكفاءة العلمية إلى نشاطات اقتصادية منتجة ومبتكرة ، يشكل تحدياً أساسياً في الانتقال من مجتمع زراعي وريعي إلى مجتمع صناعي موجه نحو الإنجاز .

ويمكن تقديم أمثلة عديدة لإظهار حقيقة أن البلدان العربية لا تفيد نفسها من الفرص لتسخير التكنولوجيا في تقوية نموها الاقتصادي ، فخلال الستينيات . على سبيل المثال ، تم تطوير تقنيات تسييل غاز لتسهيل تصدير الغاز الطبيعي من الجزائر ، وفي ذلك الوقت كان البحث والتطوير في تسييل الغاز الطبيعي في مدى المهندسين الكيماويين والميكانيكيين العرب . وبعبارة أخرى ، كانت هناك أعداد كبيرة من العلماء والمهندسين العرب الذين يمكن تجييشهم لبرامج بحث وتطوير في هذه التكنولوجيا .. وكان يمكن من حيث المبدأ لعدة بلدان عربية المساهمة في مشاريع مشتركة مع شركات أجنبية لتطوير تكنولوجيا تسييل الغاز ، وكان يمكن لكل المشاركين الاستفادة اقتصادياً وتقنياً من ذلك إلا أنه لم يتم السعي لإقامة مثل هذه المشاريع المشتركة . بل الأمر المؤلم هو أن البلدان العربية لا تزال تستورد تقنيات تسييل الغاز دونما العمل على نقل تكنولوجيا كل مشروع يتم إنجازه ، خاصة وأن تكلفة نظام تسييل الغاز القطري وحده تزيد على ثلاثة مليارات دولار .

وتظهر دراسة للبنك الدولي عن صناعة النسيج في مصر أن سوء الإدارة الفنية يعمل على تخريب الإنجاز الاقتصادي لهذه الصناعة . حيث أن العديد من الأنوال الحديثة والغالية الثمن يستعمل في إنتاج الأصناف القليلة القيمة نفسها التي كانت تنتجها الأنوال القديمة البالية [١٤] .

ولا عجب إن أخفقت مصر في تسجيل أداء جيد في التنافس مع بلدان من العالم الثالث ، ذلك أن بلداناً حديثة الدخول في صناعة النسيج والثياب مثل كوريا تصدر بما قيمته ١٥,١ مليار دولار وتيوان التي تصدر ما قيمته ١٢,٢ مليار دولار ، بينما تصدر مصر ما قيمته ٥٧٥ مليون دولار فقط [١٥] .

٣- تواجه الصناعة العربية تحدياً يعد أهم التحديات وأكثرها إنجازا على الإطلاق ، وهو تطوير العلوم العربية وتوحيدها وتفعيلها ، لعمل ثورة صناعية طال ارتقابها في الوطن العربي فترة زادت عن خمسين سنة .

ويـــبدأ الـــتحدي للبلدان العربية بمضاعفة المبلغ ٧٥٠ دولار أمريكي أو ٠,٢% من إجمالي ناتجها الوطني والذي خصصته للبحث والتطوير ، أسوة بما خصصته البلدان المصنعة الجديدة من واحد إلى ثلاثة بالمائة من إجمالي ناتجهـــا الوطني للبحث والتطوير ، بينما تخصص البلدان الصناعية حوالي أثنيـــن إلـــى ثلاثة فى المائة من إجمالي ناتجها الوطني للبحث والتطوير، وكـــان مجموع المخصصات الدولية للبحث والتطوير عام ١٩٩٥ هو ٥٠٠ مليار دولار (١٦) .

كمـــا للوطـــن العربي فرصة تسويغ السياسات التكنولوجية الراهنة نحو مســـاحات من النشاط التكنولوجي في المجال الهندسي والانشاءات والتصنيع الزراعي ، الأمر الذي سيؤدي ولا شك إلى مكافآت اجتماعية اقتصادية غنية سريعة .

حيـــث يعد الوطن العربي أكبر مصدر في العالم للنفط والفوسفات ، وهو منـــتج رئيسي للأسمنت والمنسوجات ، وهكذا فهو يوفر سوقاً داخلية واسعة لسلسلة كبيرة من الخدمات الفنية والمنتجات والتجهيزات لمد هذه الصناعات بأســـباب الحياة ، إلا أن التوظيف المرتبط بهذه الصناعات يجري تصديره للخـــارج نتيجة للسياسات التقنية العربية ، وهكذا فلا يستخلص سوى منفعة قلـــيلة مـــن اســـتثمارات عربية ضخمة في هذا القطاع ، وقد يزيد مجموع التوظيف الأجنبي في الخدمات الهندسية لدعم الاستثمار العربي على مليوني مهـــندس وفني ، وهذه الأرقام لا تمثل عدد العمال العاملين في الموقع لبناء مثل هذه المشاريع ، وهناك في قطاع النفط والغاز العربي وحده خسارة في توظـــيف ملـــيون مهندس وفني مستخدمين في هذا القطاع من خارج الوطن العربـــي ، ويمكـــن لتبني سياسات تكنولوجية ملائمة أن يُحدث إنتاجاً محلياً لمجموعة واسعة من الخدمات التقانية والمنتجات المطلوبة (١٧) .

ويتضـــح أن لـــيس هـــناك بلد عربي بحجم كاف لإعالة هذه النشاطات التكنولوجية بمفرده ، إلا أنه بإمكان سياسات تقنية منافسة أن توفر تقاسماً في المنافع والمخاطر ، ويمكن تبني سياسات تقانية تناسب المنافع المقارنة للبلد العربـــي ، كما يمكن إتباع سلسلة واسعة من السياسات مثل : تشجيع بعض الشـــركات الأجنبية التي توفر الخدمات الهندسية الآن على الانتقال إلى بلد

عربي آخر أو أكثر من بلد ، أو تشجيع التطوير المحلي لبعض هذه الخدمات عن طريق عمليات المصدر الخارجي والمشاريع المشتركة أو المستقلة .

* وتجدر الإشارة إلى أن أكبر نشاط اقتصادي عربي هو الإنشاءات ، وينفق نحـو ١٣٠ مليار دولار سنوياً لهذه الغاية ، وقدرت في مكان آخر أن أكثر مـن ٧٠% مـن هـذا المبلغ ينفق خارج الاقتصاديات العربية حيث تشمل استيراد العمالـة والخدمـات والتقنـية (الخدمات الاستشارية والتعاقدية) والمعدات والتجهيزات وكلفة النقل والخدمات المالية (١٨).

ويمكن توفير ٨٠% - ٩٠% من هذه الواردات على الأقل داخل الوطن العربي ، وقيام صناعة إنشاءات عربية إقليمية مرتكزة على القدرات التقنية المـتوفرة ، سيدبر سبعة ملايين وظيفة جديدة إلى جانب أنه سيوسع القطاع المالـي العربـي ويثريه .. ويمكن لهذا أن يوفر نحو ٧٠-٨٠ مليار دولار سنوياً تتسرب حالياً خارج الاقتصاد العربي .

* هـناك كمـية كبيرة من البحث العلمي متوفرة فوراً كحلول للمشاكل التي تواجـه التصـنيع الزراعـي والنهوض به وتطويره مما يساعد في تسوية الميزان التجاري ويوفر ١٣ مليار دولار للاقتصاد العربي .

وبذلك يمكن لتسويغ (عقلنة) صناعات النفط والغاز والإنشاءات والقطاع الزراعي إطلاق موارد مالية كبيرة (في حدود ١٥٠ مليار دولار) للاستثمار الإضافي في البلدان العربية .

الفصل الحادى عشر
التجارة الخارجية والتنمية
فى
الوطن العربى

التجارة الخارجية والتنمية فى الوطن العربى

تعـد تجـارة العرب الخارجية واحدة من أعمدة البنيان الاقتصادي لدى البلدان العربية ، وهناك عدة محاور سوف يتم تناولها بالإيضاح كما يلى :

١- اتجاهات التجارة الخارجية العربية [١] :

يغلب على تجارة العرب الخارجية انها في نمو مستمر ولكن بصورة أقل مـن نظـيراتها من الدول الصناعية أو الناهضة في النمو من حيث القيمة والكيفـية ، ويتضـح مـن خلال الجدول رقم (٥) ، أهم اتجاهات التجارة الخارجية بالدول العربية .

١- الأردن :

بلغـت قيمة صادرتها ١٧٩٩ مليون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٣٨٣٣ مليون للـواردات ، بنسـبة عجـز ٢٠٣٤ ملـيون دولار ، وأهم الصادرات هي الفوسـفات والـبوتاس والأدوية والأسمدة والمواد الغذائية والشحوم الدهنية والنباتـية ، وقد وجهت غالبية الصادرات إلى السعودية (١٤,٣%) والهند (٩,٦%) والإمارات (٦,٦%) وأثيوبيا (٤,٨%) وسوريا (٤و٤%) وتعد أهم الواردات من الآلات ومعدات النقل والمواد الغذائية والحيوانات الحية والنفط ومـوارد التشـحيم والمـواد الكيماوية ، وجاءت غالبية الواردات من بلدان الاتحاد الأوروبي والبلدان العربية وتركيا واستراليا واليابان .

٢- الإمارات :

وصـلت صادراتها ٣٠٣٦٠ مليون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٢٧٢١٣ مليون دولار للواردات بفائض تجاري ٣١٤٦ مليون دولار ، مثل النفط (٤٦,٥%) مـن جملـة الصادرات ، كما مثل قطاع إعادة التصدير (٣١,٣%) منها . وتصدر الإمارات لليابان وكوريا الجنوبية والهند وسنغافورة وعمان وتايلاند وبريطانـيا وأخـيراً الولايات المتحدة .. وتتمثل أهم الواردات في المعدات الرأسـمالية والأغذية والمشروبات وغيرها من السلع الاستهلاكية وتستورد مـن الولايـات المتحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا والصين والهند وكوريا والسعودية واستراليا .

٣- البحرين :

وبلغـت صـادراتها ٣٢٦٣ ملـيون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٣٥٥٤ مليون دولار للواردات . وشكلت الصادرات النفطية المـكررة ٦٣% مـن جملـة

جدول رقم (٥) *

توزيع الميزان التجاري على بلدان الوطن العربي خلال عام ١٩٩٨

م	الدولة	الصادرات بالمليون دولار أمريكي	الواردات بالمليون دولار أمريكي
١	الأردن	١٧٩٩	٣٨٣٣
٢	الإمارات	٣٠٣٦٠	٢٧٢١٣
٣	البحرين	٣٢٦٣	٣٥٥٤
٤	تونس	٨٩٨٨	٩٦٥٦
٥	الجزائر	١٠١٢٠	٩٣٠٠
٦	جيبوتي	١٣١	٦٣٢
٧	السعودية	٣٩٧٧٢	٢٧٥٣٥
٨	السودان	٥٩٦	١٩٢٥
٩	سوريا	٣١٣٥	٣٢٥٧
١٠	الصومال	١٨٢	٣٣٧
١١	العراق	٢٣٣١	٧٦٥
١٢	عمان	٥٥٠٩	٥٨٢٦
١٣	قطر	٤٣٥٥	٣٣٧٢
١٤	الكويت	٩٦١٤	٧٧١٤
١٥	لبنان	٧١٦	٧٠٦٣
١٦	ليبيا	٧٧٠٠	٦٣٠٠
١٧	مصر	٤٤٤٥	١٦٩٦٩
١٨	المغرب	٧٢٠٠	٩٧٠٠
١٩	موريتانيا	٣٦٩	٦٠١
٢٠	اليمن	١٥٠١	٢٢٠١

* الجدول من إعداد الباحث اعتماداً على المرجع السابق

الصادرات ، وتصدر البحرين إلى الهند والسعودية وكوريا والإمارات وسنغافورة وسريلانكا ، وتشكل واردات الوقود المعدني ومواد التشحيم والمواد المشابهة بما في ذلك النفط بنسبة ٤٣% من إجمالي الواردات ، وتستورد البحرين من السعودية والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا .

٤- تونس :

بلغت قيمة الصادرات عام ١٩٩٨ حوالي ٨٩٨٨ مليون دولار مقابل ٩٦٥٦مليون دولار للواردات . ومن أهم الصادرات النسيج والبترول ومشتقاته والمكائن والآلات الكهربية وزيت الزيتون والأسمدة الكيماوية والجلود والأسماك والغلال المجففة والبطيخ والفوسفات وبعض المعادن الأخرى ، وتوجهت تلك الصادرات إلى فرنسا (٢٨%) وإيطاليا (٢٢,٥%) وألمانيا (١٦,٢%) ، أما الواردات فهي النسيج والآلات والمكائن والأجهزة الميكانيكية والبترول ومشتقاته والدراجات النارية والجرارات والحبوب والسكر وكان الاستيراد من فرنسا (٢٦,٦%) وإيطاليا (٢٠,٥%) وألمانيا (١٢,٩%) .

٥- الجزائر :

وبلغت صادراتها ١٠١٢٠ مليون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٩٣٠٠ مليون دولار للواردات ، وتمثلت الصادرات في النفط والغاز بنحو (٩٠%) من إجمالي الصادرات ، توجهت في الغالب إلى إيطاليا (١٩,٥%) والولايات المتحدة (١٧,٣%) وفرنسا (١٤,٢%) وأسبانيا (١٠,٢%) .. وأهم الواردات هي السلع الرأسمالية والغذائية والمشروبات والسلع الاستهلاكية ، واستوردت الجزائر من فرنسا بنحو (٢٨,٥%) وإيطاليا (٨و٨%) والولايات المتحدة (٨,٦%) وأسبانيا (٧,٤%) .

٦- جيبوتي :

قدرت الصادرات بها بحوالي ١٣١ مليون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٦٣٢ مليون دولار للواردات ، وتمثلت الصادرات في الحيوانات الحية والجلود والأحذية وتتجه إلى الصومال بنسبة ٤٠% وأثيوبيا واليمن ، أما أهم الواردات هي الخضر والمشروبات والدهان والآلات والمواد الكهربية

وأجهزة النقل والمواد المعدنية واحتلت فرنسا المركز الأول كمورد لجيبوتي بنسبة ١٥% وأثيوبيا ١١% وإيطاليا ثم السعودية .

٧- السعودية :

وقدرت صادراتها عام ١٩٩٨ بنحو ٣٩٧٧٢ مليون دولار مقابل ٢٧٥٣٥ مليون دولار للواردات . شكلت الصادرات النفطية حوالي ٩٠% ، وتكونت الصادرات الأخرى في البتروكيماويات ومواد البناء والمنتجات الغذائية والحيوانية ، وتوجهت إلى اليابان ١٧,٥% والولايات المتحدة ١٥,٣ % وكوريا الجنوبية ١٠,٦% وموزمبيق ٨% ، ومثلت أهم الواردات ، الآلات والأجهزة والمعدات الكهربية ومعدات النقل والمنتجات الغذائية والمصنوعات المعدنية والمنتجات الكيماوية ومعدات النسيج ومصنوعاتها ، وتشكل المواد الغذائية والسيارات أهم مكونات واردات القطاع الخاص الممولة بواسطة المصارف التجارية ، واستوردت السعودية من الولايات المتحدة بنسبة ٢٢,٨% وبريطانيا ١٦,٨% واليابان ٨,٣% .

٨- السودان :

مثلت الصادرات عام ١٩٩٨ حوالي ٥٩٦ مليون دولار ، مقابل ١٩٢٥ مليون دولار للواردات ، وتعد أهم الصادرات القطن والحيوانات الحية والصمغ العربي والسمسم والسرغم والفول السوداني والسكر والخضر والفاكهة ووجهت إلى السعودية ٢١% ولإيطاليا ١٢,٣% وألمانيا ٧,٦% ، أما الواردات فهي السلع المصنعة والمنتجات النفطية والمواد الغذائية والآلات والمعدات الزراعية والصناعية والكيماويات ومعدات النقل ، ويشكل الإنفاق على منتجات النفط أكثر بنود الواردات تقلباً ، وتستورد السودان من ليبيا ١٧,٧% والسعودية ١٠,٢% والصين الشعبية ٨,٤% .

٩- سوريا :

بلغت صادراتها عام ١٩٩٨ حوالي ٣١٣٥ مليون دولار ، مقابل ٣٢٥٧ مليون دولار للواردات وتتصدر صادرات سوريا النفطية جملة الصادرات بنحو ٥٢% منها ، يليها الصادرات الزراعية فالصادرات المصنعة ، وتوجهت تلك الصادرات إلى السوق الأوروبية ٦٢% والبلدان العربية ٢٠% وأوروبا الشرقية ٥,٥% .. أما الواردات فتمثلت في المواد نصف المصنعة والسلع المصنعة والمواد الخام ، وتستورد سوريا من بلدان السوق الأوروبية

المشـــتركة (دول الاتحـــاد الأوروبـــي) ٣٠,٦% والـــبلدان العربية ٧,٧% وأوروبا الشرقية ١٨,٧% وبلدان القارة الأمريكية ١٠,٩% .

١٠- الصومال :

بلغت صادراتها ١٨٢ مليون دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٣٣٧ مليون دولار للواردات . وتمثلت الصادرات في الحيوانات الحية والموز والجلود والفراء والبخور والصمغ ، ويمثل تصدير الحيوانات الحية حوالي ٦٥% من مداخيل صـــادرات الصومال ، وتوجهت الصادرات للسعودية ٥٧% والإمارات ١٥ % وإيطاليا ١٢,٣٥% واليمن ، أما أهم الواردات فهي السلع الغذائية والنفط ، واســـتوردت الصومال حسب الترتيب من جيبوتي ٢٠% وكينيا ١١,٢% والهند ١٠% والسعودية ٩% والبرازيل ٨,٦% .

١١- العراق :

وصـــلت صادرات العراق عام ١٩٩٧ حوالي ٢٣٣١ مليون دولار مقابل ٧٦٥ مليون دولار للواردات وهذه الصادرات دونما المصدرة للأردن والتي شكلت ٩١% من إجمالي صادراتها عام ١٩٩٦ ، وتصدر البلاد النفط مقابل الغـــذاء والـــدواء ، وتوجهـــت الصادرات لأسبانيا ١٧% وفرنسا ١٥,٤% والولايات المتحدة ١٢,٤% . أما الواردات (دون وارداتها من الأردن والتي شـــكلت ٣٠% مـــن إجمالي وارداتها عام١٩٩٦) . وبحسب إحصاءات عام ١٩٩٧ ، اســـتوردت العراق من استراليا بنسبة ٣١,٦% والولايات المتحدة ١١,٨% وتايلاند ٨,٦% والصين ٨,٥% .

١٢- عُمان :

وبلغـــت صادراتها عام ١٩٩٨ حوالي ٥٥٠٩ مليون دولار مقابل ٥٨٢٦ ملـــيون دولار للـــواردات ، وشكلت الصادرات النفطية أكثر من ٧٥% من إجمالـــي الصـــادرات إضـــافة لتقدير معدلات النقل وإعادة شحن الآلات . وتوجهت صادرات السلطنة لليابان ٢٦% والصين١٨,٨% وكوريا الجنوبية ١٤% ، وتشـــكل الـــواردات من الآلات ومعدات النقل ، واستوردت عمان حســـب الترتيب من الإمارات ٢٢,٥% واليابان ١٦,٤% وبريطانيا ١٣,٥% والولايات المتحدة ٧,٦% .

١٣- قطر :

صـــدرت عـــام ١٩٩٨ بـــنحو ٤٣٥٥ مليون دولار مقابل ٣٣٢٧ مليون دولار للـــواردات ، وشـــكلت صـــادرات الـــنفط والغاز ٨٢% من إجمالي الصـــادرات ، واتجهـــت نصـــف صادرات قطر لليابان وموزمبيق ١٢% وكوريـــا الجنوبـــية ١١,٧% وتستورد قطر الآلات والمعدات والمصنوعات المختلفة والضرورية لمشاريعها ، واعتمدت في وارداتها على بريطانيا ٢٤ % وفرنسا ١٢,٤% واليابان ٩,٣% .

١٤- الكويت :

بلغـــت صـــادرات الكويـــت عام ١٩٩٨ نحو ٩٦١٤ مليون دولار مقابل ٧٧١٤ ملـــيون دولار للواردات وتمثلت الصادرات في ، الصادرات النفطية بنســـبة ٩٥% مـــنها أما الغير نفطية فهي المواد الكيماوية والأسمدة ، وقد توجهـــت الصـــادرات لليابان ٢٤% والهند ١٦% والولايات المتحدة ١٣% وكوريا الجنوبية ١١,٣% .. أما واردات الكويت فهي الآلات ومعدات النقل والبضـــائع المصـــنعة والمـــواد الكيماوية والأغذية والحيوانات الحية ، وقد اســـتوردت بحســـب الـــبلدان مـــن الولايات المتحدة ٢٢% واليابان ١٥% وبريطانيا ١٢,٨% .

١٥- لبنان :

صـــدرت لبنان عام ١٩٩٨ بنحو ٧١٦ مليون دولار مقابل ٧٠٦٣ مليون دولار للـــواردات ، وتمثلـــت الصـــادرات في المنتجات الزراعية والورق والمـــواد النســـيجية ومصـــنوعاتها والأحجـــار الكريمة والمعادن الثمينة ، وتوجهـــت إلى السعودية ١٤% والإمارات ٨,٩% وفرنسا ٦,٧% والولايات المـــتحدة ٦,٢% وســـوريا ٥,٢% ، أمـــا الواردات فشملت الآلات وأجهزة المعدات الكهربائية ومعدات ووسائل النقل والمعادن ومصنوعاتها والمنتجات المعدنية ، ومنتجات صناعة الأغذية ، واستوردت لبنان بحسب الترتيب من إيطالـــيا ١٣,٢% وفرنسا ٩,٥% والولايات المتحدة ٩,٢% وألمانيا ٨,٧% وسويسرا ٦,٦% وبريطانيا ٤,٤% وسوريا ٤,٢% .

١٦- ليبيا :

بلغـــت صـــادرات ليبـــيا عام ١٩٩٨ حولي ٧٧٠٠ مليون دور ، مقابل ٦٣٠٠ ملـــيون دولار للـــواردات وشـــكلت صادرات النفط الخام ٩٦% من

إجمالي الصادرات وتوجهت إلى إيطاليا بنسبة ٤٢% وألمانيا ١٧% فأسبانيا ١٠% ، أمـــا الواردات فشملت السلع الغذائية والرأسمالية ولا سيما الآلات ومعدات النقل ومنتجات الحديد والصلب ، واستوردت ليبيا من بلدان أهمها ، إيطاليا ٢٠% وألمانيا ١١% وبريطانيا ٨,٩% وفرنسا ٦,٨% واليابان ٥,٤ % وتونس ٤,٣% .

١٧- مصر :

وصلت صادرات مصر عام ١٩٩٨ حوالي ٤٤٤٥ مليون دولار ، مقابل ١٦٩٦٩ ملــيون دولار للــواردات ، وتمثلت الصادرات في البترول والغاز والنســيج والســلع الزراعــية ولا سيما القطن والأرز والصناعات المعدنية والكــيماوية والصناعات الهندسية ، وتوجهت الصادرات بالترتيب للولايات المــتحدة ١١,٤% وإيطاليا ١١,٢% وكل من ألمانيا وهولندا ٦,٨% أما أهم الــواردات فهي السلع الرأسمالية والأجهزة الكهربائية ومعدات النقل والسلع الغذائية كالقمح والذرة والسكر والزيوت النباتية واللحوم والسلع شبه الجاهزة ولا ســيما صناعة الحديد والصلب والبترول ومنتجاته والمنتجات الكيماوية والخشب والورق ، وتستورد مصر بالترتيب من .. الولايات المتحدة ١٣% وألمانيا ٨,٧% وإيطاليا ٧% وفرنسا ٦% .

١٨- المغرب :

بلغــت الصادرات المغربية عام ١٩٩٨ نحو ٧٢٠٠ مليون دولار مقابل ٩٧٠٠ ملــيون دولار للــواردات وتمثلت الصادرات فى السلع الغذائية ولا ســيما الحمضــيات ومنــتجات الصيد البحرى ، بجانب الفوسفات والأسمدة والمواد الكيماوية والمنتجات المعدنية ، وتوجهت الصادرات حسب الدول .. فرنسا ٢٧% وأسبانيا ١١% والهند ٨,٣% وإيطاليا ٦,٤% .. أما الواردات فشملت ، الآلات ومعدات النقل ومنتجات الحديد والصلب والمواد البلاستيكية والــورق والمــواد الكيماوية والبترول ومشتقاته ، والمواد الغذائية ولا سيما الحــبوب ، واستوردت المغرب بحسب الترتيب من فرنسا ١٢% وأسبانيا ٩ % والسعودية ٦,٩% والولايات المتحدة ٦,٥% .

١٩- موريتانيا :

بلغــت صــادراتها ٣٦٩ مليون دولار عام ١٩٩٨ ، مقابل ٦٠١ مليون دولار للواردات ، ويأتي في مقدمة الصادرات خام الحديد والأسماك وتوجهت

الصـــادرات بشــكل عام لليابان ٢٥% وإيطاليا ١٨% وفرنسا ١٥% .. أما الــواردات فشــملت المــواد الغذائية والسلع الاستهلاكية والمنتجات النفطية والسلع الرأسمالية ، وقد استوردت من الدول التالية أهمها : فرنسا ٢٦,٥% وأسبانيا ٧,٨% وألمانيا ٧% .

٢٠- اليمن :

قــدرت قيمة الصادرات عام ١٩٩٨ حولي ١٥٠١ مليون دولار ، مقابل ٢٢٠١ ملــيون دولار للــواردات وشــملت الصـــادرات اليمنية النفط الخام والأغذيـــة والحـــيوانات الحية والجلود والأسماك والتبغ والبن ، وتصدرت الصـــين قائمة الصادرات اليمنية بنسبة ٢٣% وكوريا الجنوبية ١٨,٧% ثم تايلاند والبرازيل واليابان وسنغافورة . أما الواردات فشملت الأدوية والمواد الخـــام والمعدنـــية والمـــواد الغذائـــية والورق والزيوت والآلات والأدوات الكهربائـــية والإلكترونية ووسائل النقل والمفروشات ، واستوردت اليمن من الإمارات ٨,٥٢% والولايات المتحدة ٧,٦٢% والسعودية ٧,٤٥% ثم فرنسا وبريطانيا واليابان والهند .

واقع التجارة العربية :

يبدو أن العلاقات التجارية العربية الخارجية مرتبطة بشكل قوي وواضح بـــالدول الأجنبـــية والمتقدمة منها بوجه الخصوص ، وأن ارتباطها ببعضها البعض وبالدول النامية والمجاورة منها ولا سيما الإفريقية قليل جداً ، ويبين ذلــك الجدول رقم (٦) واقع التجارة العربية من الفترة ما بين ١٩٩٤ حتى ٢٠٠٠ ، فعلـــى صعيد التجارة العربية العربية لم يطرأ عليها تحسين كبير ســـواء مـــن حيث القيمة أو الهيكل السلعي أو إتجاه هذه التجارة فقد استقر متوسط قيمة التجارة العربية البينية عند مستوى ٢٨مليار دولار ، تمثل نحو ٩,١% من التجارة العربية والإجمالية ، كما تتسم بالتركيز الجغرافي ، سواء من جانب الصادرات أو الواردات على شريك أو شريكين ، وسجل متوسط الصـــادرات العربية البينية حوالي ٩,٤% من الصادرات العربية الإجمالية خلال الفترة المذكورة ، وتعود هذه النسبة المنخفضة للتجارة العربية البينية إلى عدة عوامل أهمها .

جدول رقم (٦)
واقع التجارة للدول العربية بين ١٩٩٤ - ٢٠٠٠

القيمة بالمليون دولار أمريكى

	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠
اجمالى الصادرات العربية	١٣٤٢٦٨	١٥٠٢٨٧	١٧٢٩٥٠	١٧٥٣٧٣	١٣٧٠٦١	١٧٠٤٦٥	٢٤٤٣٤٦
اجمالى صادرات العالم	٤٢٤٨٧٠٠	٥٠٧١٠٠٠	٥٢٩٢٢٠٠	٥٥١٤٠٠٠	٥٣٩٦٧٠٠	٥٦٦٩٥٠٠	٦٣٦٨٧٠٠
اجمالى الواردات العربية	١١٨٥٠٨	١٣٥١٦١	١٣٩١٦٢	١٣٩٩٠٩	١٤٨٦٢٥	١٤١٨٥٨	١٧٤٦٨٣
اجمالى واردات العالم	٤٣١٨١٠٠	٥١٣٧٥٠٠	٥٣٨٣٨٠٠	٥٥٩١٣٠٠	٥٥٢٤٢٠٠	٥٨٢٣٣٠٠	٦٦٠٨٧٠٠
اجمالى التجارة العربية	٢٥٢٧٧٦	٢٨٥٤٤٨	٣١٢١١٢	٣١٥٢٨٢	٢٨٥٦٨٦	٣١٢٣٢٣	٤١٩٠٢٩
اجمالى تجارة العالم	٨٥٦٦٨٠٠	١٠٢٠٨٥٠٠	١٠٦٧٦٠٠٠	١١١٠٥٣٠٠	١٠٩٢٠٩٠٠	١١٤٩٢٨٠٠	١٢٩٧٧٤٠
الصادرات العربية البينية	١١٤٢١,٩٠٦	١٣٣٧٥,٤٤٨	١٥٣٠٧,٩٠٦	١٦٣٠٥,٤٤٦	١٤٣٧٨,٣٧٣	١٤٧٧١. ٩٢	١٧٢٤٧
الواردات العربية البينية	١١٧٢٥,٢٠٨	١١٧٨٠,٤٣٩	١٢٦٠٢,٢٣٨	١٣٣٣٦,٩١٥	١٣١٧٥,٤٩٥	١٤٢٦٤,٧٢٦	١٦٩٦٧
التجارة العربية البينية	٢٣١٤٧,١١٤	٢٥١٥٥,٨٨٧	٢٧٩١٠,١٤٤	٢٩٦٤٢,٣٦١	٢٧٥٥٣,٨٦٨	٢٩٠٣٦,٦٤٦	٣٤٢١٤

امصدر : التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١

١- وجـود عوائـق كثـيرة للـتجارة تتمثل في الحواجز الجمركية وغير الجمركية ، ووجود القوائم السلبية والاستثناءات في اتفاقيات مناطق التجارة الحُـرة العربية ، بالإضافة للحواجز السياسية والنزاعات الإقليمية وعقبات انتقال الأفراد ورؤوس الأموال .

٢- قلـة السلع المنتجة ، والتماثل الكبير بين ما ينتج في البلدان العربية ، أي أنهـا منافسـة لبعضـها البعض ، وذلك ناتج عن سياسة الإحلال محل الـواردات التي بنى على أساسها التصنيع في معظم هذه البلدان ، بالإضافة إلـى تطبـيق سياسات حماية شديدة للصناعات المنشأة محلياً والتي أفقدتها الجـودة والمواصفات اللازمة للتنافس مع مثيلاتها خارج الحدود الوطنية ، وحـتى الصـناعات التصـديرية فإن معظمها أنشئ لحاجات أسواق خارج البلدان العربية مثل الصناعات النفطية ومشتقاتها .

٣- ارتفاع حجم النفط في التجارة العربية الإجمالية ، فمع استبعاد عوائد البـترول يـبلغ حجم التجارة البينية حوالي ٤٥% ومن جانب آخر ، يمكن رصـد عدة مؤشرات إيجابية لإمكانية نمو التجارة العربية البينية تتمثل في تفكـير الكثير من الدول العربية رفع القيود على تجارتها ، مما يبشر بمنافع كثـيرة وزيـادة فـي التجارة البينية العربية ، والدور الذي يمكن أن يلعبه بـرنامج تمويـل الـتجارة العربية في دفع عجلة التجارة بين الدول العربية وبعضها البعض .. فضلاً عن الدور المتوقع للقطاع الخاص في زيادة حجم الـتجارة البينية ، إذا ما أقدم على توسيع قاعدة الإنتاج القطرية وشمول هذه القاعدة أسواق بلدان المنطقة العربية [٢] .

٤- بـيد أنـه لا ينتظر زيادة كبيرة في التجارة البينية في المدى القصير ، ويـرجع ذلـك إلى التشابه في هياكل التجارة الإجمالية تصديراً واستيراداً ، واعتماد أغلب الدول على الخارج في استيفاء احتياجاتها من السلع الإنتاجية والصـناعية المـتقدمة لتعذر توافرها في إطار السوق العربي ، إلى جانب اعـتماد بعـض الـدول العربية بصفة أساسية على تصدير مادة خام واحدة كالبـترول أو الحديد ، وهي منتجات يتعذر زيادة صادراتها منها إلى الدول العربية الأخرى بشكل ملحوظ من خلال التخفيضات الجمركية ، فضلا على أن الاتجاهات الحالية للتجارة العالمية تتسم بالارتفاع المستمر في نسبة السلع ذات التكنولوجيا المتقدمة في حركة الاقتصاد العيني ، وهي اعتبارات تؤدي

في مجملها إلى زيادة ربط الاقتصاديات العربية بالعالم الخارجي ، وتفرض أولوياتها على العلاقات الاقتصادية العربية ــ العربية [٣] .

مدى الاندماج التجاري العربي بالتجارة الدولية :

شــهدت الفــترة الأخيرة المزيد من اندماج اقتصاديات الدول العربية في الــتجارة الدولــية ، وبالتالــي زيــادة تأثــير هذه الاقتصاديات بالتطورات الاقتصادية العالمية ، كذلك إلى توسيع الإنفاق على الاستيراد وبسرعة أيضاً ، بحيث أصبحت الدول العربية أكثر اعتماداً على العالم الخارجي ، فبحسب الإحصــاءات المتوافرة ، فإنه نتيجة لسياسات تحرير التجارة الخارجية التي اتبعتها الدول العربية مؤخراً ، فقد ازداد انكشاف الاقتصاديات العربية تجاه العــالم الخارجي ، كما أن نسبة التجارة الخارجية العربية إلى الناتج المحلي الإجمالي لكافة الدول العربية (باستثناء العراق وجيبوتي واليمن والصومال) قــد ازدادت فــي المتوســط ، وبشكل متواصل ، حيث بلغت ٦١% للفترة ١٩٩٣ ــ ١٩٩٦ مقــابل ٥١% للفترة ١٩٨٦ - ١٩٨٩ ، ووصلت إلى ٦٥ % عــام ١٩٩٦ مقابل ٤٩% عام ١٩٨٦ ، وتشير هذه النسبة بلا شك إلى أهمــية الــتجارة الخارجــية في النشاط الاقتصادي للدول العربية إلى مدى ارتباط هذا النشاط بالتطورات في الأسواق الدولية [٤] .

وفي حين ازدادت نسبة انكشاف البلدان العربية على العالم الخارجي منذ عام ١٩٨٦ ، إلا أن صادراتها تعرضت للمزيد من التهميش في ظل طغيان التكتلات الاقتصادية والتحولات الهامة على مستوى النظام الاقتصادي القائم ، وتشــير إحصاءات صندوق النقد الدولي إلى أن نسبة الصادرات العربية الإجمالــية قد تراجعت من حوالي ٦% من إجمالي الصادرات العالمية عام ١٩٨٥ إلــى ٣,٣% عــام ١٩٩٦ [٥] . ثم حول ٣,٢% في الفترة من عام ١٩٩٤ حتى ٢٠٠٠ [٦] . ويعزى السبب إلى تراجع أسعار النفط التي يجرى الــتحكم بهــا عالمياً هذا من جهة ، ومن جهة ثانية التأثر بأوضاع الحصار المفروضة على بعض البلدان العربية ، يضاف إليها حالة الركود النسبية في الاقتصاد العالمي ، ومن جهة ثالثة تخلف الدول العربية عن التحولات الهامة الصــناعية والتكنولوجــية علــى مســتوى الإنتاج العالمي ، وفيما ازدادت الصــادرات العالمــية بنسبة ١٩٢% حلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٦ ، بلغت نسبة نمو الصادرات العربية ٦١% خلال ذات الفترة [٧] .

كمـــا اتســـع الإنفـــاق علـــى الاستيراد وبنسب تفوق معدلات النمو في الصـــادرات ، وتعتـــبر هـــذه المعـــدلات العالية لنمو الواردات والتي تفوق معـــدلات نمو الصادرات أخطر ظاهرة على صعيد التبادل التجاري ، حيث تعنـــي توجـــه شروط التبادل التجاري بين البلاد العربية والدول الصناعية لصالح الأخيرة ، مؤدياً إلى استنزاف في الموارد الاقتصادية ، وبصفة عامة ، من المعرف أن الاعتماد على تصدير المنتجات الأولية واستيراد المنتجات الصناعية له انعكاسات سلبية على معدلات التبادل التجاري للدول المصدرة للمنتجات الأولية ، كما هو حال الدول العربية . لأن أسعار المنتجات الأولية تنمو بمعدلات أقل من نمو الأسعار للمنتجات الصناعية على المدى الطويل . وكذلك فإن شروط التبادل التجاري للنفط الخام والذي يشكل نحو ٧٠% من إجمالـــي الصـــادرات العربية هي في تدهور منذ الثمانينيات ، وذلك بسبب تـــراجع أســـعار الـــنفط وتـــراجع استهلاك الطاقة من قبل الدول الصناعية وتطوير صناعات ذات استهلاك طاقة متدنية ، واستخدام بدائل للطاقة كالغاز والكهرباء ، وغيرها من الأسباب ، وقد نتج عن هذا الأمر تراجع في التبادل الـــتجاري فـــي النفط الخام من نسبة ١١% من إجمالي التجارة العالمية عام ١٩٨٠ إلى نحو ٤% عام ١٩٩٤ (٨) .

ويـــزيد من حدة التحولات التي شهدتها تجارة الدول العربية خلل أساسي يتمثل في ضيق القاعدة الصناعية وتخلفها في الدول العربية ، والذي يظهر بوضـــوح فـــي التـــنوع المتواضع في السلع المصنعة في هيكل الصادرات العربية ، والنسبة المتدنية للقيمة المضافة في إنتاجها . إلى جانب ذلك ومع تضاؤل قيمة التجارة العربية على المستوى العالمي "٣,٢%" ، هناك تضاؤل في حجم التجارة العربية مع أكبر شريك تجاري للسوق العربية وهو الاتحاد الأوروبـــي ، والـــذي بـــات يجمع دوله اتحاداً جمركياً وسوقاً شبه موحداً ، ويشـــكل نســـبة ٢٥% مـــن إجمالي الصادرات العربية و٤٥% من إجمالي مســـتوردات الدول العربية ، ولكن نسبة الصادرات الأوروبية للدول العربية وإن بدت كبيرة ، إلا أنها تمثل ٣% فقط من صادرات الاتحاد الأوروبي إلى العالم ، مما يعكس ضعف الموقف التفاوضي التجاري العربي في ظل غياب القدرة التفاوضية للنفط (٩) .

أهم تحديدات التجارة العربية :

تـتطور أحـوال الـتجارة العالمية بصورة متسارعة على صعيد توسيع التكـتلات الاقتصـادية حجماً وقوة ، وقد وجدت الدول العربية نفسها أمام خـيارات محددة ، بعد أن بات العالم يتجه إلى التمركز حول أقطاب معدودة تتركز فيها الفوائض المالية ، وهي إما الانخراط في إحداها ، كلجوء البلدان العربية إلى الشراكة الأوروبية المتوسطية ، لتفادى عملية التهميش الحاصلة على قدم وساق في عالم اليوم ، أو محاولة إيجاد منافذ لها تسمح بفسحة من حرية الحركة والمناورة أو تحديد شكل من أشكال التكتل العربي المواجه .

١- الشراكة الأوروبية المتوسطية وكيفية مجاراتها :

لجأت بلدان عربية متوسطية لمشروع شراكة مع الاتحاد الأوروبي بغية الـتجارة الحـرة وتعزيز التعاون الاقتصادي والاجتماعي والمالى ، خاصة ويشـكل الاتحاد الأوروبى للبلدان العربية المتوسطية جاراً أو شريكاً تجارياً تاريخياً ، فلا تزال الدول الأوروبية الشريك التجاري الرئيسي لغالبية الدول العربـية ، فمـا زالـت تحتل المرتبة الأولى من الصادرات العربية ٢٥% والواردات أيضاً ٤٥% بل كانت تمثل الصادرات العربية لأوروبا في بداية الثمانينـيات نسبة ٤٠% ، إلا أن هذه النسبة تراجعت خلال الثمانينيات إلى حوالي ٣٣% واستمرت في الانخفاض حتى ٢٥% ، نظراً للسياسة الحمائية الأوروبـية ودخـول منافسـين جدد من دول أوروبا الشرقية ، أما واردات الـدول العربية من الاتحاد الأوروبي فقد تعززت لتشكل ٤٥% عام ١٩٩٦ مقابل ٤٠% خلال الثمانينيات (١٠) .

بـدأ الاتحـاد الأوروبي منذ منتصف التسعينيات من القرن العشرين في طرح مفهوم جديد للتعاون بينه وبين دول البحر المتوسط ، يقوم على أساس المشـاركة ، حيث يوسع كثيراً من فرص التجارة ويقيد من تقديم المعونات trade not aid وتقـوم المشـاركة على ثلاثة محاور ، هى محور التعاون السياسـي والأمني ، ومحور التعاون الاقتصادي والمالي ، ومحور التعاون الاجتماعـي والثقافـي . وسلك الاتحاد الأوروبي في ذلك مسارين : مسار المفاوضـات الجماعية بين الاتحاد الأوروبي وكل الدول المتوسطية الإثنى عشر مجتمعة . ومسار المفاوضات الثنائية بين الاتحاد الأوروبي وكل دولة علـى حـدة . وطرح الاتحاد الأوروبي في مسار المفاوضات الجماعية في

محــور التعاون الاقتصادي والمالي تصور إقامة منطقة تجارة حرة أوروبية متوسطية بحلول عام ٢٠١٠ .

ودخلــت ثمانــي دول عربــية متوســطية مفاوضات ثنائية مع الاتحاد الأوروبــي هي : لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ومصر وتونس والجزائر والمغــرب . وقــد بلغــت الدول العربية المتوسطية الموقعة على اتفاقيات مشاركة مع الاتحاد الأوروبي حتى مايو ٢٠٠١ خمس دول فقط هي : تونس والمغرب وفلسطين والأردن ومصر .

وتضــمنت اتفاقــيات المشاركة الموقعة قواعد لتحديد السلع التي ينطبق عليها التحرير . تعرف باسم قواعد المنشأ والتي كان من بينها قاعدة المنشأ التراكمــي (الإقليمي) . ونظراً لعدم اكتمال الهياكل الإنتاجية للدول العربية المتوســطة الموقعــة علــى الاتفاقيات ، فقد رأت أن تستفيد بقواعد المنشأ التراكمي وتعظم الفائدة من هذه الاتفاقيات بأن تقيم منطقة تجارة حرة بينها . ومــن ثــم جاء إعلان أغادير - تحقيقاً لذلك - بين الدول العربية المتوسطية الموقعة على اتفاقيات مشاركة مع الاتحاد الأوروبي ، باستثناء فلسطين نظراً للوضــع الخــاص لها بعد انتفاضة الأقصى . وتنفيذاً لما جاء في الإعلان ، عقــد الاجتماع الأول للخبراء في القاهرة في يوليو ٢٠٠١ ، تلاه الاجتماع الأول لكبار الموظفين في الرباط في ٢٢-٢٣ أكتوبر ٢٠٠١ ، ثم الاجتماع الثانــي للخبراء في ٢٦ -٢٧ ديسمبر ٢٠٠١ الذي وضع بعض التصورات العامة للاتفاق أهمها : مواصلة العمل بالاتفاقيات الثنائية ، والتأكيد على أن الاتفاقــية الرباعية لا تلغي الاتفاقيات الثنائية ، وأن يتم تطبيق قواعد المنشأ الأوروبية لغايات تراكم المنشأ الإقليمي وتطبيق قواعد المنشأ في الاتفاقيات الثنائية فيما يتعلق بالتبادل الثنائي للدول الأربع [١١] .

ولا يفوتــنا التــنويه عــن تحــد أمام الدول العربية التي تشملها اتفاقات الشراكة (٧ بلدان عربية) تشكل حوالي ٥٨% من مجمل السكان و٤٠% من مجمل الإنتاج الاقتصادي للبلاد العربية ، ستكون تأثيراتها المباشرة ، زيادة المنافسة للمنتجين المحليين ، فيما ستكون استفادة الدول العربية محدودة جداً فــي مجــال الســلع المصنعة نظرا لأن للدول العربية المعنية أصلاً حرية الدخــول لأســواق الاتحــاد الأوروبــي . أما صادرات الدول العربية من المنسوجات والزراعة ، فسوف تستفيد من التخفيض المحدود للقيود الكمية ،

كذلك سيستفيد المنتجون العرب من خفض تكلفة السلع المستوردة من الاتحاد الأوروبي .

وينطوي أيضاً مشروع الشراكة على محاذير ، أهمها مواجهة الشركات العربية لمنافسة شديدة مما سيؤدى لإفلاس بعضها وقد يؤدى لاختلالات في الموازين التجارية وإضعاف الموازنات سوف يحد من قدرة الإنفاق على المشاريع التنموية ، فيما ستبقى الأسواق الأوروبية مغلقة في وجه المنتجات الزراعية للبلاد العربية . والحال ، فإن الاتحاد الأوروبي في سياساته المتوسطية يكيل بمكيالين : فهو يطلب من البلاد العربية المعنية أن تزيل القيود الجمركية وغير الجمركية عن الصادرات الأوروبية من السلع الصناعية ، فيما يبقى الباب موصداً أمام الصادرات العربية من المنتجات الزراعية والتي تشكل قيمتها نسبة ضئيلة جداً من إجمالي مستوردات الاتحاد الأوروبي [١٢]. ومما يزيد الأمور حذراً أن اتفاقيات الشراكة هذه سوف تواجه مخاطر جسيمة بالمستقبل مع دخول منافسين جدد من دول أوروبا الشرقية والوسطى ، ولا سيما صناعاتها من الزجاج والسيراميك والمنسوجات والجلود والبتروكيماويات ، وتقع الخطورة في أن هذه البلدان سوف تنقل المنافسة ليس فقط داخل الاتحاد الأوروبي ، بل إلى عقر دار الدول العربية ، حيث سيصبح بإمكان منتجات هذه الدول الدخول للأسواق العربية من خلال الاتحاد الأوروبي وبتنافسية أعلى ، فاتفاقية الشراكة مع تونس مثلاً تشير في المادة ٢١ إلى أن المنتجات التونسية لن تتمتع بمعاملة تفضيلية عما هو مطبق على أعضاء الاتحاد الأوروبي الأصليين فيما بينهم عند التصدير إلى المجموعة الأوروبية . كذلك ، من المتوقع أن يكون للوحدة النقدية الأوروبية دور هام في تخفيض كلفة التجارة للدول المنضمة إليها . كذلك ، ثمة مخاوف حقيقة أنه في حال لم يتم إلغاء القيود الجمركية وغير الجمركية بين الدول العربية ، والتي تحد من القدرات التصديرية للمنشآت الإنتاجية ، أن تختار الاستثمارات الأجنبية المباشرة حتى العربية منها التوجه إلى الاتحاد الأوروبي ، بحيث تستفيد من الدخول غير المقيد إلى الاتحاد الأوروبي من جهة ، وتدخل إلى الأسواق العربية الأخرى من خلال اتفاقات الشراكة بسهولة أكبر [١٣] .

ومـــن نافلـــة القول ، يجب التنبيه بأن مسار التجارة العربية و الاتفاقيات المـــبرمة بين الدول العربية والأجنبية يجب التنبيه إليها باستمرار ، حتى لا تؤدى إلى آثار اقتصادية سلبية .

٢ – ضرورة تفعيل مسار التجارة العربي – العربي :

تحتاج التجارة العربية - العربية إلى التفعيل والجدية في تطويرها ، فرغم القـــناعة العربـــية بضرورة قيام تجارة "عربية – عربية" قوية يستند عليها العـــرب فـــي عالم التكتلات والتفاوضات والنهضات الاقتصادية إلا أنها تعد هزيلة للغاية رغم العديد من المحاولات .

فشـــهدت بدايـــة الخمسينيات محاولات تستهدف تسهيل وتشجيع التعاون الاقتصـــادي العربي ، وخصوصاً التجارة . ففي عام ١٩٥٣ أوصى وزراء الاقتصاد والمالية العرب في مؤتمرهم الأول ببيروت بتطوير حركة التجارة العربـــية ، وفي عام ١٩٥٧ أقر المجلس الاقتصادي للجامعة العربية اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، والتي انضمت إليها ١١ دولة ، وأنشئ بعد ذلك مجلس الوحـــدة الاقتصادية العربية ، الذي قرر في أغسطس ١٩٦٤ إنشاء السوق المشـــتركة التي انضمت إليها سبع دول فقط هي : مصر وسوريا والعراق والأردن وليبيا واليمن وموريتانيا . وحسب تقرير المجلس ، فقد التزمت هذه الدول بتطبيق اتفاقية السوق على مدى ١٥ سنة ، من ١٩٦٥ حتى ١٩٨٠ ، وارتفـــع حجم التجارة بينها من ٩٧,٥ مليون دولار في ١٩٦٥ إلى ١٣٢٥ مليون دولار في ١٩٧٥ ، والملفت هو أن معدل الزيادة في التجارة بين هذه الـــدول كـــان أعلى بكثير من معدل الزيادة في تجارتها الخارجية عموماً ، الأمر الذي يؤكد أن تحرير التجارة يؤثر إيجابيا على العلاقات البينية ، رغم التشابه الغالب على هياكل إنتاج هذه الدول . ولكن هذه السوق منيت بنكسة عقـــب تجميد عضوية مصر بالجامعة العربية رداً على عقدها معاهدة السلام مـــع إســـرائيل عام ١٩٧٩ . وشمل هذا التجميد الاتفاقية المعقودة في إطار الجامعـــة ، بما فيها اتفاقية السوق المشتركة ، في الوقت الذي لم تلتزم بقية الـــدول (الست) باستمرار العلاقات بينها على أساس هذه الاتفاقية حتى بعد عودة مصر إلى الجامعة ، وأصبحت العلاقات قائمة على اتفاقيات ثنائية .

وعاد حجم التجارة بين الدول السبع إلى الازدياد خلال النصف الأول من التسعينيات ، إلا أن معدل هذه الزيادة كان أقل من معدل الزيادة في إجمالي

تجارتها الخارجية ، نظراً لافتقاد اتفاقية ١٩٦٤ إلى آليات لإلزام الدول بتنفيذ أحكامهـا ، إلـى جانب الشكوك المتبادلة بين دول طموحة كمصر وسوريا والعـراق ، إلـى جانب عدم اكتساب السوق العربية المصغرة قوة دفع بعد تأسيسها لتصبح نموذج اجتذاب دول عربية أخرى (١٤) .

شهد عام ١٩٩٧ اتجاهاً قوياً يدعو لإقامة سوق مشتركة تشمل كل الدول العربية ، بعد أن ترددت في السنوات القليلة السابقة أفكار تتراوح بين إحياء وتفعـيل السوق المصغرة القديمة ، وتأسيس سوق جديدة يبدأ بمنطقة تجارة حـرة . فقـد طالـب مجلس الوحدة للدول العربية المنضمة لاتفاقية ١٩٦٤ بالالـتزام بأحكامها ، ودعا بقية الدول إلى الانضمام إليها ، وذلك في قراره رقـم ١٠٤٤ فـي ديسمبر ١٩٩٦ ، كمـا كثر الحديث عن تأسيس تكتل اقتصادي عربي يبدأ بمنطقة تجارة حرة أو يتجاوز السوق المصغرة القديمة . وبـادر المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للجامعة في سبتمبر ١٩٩٥ بـإعداد مشروع برنامج تنفيذي لاتفاقية تسيير وتنمية التبادل التجاري لإقامة منطقة تجارة حرة بين كل الدول العربية بشكل تدريجي خلال عشر سنوات تـبدأ في مطلع ١٩٩٨ . ووافقت ١٦ دولة على هذا المشروع ، الذي انتقده مجلـس الوحـدة الاقتصـادية في تقريره نصف السنوي الصادر في يونيو ١٩٩٧ ، مشـيراً إلـى عـدم ضرورة الانتظار لمدة عشر سنوات من أجل اسـتكمال تحريـر الـتجارة البينية العربية ، وانتظار عشر سنوات أخرى للتواصل لاتحاد جمركي عربي .

ويعني ذلك وجود خلافات قوية حتى بين مؤسسات الجامعة العربية بشأن تفعـيل السـوق العربـية المشتركة القديمة وتطويرها ودعوة الدول العربية جمـيعها للدخول فيها أو البدء من نقطة الصفر، لإقامة منطقة تجارة حرة عربـية ثم اتحاد جمركي عربي في إطار سوق عربية مشتركة شاملة على مدى عشرين عاماً على الأقل (١٥) .

لجـأت بعض البلدان العربية لإقامة مناطق تجارة حرة مصغرة بين عدد أقل من البلدان ، تفادياً للتعقيدات والمعوقات التي تواجه منطقة التجارة الحرة العربـية الكبرى ، حيث إنه في ظل مناطق التجارة الحرة والمصغرة يمكن أن تكون المعوقات أقل بحكم عددها الأقل ، وربما تكون هناك مصالح أوثق بيـن هذه البلدان . ولا تعد هذه المناطق الحرة المصغرة بديلاً عن نظيراتها

الكبرى ، بل تسير في اتجاهها وتدعم نجاحها ، وقد شهد عام ٢٠٠١ مثالين لهذا الاتجاه من المناطق المصغرة هما إعلان أغادير . وإعلان بغداد .

أولاً : إعلان أغادير :

جـــاء فـــي ٨ مايو ٢٠٠١ من أغادير إعلان تحت عنوان :"إعلان بشأن إقامــــة مـــنطقة للتبادل الحر بين الدول العربية المتوسطية" من قبل وزراء خارجية الأردن ومصر وتونس والمغرب ،وشمل الاعلان أربع نقاط رئيسية هـــي :بدء العمل على إقامة منطقة موسعة للتبادل الحر تضم الدول العربية المتوســطية ،على أن تبقى هذه المنطقة مفتوحة أمام الدول العربية الأخرى ،وتكليف فريق عمل من خبراء الدول الأربع لدعم الإطار المؤسسى ولوضع الآلـــيات الضـــرورية لإقامة هذه المنطقة ،وقيام فريق الخبراء بعقد لقاءات دوريـــة لتحضير مشروع اتفاقية منطقة التبادل الحر الموسعة ،وتعيين لجنة مـــن كـــبار الموظفين لدراسة تقارير فريق الخبراء بقصد تقديم تصور عام يعـــرض علـــى وزراء الخارجية فى أقرب وقت وجاء الإعلان كمبادرة من الملـــك محمد السادس ، كما ورد فى نفس الاعلان. وتنفيذاً لقرارات القمة العربية الثالثة عشرة التى عقدت بعمان فى الأردن ١٩٨٠ .

ويبيـــن الجـــدول رقم (٧) تطور الصادرات والواردات والتجارة البينية لـــدول الإعـــلان خلال السنوات ١٩٩٤ - ٢٠٠٠ ومنها ينضح أن متوسط الصادرات الإجمالية لدول الإعلان كان يدور حول ١٦١٧٩ مليون دولار ، فـــي حيـــن كـــان متوسط الواردات الإجمالية يدور حول ٣٥٤٦١ مليون دولار ، وبالتالـــي ســـجل متوســـط التجارة الإجمالية لدول الإعلان حوالي ٥١٦٤٠ مليون دولار خلال هذه الفترة .

كمـــا سجل متوسط حجم التجارة البينية ٤٧٢ مليون دولار خلال الفترة المذكـــورة بنسبة ٠,٩% من التجارة الإجمالية لدول الإعلان ، في حين كان يـــدور متوســـط الصادرات والواردات البينية حوالي ٢١٧ مليون دولار و ٢٥٥ مليون دولار على التوالي خلال نفس الفترة .

ويـــتركز قرار الدول الأربع الموقعة على الاعلان على عدد من الأسباب أهمها وجود اتفاقيات ثنائية للتجارة الحرة بين الدول الأربع ، بالإضافة إلى وجـــود اتفاقـــيات مشاركة بينها وبين الاتحاد الأوروبي ، فضلاً عن تقارب المستوى الاقتصادي بين البلدان الأربعة [٦٦] .

جدول رقم (٧)
واقع التجارة لدول مناطق التجارة الحرة العربية المصغرة

القيمة بالمليون دولار أمريكى

	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠
إجمالى الصادرات	١٨٠,٦٠٣	٢١٢,٤٠٨	٢٤٨,٣٣٣	٢١٠,٤٨٥	٢١٧,٨٩٢	٢٢١,٠٦٣	٢٣٠
إجمالى الصادرات للعالم	١٣٥٧٩	١٥٤٨٨	١٥٦٩٦	١٦٠٠٣	١٥٤٣٠	١٥٩٢٣	٢١١٣١
اجمالى الواردات البينية	٢٠٧,٠٧	٢٤٨,١٤٤	٣٠٢,٤٢	٢٣٧,٧٥٦	٢٥٧,٣٠٧	٢٥٥,٢٠١	٢٧٦
اجمالى الوردات من العالم	٢٦٧٤٤	٣١٩٠١	٣٣٢٨٤	٣٣١٤٠	٣٧١٥٥	٣٨٨٧١	٤٧١٣٥
اجمالى التجارة البينية	٣٨٧,٦٧٣	٤٦٠,٥٥٢	٥٥٠,٨٥٣	٤٤٨,٢٤١	٤٧٥,١٩٩	٤٧٦,٢٦٤	٥٠٦
اجمالى التجارة مع العلم	٤٠٣٢٣	٤٧٣٨٩	٤٨٩٨٠	٤٩١٤٣	٥٢٥٨٥	٥٤٧٩٤	٦٨٢٦٦
اجمالى الصادرات البينية	٣٦٥,٨١٧	٣٩٧,٢٠٥	٢٤٤,٩٣١	٣١٩,٠٩٦	٢٨١,٦٧٨	٢٩٣,٨٧٣	٢٥٩
اجمالى الصادرات للعالم	١٧٣٥١	١٧٥٢١	١٨١٨٩	١٩٩٠٢	١٧٥٦١	٢٤٦٤	٣٧٣٩٩
اجمالى الواردات البينية	٢٦٣,٩٣٦	٣٤٢,٢٦٦	٣٠٩,٤٢٥	٣٧٩,٠٥٢	٣٧٧,٥٩٨	٢٦٦,٢٠١	٢٦٤
اجمالى الواردات من العالم	٢٠١٩١	٢٢١٦٥	٢٤٢٣١	٢٣٩٧٠	٢٧٩٧٨	٢٧٥٥٠	٣٣٨٤٦
اجمالى التجارة البينية	٦٢٩,٧٥٣	٧٣٩,٤٧١	٥٥٤,٣٥٦	٦٩٨.١٤٨	٦٥٩,٢٧٦	٥٦٠,٠٧٤	٥٢٣
اجمالى التجارة مع العلم	٣٧٥٤٢	٣٩٦٨٦	٤٢٤٢٠	٤٣٨٧٢	٤٥٥٣٩	٥٢١٨٤	٧١٢٤٥

امصدر : التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١

وبالنسبة للاتفاقيات الثنائية للتجارة الحرة بين الدول الأربع . وقعت مصر وتونس على اتفاقية للتبادل الحر وعلى بروتوكول قواعد المنشأ الملحق بها في القاهرة في ٥ مارس ١٩٩٨ ، وقد جاءت الاتفاقية في (٢٣) مادة وجاء البروتوكول في (٢٨) مادة ونصت هذه الاتفاقية بأن يقوم الطرفان تدريجياً بإنشاء منطقة للتبادل الحر بينهما خلال فترة انتقالية مدتها لا تتجاوز ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧ ، واعتبار الرسوم الجمركية والرسوم والضرائب الأخرى ذات الأثر المماثل السارية والمعمول بها في البلدين بتاريخ ١/١/ ١٩٩٧ للتدرج حسب الجدول الزمني .

كما وقعت مصر والمغرب في القاهرة بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٩٨ على اتفاقية للتبادل الحر ، وجاءت الاتفاقية في (٢٥) مادة . ونصت الاتفاقية على أن يقوم الطرفان تدريجياً بإنشاء منطقة للتبادل الحر بينهما خلال فترة انتقالية مدتها ١٢ سنة كحد أقصى بدءاً من دخول هذه الاتفاقية حيز النفاذ ، واعتبار الرسوم الجمركية والرسوم والضرائب الأخرى ذات الأثر المماثل السارية والمعمول بها في البلدان بتاريخ ١٩٩٧/١/١ أساساً للتدرج حسب جدول زمني .

أيضاً وقعت مصر والأردن في عمان بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٩٨ على اتفاقية للتبادل التجاري الحر ، وقد جاءت الاتفاقية في (٢٤) مادة . ونصت على أن يقوم الطرفان تدريجياً بإقامة منطقة للتبادل التجاري الحر بينهما خلال فترة انتقالية لا تتجاوز أول يناير ٢٠٠٥ ، واعتبار الرسوم الجمركية والرسوم والضرائب الأخرى ذات الأثر المماثل السارية والمعمول بها في البلدين بتاريخ ١٩٩٨/١/١ أساساً للتدرج حسب الجدول الزمني [١٧] .

ثانياً : إعلان بغداد :

أصدر مجلس الوحدة الاقتصادية العربية القرار رقم (١٠٩٢) في دور انعقاده العادي الـ (٦٨) بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٦ ، اعتمد برنامجاً تنفيذياً لاستئناف تطبيق أحكام السوق العربية المشتركة . وينص البرنامج التنفيذي لاستئناف تطبيق أحكام السوق العربية المشتركة على استئناف التحرير الكامل للتبادل التجاري فيما بين الدول الأعضاء في السوق ، اعتباراً من

أول يناير ٢٠٠٠ . وتعتمد آلية تحرير التبادل التجاري بين الدول الأطراف على أسلوب التحرير المتدرج ، حيث يتم تحرير السلع العربية بتخفيض ٤٠ % في أول يناير ٢٠٠٠ وذلك من الرسوم الجمركية والرسوم والضرائب الأخرى ذات الأثر المماثل والمطبقة في ١٩٩٩/١/١ ، وتخفيض ٣٠% أخرى في أول يناير ٢٠٠٠ ، وتخفيض ٣٠% الباقية في أول يناير ٢٠٠٢ ، بحيث يتحقق الإعفاء الكامل . كما يتم إلغاء القيود الجمركية في موعد أقصاه أول يناير ٢٠٠٠ .

وتخضع صفة المنشأ اللازمة لاعتبار السلعة عربية لأغراض تطبيق هذا البرنامج لقواعد وشهادة المنشأ التي أقرها المجلس الاقتصادي والاجتماعي لجامعة الدول العربية بموجب قراره رقم (١٢٦٩) في دورته الـ (٥٧) وبالنسبة للاستثناءات من لتطبيق ، فإن البرنامج نص على أن تنحصر في أضيق الحدود ويصدر بها قرار من الاجتماع الوزاري للسوق يحدد مجالها السلعي وفترتها الزمنية . كما يتم اعتماد قائمه للسلع المحظور استيرادها وتستند هذه القائمة إلى أسباب دينية وصحية وأمنية وبيئية . وتطبق لهذا الغرض في نفس القائمة المعمول بها في إطار البرنامج التنفيذي لمنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى .

وتضمن البرنامج معاملة الأطراف الأقل نمواً ، فنص على أن تتمتع بهذه المعاملة الدول الأطراف بالسوق حالياً أو مستقبلاً ، وهي : جيبوتي وجزر القمر والصومال واليمن وموريتانيا وفلسطين . ونص البرنامج التنفيذي على أن يتم وضع آلية انتساب تشتمل على القواعد الأساسية لاشتراك الدول العربية غير الأعضاء بالمجلس في تحرير التجارة في نطاق السوق ، بعد أن يتم تفعيل السوق واستئناف مسيرتها . كما نص البرنامج أيضاً على أن تقوم الأمانة العامة بإنجاز الدراسات الخاصة بتوحيد الرسوم الجمركية وإعداد مقترحاتها بشأن انتقال السوق من مرحلة منطقة التجارة الحرة إلى مرحلة الاتحاد الجمركي .

تباينت الآراء الواردة من الدول العربية الأطراف في السوق ومواقفها تجاه البرنامج التنفيذي ، فليبيا التزمت بالقرار (١٧) الخاص بالتحرير

الكامل للسلع التي منشؤها الدول الأطراف في السوق ، في حين التزمت العراق ومصر بالتحرير المتدرج بدءاً من أول يناير عام ٢٠٠٠ ولمدة ثلاث سنوات ، بينما ارتأت الأردن وسوريا إرجاء تطبيق البرنامج التنفيذي ، وتم استثناء اليمن وموريتانيا من الالتزام مرحلياً على اعتبار كونهما من الدول الأقل نمواً . أما فلسطين فلم تكن قد انضمت بعد إلى السوق العربية المشتركة ، وإن كانت ستخضع للاستثناء ذاته المقرر في البرنامج التنفيذي مثل اليمن وموريتانيا . كما وقعت كل من مصر والعراق في ١٨ يناير ٢٠٠١ اتفاقيتي تجارة حرة ثنائية بين كل منهما ، وتضمنت هاتان الاتفاقيتان بروتوكولات تنفيذية تضع إطاراً زمنياً لتحرير التبادل التجاري في الإطار الثنائي . كما أن ليبيا كانت قد اتخذت منذ سنوات قراراً بفتح أسواقها أمام كافة السلع ذات المنشأ العربي . وفي هذا الإطار جاء "إعلان بغداد" (١٨) .

فقد تم إعلان قيام منطقة تجارة حرة رباعية بين مصر وسوريا والعراق وليبيا في بغداد يوم ٧ يونيو ٢٠٠١ . على هامش الدورة العادية (٧٣) لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، تحت عنوان : "إعلان عن بدء التنفيذ لمراحل تطبيق السوق العربية المشتركة في بعض البلدان العربية" متبنياً ذات البرنامج التنفيذي لاستئناف تطبيق أحكام السوق العربية المشتركة ، مع الاتفاق أيضاً على الالتزام بتوحيد التشريعات والأنظمة الجمركية بينها . كما نص الإعلان على أن يجوز لأية دولة عربية عضو في جامعة الدول العربية الانضمام مباشرة إليه ، وأن يبدأ تاريخ التحرير الكامل للسلع العربية المنشأ بالنسبة للدولة المنضمة بعد ثلاثة شهور من تاريخ الانضمام .

واتضح عند مراجعة مواقف الدول تجاه البرنامج التنفيذي لاستئناف تطبيق أحكام السوق العربية المشتركة فإنه يتضح تراجع سوريا عن موقفها السابق ، بينما تمسكت الأردن بموقفها الذي يذهب لضرورة التنسيق فيما بين السوق العربية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى (في إطار جامعة الدول العربية) .

وتمثل دول إعلان بغداد حوالي ٣٨,٣% من سكان الوطن العربي ، ويحتلون ٢٣,٩% من مساحة الوطن العربي ويمتلكون ٢٥,٢% من

احتياطي البترول العربي ، وينتجون ٢٦,٧% من النفط العربي ، ونحو ١٢,٢% من إجمالي إنتاج الغاز الطبيعي ، ولهم من احتياطي الغاز ما نسبته ٣٧,٢% من الاحتياطي العربي فضلاً عن أنهم يساهمون بنحو ٣٥,٧% من الإنتاج المحلي الإجمالي العربي [١٩] .

ويبين الجدول رقم (٧) الصادرات والواردات وحجم التجارة البينية لدول الإعلان خلال السنوات ١٩٩٤ - ٢٠٠٠ ، ومنه يتضح أن متوسط الصادرات الإجمالية كان يدور حول ٢١٧٤٩ مليون دولار ، وأن متوسط الواردات الإجمالية ٢٥٧٠٤ مليون دولار . وسجل متوسط حجم التجارة حوالي ٤٧٤٩٨ مليون دولار خلال هذه الفترة . وعلى صعيد التجارة البينية ، فإن متوسط حجم التجارة البينية لدول الإعلان سجل حوالي ٦٢٤ مليون دولار خلال الفترة بنسبة ١,٣% من التجارة الإجمالية لدول الإعلان . في حين كان متوسط الصادرات والواردات البينية لدول الإعلان يدور حول ٣٠٩ مليون دولار و٣١٥ مليون دولار على التوالي خلال نفس الفترة .

وقد قرر وزراء الاقتصاد والمالية والتجارة العرب والمشاركون في أعمال الدورة (٧٤) لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية (القاهرة - ديسمبر ٢٠٠١) تأجيل الموافقة على البروتوكول التنفيذي لمنطقة التجارة الحرة الرباعية (إعلان بغداد) لدورة نواكشوط يومي ٥،٦ يونيو ٢٠٠٢ ، وذلك بناء على طلب مصر لاستكمال الدراسات حولها وإتاحة الفرصة لمن يرغب من الدول العربية الأعضاء في مجلس الوحدة الاقتصادية في الانضمام إليها ، خاصة بعد انضمام فلسطين إلى اتفاقية السوق العربية المشتركة [٢٠] .

اتجاهات التنمية العربية وتحدياتها

انقضت الألفية الثانية ودخل الوطن العربي الألفية الثالثة وهو مثقل بهموم تـنموية عضال ، وتحديات تجعله مؤثراً على خريطة العالم الجديد أو غير مؤثر . وتتمثل هذه الهموم فى أمور كثيرة أهمها وأوضحها :

١- تراجع واضح ومستمر فى الوزن الاقتصادى العربى :

ففـى ظـل السياسات الاقتصادية للدول التى استندت بعد استقلالها من الاسـتعمار لأيديولوجـيات قومـية وتوسـيع دور الدولة فى السيطرة على ممـتلكات الأجانـب وتأميم ممتلكات الرأسمالية المحلية اعتقاداً فى ان هذا سيؤدى لارتفاع مستوى تشغيل الجهاز الإنتاجى وقوة العمل والسيطرة على الـتراكم للـتحكم فى الاستثمارات الجديدة وتوزيعها القطاعى لإعادة هيكلة الاقتصـاد ، بمـا يسـاعد علـى تحقـيق الأهداف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة ، كان الهدف الأول هو أن استمرار السيطرة الاقتصادية شـكل وما يزال ضرورة لاستمرار السيطرة السياسية للنخب البيروقراطية والعسكرية الحاكمة فى العديد من الدول العربية ، كما أنه فى الدول العربية القائمة على السيطرة القبلية والعائلية على الحكم ، اعتبرت السيطرة السياسية مـن ناحـية ولضـمان استمرار الاستئثار بالجانب الأعظم من هيكل القوة الاقتصـادية للدولـة ، ومـنذ منتصف الثمانينيات من القرن العشرين بدات معدلات النمو فى التراجع نتيجة ظهور مشاكل سيطرة قطاع الدولة والقطاع العـام على التكوين الرأسمالى فى معظم الدول العربية ، مما أدى إلى تدنى مسـتوى كفـاءة العملـيات الإنتاجية نتيجة ضعف كفاءة إدارة الاستثمارات العامة والعجز فى **تحقيق نمو اقتصادى على المستوى العالمي ثم بزوغ أزمـة المديونية الخارجية لعدد كبير من الدول العربية نظراً لاعتمادها فى التمويل على العالم الخارجى** [٢١] **.**

أ- العجز عن تحقيق نمو اقتصادى على المستوى العالمى :

فقـد بلـغ الـناتج المحلى الإجمالى العربي ١,٤% من الناتج العالمى ، وشكلت الصادرات العربية ٤,١% من الصادرات العالمية عام ١٩٦٥ ، ولم تكـن هذه الأرقام متضمنة الإمارات واليمن وقطر والأردن والبحرين ، إما لعـدم توفر البيانات أو لكونها غير مستقلة حينئذ . ومع ارتفاع أسعار النفط زادت إيرادات الدول العربية النفطية ، كما استفادت الدول غير النفطية من

خــلال المساعدات من الدول النفطية وبصورة غير مباشرة من خلال تزايد طلــب الــدول العربــية النفطية الخفيفة السكان على خدمات عنصر العمل والمقــاولات والخدمات السياحية من العديد من الدول العربية غير النفطية ، وكانت النتيجة ارتفاع الوزن النسبى للناتج المحلى الإجمالى العربى إلى ٤,٢ % من الناتج العالمى عام ١٩٨٠ ، أى أن هذا التحسن كان مرتبطاً بأسعار لــنفط ، فكــان مجموع النواتج المحلية لدول الخليج العربي الست والعراق وليبيا قد أصبح عام ١٩٨٠ يشكل نحو ٧١,٤% من الناتج المحلى الإجمالى العربي بعد أن كان نحو ٣٥% منه عام ١٩٦٥ .

وقــد ارتفعــت حصة الصادرات العربية من العالمية إلى ١٢,٦% عام ١٩٨٠ ، ومــا أن تمكنت الدول المستوردة الرئيسية من إعادة السيطرة على سوق النفط منذ منتصف الثمانينيات وحتى اليوم [٢٢] ، فهوى الناتج المحلى الإجمــالى العربــي لــنحو ٢% مــن نظيره العالمى عام ١٩٩٧ ، وهوت الصــادرات العربــية إلى مجرد ٣,٢% من نظيرتها العالمية عام ٢٠٠١ ، وأصــبح الوزن النسبى للاقتصاديات العربية للناتج العالمى والتجارة الدولية الآن أســوأ بكثير من الوضع فى منتصف الستينيات ، بل أن الدول النفطية أتيحــت لهــا فرصة استثنائية لتجاوز التخلف والفقر لم تحقق نقلة فعالة فى تنويع هياكل اقتصاداتها وصادراتها .

ويتضح ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين التغيرات فى أسعار النفط وبين اتجاه معــدلات النمو سواء للدول المصدرة أو غير المصدرة للنفط ، حيث يشير الهــيكل القطــاعى للإنــتاج الســلعى للناتج الإجمالى العربي إلى سيطرة الصــناعات الإســتخراجية (٤٠,١%) والزراعة (٢٤,١%) ثم الصناعات التحويلية (٢١,٢%) مما يوضح تلكؤ الجهود التى بذلت لتنويع قاعدة الإنتاج وزيــادة الاهتمام بالصناعة ، إذ ما تزال تتخصص الدول العربية فى المواد الأولــية بل فى عددٍ ضئيلٍ منها مما يعرض اقتصاداتها للتقلبات الاقتصادية الحادة [٢٣] .

فقــد بلغ معدل النمو السنوى العربى فى أعلى فتراته (١٩٧٠ - ١٩٨٥) فقط ٥% مقابل ٣,٨% خلال التسعينيات ، بل أن معدل النمو السنوى سجل تــراجعاً فــى عام ١٩٩١ بنحو ٤,٣ ، وبلغ صفر% عام ١٩٩٣ ، وتوضح معــدلات الــنمو فــى متوسط دخل الفرد ارتفاعها بنسب ضئيلة بلغت فى

النصف الأول من السبعينيات ٢,٣ % ولكنها تراجعت أوائل التسعينيات الى ٠,٧٥% ، ذلك فى وقت بلغ فيه متوسط نمو دخل الفرد فى الدول الآسيوية ٧% سـنوياً . ويعزى انخفاض متوسط دخل الفرد العربى انخفاض معدلات نمـو الـناتج المحلى الإجمالى و تقلبات مصادر الدخل ، إلى جانب ارتفاع معدل النمو السكانى فى ظل ضعف النمو الاقتصادى وقلة تواجد فرص عمل لتحجيم البطالة التى أصبحت خطراً يداهم الوضع الاقتصادى العربى بما فيها دول الخليج العربى التى تعتبر مستقبلة للعمالة الوافدة ، حيث يتجاوز معدل الـبطالة السـافرة العربية ٢٠% من جملة القوى العاملة البالغة ٩٢ مليون نسـمة عام ٢٠٠٠ ، أى أن هناك ١٨,٤ مليون عاطل في الوطن العربى ، هم نتاج تزايد أعداد الداخلين لسوق العمل بنحو ٣% سنوياً [٢٤] .

وقـد حقـق متوسـط نصـيب الفرد العربي انخفاضاً فى الناتج المحلى الإجمـالى عـام ٢٠٠٠ (٢٥٠٣ دولارات) سنوياً ، وهو أقل من نظيره فى منتصـف الثمانينـيات ، ويزيد هذا الانخفاض عمقاً ، إذا ما حسب متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى بالأسعار الثابتة [٢٥] .

وتتضح فداحة الاتجاه الاقتصادى السلبى عند مقارنة "الوضع المصرى" بنظـيره الكـورى الجنوبى" ، ففى عام ١٩٦٥ بلغ الناتج المحلى الإجمالى المصرى نحو ٥,١ مليار دولار ، وبلغ نصيب الفرد منه نحو ١٧٣ دولار ، فى حين بلغ الناتج المحلى الإجمالى الكورى الجنوبى فى العام نفسه حوالى ٣ ملـيارات دولار ، وبلغ متوسط نصيب الفرد نحو ١٠٥ دولار لكن نتيجة الـتطور الاقتصـادى والصناعى الكورى الجنوبى المبنى على المنافسة فى الأسـواق الخارجـية كضرورة لتحقيق الاستراتيجية التصديرية الكورية ، مقابل الجمود الشديد للصناعة المصرية ، اصبحت كوريا الجنوبية أكثر ثراء مـن مصـر ، وبلغ ناتجها المحلى الإجمالى نحو ٣٦٩,٩ مليار دولار عام ١٩٩٨ مقابل ٧٩,٢ مليار دولار لمصر ، وأصبح متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى ٧٩٧٠دولار فى كوريا مقابل ١٢٩٠ دولار للفرد فى مصر عام ١٩٩٨ . هذا فضلاً عن أن قيمة الصادرات السلعية المصرية قد بلغت نحو ٢٦٣,١ مليون جنيه مصرى (٦٠٥,١ مليون دولار) عام ١٩٦٥ مقارنة بنحو ١٧٦,٧ مليون دولار قيمة صادرات كوريا فى ذلك العام ،أى أن الصـادرات السلعية المصرية كانت حتى عام ١٩٦٥ تبلغ نحو ٣,٤ مرة

قـــدر الصادرات السلعية الكورية ، أما فى عام ١٩٩٨ فإن قيمة الصادرات السـلعية المصـرية لم تتجاوز ٣٩٠٨ مليون دولار مقابل ١٣٣٢٢٣ مليون دولار قـيمة الصـادرات السـلعية الكورية الجنوبية فى العام ذاته ، أى أن الصـادرات السـلعية المصرية أصبحت تقل عن ٣% من قيمة الصادرات السلعية الكورية . . ورغم أن كوريا فى إطار الدعم الأمريكى والغربى لها فـى ظروف الحرب الباردة قد استفادت من فتح السوق الأمريكية أمامها ، ومـن التكنولوجيا الغربية واليابانية دون دفع مقابل حقوق الملكية الفكرية ، إلا أن ذلـك وحده لا يفسر القفزة الاقتصادية الهائلة التى حققتها تلك الدول مقارنـة بالنمو البطئ للناتج والصادرات فى مصر ، والأرجح أن تعرضها لتحديات المنافسة واستجابتها الفعالة لها قد شكل دافعاً قوياً للتقدم والنمو فى حين أصيب الاقتصاد المصرى بالجمود وضعف كفاءة تخصيص المـوارد خـلف أسـوار الحمـاية الجمركية المبالغ فيها والطويلة الأمد (٢٦) .

ب- بزوغ أزمة الديون الخارجية لعدد كبير من الدول العربية :

اتسـمت الـدول العربـية غير المصدرة للنفط خلال فترة النمو السريع والاسـتثمار المـرتفع ٧٤ - ١٩٨٥ بارتفاع معدل الاستثمار بنحو ٩% من الناتج المحلى الإجمالى ، فى حين ارتفع الادخار المحلى بنحو ١% فقط من الـناتج المحلـى الإجمالى مما أدى لفجوة كبيرة بين الاستثمار والادخار ، وتضافر السلوك الادخارى مع عدد من العوامل التى أدت لتعميق الفجوة من أهمها انخفاض متوسط دخل الفرد فى هذه الدول ، وارتفاع مستوى التضخم وانعكاسـه علـى وجـود معدلات فائدة حقيقية سالبة ، وكذلك سعر صرف مغـالى فـى قيمته ، والعجز المالى الناتج عن انخفاض ادخار القطاع العام المسـيطر علـى النشـاط الاقتصادى ، مما ساهم فى الضغط على إجمالى المدخـرات ، وترتـب على ذلك اعتماد هذه الدول فى تمويل برامج التنمية علـى المدخـرات الاجنبـية فى صورة ديون ومعونات وتحويلات العاملين بالخارج ، ومن ثم تفاقم عجز الحساب الجارى .

وعانـت الدول غير المصدرة للنفط منذ عام ١٩٨٥ من انخفاض معدل الاسـتثمار مقارنة بالفترة السابقة نتيجة هبوط مصادر التمويل الخارجى فى ظـل تفـاقم أزمة الديون العالمية فى الوقت الذى لم يرتفع الادخار المحلى بأكثر من ٠,٥% من الناتج المحلى الإجمالى سنوياً بالمقارنة بالحقبة السابقة.

وفيما يتعلق بالوضع فى الدول المصدرة للنفط ، ما زال الاعتماد الكبير علـــى صادرات النفط عاملاً رئيسياً فى التغيرات الاقتصادية على المستوى الكلـــى فـــى هـــذه الدول . حيث اتسمت الفترة ٧٤ - ١٩٨٥ بارتفاع معدل الاســـتثمار بمتوسط ١٠% سنوياً إلى الناتج المحلى الإجمالى مقابل ارتفاع أكـــبر فى معدل الادخار بنحو ٢٤% إلى الناتج المحلى الإجمالى ، وساعد علـــى تحقـــيق هذه المعدلات انتعاش أسعار النفط عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٩ ، وانعكاس ذلك على تحقيق فائض فى الحسابات الجارية وصل إلى ١٨% من الناتج المحلى الإجمالى خلال الفترة ٧٤- ١٩٨٥ .

إلا أنه اتسمت الفترة التالية بعد عام ١٩٨٥ بانخفاض معدل الاستثمار فى هـــذه الـــدول بنحو ٤% من الناتج المحلى الإجمالى ، وفى المقابل انخفاض أيضـــاً فى معدلات الادخار المحلى والقومى بحدة ، الأمر الذى أدى لتحول الفائض فى الموازين الجارية إلى عجز بلغ متوسطه ٤% من الناتج المحلى الإجمالى .

وقـــد بـــدت العديـــد من الدول العربية النفطية على قائمة الدول صاحبة الديون ، كما يوضح ذلك الجدول رقم (٨) جنباً إلى جنب مع الدول العربية غير النفطية .

وتتفاوت الدول فى درجة معاناتها من الديون كما هو الحال فى الصومال وموريتانـــيا والأردن واليمـــن حيث تفوق أعباء الديون جملة الناتج المحلى الإجمـــالى السنوى بكثير . كما أن هناك دول تعانى من أعباء الديون بنسبة تـــتعدى نصـــف الـــناتج المحلى الإجمالى السنوى كما هو الحال فى سوريا والعـــراق والجزائر والمغرب وتونس أما باقى الدول وهى السعودية ولبنان وعُمـــان وقطر ومصر وجيبوتى وليبيا فهى دول تقل فيها أعباء الديون عن نصف الناتج المحلى بكثير فيها .

وتجـــدر الإشارة إلى تزايد وإنماء أعباء الديون العربية ، فقد تضاعف حجم الديـــون الخارجـــية للدول العربية خلال العشرين سنة الماضية سبع مرات لـــيرتفع هذا الحجم من ٤٩ مليار دولار عام ١٩٨٠ إلى ٣٢٥ مليار دولار عام ٢٠٠٠ ، واستمرت فى الفترة ذاتها أزمات اقتصادية شهدتها هذه الدول

جدول رقم (٨) *

الديون الخارجية العربية حتى عام ١٩٩٨

م	الدولة	الديون بالمليون دولار	نسبة الدين من الناتج المحلي الإجمالي %
١	الأردن	٨٢٠٥	١١١
٢	تونس	١٠٢٤٣	٤٩
٣	الجزائر	٢٩٩٠٠	٦٠,٦
٤	جيبوتي	٢٤١	٣٦,٧
٥	السعودية	٢٢٠٠٠	١٧,١٨
٦	سوريا	١٦٠٠٠	٩٨,٢
٧	الصومال	٢٦٤٣	٢١٩٣
٨	العراق	٧٠٠٠٠	٨٨,٧٧
٩	عُمان	٣٨٥٤	٢٧,٢
١٠	قطر	٢٩٦٠	٣٢,١
١١	لبنان	٤١٧٧	٢٥,٠١
١٢	ليبيا	٣٨٠٠	١١
١٣	مصر	٢٨٠٧٧	٣٤,٢
١٤	المغرب	٢١٧٦٧	٥٧,٧
١٥	موريتانيا	٢٣٦٣	٢٣٩
١٦	اليمن	٦٣٥٦	١١٥,٢
١٧	السودان	–	–

* المصدر : تم إعداد الجدول من خلال : الاقتصاد العربى الاتجاهات والتطورات والمراجع ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة

العربية وتدعو إلى القلق ، حيث إن الناتج المحلى الإجمالى لم يزد ، بل أن الديون الخارجية زادت من نحو ١٢% من الناتج المحلى الإجمالى العربى عام ١٩٨٠ لتبلغ ٤٦% منه فى عام ٢٠٠٠ .

وأشارت دراسة اقتصادية حديثة إلى أن خطورة ظاهرة المديونية الخارجية العربية تتمثل فى عدم اتخاذ بعض الدول غير النفطية الاجراءات

الصحيحة لتجاوز خدمة الدين التى تمثل عبئاً على مالية الدول العربية وتؤثر سلبياً على الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، بل أن التقرير أشار إلـى أن بعـض الـدول العربية تمول ميزانياتها بشكل دورى من القروض الخارجـية وتصـل نسبتها إلى نحو ٣٥% من الإيرادات العامة ، وأشارت الدراسة إلى أن زيادة حجم المديونية الخارجية أفرزت عدة مشاكل اقتصادية مـن أبـرزها الخضوع للشروط التى تفرضها الجهات المقرضة ، والتبعية المالـية الناتجة عن التبعية التجارية ، وزيادة ارتفاع نسبة التضخم النقدى ، واحـتلال عملية تسديد الديون الأولية خاصة فى جميع الحسابات الاقتصادية والموازنـات السـنوية بمـا يؤثر على تمويل مشروعات التنمية ، وطالبت الدراسـة الـدول العربية بتوجيه مزيد من الاهتمام والدقة فى والتعامل مع مشـكلة الديـون الخارجـية وإدارة الأمـوال المقترضـة بصورة أفضل ، والتخلص من الديون وسدادها فى أوقاتها دون تحمل أعباء إعادة الجدولة [٢٧].

٢- تراجع فى وضع التنمية الإنسانية العربية :

فقـد كشـف أول تقريـر حول "**التنمية الإنسانية العربية للعام المالى ٢٠٠٢**" عن ظواهر خطيرة ومتناقضات تعكس حجم ما بلغه الوضع العربي الراهن من تدهور بكافة الأصعدة الاجتماعية والسياسية بجانب الاقتصادية . فعلى الصعيد التعليمى ، قد اوضح التقرير أن عشرة ملايين طفل عربى ما بيـن سن السادسة إلى الخامسة عشرة لا تضمهم المدارس فى حناياها ، كما أن هناك ٦٥ مليون من العرب البالغين ما زالوا أميين ثلثاهما من النساء[٢٨].

والتزمـت الـدول العربية بأن تعيد تقويم أوضاعها العلمية والتكنولوجية لمواكبة العالم المتقدم ، فزاد الوعى بأهمية تطور النظم التعليمية والعلمية ، خاصـة فى مجال الدراسات العلمية والتكنولوجية S & T باعتباره القاعدة الأساسية لبناء قاعدة علمية وتكنولوجية متطورة ، وبشكل عام قد ارتفع عدد الجامعات العربية فى الأعوام الستة الأولى من التسعينيات من ١١٦ جامعة إلى ١٧٥ جامعة بواقع ١٠% زيادة سنوية ، كما تزايدت الجامعات الخاصة لتمثل ٢٨% من إجمالى الجامعات العربية بنهاية عام ١٩٩٦ . وقد ارتفعت نسـبة الملتحقيـن بالتعليم العالى من الفئة العمرية ما بين ١٨-٢٥ سنة فى معظـم الدول العربية من ٩% عام ١٩٨٥ إلى ١٣% عام ١٩٩٦ ، كما زاد

طلـبة الدراسات العلمية من هذه الفئة العمرية من ٣,٤% إلى ٤,١% . وقد مثلـت مصر والسعودية معاً ٤١% من المندرجين فى التعليم العالى العربي عام ١٩٩٦ .

ويتبايـن نصـيب الدراسات العلمية والتكنولوجية من إجمالى المندرجين بالتعلـيم العـالى ، حيث يتراوح بين ٥٦% فى الجزائر وتونس ، و٢٥% بمصـر والسـعودية والإمـارات وليبيا و١١% فى اليمن ، ولم تتعد نسبة الحاصـلين علـى (الماجسـتير والدكـتوراه) فـى التخصصـات العلمية والتكنولوجـية ٥% مـن جملة الدارسين بالتعليم العالى ، وهى أقل النسب العالمية فى هذا المجال [٢٩].

ورغـم المشـكلات الهائلة التى تواجه التعليم العالى العربى ولعل أهمها الارتقـاء بمسـتوى الكفاءة ، وربط برامج التعليم بسوق العمل ، ومشكلات الـتمويل ، تظل مؤشرات التعليم أفضل حالاً بكثير من المؤشرات الخاصة بوضع العلم والتكنولوجيا ، والتى يتفق المجتمع العلمى على تقسيمها لثلاث مجموعـات يـتعلق **أولها** بالبحث والتطوير و**ثانيها** بالنشر العلمى و**ثالثها** ببراءات الاختراع [٣٠].

وتتألف قاعدة الموارد المادية والبشرية العربية والتى يمكن استغلالها فى تولـيد وتـراكم المعـرفة العلمـية من مائة ألف مؤسسة استشارية وشركة مقـاولات ، وعشرة ملايين خريج جامعى ، وسبعمائة ألف مهندس ، ومئات مـن الشركات الصناعية الكبيرة (التى تمتلك قاعدة رأس مال بعدة مليارات مـن الـدولارات) ، وخمسين ألف عضو فى الهيئات التعليمية الجامعية فى مجالات العلوم والتكنولوجيا S&T يعملون فى أكثر من ١٧٥ جامعة عربية ، فضـلاً عـن ٣١٠ مؤسسـة تقوم بنشاطات علمية فى البحث والتطوير . وبالـرغم مـن هـذه القاعدة ، فإن الناتج من الانجاز العلمى والتكنولوجى محدود بالمقاييس المطلقة ، ويزداد الأمر سوءاً بمقاييس المقارنات الدولية .

ولعل هذا الخلل فى منظومة العلم والتكنولوجيا هو الذى دفع موجات من العلمـاء والباحثيـن للهجـرة خارج الوطن العربى بحثاً عن المناخ العلمى الملائـم فيما عرف بظاهرة نزيف العقول Brain Drain التى برزت منذ الستينيات [٣١] .

وقـــد صــــرح "د / أحمـــد زويل" الحاصل على جائزة نوبل فى الكمياء بضــــرورة بــــذل الجهود فى إطار "قاعدة علمية مترابطة تضع مصر على الخريطة العلمية العالمية" فإن سجل إنجازات العلماء العرب يخلو مما يُطلق علـــيه الدكـــتور أحمـــد زويــــل "الـــثورات فى العلم" أى الانجازات العلمية الاســـتثنائية التى تغير مفهوماً كان ثابتاً لفترة من الزمن ، ويستدل علي هذا الافتراض بأن مجلتى Science & nature التى يعد النشر بهما دليلاً على الاهمية العلمية القصوى مثل أبحاث الاستنساخ ، وأبحاث DNA ولم تشهد على مدى النصف الأخير من القرن العشرين نشر أى بحث علمى عربى ، ويضـــيف قائلاً "لا يمكن للعلم أن يعطى ويتفاعل دونما بيئة مناسبة وأجواء صـــالحة ، وهى ما يمكن تسميته بالشروط الاجتماعية للعلم ، بمعنى توفير المجـــتمع العلمي بركائزه الثلاث (العلم – التكنولوجيا – المجتمع) كى يكون المجـــتمع أهـــلاً للـــتعامل مـــع العلم" ، بالإضافة إلى تهيئة حرية البحث ، واقتصـــاديات البحث ، فضلاً عن تعزيز القيم الأساسية للمجتمع التى تدعم روح البحث العلمى ممثلة فى عقلانية التفكير والثقة فى القدرة على النهوض ، وروح الفريق .

كمـــا صـــرح د/ زويل عقب فوزه بجائزة نوبل بأنه "لم يخرج من مصر خـــالى الوفـــاض ... "فأنا سافرت محملاً بما يصنع قاعدة سليمة ... فمصر علمتـــنى أهمـــية التعليم والعلم ، ... وفى أمريكا وجدت نهراً يجرى بالمعرفة وفرصة لا تعوض ومكتبات مفتوحة طوال ٢٤ ساعة [٣٢]."

ويتضح الأمر المخجل عند مقارنة الوضع العلمى العربى مقارنة بنظيره الإسرائيلى .. حيث يبلغ متوسط القاعدة البشرية من الباحثين نحو ٠,٨ لكل ألـــف نسمة فى الدول العربية مقابل٦ –١٤ باحث لكل ألف نسمة فى أغلبية دول مـــنظمة الأمـــن والـــتعاون OECD . وتأتى إسرائيل فى مقدمة دول مـــنظمة الأمـــن والـــتعاون ، تليها السويد ثم سويسرا فهولندا ففنلندا فألمانيا فالـــنرويج فالدانمـــارك ففرنســـا فاليابان فالمملكة المتحدة وأخيراً الولايات المتحدة الأمريكية .

وتعـــد من مشاكل البحث والتطوير العربية هو التمويل إذ تمول ميزانية الـــدول ٨٩% مـــنه مقـــابل ٣% عن طريق القطاع الخاص و٨% بالتمويل الأجنـــبي .وقـــد بلغ الإنفاق العربي على البحث والتطوير عام ١٩٩٦ نحو

٧٨٢ مليون دولار ، مقابل ألفى مليون دولار لإسرائيل تنفقها على البحث والتطوير والتى يلعب التمويل الخارجى دوراً مهماً فى دعمها ، حيث تحصل على نحو ٤٠% من ميزانيات البحث العلمى من مصادر على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تليها ألمانيا ، التى تجمع إسرائيل بها مؤسسات لتمويل الأنشطة العلمية ذات الاهتمام المشترك ، وبدرجة أقل فرنسا وبريطانيا واستراليا والهند والصين ، كما وقعت إسرائيل اتفاقاً مع الاتحاد الأوروبى يخول للعلماء ورجال الصناعة الإسرائيلين المشاركة فى إطار البرنامج الرابع للاتحاد .. كما أسهمت الجمعيات الخيرية ورجال الصناعة وميزانيات الجامعة بنسبة عالية من ثلثى الميزانية المتبقية على الحكومة الإسرائيلية والتى تنفق على البحث العلمى والتطوير [٣٣] .

ولما بلغ متوسط نصيب الانفاق على البحث العلمى والتطوير فى الوطن العربي ٠,١٤% من الناتج المحلى الإجمالى عام ١٩٩٦ ، كانت هذه النسبة ٢,٣٥% فى إسرائيل عام ١٩٩٤ تسبقها من دول العالم بفارق بسيط السويد ثم اليابان ، ويمثل نصيب مصر والكويت والمغرب والسعودية حوالى ٧٢% من إجمالى إنفاق الدول العربية على أنشطة البحث والتطوير ، فى حين تمثل نواتجها المحلية الإجمالية متجمعة ٤٦% من إجمالى الناتج المحلى الكلى للدول العربية .. ويعانى الوضع التمويلى العربى فى هذا المجال من بيروقراطية الموظفين المتضخمة فى مراكز ووحدات البحث العلمى ، حيث تلتهم رواتب الباحثين والموظفين والعمال نحو ٩٠% من ميزانية البحث والتطوير العربية . ويحظى قطاع الزراعة بالنصيب الأكبر من الانفاق على البحث والتطوير العربى (٤٥%) ويتراوح بين ٤٥-٦٥% فى مصر والعراق والمغرب وتونس والسودان واليمن وتحظى الصناعة العربية بنصيب ضئيل من اهتمام البحث العلمى ، حيث الاعتماد الأساسى على التكنولوجيا الصناعية المستوردة ، وبداخل قطاع البحوث الصناعية - المحدود أساساً- يتم التركيز على الصناعات الاستخراجية البتروكيماويات ، بينما يندر الاستثمار فى صناعات التكنولوجيا المتقدمة . إلا أنه قد أسهمت خصخصة بعض الصناعات فى عدد من الدول العربية فى تعزيز التمويل الخاص لبعض نشاطات البحث والتطوير فى مجالات جديدة مثل صناعة الدواء والصناعات الغذائية خاصة فى مصر . كما حظيت بعض المجالات

الاستراتيجية باهتمام متزايد خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين ، من أهمها البحوث الخاصة بترشيد استغلال موارد المياه المحدودة . وعلى خلاف الدول العربية التى لا يحظى النشاط الصناعى فيها سوى بنصيب محدود من ميزانية البحث والتطوير ، حظيت الصناعات المدنية فى إسرائيل بنحو ٤٦% من الانفاق على أنشطة البحث والتطوير عام ١٩٩٤ (٣٤).

وتسهم إسرائيل بنحو ١% من النشر العلمى العالمى (١٠٢٠٦) عام ١٩٩٥ . مقابل (٦٦٢٥) لجميع الإنتاج العلمى والتقنى العربي المنشور فى دوريات دولية محكمة منذ ١٩٩٠-١٩٩٥ ، وتجدر الإشارة إلى أنه ، إذا كانت هجرات العلماء اليهود من دول الاتحاد السوفيتى السابق والكتلة الشيوعية بوجه عام إلى إسرائيل قد دعمت التطوير العلمى التكنولوجى فى العقد الأخير من القرن العشرين فى إسرائيل ، فإن ذلك يدعو مجدداً لدراسة تأثير المناخ العلمى الجاذب للعلماء فى إسرائيل مقارنة بظاهرة نزيف العقول العربية (٣٥).

وإذا انتقلنا من مجال التعليم إلى مجالات التنمية الإنسانية الأخرى فقد سجل تقرير "التنمية الإنسانية العربية للعام المالى ٢٠٠٢" إنذاراً يتعلق بانخفاض إنتاجية العمل العربي نظراً لضعف المهارات وقاعدة المعرفة لدى القوى العاملة ، وكذا ضعف أعداد رأس المال البشرى والفكرى ، كما أوضح أنه قياساً بتقارير أخرى حول مناطق أخرى من العالم كشفت أن حصاد الانجازات بالمنطقة العربية لم ترق إلى المعدل العلمى ، وكان انجازها أفضل من مؤشرات الدخل عنها من مؤشرات التنمية ومع أن فقر الدخل بالمنطقة العربية أقل مما هو عليه بمناطق أخرى من العالم ، إلا أن البلدان العربية أصابها نوع آخر من الفقر هو فقر القدرات والعوز ، أو نقص الحرية والمعرفة وتمكين النساء ، وهى الميادين التى لم تتطور المنطقة العربية بها .

وكشف نفس التقرير فى مجال الحريات عن مؤشر خطير ، وهو أن المنطقة العربية من أسوأ سبع مناطق فى العالم ، بل أنها تأتى فى أدنى درجات سلم الإنجاز ، ويدلل على ذلك بنقص الحريات السياسية واستقلال الإعلام والحريات المدنية ، وبالتالى فإن القصور بهذه الحقوق والحريات

يضـــعف عملـــية التنمـــية الإنسانية ويشكل أحد أكثر مظاهر تخلف التنمية السياسية إيلاماً كما يقول التقرير .

ولا يختلف الحال بالنسبة للنساء ، إذ تبقى المنطقة العربية الأقل فى العالم لتطبـــيق مؤشر يمكن المرأة من مشاركتها فى الحياة السياسية والاقتصادية والحقوق المدنية وحق المواطن ، وفى بعض البلدان مازالت المرأة محرومة مـــن حـــق التصويت وتولى المناصب العامة ، أما القيود على المعرفة فهى متنوعة بسبب الأمية الواسعة ، وما تسمية النواقص فى النظام التعليمى ، ثم يتفاقم الوضع فى أنظمة البحث والتطوير بالمنطقة العربية ، مما يعد أقل من سُبع المعدل العالمى [٣٦].

الفصل الثانى عشر
الأطماع الإسرائيلية
وإمكانية الدفاع العربى

الأطماع الإسرائيلية وإمكانية الدفاع العربى

يعد التاريخ اليهودى شيئاً من الشتات والتهجير ، آخر حلقاته اختفاء العنصر اليهودى من فلسطين عام ٧٠ق . م بعد تخريب وهدم الهيكل ، بعدها انتشر اليهود فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية فوق رقعة واسعة من العالم القديم . استمر تاريخ اليهود بأوروبا غامضاً حتى الحروب الصليبية فى العصور الوسطى التى عادت بشدة الأقليات اليهودية بقيادة الكنيسة خاصة تشريد واضطهاد يهود ألمانيا وأسبانيا خلال القرن الحادى عشر . الأمر الذى تبعه هجرات متسلسلة وقسرية خاصة نحو الشرق ، "فخطيئة الشعب الذى رفض المسيح وصلبه تزداد جيلاً بعد جيل ، وتحكم على كل واحد من أفراده بالعبودية الدائمة"[١] ذلك فى وقت استقبلت فيه أوروبا الشرقية الوثنية آنذاك فلول اليهود الهاربة فى أكبر تجمع لليهود وخاصة الغربيين (الأشكنازييم) بنحو ٧٥% من يهود العالم البالغين نحو ٧٦٦٣٠٠٠ نسمة عام ١٨٨٠ ، كما بدأ شتات اليهود الأسبان أواخر القرن الخامس عشر إلى الشمال الأفريقى حتى البلقان شمالاً ، وعرفت فى الدول العربية باسم اليهود الشرقيين أو "السفارديين" بنحو ٧,٩% من يهود العالم [٢] .

بدأ القرن السادس عشر بهجرة عالمية وخاصة من أوروبا نحو العالم الجديد ، كان اليهود فى طليعتهم ، وبحكم الموقع الجغرافى سبق يهود البرتغال وأسبانيا يهود العالم ثم يهود وسط أوروبا ثم شرقها أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين ، وتشير التقديرات لزيادة نسبة اليهود فى العالم الجديد من ٣,٤% عام ١٨٨٠ إلى نحو ٥٤,٥% من جملة يهود العالم عام ١٩٤٧ والبالغين ١١,٢٦٧,٠٠٠ نسمة [٣].

ويقال إن اللاسامية العنصرية في الفكر الصهيوني كانت وراء الهجرات اليهودية القسرية القديمة والمتأخرة أيضاً، حيث الموقف العدائي تجاه الطوائف اليهودية بأوروبا انتهت إلى أن نحو ٤٣٣,٠٠٠ يهودي نجحوا في الوصول لفلسطين وأمريكا الشمالية ومناطق أخرى أثناء الحرب العالمية وأثنائها ، إلى جانب نحو ١,٦٠٠,٠٠٠ يهودي طردتهم روسيا من بولندا ودول البلطيق . ومع هذه الهجرات المتعاقبة فإن هذه الجماعات لديها شعور بالتمايز يستند لاعتقاد راسخ بأنهم "شعب مختار و صاحب رسالة"مما حدا

بالشعوب الأخرى بالكراهية و النفور إزاء اليهود وصل أحياناً حد الاضطهاد ابتداء من الطرد حتى المذابح (٤) .

وزاد مـــن الكراهـــية وضـــع الـــيهود الاقتصادي المتمايز وتجمعاتهم حول المراكـــز المالية و التجارية وعلاوة علي ذلك فإن تحريم الكنيسة الاشتغال بالـــربا أتاح لليهود الاشتغال به ، مما أوجدت مكاسب باهظة لليهود ، واتهم اليســـار اليهود بتحريك الرأسمالية العالمية ، كما اتهم اليمين اليهود بتحريك الشـــيوعية العالمـــية . وفـــى هذا المعترك رأت طائفة يهودية الخلاص فى العـــودة إلـــى الأرض المقدسة والتمسك بتعاليم اليهودية كما رأى موسى بن مـــيمون ، وتمثل هذا الموقف فى الطوائف اليهودية فى روسيا وبولندا التى كانـــت تعـــيش داخـــل جدار (الجيتو) ووسط المذابح ، ودعم هذا الإدراك تنظـــيمات كأصـــحاب كـــتاب (روما والقدس) لموسى هس ، وحركة أحباء صـــهيون (حوفانى تصيون) وجماعة الشعب الخالد (هاعم هاعولام) .ورأت طائفـــة أخرى أقل أهمية ضرورة الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها وتحقـــيق الـــتكامل القومى التام ،كما فى حركة التنوير (هاهسقلاه) بزعامة موسى مندلسون وخلفائه (٥) .

الوجود الصهيونى فى المنطقة العربية :

بـــدأت السياسة الصهيونية كحل لمشكلة اليهود بظهور كتاب "التحرر الذاتى" بدعـــوة ليوبنســـكر مـــن خلاله لأهمية قيام دولة يهودية متحررة منفصلة ، وتحركت الأفكار بظهور "تيودورهرتزل" بمفكرته (الدولة اليهودية) الخاصة بتهجـــير الـــيهود وتوطينهم فى الأرض المختارة ونتج من جهوده عقد أول مؤتمـــر صهيونى عالمى بمدينة "بال" بسويسرا فى أغسطس ١٨٩٧م ، وقد أقر المؤتمر إنشاء وطن قومى فى فلسطين يضمنه القانون العام .

لجـــأت الحـــركة الصهيونية بقيادة هرتزل للدولة العثمانية المالكة لفلسطين للحصـــول على عقد أو امتياز لاستيطان فلسطين ، فأدركت الدولة العثمانية خطورة الحركة فأصدر السلطان العثمانى (الإرادة السنية) فى أكتوبر ١٩٠٠ م بمـــنع الإسرائيليين من الإقامة الدائمة بفلسطين ، وذلك تعقيباً على صدور قـــانون فـــى يونـــيو ١٨٨٢ يقضى بتحريم الهجرة اليهودية لفلسطين ومنع امتلاكهم الأراضى .

لجأ هرتزل لألمانيا باعتبار ان أكثرية اليهود ينتمون للثقافة الألمانية ، ولكى تساعده فى إرضاء الدولة العثمانية صديقة الألمان آنذاك ولكن مصالح العثمانيين و الألمان منعت الألمان من القيام بذلك الدور .

وبرزت هنا بريطانيا كدولة أم قادرة على الضغط والرعاية والحماية ن فالتقت المصالح الصهيونية مع المصالح البريطانية ، ففلسطين لبريطانيا موقعاً هاماً لها منذ القرن السادس عشر بين مركزى ثقل الممتلكات البريطانية بأراضى المحيط الأطلسى الشمالى بمساحة ٤ مليون ميل مربع وأراضى المحيط الهندى بمساحة ٨ مليون ميل مربع [١] .

وكانت فلسطين قبل شق قناة السويس جسراً برياً كتتمة للطريق البحرى ، ثم أضحت شريكاً لمصر فى الهمية المضافة بعد شق القناة ، والواضح أن بندول الأهمية كان يتأرجح ما بين عكا وأبو قير . وأشار تقرير (كامبل بنرمان) إلى خطورة إقليم حوض البحر المتوسط الشرقى والجنوبى باعتباره يمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، وملتقى قارات العالم القديم ومهد الديانات السماوية والحضارات القديمة ، ويتسائل التقرير كيف يصبح وضع هذه المنطقة لو دخلت إليها أسباب القوة الحضارية الحديثة ، ويجيب التقرير بأنه حينئذ سوف تتعرقل مسيرة كل الإمبراطوريات الكبرى ذات المصالح فى المنطقة ، وانتهى التقرير إلى ضرورة تفتيت منطقة حافة الأرض فى هذه المنطقة [٢] .

من هنا أصبحت المصالح البريطانية فى المنطقة تتوافق مع المصالح الصهيونية فى فلسطين ، وتبدأ مع الحرب العالمية الأولى توافق المصالح ، بعد تدهور موقف الحلفاء وإخراج أصحاب الثورة الروسية روسيا من الحرب وعقد صلح منفرد مع دول المحور ، مما دفع بريطانيا لدعوة الولايات المتحدة للدخول فى الحرب بجانب الحلفاء ، وهذه الدعوة استلزمت من بريطانيا ضرورة تعديل موقفها الفاتر مع المشروع الصهيونى فى فلسطين ، لإرضاء مراكز الضغط الصهيونية بالولايات المتحدة الأمريكية .

كما كان لإنهيار فكرة التوازن الدولى ، وسياسة المحافظة على تكامل الدولة العثمانية بعد هزيمتها فى الحرب ، وهو الأمر الذى أدى إلى أن تصبح مسألة تقسيم ممتلكاتها حتماً مقضياً ، ومن هنا نشأت فكرة إيجاد حليف مقيم شرق القناة . ففلسطين اليهودية التى تعتمد على بريطانيا يمكن

أن تشــكل قــوة موازيــة لمواجهــة أطماع فرنسا وروسيا فى شرق البحر المتوسط ، خاصة برعاية روسيا للأرثوذكس وتعاطف فرنسا من الكاثوليك ، وليتــبقى لبريطانيا اليهود الذين يمكن أن تتخذهم عملاء يقومون على حماية الجانــب الشــرقى مــن قناة السويس بعد أن أمنت الجانب الغربى بالأسرة المالكة فى مصر [٨] .

وفى خصم كل هذه المدخلات صارت الفرصة مواتية لإقرار بريطانيا للفكرة الصهيونية فيما يتعلق بإنشاء وطناً قوميا لليهود فى فلسطين بضمان القانون العام ، المتمثل فى تصريح أو وعد بلفر ، الذى تتمسك به الصهيونية كسند قــانونى رغــم أن بريطانــيا لم تكن تملك السيادة على فلسطين بل الدولة العثمانية [٩] .

السلب الصهيونى لفلسطين :-

صــاغ مؤتمــر بــال ١٨٩٧ فكــرة اختيار فلسطين كقاعدة إقليمية للقومية اليهودية ، وقد حدد المؤتمر عدة وسائل لتحقيق ذلك الهدف أهمها :

١- الحصــول على تأييد واعتراف دولى لتوطين المهاجرين فى فلسطين ، وتحقق ذلك من خلال وعد بلفر والذى أدركت الحركة الصهيونية منذ البداية ضــعف ذلــك الوعــد البريطانى ، لذا لاحقت التصريح حتى أضافت عليه الصــيغة الدولــية بموافقــة عصبة الأمم عليه بعد إدخال بعض التعديلات الشكلية عليه .

٢- تشــجيع الهجــرة اليهودية لفلسطين والعمل على الاستيطان بمعنى نقل السكان الجدد إلى الأرض ، ونقل ملكية الأرض إلى هؤلاء السكان الجدد . الأولــى تعــنى الهجرة بمثل ما أن الثانية تعنى احتلال أرض وكلاهما معاً يعــنى الاستيطان . ويؤكد (أهارون روبين) أن هجرة عناصر لا تملك شيئاً تعــنى احتمال أن يسلب هؤلاء المهاجرون لقمة العيش من العرب ، ففى كل مكــان نشترى فيه أراضى ونوطن فيه أشخاصاً يتحتم أن يطرد المشتغلون داخله [١٠] .

وبــدأت النظرة الجيوبولوتيكية الخاصة بالمستوطنات الصهيونية على أرض فلســطين بوصفها خلايا ينمو حولها الجسم السياسى والتى بمقتضاها تتحدد ملامح المنطقة السياسية ، وأنه كلما اتسعت قاعدة الاستيطان فى أنحاء البلاد ، كلما اتسعت قاعدة الكيان القومى للشعب اليهودى نحو الاستقلال السياسى [١١] .

مر الاستيطان الصهيونى على فلسطين بمرحلتين :

* **الاســتيطان الــيهودى المنعزل** : بدأتها جماعات من الطائفة الــيهودية بــالقدس لإنشـــاء أول الأحياء اليهودية خارج أسوار المديــنة القديمـــة . ثم قام مونتفيورى بشراء أراضى قرب يافا (ضـــاحية مونتفــيورى بــتل أبيب) وذلك لنشأة طابع اقتصادى مستقل خاص فى مجال الزراعة وفى عام ١٨٧٠ قامت جمعية الألــيانس "تلك التى تأسست فى غرب أوروبا لتقديم المساعدات ليهود اليشوف القديم فى فلسطين" بقيادة (شارلز نيتور) بتأسيس أول مدرسة زراعية (مكافى يسرائيل) بالقرب من يافا [١٢].

وفــى عــام ١٨٧٨ تأسست أول مستعمرة يهودية على ضفاف نهر العوجا (الــيرقون) وهى (بتاح تكفا) كفاتحة لأمل اليهود فى الاستيطان على أرض فلســطين ، وقــام يهــود (صفد) بعد ذلك بتأسيس مستوطنة الجاعونة على ضــفاف وادى الحولــه . ورغــم فشل المحاولتين لقلة رأس المال والخبرة الزراعية إلا أنها محاولة تركت عدة نجاحات منها تحول الوجود الصهيونى مـــن الــرعاية العثمانية إلى أقلية يهودية ، والدعوة لألفة التربة والاستيطان الــزراعى الصهيونى والتركيز على منطقة السهل الساحلى كنواة للاستيطان وضـــرورة خلــق اقتصـــاد زراعـــى ذاتى وضرورة تحطيم أسوار المدن والخروج للريف حيث يقوى الولاء وتتوطد العلاقة بين الأرض واليهود .

* **الاستيطان اليهودى المهاجر :**

وكانـــت فكـــرة التحرير ليهود شرق أوروبا مرتبطة بأرض فلسطين (أرض الخــلاص فـــى اعتقادهم) وكان لتجسيد هذه الفكرة عملياً الهجرة لفلسطين وتأســيس المســتعمرات علـــى أرضها . وكانت أولى هذه المحاولات منذ ١٨٨٢ حـــتى ١٨٨٤ علـــى يد جماعة (أحباء صهيون) والتى أرسلت نحو ٢٠٠٠ يهــودى لفلســـطين من شباب أوروبا الشرقية ، كما قامت جماعات (بلــو) الروسية بتأسيس مستعمرات ريشون لتسيون ونيس تسيونا وزخرون يعقــوب عام ١٨٨٢ وإعادة تعمير بتاح تكفا والجاعوانه التى سميت روش بيــنا ، وأعقــب ذلــك إنشاء مستعمرات الجليل والسهل الساحلى مثل يسود هــامعلاه- مشمار هايردن – مطولة – كفار تابور – يوفينال وعتليت [١٣] .

وكانـــت أولى محاولات استيطان الجولان عام ١٨٨٧ وكان أهم مشاكل قيام

المستعمرات الصهيونية هى تلك المتعلقة بعزوف المستوطنين اليهود عن العمل الزراعى واللجوء للعمالة العربية .

ورغم النتائج السلبية وراء عملية الاستيطان الصهيونى خلال فترة الهجرة الأولى إلا أن الإيجابيات قد تفوقت حيث فتحت الطريق أمام حركة الاستيطان الصهيونى على أرض فلسطين وحددت معالم التكوين الاستيطانى الزراعى إلى يومنا هذا .

بدأت الهجرة الثانية بداية ١٩٠٤ حتى ١٩١٤ حاملة معها ما بين ٣٥٠٠ – ٤٥٠٠٠ يهودى روسى اشتراكى استوطنوا فى البداية قرية (أم جيونى) العربية عام ١٩٠٢ وأسسوا مستوطنة الشجرة كمدرسة زراعية للعمال فى الجليل الأسفل ثم تطور الأمر إلى تسليم خريجي المدرسة قطعة أرض داخل المستعمرة ليصبح الخريج فلاحاً مستأجراً مستقلاً للاستغناء عن العمالة العربية والشراكسة ، وعلى ضوء ذلك قام البروفيسير (أوبنهيمر) بافتتاح المؤتمر الصهيونى التاسع المنعقد فى هامبورج عام ١٩٠٩ . وأكد المؤتمر أهمية الاستيطان التعاونى وطالب الصندوق القومى اليهودى بتوفير الأراضى اللازمة لإنشاء مستعمرات تعاونية .

وعلى ذلك قامت مستعمرة (دجانيا) عام ١٩١٠ فى وادى الأردن الأوسط على شاطئ بحيرة طبرية كأول كبوتسا على أرض فلسطين . وتقوم فكرة الكبوتسا هذه على ربط الفرد بالقرية عن طريق نظام الجماعة التعاونية التى تحكمها مجموعة من القيم والمبادئ التى تجعل الخروج عن عضوية الكبوتسا أو الكبوتس عقاباً بمثل ما كان الانتساب إليها شرفاً . ويبدو أن نشأة الكبوتس كمجتمع مغلق مكتفى ذاتياً ، تعكس ظروف نشأه الأولى كنواة استيطانية تنشد الحماية الذاتية ضد السكان الأصليين بدرجة تشبه ظروف الوحدات العسكرية .

قلت حركة الهجرة اليهودية لفلسطين مع نشوب الحرب العالمية الأولى لاضطراب خطوط النقل وتدهور الوضع فى فلسطين وقيام السلطات العثمانية بعمليات ترحيل واسعة ، فانخفض عدد يهود فلسطين من ٨٥٠٠٠ عام ١٩٠٤ إلى ٥٥٠٠٠ عام ١٩١٨ (١٤).

عادت حركة الاستيطان من جديد بموجات هجرة ثالثة (١٩١٩ – ١٩٢٣) حملت معها نحو ٣٥ ألف مهاجر من روسيا وبولندا ودول البلطيق وقاموا

بتنظيم الاتحاد العام للعمال (الهستدروت) وجماعة وحدة العمل (أحودها عفوداه) ، والعمل الفتى (هابوعيل هاتصعير) وعامل صهيون (بوعيل تسيون) وكتيبة العمل (جدوود هاعفوداه) . ومع نهاية موجات الهجرة الثالثة كان الاستيطان الصهيونى قد استكمل تقريباً معالمه الرئيسية ، حيث لم تضف الهجرات التالية إلا مزيداً من الانتشار على نفس النمط الاستيطانى السابق ، وإن كان يمكن إضافة شكل استيطانى آخر يتمثل فى مستوطنة (كفار حطيم) التى أقامتها مجموعة من شباب بلغاريا فى الجليل الأسفل ، وهذه المستوطنة مثلث صورة جديدة من صور المستعمرات الصهيونية ، أطلق عليها (موشاف شيتوفى) أو المستعمرة المشتركة ، وهى قرية تعاونية تضم صغار الملاك .

وظهرت صورة جديدة للنظام الاستيطانى المعروفة باسم (السور والبرج) وذلك مع احتدام المقاومة العربية للاستيطان منذ عام ١٩٣٦ ، وكانت أول مستعمرة تمثل هذا النمط الاستيطانى هى كبوتس (حنيتاه) عام ١٩٣٨ بالقرب من حدود لبنان وكانت هذه المستعمرات تحاط بسور من الخشب على شكل صناديق محشوة بالحصى لتمنع اختراق الرصاص ، كما كان تقام وسط المستعمرة برج للمراقبة مزود بكشاف للإضاءة [١٥] .

وأهم ما فى الأمر هو أن المستعمرات الناتجة عن الهجرات الأولى قد حددت الأبعاد الحقيقية للمنطقة الإسرائيلية وكانت قواعد انطلاق لتوسيع الحدود [١٦]

استكمال البناء الصهيونى على أرض فلسطين :

كان البناء الخاص بالكيان الصهيونى على أرض فلسطين قائماً على استيطان جيوبولتيكى ، حيث أن هناك عوامل عديدة أسهمت فى ضبط انتشار المستعمرات الصهيونية على أرض فلسطين ، بعضها طبيعى بحت كالسطح والمناخ والتربة وموارد المياه ، والبعض الآخر بشرى كالقرب أو البعد من مداخل ومنافذ الهجرة ، والسكان الأصليين وإمكانيات المستوطنين وعقائدهم وغيرها من الضوابط السياسية والاستراتيجية .

شمل البناء الاستيطانى عدة محاور متركزة بين مراكز اليشوف اليهودى القديم فى فلسطين ، ممثلة فى صفد وحيفا ويافا والخليل والقدس وطبرية .

هـــذه المحاور الاستيطانية منها ما هو متجه نحو السهل ومنها ما هو متجه نحو المناطق المتضرسة .

* **المحاور الاستيطانية فى المناطق السهلية :**

وهى مناطق ذات سطح مستو وتربة خصبة وموارد مياه وفيرة ، وهى أكثر المـــناطق جذبـــاً للمستوطنين ، إلا أنها أكثر طرداً للفلسطينيين الذين فضلوا الهضـــاب والمـــرتفعات منذ زمن بعيد استعداداً أوخشية الغزاة فى العصور المخـــتلفة . ولذا فإن السكان الأصليين لم يمثلوا بكثافتهم المحدودة عقبة أمام الاستيطان الصهيونى فى السهول والأودية .

وتتمثل المحاور الاستيطانية السهلية فى :

١- **محور السهل الساحلى . يافا – حيفا** : وهـــو أول المحاور وأهمها ويمـــر بسهول اليهودية (فلسطين) وشارون (صارونة) والكرمل الساحلى ، ومعظم مستعمرات هذا المحور تحولت إلى مراكز حضرية .

٢- **محـــور مشمارهايردن – نفى أور** : بوادى طبرية وجنوب وادى الحوله تحفه الجولان شرقاً ومرتفعات الجليل "الأسفل" غرباً .

٣- **محور كريات موتسكين – بيت ألفا** : ويمتد فى اتجاه شمالى غربى – جـــنوبى شرقى ، يشمل أودية زفلون (مالك) وجزرائيل (مرج بن عامر) وحـــارود ، وموقـــع هذا المحور جعله ممراً طبيعياً وحيداً بين غرب البلاد وشـــرقها مما ساعد إلى حد كبير فى سرعة انتشار المستوطنات على طول هذا المحور.

* **محاور الاستيطان الوعر (الأراضى الوعرة) :**

بـــدأ هـــذا الـــنوع مـــن الاستيطان كرد فعل لتزايد حجم المصالح الحيوية المتعارضـــة بين التواجد الصهيونى والوجود العربى على أرض فلسطين ، وتضاؤل فرص التسوية لوجود تعايش قومى إلى درجة ظهور فكرة الفصل الإقلـــيمى القومـــى فى الأفق الدولى ، وتمثل ذلك أول ما تمثل فى مشروع لجـــنة (بيـــيل) الملكـــية عام ١٩٣٦ . وقام المخطط الاستيطانى الصهيونى بالتعجـــيل بتوســـيع نطـــاق منطقة الاستيطان واختلاق حقائق لمواجهة أى مشروع دولى للتقسيم واستلزم ذلك شراء أراضى بالقرب من حدود فلسطين فـــى الشـــمال والشـــرق والجـــنوب والعمـــل علـــى الاتصال الإقليمى بين

المســتعمرات الصهيونية المتباعدة وذلك بشراء إراضى جديدة فى المناطق الفاصلة وإقامة المستعمرات عليها .

وتتمثل محاور الاستيطان فى الأراضى الوعرة السياسية فى الأتى :

١- محور القدس – يافا : فى اتجاه شمالى غربى – جنوبى شرقى . ويتسلق (جبال القدس والجليل) مقتحماً منطقة التجمع العربى حول القدس ، للوصول الصــهيونى أيضــاً للقدس ، وقد استقبل هذا المحور العديد من المستعمرات خلال حرب عام ١٩٤٨ ، والتى كانت تقام بين يوم وليلية .

٢- محــور مطولــة – مشمار هايردين : وهو أحد محاور الحدود ، وتأخر اســتيطان هــذا المحور لتعرض مستعمراته للهجوم العربى ، خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى .

٣- محــور نفــى أور – طيرات تسفى : وهو أحد محاور الحدود المقتحمة للمنطقة العربية ، مما أدى إلى تأخر استيطان هذا المحور .

٤- محــور حنيــتاه – كفــار مساريق : ويشمل أجزاء من أراضى الجليل الأعلــى الغــربى وتمــثل أهمــية هذا المحور فى تأمين الطريق إلى نقط الاستيطان البعيدة التى ستعين الحدود الشمالية .

٥- محــور النقب : أوضح مشروع التقسيم الذى اقترحته لجنة (بييل) عام ١٩٣٧ . بــناء علــى الوضع الاستيطانى القائم وتوزيع السكان ضآلة القسم اليهودى ، حيث كانت مستعمرة (بئر طوفيا) تمثل أقصى امتداد تجاه الجنوب ، وبذلــك ظهــرت أهمية التوسع الاستيطانى الصهيونى تجاه الجنوب داخل صــحراء النقب ، واضطر المخطط الاستيطانى لاصطناع شواهد استيطانية جديــدة فــى الجــنوب لمواجهة أى مشروع تقسيم آخر بحضور يهودى فى الجــنوب ، وخلال عامى ١٩٤٨-١٩٤٩ شهد شمال النقب نشاطاً استيطانياً واسع النطاق .

*** محاور للاتصال والربط الإقليمى بين المستعمرات المتباعدة : وهى :**

١- محــور منشــيه : ويقع فى هضبة ارتفاعها نحو ٢٠٠ متر فاصلة بين وادى جيزرائيل فى الشمال الشرقى والسهل الساحلى فى الجنوب الغربى .

٢- محــور الجلــيل الأسفل الشرقى : ورأى المخطط الصهيونى ضرورة تعمــيره لتحقيق الاتصال الإقليمى عبر أراضى الركن الجنوبى الشرقى من الجلــيل الأســفل ، وهــذا المحور يربط بين المستوطنات القائمة فى أودية

حـــارود وجيزرائـــيل وزفولون من ناحية ، والمستعمرات القائمة فى وادى طبرية والحوله من ناحية أخرى [١٧] .

السياسة الاستيطانية الصهيونية : تميزت تلك السياسة بالتطويق من جانب المستوطنين بمستوطناتهم ومحاورها الممتدة مع السهل للوطنيين الفلسطينيين فوق قمم التلال وأعالى المنحدرات كما فى الشكل (٣٩) .

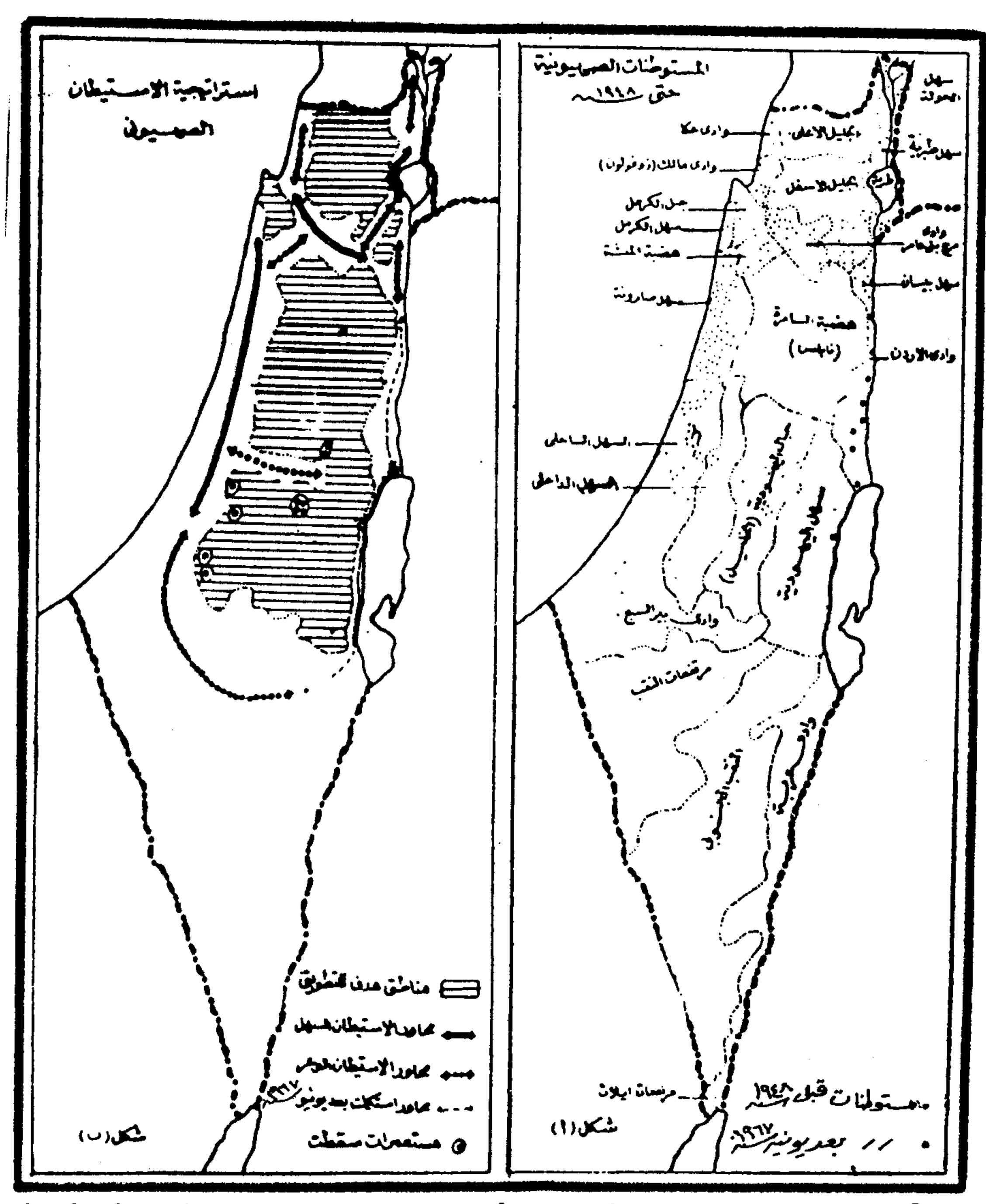
وكـــان لا يـــبقى لهـــم من السهول والأودية إلا مراكز استقرار مؤقتة ، لا يخـــتلفون إليها إلا خلال مواسم العمل فى الحقل والتى غالباً ما كانت تسمى بالخربة أو النزلة [١٨] .

وقد اتخذت عملية التطويق أشكالاً عديدة من التكتيك كإحاطة القرية العربية بمجموعـــة مـــن المستوطنات اليهودية والعمل على خنقها اقتصادياً وقومياً ونفســـياً ، أو ركوبها من مواقع حاكم بهدف تصفيتها واحتوائها . عن طريق تفريغ المنطقة من السكان العرب الأصليين أو إذابة السكان وامتصاصهم بعد خلخلـــة الكـــثافة الســـكانية ، كما هو واضح إزاء منطقة الجليل المستهدف تهويدها .

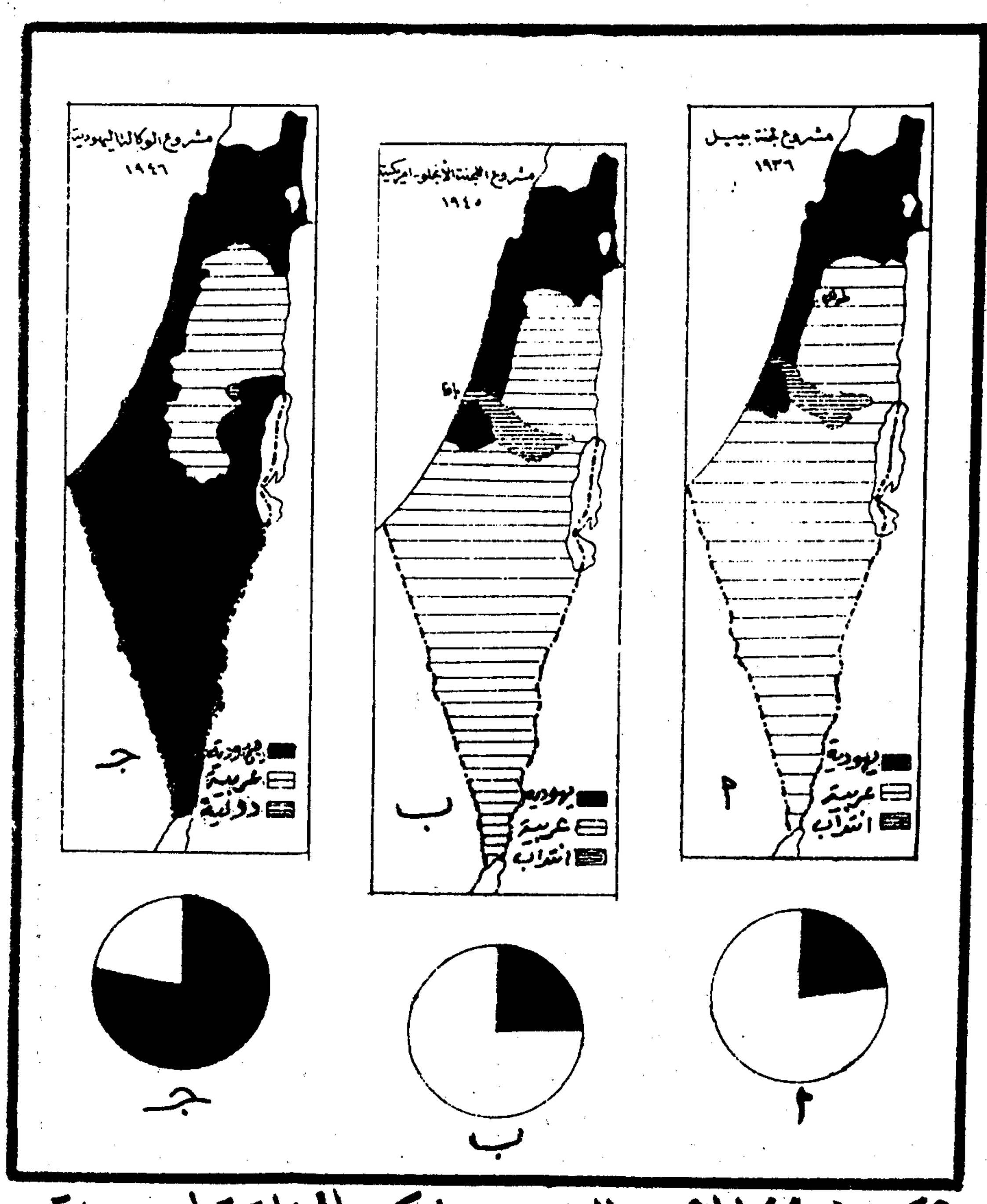
فرض إسرائيل على الخريطة السياسية العربية :

بـــات واضحا التعارض بين التواجد الاستيطانى الصهيونى والوجود العربى وانعكـــس ذلـــك خلال أحدث ١٩٣٦ ، حيث هجمات العرب المسلحة على المســـتوطنين اليهود ، بل وامتدادها إلى الوجود البريطانى نفسه كتعبير عن الاستياء من السياسة البريطانية المسئولة عن التواجد الصهيونى ، اضطرت بريطانيا تشكيل لجنة (بيل) للتحقيق عام ١٩٣٦ ، انتهت اللجنة فى تقريرها إلـــى أنه "بمثل ما يستحيل أن يحكم اليهود الأغلبية العربية ، فإنه ليس أيضاً من العدل أن تسلم بريطانيا أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ يهودى إلى الحكم العربى ، ولذا فإنه لا ملجأ من الأزمة إلا إلى تقسيم فلسطين بينهما" [١٩] .

اقترحـــت اللجـــنة للمـــنطقة اليهودية خطاً يبدأ من رأس الناقورة ويسير بمحاذاة الحدود الشمالية والشرقية الحالية لفلسطين حتى يصل لبحيرة طبرية ، كما فى الشكل (٤٠) وهذا الخط المقترح لم يكن له عام ١٩٣٦ أى شواهد استيطانية يهودية تعينه باستثناء المطوله وكفار جلعادى ، هذا الأمر يؤكد أن اللجـــنة راعـــت فى تقسيمها ترك المجال ضمن حدود الدولة اليهودية لنمو السكان والاستعمار ، وقد بلغت مساحة المنطقة المقترحة للدولة اليهودية



شكل (٣٩) الاستراتيجية الصهيونية في البناء الاستيطاني بفلسطين



شكل (٤٠) المشروع السياسي لتكوين المنطقة اليهودية

حوالى ٥٠٠٠كم٢ وتضم ٣٠,٠٠٠ عربى مما صعب رسم حد يفصل بين العرب واليهود ، وتم تشكيل لجنة عام ١٩٣٨ (وودهيد) لدراسة مشروع لجنة (بييل) أوضحت أن الدولة اليهودية المقترحة تضم ٤٩% من السكان العرب من جملة السكان وما يمتلكه اليهود من أراضى داخل تلك المنطقة ١,١٤٠,٢٠٠ دونم مقابل ٣,٨٥٤,٧٠٠ دونم يمتلكها العرب [٢٠].

ورغم فشل المشروع إلا أنه لفت نظر المخطط الصهيونى لضرورة تدعيم الوجود اليهودى الاستيطانى جهة الشمال ، والتوغل تجاه الجنوب لإيجاد شواهد إثبات أمام أى مشروع تقسيم آخر .

حتى منتصف الثلاثينيات كانت المقاومة الفلسطينية للصهيونية الجارفة موجودة ممثلة فى الحزب العربي الفلسطينى وحزب الدفاع الوطنى وحزب الاستقلال ، وكان الأمر الحيوى حينئذ هو علاج التمزق الذى ساد بين هذه الأحزاب خاصة وأن الزعماء الفلسطينيين لم يستطيعوا ردع الأطماع الصهيونية عن طريق تعبئة الشعب الفلسطينى ، ولا يخفى لهذه الزعامات أن نذكر لها الدور الجوهرى الذى لعبته فى الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية عندما أداروا دفة العمل الوطنى فى بعض العواصم العربية وهو ما انعكس على المشكلة الفلسطينية التى تعتبر السبب الرئيسى فى الحركات والثورات العربية [٢١].

وقد استأثرت مشكلة فلسطين باهتمام الجامعة العربية منذ نشأتها وانعكست ذلك على الملحق الخاص بفلسطين ، حيث اعتبرت فلسطين من الأقاليم العربية التى لها حق الإنضمام لجامعة الدول العربية بعد أن تصبح دولة مستقلة .

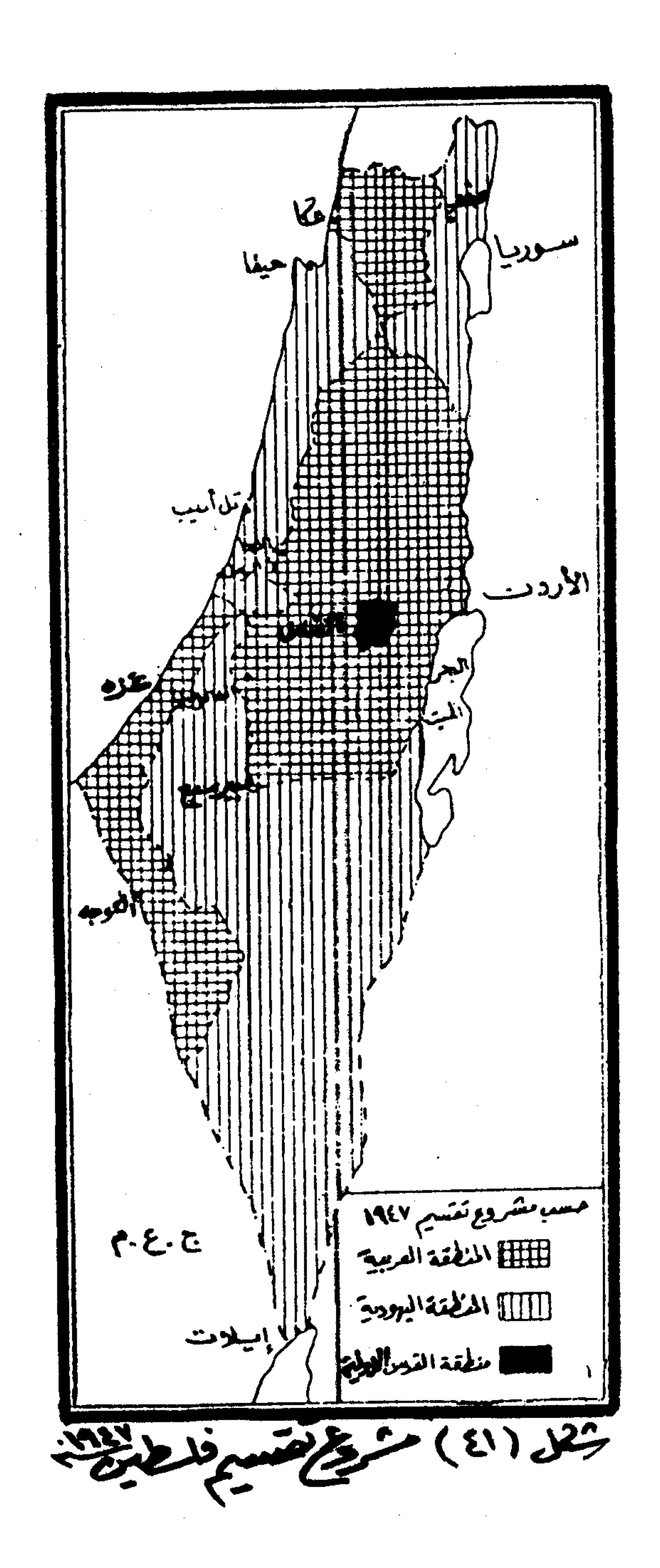
كان عمر المشكلة الفلسطينية عندما نشأت الجامعة العربية ثمانية وثلاثين عاماً وكان الاستعمار العالمى بقيادة بريطانيا قد عمل طوال تلك الأعوام على تطوير هذه المشكلة ، ووضع الوطن العربى بصورة عامة وفلسطين بشكل خاص فى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الملائمة لتنفيذ مخطط وإقامة الدولة الصهيونية والقضاء على عروبة فلسطين . وهكذا ولدت الجامعة العربية لتواجه منذ اللحظة الأولى مسئولية الحكومات العربية تجاه المشكلة الفلسطينية بما يعنيه ذلك من التصدى للقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية . وقد احتوت الجامعة العربية الواقع

العــربى الرســمى ، فلــم تكن هناك قوة تنفيذية ولم تتوافر لها الامكانيات التنفيذية ، وكانت المشكلة الأولى التى واجهتها الجامعة العربية هى التوفيق بين مختلف الزعماء والأحزاب العربية فى فلسطين (٢٢) .

زاد موقــف بريطانــيا ســوءاً بعد إعلانها سياسة الكتاب الأبيض (١٧مايو ١٩٣٩) ، والتى كانت ترمى منها تهدئة العرب الناقمين على سياسة الإنجليز ودورهــا الفعــال فى خلق الكيان الصهيونى ، وكان يحوى الكتاب الأبيض فكــرة تجميد الوطن القومى اليهودى وإيقاف تيارات الهجرة لفلسطين ، فقد ترتب على ذلك اندلاع المقاومة اليهودية المسلحة ضد الانتداب البريطانى ، علــى اعتــبار أن ذلك يعد تنصلاً من جانب بريطانيا لوعودها والتزاماتها الدولية .

ونتيجة لتعارض مصالح ومطالب كل من العرب واليهود ، أعلنت بريطانيا فــى ١٨ يــناير عــام ١٩٤٧ عجــزها فى حل مشكلة فلسطين ، وعهدت بالموضوع إلى حكم الأمم المتحدة . التى شكلت لجنة تحقيق لبحث المشكلة وإصدار التوصيات اللازمة ، وانتهت اللجنة إلى تقسيم فلسطين بين العرب والــيهود ، علمــاً بــأن عدد اليهود آنذاك بلغ نحو ٦٤٥,٠٠٠ نسمة مقابل ١,٩٥٠,٠٠٠ فلسطينى ، وأصدرت المنظمة الدولية قرارها الخاص بالتقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ تحت رقم ١٨١ ، وأوجب هذا القرار ضرورة انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى موعد أقصاه أول أغسطس عام ١٩٤٨ . كمــا أن المنطقة اليهودية المقترحة لا تشكل رقعة سياسية واحدة بل ثلاث مــناطق لا تكاد تشترك مع بعضها فى حدود شكل رقم (٤١) وهى : الجليل الشــرقى – الساحل الساحلى الشمالى – السهل الساحلى الجنوبى والنقب ، وذلــك يعــنى عــدم تمتع السكان بأى مزايا دفاعية أو حتى ما يحفظ عليهم وحدتهــم السياســية ، خاصة وأن إطالة الحدود البرية يضاعف من احتمال تعرضــها للخطــر ، مــع ملاحظة أن التقسيم وضعها وسط منطقة معادية وظــروف غــير عادية ، وإضافة إلى صغر حجم مساحة المنطقة السياسية المقــترحة وقلــة حجم السكان وتخلخله ، إضافة لفقر الموارد خاصة منطقة النقب (٢٣) .

وقــد أســهم الــنمط الجغرافى لتوزيع المستعمرات الصهيونية كثيرا فى أن تسيير الأمور فى البداية لغير صالح المخطط الصهيونى ، لدرجة أن



شكل (٤١) مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧

والولايات المتحدة الأمريكية اقتنعت تماماً بفشل التقسيم واقترحت أن تتولى الأمم المتحدة الوصاية على فلسطين [٢٤] .

هــذا النمط الجغرافى لتوزيع المستعمرات كان عبارة عن شرائط طويلة من المستوطنات التى تطل عليها مواقع حاكمة للقوى العربية ، وفى نفس الوقت كــان هــناك عــدد كبــير من المستوطنات اليهودية يقع خارج نطاق هذه التجمعات الشريطية ، وداخل مناطق عربية خالصة .

هــذا النمط جعل اليشوف اليهودى مكشوفاً أمام أى هجوم عربى ، بالإضافة إلـــى الخطورة الناجمة عن صعوبة المواصلات بين التجمعات الاستيطانية الكبرى [٢٥] . مما جعلت طرق المواصلات الممزقة والمحاصرة استراتيجية المشروع الصهيونى تعتمد على خطط دفاعية ، ممثلة فى الخطط C . B . A والتى ترمى للصمود أمام الهجمات العربية والإبقاء على طرق المواصلات مفــتوحة بقدر الإمكان ، ولعل ما كانت عليه التجمعات الاستيطانية اليهودية مــن تمزق إقليمى قد انعكس بوضوح فى اعتماد هذه الخطط الدفاعية على القــادة المحليين فى التنفيذ والمتابعة خاصة فى يافا والقدس ، والتحول من الخطط الدفاعية إلى الخطط الهجومية . ممثلة فى الخطة (دالت . D) وارتبط تنفيذ هذه الخطة بجلاء القوات البريطانية حتى تكون الهاجاناه بمأمن معقول مــن التدخل البريطانى ، وحددت الخطة الهجومية مهمة الهاجاناه فى فرض السيطرة على المنطقة المخصصة للسكان اليهود والدفاع عنها ودعم صمود المســتوطنات الــيهودية خارج حدود هذه المنطقة ، وأهم أهداف العمليات العسكرية وفقاً للخطة (دالت) :

١- الدفاع ضد اى غزو والسيطرة على طرق المواصلات لضمان انسياب الحركة داخل المنطقة اليهودية .

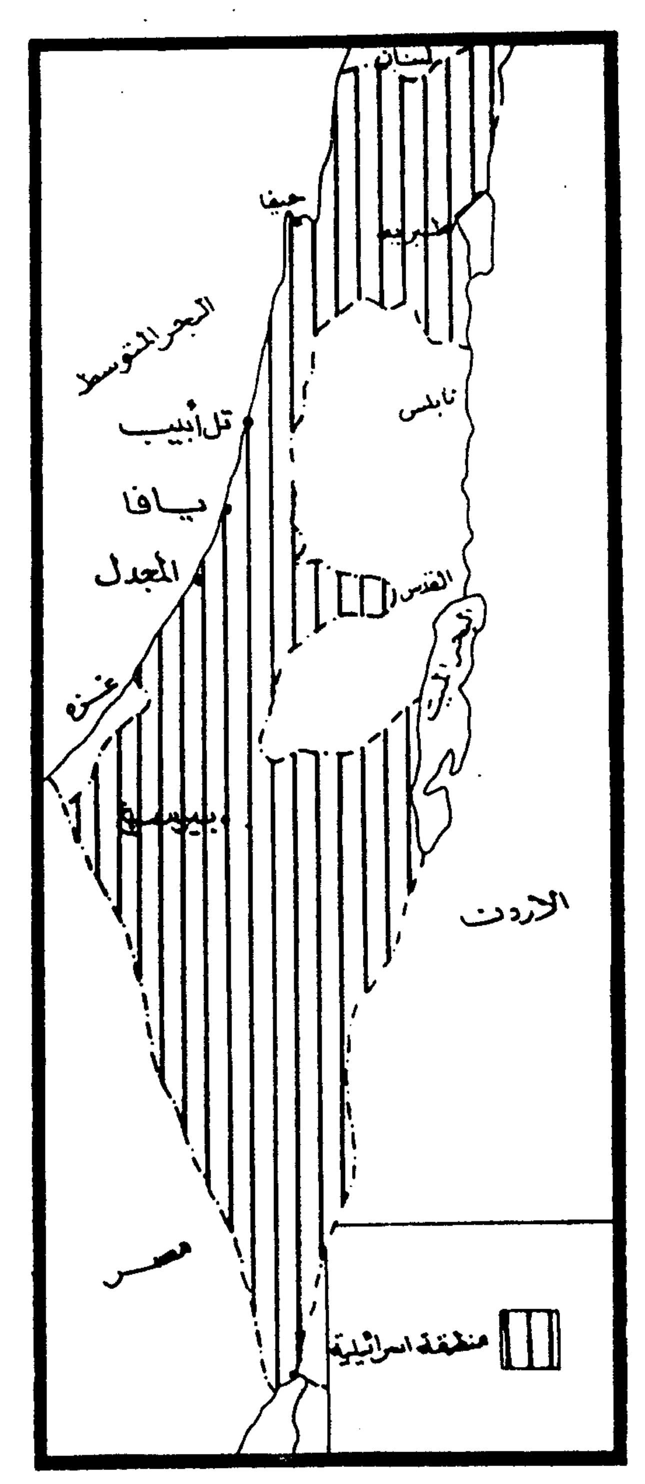
٢- احتلال القواعد المتقدمة التى يستخدمها العرب إجبارهم على الكف عن العملــيات العدوانية . ٣- إفشال حرب العصابات باحتلال المراكز الحيوية بالريف والحضر .

وعلـــى ضـــوء هـــذا المشروع العسكرى المسلح دخل اليشوف اليهودى فى فلســطين الحرب التى استمرت ما يقرب من ثمانية أشهر على أربع فترات متقطعة ، انتهت رسمياً بالهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة فى يناير ١٩٤٩ ، واســتمرت التحركات العسكرية حتى ١٠ مارس وذلك بعد سيطرة القوات

اليهودية على منطقة "أم رشرش" على خليج العقبة بعد انسحاب القوات الأردنية [٢٦].

استطاع المشروع العسكرى أن يفرض بالقوة المنطقة اليهودية التى حددها مشروع التقسيم الدولى وأضاف تعديلات على مساحتها حيث زادت من ١٤,٣٣٦كم٢ إلى ٢٠,٥٢٧كم٢ وامتدت المنطقة الإسرائيلية داخل خطوط الهدنة فأضيفت منطقة الجليل العربى شكل (٤٢) ، وأصبحت الحدود اللبنانية – الفلسطينية الدولية خطوط هدنة ، وكذلك الحدود السورية – الفلسطينية الدولية. إلا أن المخطط الاستيطانى الصهيونى قد فشل فى الوصول إلى حدود فلسطين الدولية على نهر الأردن ، فقد سقطت المستعمرات التى اتخذت كقواعد أمامية ومواطئ أقدام فى هذه المنطقة ، ولم تستطع أن تساهم فى رسم حدود المنطقة الإسرائيلية كما كان يتصورها المخطط الاستيطانى ، وهذه المستعمرات التى سقطت تتمثل فى بيت عرابة شمال البحر الميت ، وعطاروت ، والنبى يعقوب شمال القدس ، ومستعمرات كتلة صهيون (جيوش تسيون) فوق مرتفعات الخليل والقدس [٢٧].

كان من أهم انجازات المشروع العسكرى هو الحصول على القطاع الغربى للقدس والدهليز المؤدى إليها ، فاستثناء مستوطنتى (موتسا العليا وهاردوف) لم يكن هناك وجود استيطانى قبل عام ١٩٤٨ ، ويشير بن جوريون فى ذلك إلى (أن إغفال تحقيق الاتصال بالعاصمة عن طريق إنشاء المستعمرات وقت السلم ، كان خطأً كبيراً ، وكان علينا أن نتداركه فى الحرب) ومن إنجازات المشروع العسكرى أيضاً الحصول على الإسفين الجنوبى لفلسطين ، وهو الإسفين الذى يفصل بين سيناء وشرقى الأردن من ناحية وبين البحر الميت وخليج العقبة من ناحية أخرى ، وبهذا النجاح فى الوصول إلى الحدود المصرية – الفلسطينية الدولية ، باستثناء ذلك الشريط المتقطع من فلسطين الانتداب المعروف بقطاع غزة ، كما نجح المشروع العسكرى فى تفريغ المنطقة اليهودية من نحو ٧٠٠ ألف فلسطينى ولم يبقى داخلها سوى نحو ١٦٠ألف عربى عام ١٩٤٩.[٢٨]



إسرائيل بعد نهاية الجولة الأولى الهدنة

شكل (٤٢)

الصدامات المباشرة بين العرب وإسرائيل :

شهدت العلاقات العربية الإسرائيلية خلال نصف قرن صدامات مباشرة أثرت على الواقع والتاريخ العالمى وتمثلت هذه الصدامات فى :-

١- نكبة عام ١٩٤٨ :

انتهى الانتداب البريطانى لفلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، فعمدت الأمم المتحدة باتخاذ قرار بتعيين وسيط دولى بغرض "تصفية الوضع للقضية بالطرق السلمية" وتم بالفعل اتخاذ الوسيط الدولى ومقره جزيرة رودس ، بعد قيامه بالمهمة الأولى ونجاحه فى حمل طرفى النزاع علي قبول وقف إطلاق النار ، كان الوسيط الدولى "برنادوت" قد أعد تقريراً شاملاً لمشكلة فلسطين عرضه على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتضمن التقرير اقتراحات محددة للتسوية وتعديل بعض المناطق حسب الطبيعة الجغرافية وعلاج مشكلة اللاجئين وعودتهم إلى أراضيهم وأن تبقى القدس تحت أشراف الأمم المتحدة ، كما اقترح برنادوت وضع مدينة القدس بالمنطقة العربية مع منح اليهود المقيمين فيها بعض حقوق الحكم المحلى وكانت حجة برنادوت أن مدينة القدس محاطة من جميع الجهات بمناطق عربية . وقد تم اغتيال الوسيط الدولى من قبل الصهيونيين فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ إلا أن التقرير عرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نهاية سبتمبر ١٩٤٨ [٢٩] .

وعن الأحوال العربية فى هذه الأثناء ، فقد أكدت الحكومات العربية – بسوء تقدير للمواقف – أن مسألة القضاء على إسرائيل ليست سوى لون من اللعب ، وتحول النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى وقتئذ ليجعل من نفسه البطل المغوار فى الساحة العربية دون وجه حق ، حتى كتب فى ذلك أحد المحللين الأجانب قائلاً : لست أعرف على مدى التاريخ عملاً فى مثل هذا القدر من الحمق والتهور . . لقد ضاع مستقبل فلسطين ضحية للسياسة المصرية [٣٠] .

ورأى الرأى العام المصرى خيانة الملك عبد الله نتيجة لعملية ضم الضفة الغربية مع شرق الأردن التى أدت إلى تقويض دعائم حكومة عموم فلسطين التى أنشئت فى سبتمبر ١٩٤٨ تحت رعاية الجامعة العربية وتشجيع مصر

. كما أدانت سوريا موقف الملك عبد الله ، لأن أطماع الملك لتنصيب نفسه على رأس دول تشمل الهلال الخصيب كانت من المحرمات فى دمشق ، كما أن العراق كان ملتزماً بموقف الملك عبد الله بشأن إحراج مصر . وفى فلسطين نفسها ، فقد نزح منها ما يزيد على ٧٠٠ ألف نسمة عن ديارهم خلال الاشتباكات العسكرية وأخذت الحكومات العربية بالتسمية التى تعتبر الفلسطينيين لاجئين لهم مطالب خاصة فى جوهرها وليست عامة بالأحرى وتقوم على الحق فى تقرير المصير القومى والسياسى لفلسطين ، ونشأ الالتباس عما إذا كانت فلسطين كلها أو فلسطين التقسيم أو فلسطين الهدنة هى الرقعة الفلسطينية التى يسرى عليها مفعول تقرير المصير (٣١) .

أما إسرائيل فقد تمتعت بتأييد عالمى ، وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصيات عديدة حول قضية فرعية دون أن يكترث أحد لتنفيذها ألا وهى مشكلة القدس التى ظهرت فكرة تدويلها مع مشروع قرار تقسيم فلسطين الذى وافقت الصهيونية عليه متظاهرة بقبوله معولة إما على رفض العرب أو استخدام القوة (٣٢) . ومع اعتراف دول العالم بإسرائيل ، أعلن اليهود أنهم لن يتخلوا عن القدس وأدخلوا إليها ٧٠٠ من الهاجاناه وغيرهم من العصابات المسلحة ، ومع فشل الأمم المتحدة فى تدويل القدس ، أعلنت إسرائيل أن القدس عاصمة رسمية ونقلت إليها معظم مصالحها الحكومية ووزارة الخارجية ، واستجابت بعض الدول فنقلت سفاراتها للقدس عدا الدول الكبرى ، ولم يعتبر الإسرائيليون أبداً أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هى مشكلتهم ، فالإخفاق فى إسكانهم وتوطينهم فيما بعد داخل الدول العربية رأوا اخفاقاً من جانب الدول العربية والأمم المتحدة (٣٣) . ومن جهة أخرى لم تذهب الحكومات العربية إلى حد إزالة الهوية المشتركة للشعب الفلسطينى بإجباره على الاندماج أو إفساح المجال أمامه لكى يندمج وينصهر .

بدأت حرب ١٩٤٨ ، بجهل تام بالجالية اليهودية فى فلسطين ، ومن ثم كانت لديهم فكرة باهتة عن الوجود الصهيونى وتركيبته وتنظيماته وإنجازاته وقواته ، وجرت الحكومات العربية جيوشها للقتال دون إخطار القيادات العسكرية رسميا بسياساتها إلا قبل التدخل العسكرى الفعلى بأربعة أيام ، كذلك جعل التدخل السياسى المستمر فى العمليات العسكرية تسير دون

غـرض اسـتراتيجى موحـد ، وكانت الدول العربية تقف فى جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر للوحدة ، ورجال السياسة فيها عاجزون .

واعتقد الزعماء العرب أن القوات اليهودية الكائنة فى فلسطين هى المجموع الكلى للقوات ، فى حين أن هذه القوات كانت تتزايد بمعدل سريع من أسبوع لآخر ، نظراً لبعد نظر الزعماء الصهيونيين الذين جمعوا أيضاً كميات هائلة من الأسلحة والمعدات على السفن من موانئ أجنبية ، وأظهر الصهاينة من المـزايا العسكرية الشئ الكثير ، فقد بذلوا جهوداً واعية فى تنظيم الهاجاناه وتدريـبها ، ومن الحقائق التى لا يعرفها الرأى العام العربى آنذاك أنه عند بدايـة الحرب فإننا نجد أن اليهود الذين كان يبلغ عددهم حوالى ٧٠٠ ألف كان لهم عدد معبأ أكثر مما هو معبأ لدى الدول العربية (٣٤) .

لم تكن حرب فلسطين كالحروب العادية كاختبار حر للقوة ، بل كانت تتخللها الهدنة وإيقاف إطلاق النار الذى كان يفرض عليها من الخارج ، واستمرت الحـرب ثمانية شهور منذ بدء الغزو وحتى طلبت مصر الهدنة وذلك على أربـع فـترات حدث القتال الفعلى خلال ربع هذا الوقت . وطبقاً لإتفاقيات الهدنـة حصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٥٠٠ ميل مـربع ، وهـو مـا أضافته إلى ٥٦٠٠ ميل مربع التى منحتها إياها خطة التقسـيم ، كذلـك تضمنت الحرب تعديلاً كبيراً فى السكان ، حيث أزيح ما يـزيد علـى ٧٠٠ ألف فلسطينى عربى ، وانتهى وضعهم إلى أن اصبحوا لاجئين موزعين فى الأردن وقطاع غزة وسوريا ولبنان ، وقد صدر بشأنهم قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨ نص على أن : من يريد منهم العودة ويعيش فى سلام مع جيرانه يجب أن يسمح له بذلك ، ونشأ بالـتالى جـدال كبـير عندما ترك اللاجئون الفلسطينيون أرضهم للسيطرة اليهودية تحت تهديد القوة .

وقـد بلورت نكبة عام ١٩٤٨ الفرقة العربية التى بدأت أثناء الحرب ذاتها ، ونتيجة الهزائم العربية العسكرية المتوالية وخاصة مصر التى تلقت ضربات مفاجـئة علـى خطوطهـا خلال شهر ديسمبر ١٩٤٨ ، واضطرت كبرى الحكومـات العربـية إلى الاعتراف بإسرائيل بشكل ما عندما أجبرت على توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة ، وتبعتها حكومات عربية أخرى فى الفترة بين فبراير ويونيو ١٩٤٩ .

أمـــا فيما يتعلق بمشكلة القدس ، فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قـــرارها رقـــم ٣٠٣ /٤ المـــؤرخ في ٩ ديسمبر ١٩٤٩ وفيه عادت تؤكد رغبـــتها فى إخضاع مدينة القدس لنظام دولى دائم يتم وضع قواعده بمعرفة مجلـــس الوصــــاية الـــتابع للأمم المتحدة [٣٥] . وباتت نكبة فلسطين معاناة الشعوب العربية الحقيقة حتى مع بداية الألفية الجديدة والقرن الجديد .

٢ - العدوان الثلاثى على مصر :

حاولـــت الأمم المتحدة عبثاً

تحمـــل العـــرب وإسرائيل قبول التسوية السلمية بعد إبرام اتفاقية الهدنة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦ ، خاصة وقد توصلت القيادة الإسرائيلية إلى أن البراعة العســكرية الفائقـــة هى وحدها الكفيلة بحمل العرب على القبول بإسرائيل ، فتمـــيزت تلـــك الفترة فعلاً بتقوية المؤسسات الإسرائيلية لبناء قوة عسكرية قادرة على إنزال هزيمة بالعرب [٣٦] .

أمـــا الـــدول العربـــية ، فقد انعكفت خلال تلك الفترة على علاج مشاكلها الداخلية وكانت فى حالة إنكفاء ذاتى ، حيث قامت تحت تأثير الصدمة بتبديل نظام الحكم فيها أو بتغيير حكامها القدامى ، وخاصة فى الدول التى تشترك مـــع إســـرائيل فـــى حدودها ، ولم تقتصر آثار حرب فلسطين على إشاعة الاختلال فى التوازن للدول العربية ، وإنما أصابت بريطانيا أيضاً التى أخذ نفوذهـــا فـــى الـــزوال مـــن الوطن العربى واستسلمت طائعة لاعتراضات الولايـــات المـــتحدة ولم تستطع بريطانيا بعد ذلك منع الاتحاد السوفيتى من التدخل فى المشكلة الفلسطينية [٣٧] .

وحاولت الولايات المتحدة خلال ١٩٥٣ – ١٩٥٥ استرضاء العرب محاولة بحـــل قضـــية اللاجئيـــن وأصدرت إنذارها بوقف معونة اللاجئين منتصف ١٩٥٥ إذا لـــم تـــتخذ إجـــراءات حاســـمة لإعادة إسكانهم وأغرت العرب بالأحلاف (حلف بغداد) لإيقاف التقارب العربى مع السوفيت الذين لم يوجهوا اهتماماً للقضية خلال ١٩٥٠ – ١٩٥٢ ، كذلك امتنع السوفيت عن التصويت علـــى قرارات الأمم المتحدة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين على اعتبار أن اللاجئيـــن العـــرب معـــترف بهم فى قرارات الجمعية العامة التى لا يمكن مراجعتها أو إلغاؤها [٣٨] .

وعلـــى صــعيد العلاقات العربية الإسرائيلية حينئذ ، فقد حدثت عدة لقــاءات بيــن الأردن وإسرائيل أهمها بين الملك عبد الله وجولدا مايرسون "جولـــدا مائــير" لمشــروع اتفاق تم التوقيع عليه بالحروف الأولى فى ٢٧ فــبراير ١٩٥٠ ، إلا أن الأردن كان له اعتراضات فى اللحظات الأخيرة لم يتمكــن الملــك عــبد الله من التغلب عليها ، حيث طلب الملك عبد الله من الإسرائيليين النزول له عن ممر للوصول للبحر المتوسط مع بلدتى بئر سبع وغــزة ، وأن تــرد إلــيه الأحياء العربية من القدس المحتلة وأن يعطى له الطريق الموصل من القدس إلى بيت لحم وأن يسمح له باستخدام ميناء حر فــى حيفا ، وفى المقابل كان يعرض على الإسرائيليين ميناء لهم فى العقبة وأن يترك لهم طريق الوصول إلى مناجم البوتاس فى شمال البحر الميت ، ولكن اغتيل الملك عبد الله فى ٢٠ يوليو ١٩٥١ .

أما عن مصر فصرح الإعلام عن تصريح نسب إلى مصطفى نصرت وزير الحربــية المصرى قال فيه : "قد يجتمع الوفدان المصرى الإسرائيلى اليوم ٢٦ فــبراير باشتراك ممثلى الأمم المتحدة لمناقشة موضوع الصلح" غير أن المصريين والإسرائيليين قد سارعوا بتكذيب النبأ .

ومــن جهة أخرى أفادت إسرائيل من جلسات مؤتمر لوزان الذى قامت لجنة التوفيق الدولية – المكلفة من الأمم المتحدة فى بيروت بدراسة فروع المشكلة الفلسطينية ، وأفادت إسرائيل من ذلك لكى تصل إلى عضوية الأمم المتحدة فى ١٢ مايو ١٩٤٩ ، وهو نفس اليوم الذى وقعت فيه اتفاقية لوزان وأعلنت إســرائيل فى هذه الاتفاقية استعدادها لاحترام قرارات الأمم المتحدة وقبول التقســيم وقــبول وضع نظام دولى للقدس وقبول عودة اللاجئين العرب أو تعويضــهم ، غير أن إسرائيل سرعان ما غيرت موقفها ، ورأت ثلاث من الدول الكبرى "الولايات المتحدة – بريطانيا – فرنسا" استحالة تسوية النزاع فــأرادت أن تدعــم أكثر وأكثر الكيان الإسرائيلى ، فأصدرت فى ٢٥ مايو ١٩٥٠ "التصــريح الــثلاثى" وهــو ما يعتبر بحق خطوة أخرى نحو تجميد المشكلة الفلسطينية ، حيث اعتبرت الدول الثلاث أن حدود إسرائيل نهائية ، كما وضعت مبدأ إقامة التوازن بين الدول العربية مجتمعة وإسرائيل منفردة (٣٩) .

أما عن سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه إسرائيل في هذه الفترة ، الملاحظ أنه مـــع مجئ عام ١٩٥٥ كان الاختيار السوفيتي يقترب من الحسم والاستقرار بالنسبة للطرفين العربي والإسرائيلي في المشكلة الفلسطينية وشهد هذا العام للمـــرة الأولى أول حديث سوفيتي عن إدانة إسرائيل في الأمم المتحدة سواء في أعمال تتعلق بحوادث الحدود أو غيرها وقد تحدث المندوب السوفيتي في ١٩ مـــايو – ٤ يونـــيو ١٩٥٦ في الأمم المتحدة عن إمكانية تجنب صراع مســـلح في الشرق الأوسط إذا التزمت الأطراف بالتعهدات التي أخذتها على عاتقهـــا وعـــن اســـتعداد السوفييت لمساعدة الأمم المتحدة في تحقيق تسوية ســـلمية بين الدول العربية وإسرائيل مع أخذ الاعتبار الواجب لرغبات دول المنطقة ودون تدخل في شئونها الداخلية (٤٠) .

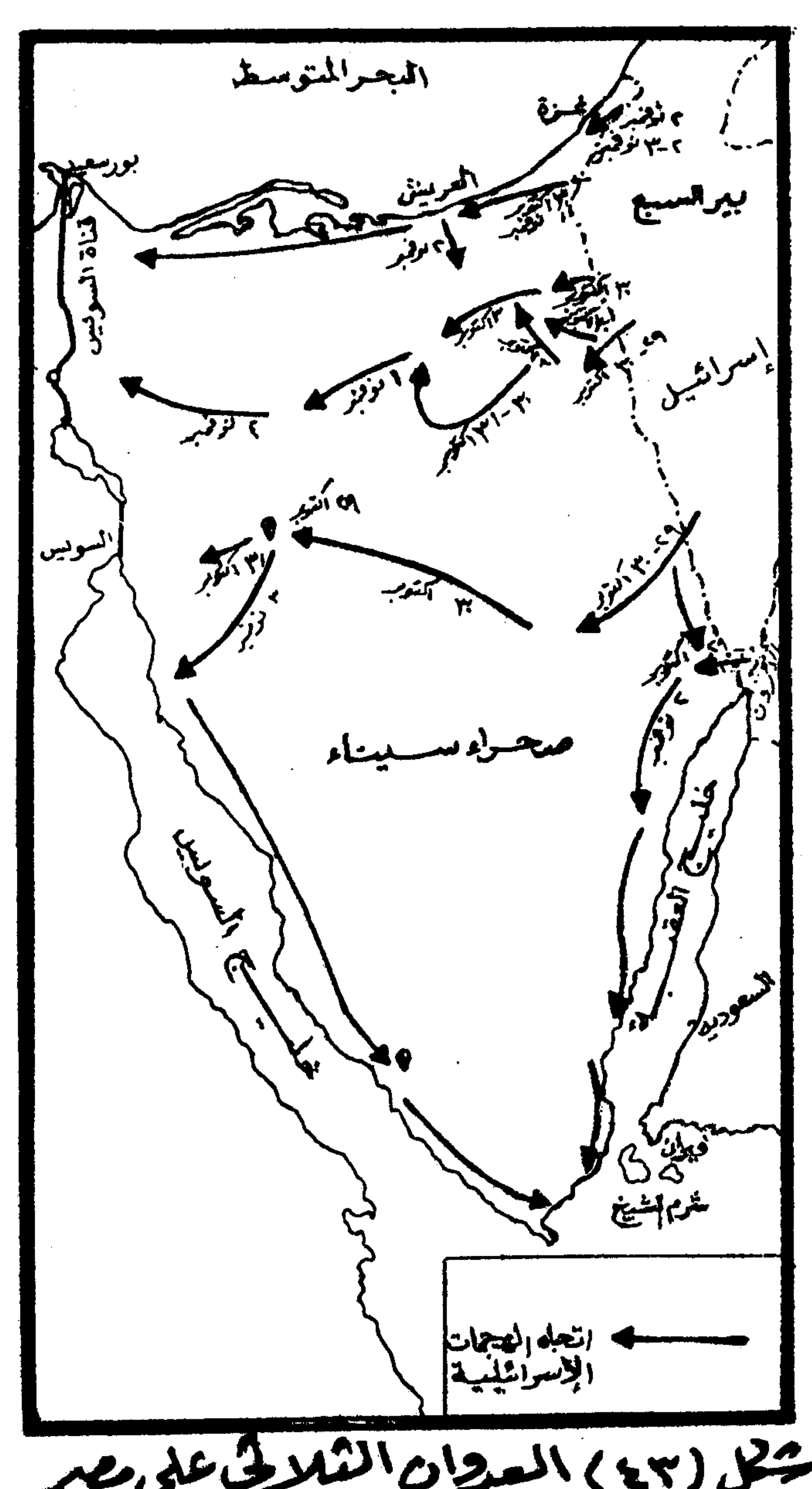
المناوشات المصرية الإسرائيلية ونذير العدوان: كانت حوادث الحدود بيـــن مصـــر وإسرائيل بعد الهدنة مزمنة ، تعذر على هيئة الرقابة الدولية مـــنعها خاصـــة بسبب إجراءات الحصار التي فرضتها مصر على البضائع الـــواردة لإســـرائيل في قناة السويس ، إذ أصدر مجلس الأمن أول سبتمبر ١٩٥١ قـــراراً بدعوة مصر لرفع إجراءات الحصار ، ورأت مصر أن هذا الموضـــوع قانوني وليس سياسيا ، وإنما يدخل في اختصاص محكمة العدل الدولـــية ، واتجهت إسرائيل إلى إيجاد ميناء على خليج العقبة ، هو قرية أم الرشـــراش الـــتي صارت نواة لميناء إيلات . . سارعت مصر باطراد في إغـــلاق خلـــيج العقـــبة فـــي وجه الملاحة الإسرائيلية عام ١٩٥٣ ، رفعت إســـرائيل شـــكوى لمجلس الأمن بذلك عام ١٩٥٤ وأبطل الاتحاد السوفيتي القرار (٤١) .

ظهر خلال هذه الفترة جمال عبد الناصر في مصر كقوة للوحدة العربية غير أن حـــادثي الهجوم على غزة عام ١٩٥٥ والعوجة كنقطة تحول في سياسة عـــبد الناصر الذي شعر بحرج وأيقن أن استراتيجية إسرائيل هدفها العنف والتوسع تجاه العرب ، وقد نتج عن الاشتباكات القصيرة وغير الحاسمة بين إســـرائيل والعـــرب كثير من المخالفات أسفرت عن قضايا مزمنة أصبحت تؤرق المجتمع الدولي .

كمـــا شهدت الأيام السابقة للعدوان المفاوضات المصرية مع الغرب لتمويل مشروع السد العالي ، وبالرغم من أن هذا الموضوع وما يتصل به لا يتعلق

بصلب هذا البحث مباشرة إلا أن له علاقة بالمشكلة الفلسطينية وتطورها ، ومن ذلك تأثير الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة ، مما دفعها في النهاية إلى سحب تمويل مشروع السد العالي ، مما جعل مصر والعرب تتعرض للمهانة والإحراج ، وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن عبد الناصر الرد في الإسكندرية بتأميم قناة السويس ، وهنا وقع الحدث الراديكالي الخاص بالحملة على سيناء التي دبرت بعد اتفاقية سرية وقعتها قوى العدوان "إنجلترا – فرنسا – إسرائيل" في سيفر يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ شكل (٤٣)، وكانت انتهاكات الهدنة على الخطوط الإسرائيلية العربية في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ (٤٢) . على إثر ذلك انعقد مجلس الأمن في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ بناءً على طلب الولايات المتحدة ، وتحدث المندوب السوفيتي فأدان العمل الإسرائيلي وطالب بوقف العمليات وانسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية في نفس الوقت أرسل بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ثلاث رسائل لرؤساء وزراء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل محذراً إياها وخاصة إسرائيل ، وفي ٨ نوفمبر رد بن جوريون على الرسالة السابقة وقدم تبريره بأنه كان عملاً من أعمال الدفاع عن النفس بسبب السياسة التي اتبعها "حاكم مصر" منذ سنتين والتي تمثلت في تحطيم قوات فدائية خاصة بدأت في مصر أولاً ثم في سوريا ولبنان والأردن لقتل الإسرائيليين ، غير أن السوفييت أضافوا خطوة جديدة في التهديد بالتدخل حيث أشار بيان سوفيتي إلى الطلبات العديدة للمواطنين السوفييت ومن بينهم عدد كبير من الطيارين ورجال الدبابات والمدفعية وضباط الاحتياط بالسماح لهم بالسفر إلى مصر للمشاركة في طرد المعتدين إذا امتنعت الدول الثلاث عن سحب قواتها (٤٣) .

أما الولايات المتحدة فقد أيدت دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى دورة طارئة ، وعلى صعيد الرأي العام الأمريكي وجه إيزنهاور "الرئيس الأمريكي" خطاباً لإقناع الشعب الأمريكي بسياسته في الشرق الأوسط وذكر أن موقف إسرائيل يعتبر تحدياً للأمم المتحدة ، وأضاف أن الولايات المتحدة تؤيد وجود الأمم المتحدة في غزة ، كما تضمن انتشار قوات الطوارئ في شرم الشيخ ، فإذا أصرت إسرائيل على موقفها فلا بد أن تمارس عليها الضغوط ، وأن مصلحتها الحقيقة في الانسحاب .



شكل (٤٣) العدوان الثلاثي على مصر
١٩٥٦

وفـــى ٨ مارس ١٩٥٧ صرح السكرتير العام للأمم المتحدة فى تقرير له أن إسرائيل قد أذعنت للانسحاب ، وقد دخلت قوات الطوارئ الدولية بالفعل إلى مـــنطقة شرم الشيخ عقب انسحاب القوات الإسرائيلية منها ولم يحل يوم ٢٦ مارس حتى كانت جنود قوات الطوارئ قد انتشرت على طول جميع خطوط الهدنة .

٣- حرب يونيه ١٩٦٧ :

لـــم تـــأت حرب يونيو ١٩٦٧ على الدول العربية لنزعة إســـرائيل العدوانـــية المتزايدة ، إذ أدركت أن الوقت قد حان لتوجيه ضربة ضد العرب حتى لا يصبحوا أقوياء بدرجة تتحدى قوى التوسع الصهيونى ، خاصـــة وأن إســـرائيل قد اطمأنت إلى الدعم السياسى من الولايات المتحدة الأمريكـــية ، وقد اكتملت أيضاً عناصر الدعم العسكرى الأمريكى لإسرائيل بوصـــول الدبابـــات والطائـــرات الأمريكية ، هذا بينما كانت العلاقات بين الولايـــات المتحدة والدول العربية "التقدمية" تتدهور من سيئ إلى أسوء كما كانت معظم الدول العربية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الغربية.

وقـــد عكســـت مؤتمرات القمة العربية صورة ظاهرية من التضامن العربى تجاه إسرائيل فى استغلالها – فضلاً عن بعض تصريحات عربية طائشة – وأظهـــار الـــدول العربية فى تضامنها هذا فى شكـــل الـــدول المعتدية التى تـــبغى تدمـــير إســـرائيل وإلقائها فى البحر ، وبذلك تهيأ للرأى العالمى – وخاصة الغربى – لقبـــول مزاعم إسرائيل بحقها فى الدفاع عن النفس ورد العدوان قبل وقوعه [٤٤] .

فقـــد بـــدأت التحرشـــات الإسرائيلية بالأطراف العربية ، خاصة سوريا فى أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٦٦ حيث وقعت معركة طائرات الميراج الإسرائيلية فـــوق ســـوريا ، وترتـــب على ذلك عقد اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا فى ٤ نوفمبر ١٩٦٦ لمدة خمس سنوات يتم بمقتضاها تكوين مجلس مشـــترك للدفاع وقيادة مشتركة ، ونصت على أن أى هجوم على أى منهما هو هجوم على الأخرى ، ثم تعاقبت المعارك فى يناير ١٩٦٧ ، قرب بحيرة طـــبرية ، ثم حدثت واقعة أخرى باعتداءات إسرائيلية على سوريا بالطيران فى السابع من إبريل ١٩٦٧ ، أسقطت هذه المعركة ست طائرات سورية ، ثـــم توالـــت التهديدات الإسرائيلية لسوريا فى ١٢ مايو بأن إسرائيل ستشن

هجومـــاً واسع النطاق ضد سوريا ، وذلك على لسان رئيس وزارتها "ليفى أشـــكول" علـــى ذلك أعلنت تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر المساندة لســـوريا منها قوله "إذا تحرشت إسرائيل بسوريا أو بأى دولة عربية ، فاحنا مستعدين نواجه إسرائيل" (٤٥) .

وفـــى اعقـــاب القرارات والتصريحات التى اتخذها عبد الناصر ، قام الملك حســـين ملـــك الأردن بزيارة القاهرة لعقد اتفاقية دفاع مشترك مع مصر فى ٣٠ مـــايو ١٩٦٧ ، وانضـــمت العراق لهذه الاتفاقية فى الرابع من يونية ، وفـــى ضوء ذلك يبرز أن الفاعل فى هذه التحرشات والتهديدات المتتالية هو الطـــرف الإســـرائيلى ، ولـــم يكن الأمر طبقاً لما أشاعه الإسرائيليون أنهم مهددون من العرب بهدف كسب التعاطف العالمى معهم (٤٦) .

النتائج الفعلية لحرب يونيو ١٩٦٧ :-

وقعـــت الحـــرب بـــالفعل فى إطار بيئة وظروف اتسمت بالاحتلال لصالح إســـرائيل ، لذلـــك تحقـــق لها نتائج كبيرة من وراء هجومها العسكرى فى الخامس من يونية ١٩٦٧ .

وتتلخص النتيجة النهائية للمواجهة العسكرية فى : احتلال إسرائيل لأراضى عربية على جميع الجبهات المشتركة معها فى الحدود عدا لبنان شكل رقم (٤٤) الـــتى لـــم تشترك فى الحرب ، حيث احتلت إسرائيل سيناء حتى قناة السويس من مصر والضفة الغربية للأردن ومدينة القدس القديمة كما احتلت هضـــبة الجولان السورية فى الشمال حتى القنيطرة التى لا تبعد عن دمشق أكـــثر من ٤٠ ميلاً وبالنظر لحجم المساحة التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونـــية هـــى (١٦٨,١٥٠كـــم٢ إى ثلاثة أمثال مساحة إسرائيل فى ٤ يونية ١٩٦٧ ، ممـــا أعطى لها ميزة استراتيجية وحرية حركة أكبر عما كان قبل حرب يونية ١٩٦٧) .

وصـــاحب فقـــدان هذه المساحات الضربة الخاطفة لإسرائيل بالطيران ضد مطـــارات وطائرات السلاح الجوى المصرى فى الساعة السابعة والنصف صباح ٥ يونية ١٩٦٧ ولمدة ساعة ونصف ، وبطلعتين جويتين أمكن تدمير ٨٠% مـــن الســـلاح الجوى المصرى تماماً وهو على الأرض ، ثم توالت الأحداث على الجبهة المصرية فى سيناء حتى قرار القيادة العامة بانسحاب القوات المصرية من سيناء ، وحسمت المعركة نهائياً على الجبهة المصرية



شكل (٤٤) الأراضي التي احتلت في حرب يونية ١٩٦٧

خـــلال ثلاثة أيام ، بعدها توجهت إسرائيل لتنهى الوضع فى الضفة الغربية وهضـــبة الجولان التى ختمت بها الأيام الستة للحرب ، بعد أن دمرت أيضاً السـلاح الجـوى الأردنى والسورى ، وجزءاً من السلاح الجوى العراقى ، وقد اتسعت الأحداث خلال تلك الفترة بالسرعة والتتابع ، خاصة وأن النتائج والخسائر التى تمخضت عن تلك الحرب اتسمت بالضخامة كما يلى :-

أولاً الجـبة المصرية : خسرت الجبهة المصرية كما فى الشكلين (٤٥) ، (٤٦) بالنسبة للأفراد نحو ١٥٠٠٠ ما بين شهداء وجرحى وأسرى ومفقودين ، أما بالنسبة للمعدات فنحو ٣٠٤ طائرة عامة أى ثلاثة أرباع السلاح الجوى المصـرى ، أمـا عن خسائر الدبابات فكانت ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ دبابة بنسبة ٨٥% من الحجم الكلى للمعدات .

ثانـياً : الجبهة الأردنية : والمواجهة لإسرائيل فخسرت من خلالها الأردن بيـن ٢٠-٢٨ طائـرة إلـى جانب ١٥٠دبابة أو ثلثى الدبابات لدى الأردن بالإضافة إلى ٢٨ مدفعاً استولت إسرائيل على ثمانية منها [٤٧] .

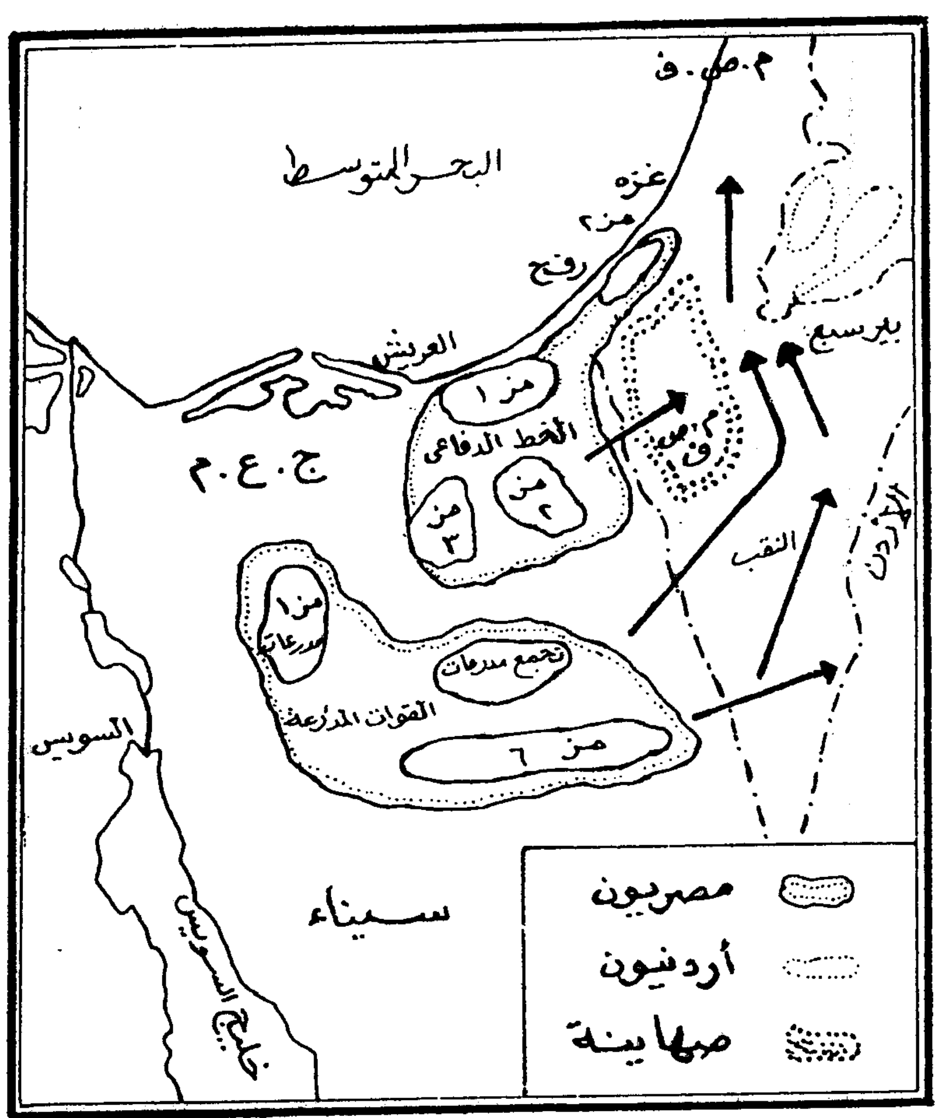
ثالـثاً : الجبهة السورية : وهى كما يوضحها الشكل (٤٧) وخسرت سوريا من خلالها ٥٠٠٠ فرد بين شهيد وجريح ، وبلغت خسارة الطائرات بين ٥٠ -٦٠ طائرة وما بين ٥٠-١١٠ دبابة علاوة على نحو ١٥ بطارية صواريخ كانت موجودة بهضبة الجولان .

رابعاً : الخسائر العراقية : بلغت الخسائر العراقية ما بين ١٠-٢٠ طائرة .

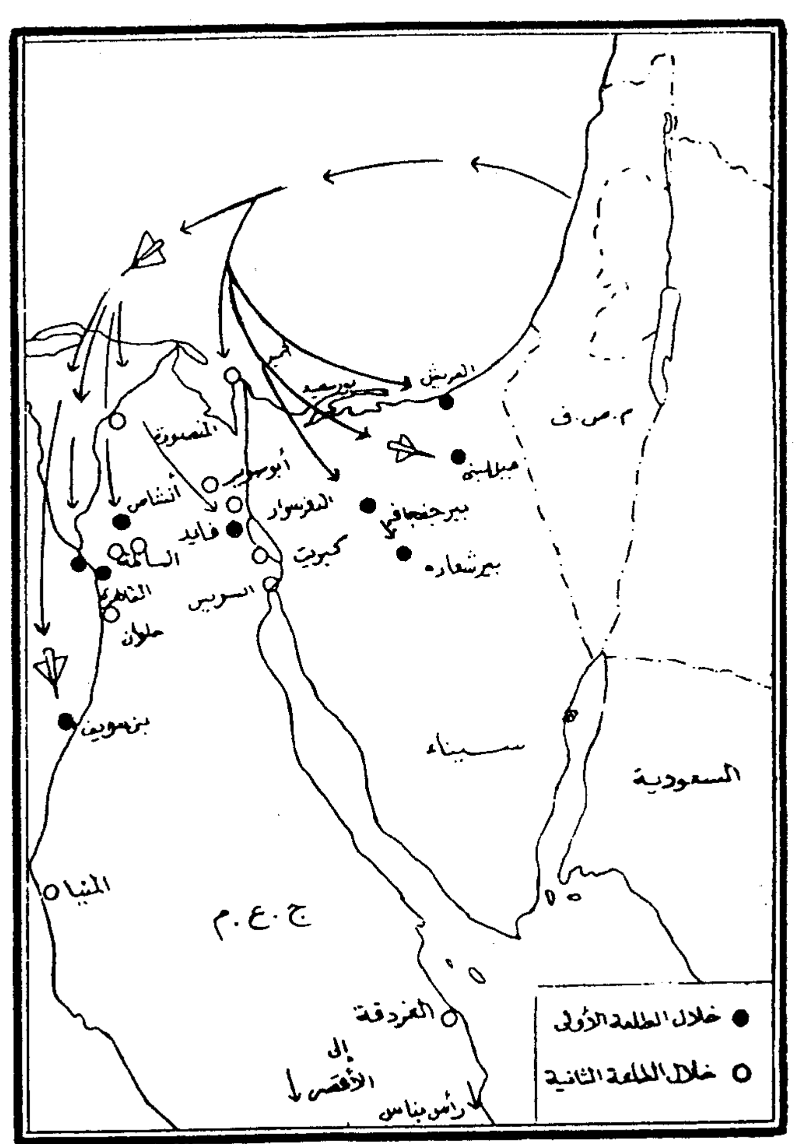
خامساً : الجبهة الإسرائيلية : كما هى موضحة فى الشكل (٤٨) قد خسرت إسرائيل من خلالها ٣١٧٦ فرداً بين قتيل وجريح وأسير فقط . أما الخسائر مـن الطائرات فتراوحت بين ٢٥-٤٠ طائرة فقط وما بين ٦١-١٠٠ دبابة وذلك على كافة الجبهات .

وتقيـيماً لهـذه الأرقام فإن إجمالى خسائر العرب تعادل سبعة أمثال خسائر إسـرائيل ويـزيد خسـائر مصـر وحدها ثلاثة أمثال ، وخسائر مصر من الطائرات نحو عشرة أمثال إسرائيل ، كما بلغت خسارة العرب من الدبابات عشرة أمثال إسرائيل لمصر منها سبعة أمثال [٤٨] .

من ذلك يتضح أن ضربة الطيران المفاجئة لإسرائيل فى حرب ١٩٦٧ كان لهـا دور حاسـم فى زيادة حجم الخسائر فى الأفراد والمعدات لدى الطرف العربى فكان الموقف بحق يشكل النكسة .



شكل (٤٥) توزيع القوات المصرية والأردنية والإسرائيلية
قبل حرب ١٩٦٧



شكل (٤٦) الهجوم الإسرائيلي على مصر في يونية ١٩٦٧

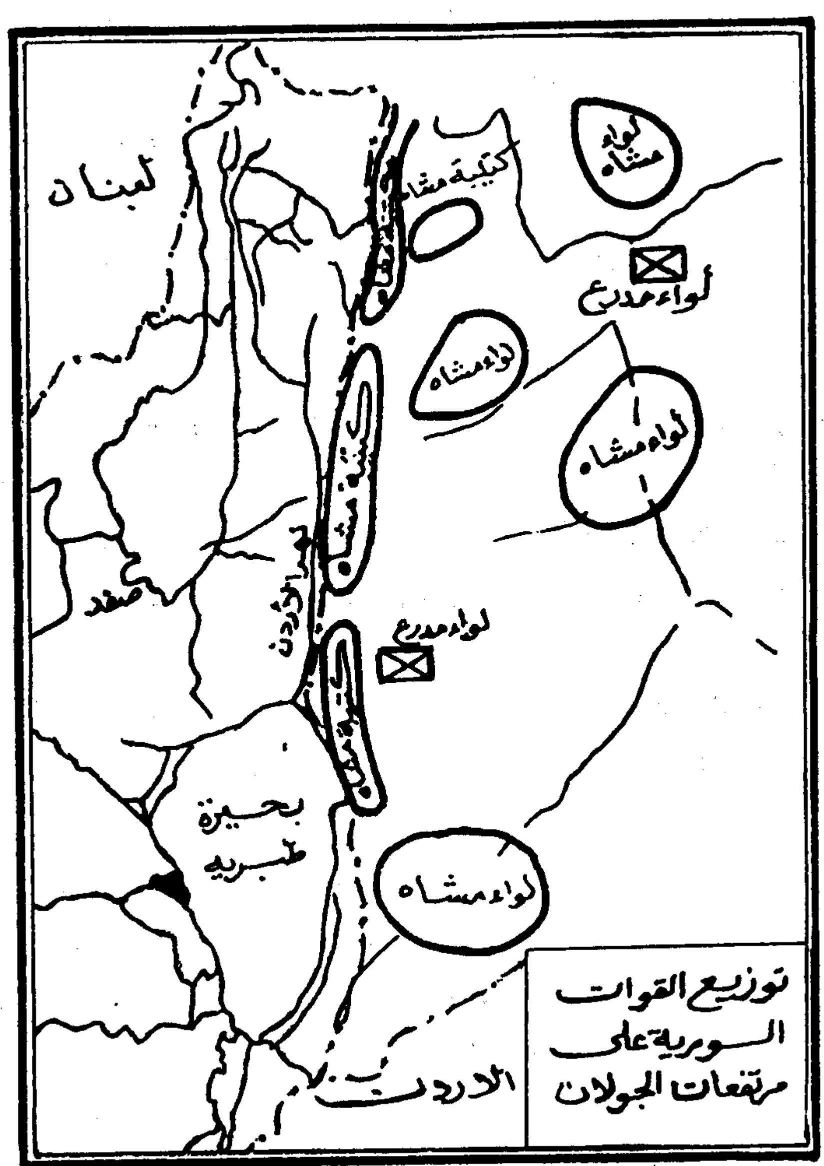
٤- حرب أكتوبر ١٩٧٣ :-

بدأت ملحمة أكتوبر ١٩٧٣ فى الثانية وخمس دقـائق فى اليوم السادس بين العرب وإسرائيل ولمدة ١٨ يوماً حتى صباح الأربعـاء ٢٤ أكتوبر ، وذلك بعد قبول جميع الأطراف المتصارعة (مصر وسوريا وإسرائيل) مبدأ وقف إطلاق النار .

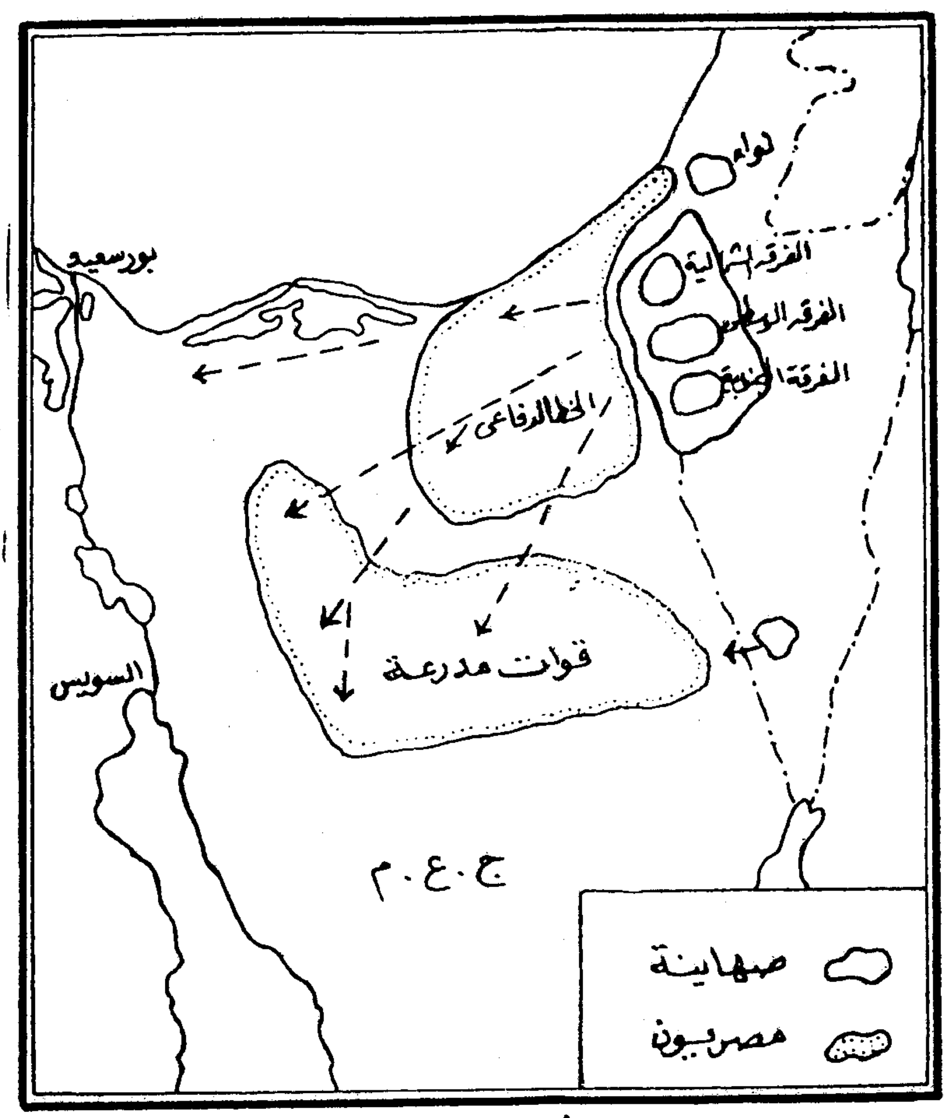
كـان اشـتعال هـذه الحـرب نتاجاً للهزيمة الناتجة عن المواجهة العربية الإسـرائيلية الثالـثة فـى يونية ١٩٦٧ . . ففى الوقت الذى كان الطرف الإسـرائيلى مـزهواً بانتصاره الضخم على العرب فى يونية ١٩٦٧ ، كان الطرف العربى يعيد حساباته لمحو الهزيمة ، وفى الوقت الذى سعى الطرف الإسـرائيلى فـيه إلى تأكيد تفوقه وسيادته الإقليمية ، حاول الطرف العربى تنشيط قواه وتجديدها . فقد رفض الشعب العربى انسحاب الرئيس جمال عبد الناصـر وتنحيه عن السلطة ولم يمض عام ١٩٦٧ حتى لوحظ إعادة الثقة إلى القوات المسلحة المصرية بعد معركة رأس العش فى ٢٦ يونية ١٩٦٧ ، وإغراق المدمرة "إيلات" فى ٢١/أكتوبر ١٩٦٧ ، ثم بدأت حرب الاستنزاف زهـاء ثـلاث سـنوات لتنتهى أوائل ١٩٧٠ وتبعها وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

تولـى الرئيس السادات حكم مصر : واتجه حكمه فى البداية للحل السلمى ، فقام بطرح مبادرة جزئية السلام ، يتم بموجبها فتح القناة فى فبراير ١٩٧١ ولـم يسـتجيب لهـا أى طرف . وتلا ذلك بقرار من السادات بإنهاء مهمة الخبراء السوفيت بمصر فى يوليو ١٩٧٢ (٤٩) .

ومـع ذلـك فـإن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تستجيبا لسياسة السادات . إضـافة لذلك فإن عام ١٩٧٣ قد شهد وقوع عدد من الاستفزازات العسكرية الإسـرائيلية مـنها مـا حدث فى ٢١ فبراير ١٩٧٣ حيث أسقطت إسرائيل الطائـرة المدنية الليبية فوق سيناء ومصرع ركابها وقائدها ، وما حدث فى إبـريل ١٩٧٣ من وقوع الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت ، وأيضاً فى نفـس الشـهر قامـت سفينة حربية إسرائيلية بالتسلل إلى شواطئ لبنان - بـيروت وصـيدا والاعتداءات على القادة اللبنانيين والتنكيل بهم وقتل ثلاثة مـنهم واستشـهاد ٢٢ آخرين ، واستهدفت إسرائيل بذلك تأكيد سيادتها على المنطقة وإحباط العرب (٥٠) .



شكل (٤٧) توزيع القوات السورية في حرب يونية ١٩٦٧



شكل (٤٨٦) المواجهة المصرية للهجوم الإسرائيلي

(يونيه ١٩٦٧)

ثـم جـاءت حـرب أكتوبر ولكى يتم تقييمهـا بصـورة مـوضـوعيـة يستلـزم الأمر توضيح عدة أمور هى :-

أولا : طبيعة أرض المعركة : ففى الجبهة التى واجهتها مصر شكل خط بارليف وقناة السويس موانع كبيرة أمام الجيش المصرى للوصول لسيناء ، حيـث أقيم خط بارليف بطول القناة (١٧٥كم) ويصل عمقه داخل سيناء بين ١٠-١٢كـم وكان يحتوى على ٢٥ موقعاً حصيناً رئيسياً أشبه بقلاع ممتدة علـى طول القناة ، وهو مكون من عدد من الخطوط المتتالية داخل سيناء . الأول ساتر ترابي متصل يتراوح ارتفاعه بين ١٢-٢٠ متراً - ليس به ثغرة واحـدة ومحصناً ، وتضمن خزانات وقود محصنة تحت الأرض يحوى كل مـنها (٣٠٠طـن) ، وموصلة إلى القناة بأنابيب ضخمة ، وهذا الوقود كان يكفـى لإشـعال القناة بستارة من النيران لفترة طويلة ، والثانى : كان على مسـافة من ٣-٥كم ، وهو موقع دفاعى خلف الخط الأول ، والثالث : على مسافة من ١٠-١٢كم موازياً للخطين السابقين وبه تجهيزات هندسية أخرى ، تحـتل احتـياطات أكـبر مـن القوات المدرعة بصفة رئيسية إلى جانب المدفعـية . كانت إسرائيل قد أنفقت وقتها قرابة ٢٥٠مليون جنية على هذه التحصينات باعتباره نظاماً منيعاً لأمنها (٥١) .

أمـا بالنسـبة للجبهة الشمالية ، فقد قامت إسرائيل بإعداد حفر خندق مضاد للدبابات والمعروف بخط (آلون) وهو ممتد على طول الجبهة بعرض أربعة أمـتار وعمق أربعة أمتار أيضا ، وإلى جانبه ساتر ترابى لمنع الدبابات من الـتقدم ، عـلاوة على حقول ألغام وأسلاك شائكة وهى تشكل مانعاً صناعياً بيـن القـوات الإسرائيلية والقوات السورية ، علاوة على ارتفاعات هضبة الجـولان ذاتها (٥٢) . وكان وجود هذه الموانع من وجهة نظر إسرائيل كافياً لهـا مـن أى محاولـة من جانب الطرف العربى للتفكير فى المواجهة مع إسرائيل مرة أخرى .

ثانيا : تطور أحداث المواجهة : تم فى ست ساعات اقتحام خط بارليف بعـد عـبور القناة ونقل جيشين كاملين (٨٠ ألف مقاتل) إلى أرض سيناء ، واستطاعت القوات السورية التقدم فى هضبة الجولان ومحاولة تحرير جبل الشيخ والقنيطرة ، ويمكن النظر إلى تطورات الحرب من خلال فترتين . . الأولى : منذ السادس من أكتوبر حتى الثالث عشر ، كانت المعركة لصالح

مصـــر وســـوريا تماماً نتيجة المبادأة والاشتراك فى التوقيت ، وكانت أهم نتيجة القضاء على تفوق الدفاع الجوى الإسرائيلى ، كما تم فرض الحصار العســكرى والاقتصـــادى حول إسرائيل بإغلاق مضيق باب المندب جنوب الــبحر الأحمـــر ، كما قلت السفن الواردة لإسرائيل فى البحر المتوسط من ٢٠٠ ســفينة إلى ٢٣ سفينة فقط فى الفترة من ٦-٣٠ أكتوبر . . أما الفترة الثانية : دعمت فيها الولايات المتحدة إسرائيل بجسر عسكرى كبير ، وخلق ثغـــرات فـــى الجـــيش العـــربى مثل ثغرة (سعسع) لمحاولة تطويق الجيش الســـورى ، وثغرة (الدفرسوار) على الجبهة المصرية التى أمكنت إسرائيل من إعاقة الطيران المصرى بشكل كبير وعبور الضفة الغربية لقناة السويس بهدف تطويق الجيش الثالث الميدانى فى سيناء وحصاره [٥٣] .

ثالـــثاً : خسائر الأطراف المتصارعة : وتتلخص خسائر حرب أكتوبر للأطراف المتصارعة "مصر – سوريا – العراق – إسرائيل" فيما يلى :

أ- الخســـائر المصرية : خسرت مصر نحو ١٥ ألف شهيد ونحو ٤٥ ألف جريح ونحو ٨٥٠٠ أسير ، فى حين أن خسائر عبور القناة لم تتجاوز ٢٨٠ شهيداً فقط ، إلى جانب ٢٨٢ طائرة مقاتله ، ٦٥٠ دبابة ، ٤ سفن حربية [٥٤] .

ب- الخسائر السورية : خسرت سوريا نحو ٧ آلاف شهيداً ، ونحو ٢١ ألف جريح ، إضافة إلى ١٦٥ طائرة مقاتلة ، و٦٠٠ دبابة و٧ سفن حربية .

جـــ - الخســـائر العراقية : بلغت ١٢٥ شهيداً ، ٢٦٠ جريحاً ، ١٨ أسيراً وذلك على الجبهة السورية ، إلى جانب ٨٠ دبابة ، ٢١ طائرة مقاتلة [٥٥] .

د- الخســـائر الإســـرائيلية : فبالنسبة للأفراد ، أشارت إحدى المصادر أن إسرائيل خسرت فى الأيام العشرة الأولى وحدها ما يتراوح بين ٥ آلاف إلى ٦ آلاف مـــن ضـــباط وجنود ، وجرح ما يقرب من ٢٠ ألف جريح ، بينما يشير آخرون إلى أن خسائرها فى الحرب حوالى ٢٥٠٠ قتيل ، وفى تقرير لمجلس الأمن القومى الأمريكى ، أشار إلى أن إسرائيل خسرت ٢٨٦ طياراً بين قتيل وأسير وجريح ، أما عن عدد القتلى والجرحى والذين لا يصلحون للخدمـــة العســـكرية مســـتقبلاً فيزيد على ١٢ ألف على الجبهتين المصرية والسورية [٥٦] .

أما بالنسبة للمعدات فقد خسرت إسرائيل ١٦٠ طائرة مقاتلة ، ٩٠٠ دبابة ، وطبقاً لتقرير أمريكى بأن خسائرها من المشاة بلغت نحو ثلث المدرعات من

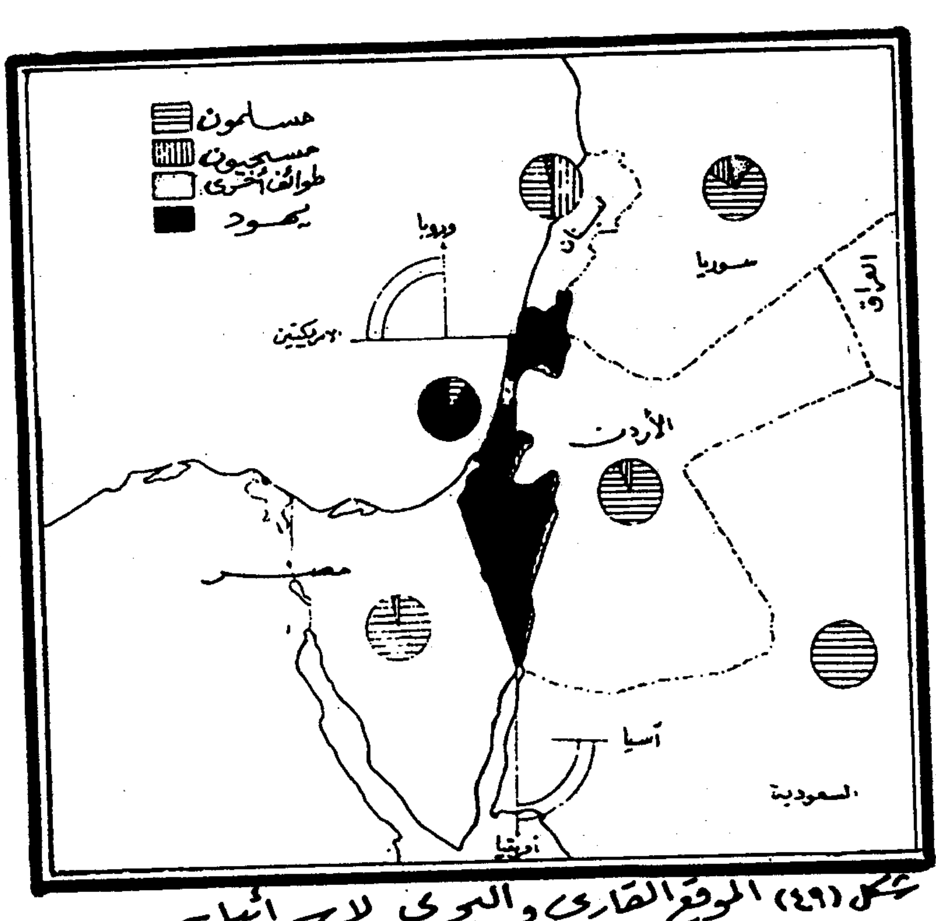
دبابات ونصف مجنزرات ومدفعية محمولة وذلك فى الأسبوع الأول للحرب وصلت مع نهاية الحرب إلى ١٣٥٠ مدرعة ، أما الطيران فقد خسرت ٢٢٩ طائرة مقاتلة ، بينما خسرت ثلث سلاحها البحرى (٥٧) .

وانتهـت الصـدامات المباشـرة بين العرب وإسرائيل بانتهاء حرب أكتوبر والـتى خـرج مـنها الجانب العربى منتصراً على كافة الأصعدة السياسية والنفسـية والاجتماعية والعسكرية أيضاً حيث حررت سوريا مسافة ١٢ كم على طول جبهتها ، أما مصر فقد تم تحرير كامل ترابها بعد معاهدة السلام التى قام بها الرئيس الراحل أنور السادات بعد انتصار حرب أكتوبر المجيدة .

استراتيجية التعامل الإسرائيلية مع العرب بعد معاهدة السلام :
قامـت إســرائيل فــى الأســاس على أرض اغتصبت بالقوة من أصحابها الشرعيين ، وقادة إسرائيل يدركون ذلك ، ولهذا فهم يضعون مسألة أمن هذا الكيان فى مقدمة اهتماماتهم . حيث اعتمد التفكير الاستريتيجى على ركيزتين مترابطتين هما : أولاً : الأمن الإسرائيلى . ثانياً : الحدود الآمنة . ومن هنا ارتبطت هاتان الركيزتان بالإيمان الكامل لإسرائيل بفكرة الحرب الوقائية والهجوم المسبق وتوازن القوى وإقامة روابط وعلاقات قوية ومتينة مــع قــوى عالمية كبرى . ويأتى هذا السلوك الاستراتيجى الإسرائيلى بناء علــى مورفولوجــية دولة إسرائيل المغتصبة والمصطنعة وبالتالى المتخمة بالعيوب كما يلى :-

أولا : مــن حيــث الموقع : تشترك إسرائيل فى الحدود مع أربع دول عربــية كمــا فى الشكل (٤٩) هى : لبنان من الشمال - سوريا من الشمال الشرقى - الأردن من الشرق - ومصر من الجنوب الغربى ، ويبلغ أطوال حــدود إســرائيل مع جاراتها نحو ٩٨٥ كم . وبذلك احتلت إسرائيل موقعاً وســطاً فى منطقة الشرق الأوسط عامة والمنطقة العربية خاصة ، كما أنها تشــارك مصــر فى أهمية موقعها كمعبر أرضى بين قارتى آسيا وأفريقيا . وتشــغل إسرائيل شقة ساحلية طويلة نسبياً على البحر المتوسط ، فى وقت تفتقر فيه مجموعة الدول التى تظاهرها إلى المنافذ البحرية ، ومن هنا تأتى أهمــية موقــع إسرائيل لما يحيط بها من جارات ، وكان يمكن لإسرائيل أن تستفيد كثيراً من هذا الموقع عبر هذه الحدود البرية الطويلة ، غير أن هناك عــدة عوامــل أدت إلــى تعطــيل أهمية هذا الموقع . وجعلت هذه الحدود المشــتركة مصــدراً للخطــر والضــعف ، وليس للأمن والقوة . وكل هذه العوامــل إنمــا تنبع من وضع إسرائيل كتكوين استعمارى استيطانى فريد ، فــرض نفسه بالقوة ، فأصبحت الحدود المشتركة خطوط احتكاك عسكرى ، ولم ترتبط بجاراتها إلا من خلال صراع .

وعلــى هذا ، فإن موقع إسرائيل محاصر جيوبولتيكياً ، ومكشوف أمام دول تجمعهــا صــلات إقليمية وتنظيمية وقومية مشتركة ، تأخذ صورة التفاعل الحــاد على كافة المستويات الدبلوماسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية ، وقد أدى هذا الموقع المحاصر والمكشوف إلى توجيه



شكل (٤٩) الموقع القارى والبحرى لإسرائيل

اهـــتمام الـــنظام السياسى الإسرائيلى إلى الدائرة الإقليمية بالدرجة الأولى ، وكان المنطلق الإقليمى هو المنطلق الرئيسى فى تشكيل السياسة الإسرائيلية [٥٨]

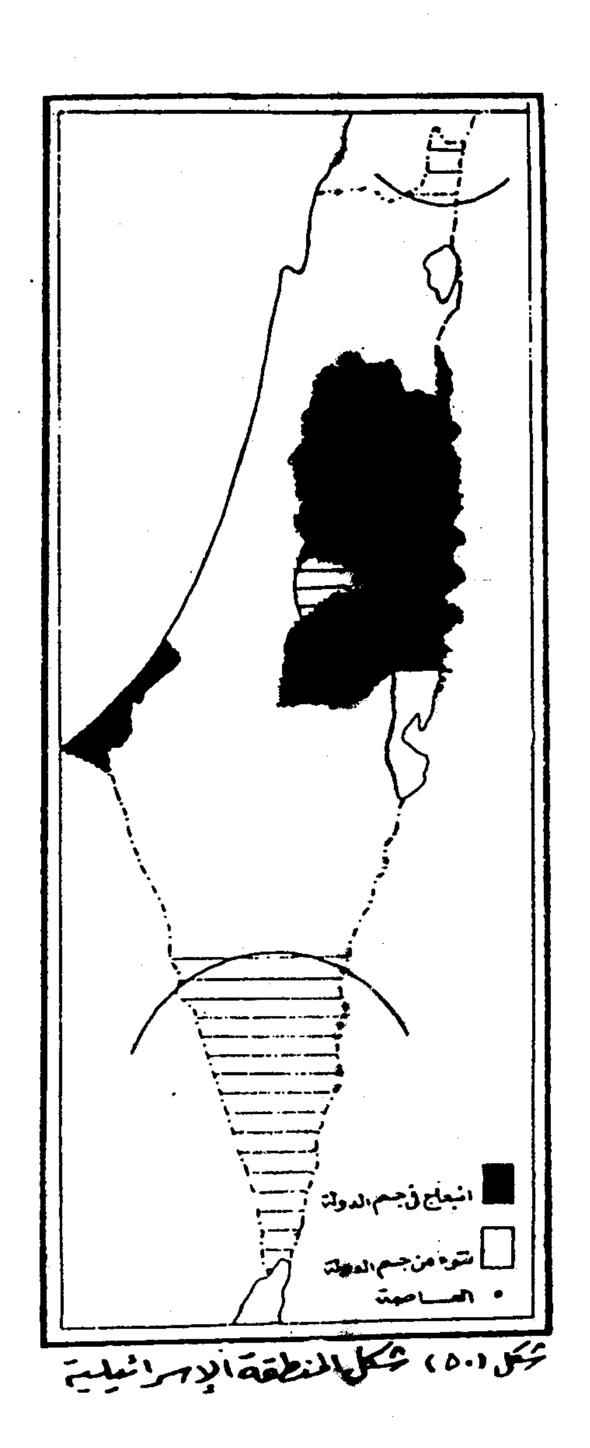
ثانيا : من حيث المساحة : لا تـــتعدى مساحة المنطقة الإسرائيلية نحو ٢٠٠٠٠ كـــم٢ ، منها ٤٤٥ كم٢ تشغلها مسطحات مائية ، وتدخل إسرائيل فـــى عـــداد الـــدول صغيرة المساحة ، التى تعتمد فى وجودها على عوامل وموارد خارجية ، وكان لصغر المساحة تحديات مستمرة أمام صانع القرار الإســـرائيلى . أهمهـــا عدم توفر العمق الجغرافى الكافى ، مما أدى إلى أن يصبح موقف إسرائيل العسكرى محفوفا بالمخاطر ، وتبدو مشكلة عدم توفر العمـــق الجغرافى بوضوح فى منطقة السهل الساحلى ، حيث لا يزيد العمق الجغرافى بين طولكرم ونتانيا عن ١٤,٥ كم فى منطقة منبسطة ، الأمر الذى يسهل مهمة المهاجم ويعوق مهمة المدافع ، وعلى الرغم من الاتساع النسبى لمـــنطقة النقـــب ، فإنها تفتقر إلى العمق الجغرافى الكافى ، حيث لا تتعدى المسافة بين الجليل وغزة ٢٤ كم .

ومـــن هـــنا جـــاءت فكرة العمق الاستراتيجى Strategic Depth كبديل عن العمـــق الجغرافى المحدود التى تستلزم تحصينات جبهوية دائمة ذات نوعية خاصـــة ، ومـــن هنا يبرز دور الاستيطان فى توفير العمق الاستراتيجى ، ويتمـــثل فى دور مستوطنات الحدود كخط دفاع جبهوى ، وكدفاع استاتيكى دائم .

ونفس مشكلة العمق الجغرافى هى التى أدت إلى انتهاج استراتيجية المبادأة الـــتى تقـــوم على أساس عدم إعطاء إسرائيل الفرصة لأعدائها لتملك زمام المبادرة [٥٩] .

ثالثا : الشكل : يمـــيل شكل إسرائيل للاستطالة فهو بين الشمال والجنوب يبلغ ٤١٧ كم (من مطوله حتى إيلات) فى حين العرض بين ٦٠-٩٠ كم ، ومن هنا يكون عدم تناسب بين المساحة وطول الحدود ، إذ تبلغ هذه النسبة ٤٨ مترا/كم٢ . والقول باستطالة شكل إسرائيل ينبغى أن يأخذ بحذر وتحفظ ويرجع ذلك إلى أن شكل إسرائيل غير واضح الاستطالة ، حيث تعرقل هذه الاســـتطالة مجموعة من الانبعاجات المتقطعة من جسم الإقليم ومجموعة من النتوءات البارزة منه ، شكل(٥٠) كما يلى :-

١- **الانبعاجات :** وتتمثل فى الانبعاج الأردنى وانبعاج غزة :



شكل (٥٠) شكل المنطقة الإسرائيلية

أ- الانــبعاج الأردنى : وهو الضفة الغربية لنهر الأردن "نابلس والخليل" بجانــب القســم الغربى لوادى الأردن الأدنى ، تبلغ مساحته ٥٨٧٨ كم٢ ، والضــفة الغربية تمثل نسقاً سكانياً وقومياً مختلفاً تماماً عن النسق القائم فى فلســطين غــرب الــنهر ، ولذلك فهى تختلف عن حقيقة انتماءها الطبيعى لفلسطين غرب النهر ، فالضفة الغربية هى الجزء الوحيد من فلسطين الذى يضــم عــرب فلسطين وحدهم ، خاصة بعد حركة النزوح الهائلة من جانب عــرب فلســطين ١٩٤٨ إلى الضفة الغربية ، وقد أدى هذا التدفق إلى أن يصــبح عدد سكان الضفة الغربية عام ١٩٥١ نحو ٤١٥٦٧٢ نسمة ، وبذلك يعد الانبعاج الأردنى بمثابة أسفين ديموجرافى قومى مغروس داخل المجتمع الإسرائيلى القائم على النقاء العنصرى والمتشبث بالطابع الأوربى الغربى . ويمــزق ذلــك الأسفين الضخم جسد إسرائيل ، ويكاد يشطرها لقسم شمالى وآخــر جنوبى ، حيث يضيق الخصر الإسرائيلى فى قطاع طولكرم - نتانيا إلى ١٤,٥ كم فقط ، ويضاعف من خطورة هذا الانبعاج المغروس فى قلب إســرائيل وضعه الطبوغرافى كإقليم جبلى يشرف على مواقع متحكمة على الشريط السهلى الساحلى المنخفض الضيق (٦٠) .

ب- انبعاج غزة : وهو قطاع غزة والذى كان تحت الإدارة المصرية منذ الهدنــة ، مساحته ٣٦٣ كم٢ من السهل الساحلى بداية من سهل عكا شمالاً إلى وادى غزة ، وتعد امتداداً سكانياً لعرب فلسطين ، وعلى ذلك فإن موقع قطــاع غــزة علــى بعــد ٨ كم فقط جنوب مركز الثقل العمرانى السياسى والاقتصــادى الإسرائيلى والمتمثل فى القطاع الأوسط من السهل الساحلى ، يجعل هذا الانبعاج بمثابة رأس حربة وتهديد دائم لإسرائيل (٦١) .

٢- النــتوءات : يعيــب إسرائيل فى الشكل عدة نتوءات تمثل لها خطراً وتهديداً دائماً ، وهذه النتوءات هى :-

أ- نتوء سهل الحولة : وهو يتجه بزاوية حادة نحو الشمال بالقرب من جبل "أفيفيم" على شكل بروز أرضى ، وهذا البروز يمتد بين سوريا شرقاً ولبنان غــرباً لمســافة ٢٢,٥ كم بعرض ١٢,٥ كم . حيث كان المراد بهذا التمدد الوصــول للروافد التى تصب فى نهر الأردن ، وهذا الأسفين يعتبر امتدادا بين تكوينات سياسية معادية ، مما يضاعف من مسئولية الدفاع عنه ، خاصة

وأنـــه مـــنخفض أخدودى بين مرتفعات الجولان وجبل الشيخ بسوريا شرقاً والأخرى مرتفعات الجليل غرباً .

ب- نـــتوء القدس : ويمتد داخل منطقة الانبعاج الفلسطينى الخالص ، ويعد النتوء دهليز إلى القدس الغربية عاصمة إسرائيل اليهودية ورمزها الروحى والسياسى ، ويمتد النتوء لمسافة ٢٥ كم بعرض يتراوح بين ٦ – ١٨ كم ، ويعتبر هذا النتوء موقعاً خصباً لحرب العصابات [٦٢] .

جـــ - نـــتوء إيـــلات : وهو على شكل مثلث جنوب بئر سبع ، يتراوح عرضه بين ٩ – ١١ كم وطوله نحو ١٨٢ كم وكان الإفراط فى تمدده داخل نطاق صحراوى لأهمية الوصول إلى خليج العقبة كمنفذ بحرى هام ، إلا أن وضـــعه كإسفين بين الأردن شرقاً ومصر غرباً يمثل عيباً جيوستراتيجياً فى جسم إسرائيل [٦٣] .

الوصايا العشر لنظرية الأمن الإسرائيلى :-

وبـــناء على القصور الجيوبوليتيكى والديموجرافى لإسرائيل فقد عرف عن رواد إسرائيل والقائمين عليها ما يسمى بالوصايا العشر وهى :-

١- إقامة مجتمع عسكرى لتعويض النقص الديموجرافى واستحالة الاحتفاظ بجيش كامل العدد

٢- نظام محكم للأمن الداخلى يكفل السيطرة على الأقليات العربية .

٣- القدرة المستمرة على الردع المعتمد على التفوق النوعى .

٤- مواجهة العرب فرادى وهزيمتهم الواحد تلو الآخر .

٥- الحرب الخاطفة ومواجهة العالم بالأمر الواقع الإسرائيلى .

٦- ســـرعة نقـــل المعـــركة إلـــى أرض العدو للتغلب على ضحالة العمق الإسرائيلى .

٧- ضمان مؤازرة قوى كبرى موثوق بنجدتها فى أى وقت .

٨- تهيئة الرأى العام العالمى وكسبه إلى الجانب الإسرائيلى .

٩- اعتناق استراتيجية الخرشوفة وتقسيم الهدف التالى إلى مراحل بقدر ما تســمح بـــه الإمكانـــات والظـــروف المحيطة

١٠- العمل التعرضى والسبق بالهجوم [٦٤] .

وبدا واضحاً أثر هذه الوصايا فى الاستراتيجية الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر كما يلى :-

١- على الجانب المصرى :- انتهزت إسرائيل فرصة مبادرة السلام التى قام بها الرئيس السادات لعقد معاهدة كامب ديفيد والتى بنيت على أساس الأرض "وتحرير الجزء المتبقى من سيناء" مقابل السلام مع إسرائيل وبذلك تكون إسرائيل أمنت أخطر وأهم الجبهات التى يمكن أن تؤرقها ، حتى ولو لفترة . إذ أن مصر كانت تحتل صدارة أى حملة عسكرية فى جولات الصراع العربى الإسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ ، إلا أن هذه القوة التى جرى تحييدها كانت القوة العسكرية الوحيدة التى يحترمها الإسرائيليون فى ساحة القتال .

٢- الهجوم الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى :- بعد أكثر من ربع قرن من امتلاك إسرائيل السلاح النووى كان جاك شيراك رئيس الوزراء الفرنسى آنذاك قد أعلن يوم ١٨ سبتمبر ١٩٧٥ عن اتفاق بين فرنسا والعراق لبناء مفاعلين نوويين بالعراق ، وكان طموح العراق مدعوماً بإمكانات مادية كبيرة من صادرات البترول وكانت حاجة فرنسا لاستقرار إمداداتها من البترول ورغبتها فى دعم اقتصادها وعملتها وراء توطيد علاقات فرنسا بالعراق بوجه خاص ، ودول البترول وغيرها من الدول العربية بوجه عام .

كانت المعلومات الخاصة بالمفاعلين النوويين بالعراق ، تعنى بالنسبة لإسرائيل أن دولة بالمنطقة تسعى للإخلال بميزان القوى ، وأن هذا الاختلال سيتحقق بامتلاك سلاح ذرى ، وامتلاك قنبلة ذرية واحدة يعنى من وجهة النظر الإسرائيلية تحقيق توازن نووى فى المنطقة ، مثل هذا التوازن لن يكون لصالح إسرائيل ، فامتلاك العراق لقنبلة ذرية يعنى إمكانية إقدامه على استخدام هذه القنبلة ضد إسرائيل أياً كانت قدرة إسرائيل على توجيه الضربة الثانية . مثل هذا الاحتمال يعنى نهاية جزئية أو كلية لإسرائيل ، ولكنه لا يعنى نهاية العراق أو الوطن العربى .

خططت إسرائيل منذ الإعلان عن الاتفاق لإعاقة العمل بالمفاعلين ، ففى أبريل ١٩٧٩ تمكنت المخابرات الإسرائيلية من تدمير معدات هى أجزاء المفاعلين فى سين سورمين الفرنسية قرب ميناء طولون قبل شحنها للعراق ، وفى يونيه عام ١٩٨٠ تمكنت المخابرات الإسرائيلية من اغتيال العالم النووى المصرى الدكتور يحي المشد بباريس والمشرف على البرنامج

الـــنووى العراقى والقائم بدور حلقة اتصال بين العراق والمؤسسات الذرية الفرنسية (٦٥) .

وبعد ظهر الأحد الثامن من يونيه ١٩٨١ أغارت الطائرات الإسرائيلية على المفاعليـــن وألقت فوقهما ١٢ طناً من القنابل وذلك على علم وتأييد ومرأى من الاستخبارات الأمريكية من خلال طائرات الإنذار المبكر المتمركزة فى الخلـــيج العربى ، كما أن إسرائيل أدركت أن الرأى العام الأوربى – ورغم حاجـــته للبترول العربى والثروات العربية – إلا أن رأيه العام يتسم بالسلبية فـــى مواجهـــة التـــيار الإسلامى والعربى ، وأن تدمير المفاعليين الذريين بالعـــراق ســـيلمس أوتاراً حساسة تجد القبول لدى الرأى العام الغربى بوجه عام (٦٦) .

وقـــد صرح الجنرال رافائيل إيتان رئيس الأركان الإسرائيلى يوم ١٠ يونيه فـــى أعقاب عملية تدمير المفاعلين ، أن إسرائيل سوف تعمل فى أى مكان على وقف حصول أية دولة عربية على تسليح نووى ، واليوم وبعد ما يزيد علـــى ٢٠ عامـــاً مضـــت تحرض إسرائيل الغول الأمريكى ليفتك بالعراق تحســـباً لوجـــود بقايا نووية عراقية ، فالعراق من دول المواجهة المباشرة ، وهـــى الكـــتف العربى الشرقى شاركت فى حرب أكتوبر من خلال الجبهة الســـورية ، ومقدر لها النهوض فى سهولة ويسر فهى دولة الأرض الخصبة والمـــاء الوفـــير ومكمـــن الطاقـــة المنشود ، ولن تنسى إسرائيل فوق ذلك الصواريخ التى ألقتها العراق على تل أبيب أثناء أزمة حرب الخليج الثانية .

٣- الهجوم الشامل على لبنان :-

لم يكن لبنان بعيداً عن مطمع إسرائيل منذ البداية ، فقال موشى ديان عندما تمكنت إسرائيل من احتلال أراضى ثلاث دول عربية مجاورة لها فى معركة ١٩٦٧ "مصـــر – ســـوريا – الأردن" كـــان يقول متوعداً "تلك هى الحدود المثالـــية لدولة إسرائيل فى كل الجبهات ما عدا لبنان . أما الأرض الواقعة جنوب الليطانى فستضم إلى إسرائيل . " ويوصى ديان فى نفـــس الرواية أن يتم ذلك فوراً (٦٧) .

فمنذ تأسيس الحركة الصهيونية فى مطلع القرن العشرين ، اعتبرت مياه نهر الأردن والـــليطانى من أهم دعائم إسرائيل لتأمين حاجتها للمياه ، وكتب بن جوريـــون فى مفكرته الشخصية عام ١٩٤٨ : إنه ينبغى الإطاحة بالحكومة

اللبنانـــية وإقامـــة دولـــة ماورنيه فى لبنان تكون حدودها الجنوبية عند نهر اللـــيطانى [٦٨] . وخـــلال الفـــترة التى أعقبت توقيع إتفاقيتى الفصل الأول والـــثانى للقـــوات بيـــن مصر وإسرائيل بدأ إعداد المسرح لمنطقة الشرق الأوسط لقبول سلام عربى – إسرائيلى ، ولم يكن ممكناً أن يمر هذا السلام والمقاومـــة الفلســـطينية قـــوة يعـــتد بها ، وبالتالى أصبح تحطيم المقاومة الفلسطينية خاصة فى لبنان هدفاً رئيسياً ، فقد تنامت القوة العسكرية للمقاومة فى الجنوب اللبنانى مهددة الموقف الأمنى لمستعمرات شمال إسرائيل ، كما اســـتثمرت المقاومة الفترة التى أعقبت وقف إطلاق النار لدعم مواقعها على الجبهة اللبنانية [٦٩] .

وقد بدأ التحرك الإسرائيلى ضد لبنان فعلاً فور نجاح معركة ١٩٦٧ واستمر ، فقـــد تـــم إنزال قوات إسرائيلية فى مطار بيروت لتحطيم طائرات شركة الخطوط الجوية اللبنانية يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٦٨ ، وأرسلت فرق الاغتيالات إلـــى قلـــب بيروت لمطاردة زعماء المقاومة الفلسطينية ، وتمكنت من قتل ثلاثـــة مـــنهم فى العاشر من أبريل ١٩٧٣ ، كما قامت القاذفات الإسرائيلية مـــراراً بقصـــف مخيمات الفلسطينيين فى لبنان . وعند وصول مناحم بيجن للحكـــم عـــام ١٩٧٧ ، قام فور توليه السلطة بغزو شامل لجنوب لبنان فى مـــارس ١٩٧٨ ، تمت خلاله مهاجمة معاقل المقاومة الفلسطينية ، رداً على عملية حركة فتح الفدائية على طريق "حيفا– تل أبيب" يوم السبت ١١ مارس ١٩٧٨ ، وتمكنـــت القـــوات الإسرائيلية من احتلال المنطقة الواقعة جنوب اللـــيطانى فـــيما عدا قطاع حول مدينة صور الساحلية . واستهدفت إسرائيل توجـــيه ضربة رادعة للمقاومة الفلسطينية فى لبنان وتصفيتها فى القطاعات المتأخرة للحدود الشمالية لإسرائيل [٧٠] . ولكن لم يتحقق ذلك من خلال تلك العملـــية كما فشلت أيضاً فى ردع سوريا وإرغامها لعمل تسوية تؤدى لكبح نشاط المقاومة الفلسطينية .

العملية "السلامة للجليل" يونيه ١٩٨٢ :

كانت إسرائيل قد استفادت عسكرياً من العملية "حجر الحكمة" عام ١٩٧٨ ، فـــى التخطيط لعملية السلامة الجليل وقد أجادت إسرائيل فى اختيار توقيت هجومهـــا ، فمصـــر مقيدة باتفاقية كامب ديفيد والعراق يعانى من إعياء من جراء حرب الخليج الأولى ، والأردن لن تدخل معركة لإنقاذ منظمة التحرير

الفلســطينية ، وتشــير الدلائــل إتفــاق من نوع ما بين الحكومة السورية والإسرائيلية الذى كان طعنة فى ظهر قوات المقاومة الفلسطينية آنذاك [٧١] .
اجتاحت إسرائيل يوم ٤ يونيه ١٩٨٢ الجنوب اللبنانى وسعت من ذلك لعدة أهداف أهمها :-
القضاء على بنية المقاومة فى لبنان وإخراج قياداتها منها ، وتوسيع سيطرة قــوات سعد حداد وزيادة عمق الشريط الحدودى لمسافة تتراوح بين ٤٠ - ٦٠ كــم ، أى إلــى مــا بعــد نهــر الزهرانى القريب من صيدا ، لتأمين مستعمرات شمال إسرائيل بمنطقة الجليل الأعلى بإخراجها من مدى الأسلحة والمدفعــية الفلســطينية ، كذلك تجميد القوات السورية وإخراجها من لبنان والاســتعانة بقوات متعددة الجنسيات بدلاً من قوات الطوارئ ، كذلك إقامة دولــة ماورنــية ومــد حــدود إسرائيل إلى نهر الليطانى ، وكذلك حرمان السوفييت من نقطة ارتكاز قوية فى لبنان خاصة منطقة الجنوب [٧٢] .
استمرت المعاناة اللبنانية من جراء الغزو الإسرائيلى لها حتى جاء الانسحاب الإســرائيلى مــن جــنوب لبنان والقاع الغربى فى ٢٠٠١/٥/٢٤ ، تتويجاً للمقاومة اللبنانية بزعامة حزب الله ، وإصراره على تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولــى رقــم ٤٢٥ القاضى بانسحاب إسرائيل الفورى غير المشروط من جمــيع الأراضــى اللبنانية المحتلة إلى الحدود المعترف بها دولياً ، وخلفت إسرائيل وراءها مذبحتين شنيعتين لن ينساهما التاريخ منذ ذلك الغزو "صبرا وشاتيلا - قانا" كما خلفت وراءها كعادتها مشكلات مازالت قائمة إثر بقائها فــى مــزارع شــبعا اللبنانية وبقاءها على المعتقلين اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية إلى جانب معضلة الألغام التى خلفها الغزو الإسرائيلى المتقهقر.

أبعاد قوى التوازن العربى الإسرائيلى :-

يعــد الصـــراع العربى الإسرائيلى من أكثر الصراعات التاريخية والممتدة لأكـــثر من نصف قرن متواصلة والممتدة جذوره لأواخر القرن التاسع عشر ، ويتمـيز الصــــراع العربى الإسرائيلى عن غيره بأنه يشمل كافة الجوانب الاســتراتيجية والسياسية والاقتصادية وغيرها . حيث تبنت إسرائيل مفاهيم شـــاذة ومتفردة ، إذ يلاحظ أن جميع تصرفات إسرائيل الداخلية والخارجية اقتصـــادياً وسياسياً تخضع لمقتضيات الأمن ، الذى صار يشغل القيمة العليا والكبرى لإسرائيل ، خاصة فى عالم ما بعد الحرب الباردة وسيطرة القطب الواحـــد عالمياً ، فهى تزعم أن هناك ضرورة قصوى لتفجير وإزالة النظام الإقلــيمى العـــربى وتفتيــت نسيجه الاجتماعى القومى ، بل وتفتيت النسيج الاجتماعى الوطنى لكل قطر عربى على حده ، وتثبت أن التسويات المبرمة مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية تسويات ملغومة ومتوترة وعلى حافة بـــركان دائـــم . الأمر الذى فرض على قوى الصراع الحفاظ على قدر من التوازن أمام الآخر . وفيما يلى استعراض لجوانب هذا الصراع وأبعاده :-

أولا : البعد البشرى والحضارى :-

يعـــد من أهم أبعاد التوازن والصراع ، فهو رافد العطاء البشرى من حيث الكم والكيف البشريين فيما يسمى رأس المال البشرى راقى النوعية .

وقـــد تعدى سكان العرب ٣٠٠ مليون نسمة الآن "٤,٥% من سكان العالم" ، ومتوقع أن يناهز العرب ٤٥٠ مليوناً عام ٢٠٢٥ أى ٦,٥% من العالم على مساحة ٩,٥% من مساحة العالم ، فى المقابل بلغ سكان إسرائيل ٥,٥ مليون نسمة يعيشون جميعاً على مساحة تزيد قليلاً عن ٢٠ ألف كم٢ أى أن العرب يزيدون فى العدد قرابة خمسين ضعفاً .

كـــان ذلـــك الأمر وراء اعتماد إسرائيل على توظيف الشتات لديها بصورة فائقـــة ، واعتبار يهود العالم خارج إسرائيل رصيداً احتياطياً ضخماً تستفيد مـــنه بأشـــكال مختلفة بدءاً بالتمويل والضغط على مراكز صنع القرار فى بلادهم – خاصة الولايات المتحدة وأوربا – والمشاركة فى العمل التطوعى داخـــل إســـرائيل بمـــا فى ذلك القتال المسلح عند الحاجة والمساهمة الجادة والتطوعية فى بناء المجتمع الإسرائيلى ، خاصة مؤسساته العلمية ، وانتهاءً بالنزوح للاستقرار فى "أرض الميعاد" (٧٣) .

فكـل يهودى حسب "قانون العودة" مواطن إسرائيلى بالقوة ، وتمثل الهجرة الجماعية لليهود من الاتحاد السوفيتى السابق النموذج الأهم على دور الهجرة مؤخـراً ، حيث أنهم يمثلون سدس سكان البلاد من نوعية بشرية متقدمة ، ويشـتهر العلماء اليهود بالتلاحم العضوى مع البنية المؤسسية للعلم والتقانة فـى إسـرائيل حيـن يـبقون خارجها ، وكذلك بتأسيس كثير من مبرزيهم لمؤسسات راقية فى إسرائيل ، واستقرارهم بها .

فـى المقـابل ، تـندر أنماط السلوك هذه فى الحالة العربية بل إن أرادت الكفـاءات العربـية أن تنهل من إمكانات التفوق فى الغرب ، فسرعان من تـنزع عـنها أى جلد سياسى يكون قد علق بها فى موطنها الأصلى ، ولا مناص من أن تقوم بين الوطن العربى الفذ صلات قوية مع المؤسسة العلمية العالمية ، واليهود عنصر مسيطر فيها . بل يتطلب الأمر فى بعض الأحيان وشائج قوية بينه وبين المؤسسة العلمية فى إسرائيل ذاتها ، ولا يكاد يشذ عن هذه القاعدة إلا قلة قليلة [٧٤] .

ولا نعـرف حـالات مـن علماء عرب مبرزين استوطنوا الغرب ثم عادوا للمـنطقة أو أقاموا صلات وثيقة مع مؤسسات عربية على أساس تطوعى ، فالشائع أن يعودوا لفترات قصيرة أو للاعتزال ، عادة بتمويل خارجى ، أو كخـبراء "أجانب" ، وهناك عوامل موضوعية تساعد على تفاقم المفارقة بين مسـاهمة كـل مـن الشتاتين العربى واليهودى ، منها المركز الأقوى نسبياً لليهود فى المجتمعات العلمية الغربية ، والتحيز السياسى الواضح لإسرائيل ، والتطور القديم والمتسارع لبنية العلم والتقانة فى إسرائيل ويقابل ذلك تخلف مؤسسات العلم العربية وقيمته المجتمعية – أى الأسباب التى دعت الكفاءات العربية المهاجرة إلى ترك الأوطان فى البداية .

ويعزز القول : أن إسرائيل قد كرمت أحمد زويل قبل سنوات من أن يكرمه موطنه الأصلى على إنجازه – فى أمريكا ، فاليهود من أكثر العناصر نشاطاً وسـطوة فـى المحـافل العلمية العالمية – وفى الولايات المتحدة على وجه الخصوص – والمؤسسة العلمية فى إسرائيل أشد التصاقاً بالتطورات الأحدث فى العالم ، والدولة فى إسرائيل . وقد صرح الرجل عبر شاشات التليفزيون أنه اختار أن "ينسى السياسة" عند وصوله إلى أمريكا بعد نكسة ١٩٦٧ ، إلا

أنه شارك إسرائيليين فى مؤتمرات علمية بمصر منذ أوائل الثمانينيات معتزاً بأنه ثانى مصرى يخاطب الكنيست الإسرائيلى بعد السادات [٧٥] .

أمـــا عن الطاقة البشرية داخل الوطن : فنتيجة للتوزيع العمرى الأكثر فـــتوة ، يشكل السكان الأصغر من ٢٠ عاماً نحو نصف العرب ، مقابل ٣٥ % فى إسرائيل ، الأمر الذى ينطوى فى حالة العرب على أعباء ثقيلة نسبياً فى التنشئة الاجتماعية وإعداد الناشئة ، ولكنه يعنى أيضاً كبراً نسبياً فى قوة العمـــل ، ومـــن ثم فى الطاقة الإنتاجية المحتملة للاقتصاديات العربية ، إن أحسن إعداد الطاقة البشرية وتوظيفها فى المستقبل للتغلب على حجم البطالة العربى الضخم علاوة على الإضافات الجديدة لسوق العمل [٧٦] .

أمـــا عـــن البنية الاجتماعية : فعلى الرغم من وجود أقليات متنوعة فى الـــبلاد العربية ، إلا أن الوطن العربى متجانس فى البنية الثقافية ، غير أن التفاوت الاقتصادى والاجتماعي قد أمسى ضخماً ، حيث يستشرى الفقر فى البلدان العربية ، ومع انسداد أفق العمل السياسى السلمى والفعال فى الوقت نفســه ، ويـــنذر تفاقم التأزم الاقتصادى والاجتماعى هذا بصراعات عنيفة تأججت نيرانها فى بلدان عربية ، بينما تتجمع سحبها السوداء فى أخريات .

وعلى الجانب المقابل ، تقوم فى إسرائيل مشكلة تعدد بل تنافر ثقافى ، ذو أبعاد اجتماعية وسياسية ، فهناك أولاً : أكثر من مليون عربى "عرب ١٩٤٨ " بيـــن ٤,٥ ملـــيون نجد اليهود الغربيين "الاسكنازيم" والشرقيين "السفارديم" وحـــتى بين كل فئة من هاتين توجد تمايزات مهمة ، فقد أظهرت أحدث فئة مـــن اليهود الغربيين تلك التى جاءت من الاتحاد السوفيتى السابق استعصاء علـــى الانصـــهار فى إسرائيل اجتماعياً أو سياسياً ، وأصبحت تشكل أكبر مجموعـــة إثنية متميزة . وربما كان أخطر انقسام فى المجتمع والسياسة هو القائم بين اليهود الأصوليين "الهاريديم" والعلمانيين .

وهـــناك أيضاً مراجعات فكرية مهمة من كتاب إسرائيليين لبعض المسلمات الـــتى قام عليها المشروع الصهيونى ودولة إسرائيل ، ساعد على ظهورها مـــرور خمسين عاماً على الدولة ومائة عام على الصهيونية ، ويتضمن أحد الكتب الحديثة فض أسطورة "الماسادا" التى لعبت دوراً تعبوياً مهماً فى عقيدة القـــوات العسكرية ، بينما يتضمن آخر دعوة الدولة اليهودية لمواجهة مهمة

تأسـيس "مجتمع علماني ليبرالي" يقوم على مفهوم المواطنة يشارك فيه كل الناس ، بما في ذلك الأقلية العربية [٧٧] .

أما عن معدلات الأمية : بلغـت في إسرائيل ٢٥% للذكور ، ٧% للإناث حسـب إحصاءات ١٩٩٧ وتتفوق بذلك على جميع الدول العربية ، إذ تبلغ نسـبة الأمية في سوريا للذكور ١٣% و ٤٧% للإناث ، وتصل النسبة في مصـر إلى ٣٥% للذكور ، ٦٠% للإناث وتبلغ في اليمن هذه النسبة ٣٦% للذكور ، ٧٩% للإنـاث وتبلغ النسبة في السعودية للذكور ١٩% ، وللإناث ٣٨% .

وعـن حجم مشاركة المرأة في سوق العمل : تعد أحد مؤشرات التقدم وتظهـر إسـرائيل تفوقـاً ملحوظاً على جميع الدول العربية إذ زادت نسبة مشـاركة الإناث في قوة العمل الإسرائيلية إلى ٤١% عام ١٩٩٨ مقابل ٢٦ % فـي سـوريا ، ٣٠% بمصـر ، ٢٣% باليمن بعد أن كانت ٣٣% عام ١٩٨٠ ، وفي السعودية بلغت ٢٣% .

أمـا نسـبة الإنفاق على التعليم : من الناتج المحلي الإجمالي فقد شهدت تـراجعاً بـالدول العربية بفعل سياسات التقشف التي فرضها البنك الدولي وصـندوق النقد الدولي فيما يسمى بسياسات الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهـيكلي والخصخصة التي أدت إلى تقليص الإنفاق العام والاستثماري على مجالات الرعاية الاجتماعية والتنمية البشرية ، وتمثل الأردن وحدها استثناءً من ذلك حيث زادت نسبة الإنفاق على التعليم من الناتج المحلي الإجمالي بها مـن ٦,٦% عـام ١٩٨٠ إلى ٧,٣% عام ١٩٩٩ . هبطت في إسرائيل من ٧,٩% إلـى ٧,٢% ، وسوريا من ٤,٦% إلى ٤,٢% وانخفضت في مصر مـن ٥,٧% إلـى ٤,٨% والمغرب من ٦,١% إلى ٥,٣% بينما زادت في السعودية من ٤,١% إلى ٥,٥% [٧٩] .

وتعـاني الـدول العربية من ظاهرة التسرب من التعليم ، ويقاس عدد الذين يصـلون إلـى الصـف الرابع الابتدائي من مجموع من هم في سن التعليم كمعـيار لـتطور الموارد البشرية بلغت النسبة في إسرائيل ٩٨% للذكور ، ٩٧% للإنـاث ، وبلغت في مصر ٦٠% للذكور ، ٥٠% للإناث . وبلغت بسـوريا ٩٤% للذكـور والإنـاث . ولم تزد في المغرب عن ٧٥% وفي السعودية بلغت ٨٩% ولم تتفوق على إسرائيل إلا الأردن بنسبة ٩٨% .

وهناك مقياس آخر وهو نسبة القيد فى كليات العلوم كنسبة مئوية من إجمالى التعليم العالى والمقارنة بين إسرائيل والعرب حسب إحصاءات عام ١٩٩٨ كالتالى : بلغت فى إسرائيل ما لا يقل عن ٣٥% مقابل ١٥% بمصر ، ١٨ % بالسعودية ، ١٧% بالأردن ، ٢٧% بالإمارات ، ٣١% بسوريا ، ٣٩% بالبحرين ، ٢٣% بلبنان ، ولا يقل المعدل العالمى عن ٣٥% .

أما عن البعد الثقافى الحضارى للصراع : فتعد الحيوية الثقافية – الحضارية من أبرز المعايير المعاصرة لقياس القدرة على التقدم والتواصل ، وحتى وقت قريب كانت الأقطار العربية على وجه العموم تتميز بالقيم الثقافية الإيجابية بما فيها التسامح وعمق المشاعر وكراهية العنف والترابط الأسرى والتدين السامى والتكافل والتلاحم الاجتماعى ، بيد أن هذه القيم تعرضت فى الربع الأخير من القرن العشرين لنوع من الخلخلة العنيفة التى أثرت سلباً على التلاحم الاجتماعى والتسامح الدينى والثقافى وتماسك النسيج الاجتماعى فى انتشار مظاهر الفتنة الطائفية والتعصب والجمود ، والتطرف الدينى والثقافى مما أسهم فى إضعاف المناعة الذاتية والاستقرار الاجتماعى فى الداخل ومن السمعة والمكانة فى الخارج ، وبالطبع إضعاف الإرادة على تحقيق التقدم إلى جانب جمود التطور السياسى وتغول النظم السلطوية العربية الحاكمة على المجتمع ، هذا فضلاً عن أن الأقطار العربية لم تعترف حتى الآن بأن العلم والتكنولوجيا عنصران أساسيان من عناصر الثقافة فما يزال الواقع الثقافى العربى الراهن يعيش حالة من الثنائية بين التقليدى والعصرى ، حيث يجرى تقليد الحداثة الغربية بشكل استهلاكى محض ، وفى الوقت نفسه توجد مرجعية عربية إسلامية من القرون الوسطى تحكم رؤية العرب للعالم مما أضعف الاستقلال الثقافى إزاء موجات الاختراق الثقافى .

ففى مجال التعليم مثلاً . يذكر تقرير تعليم الأمة العربية فى القرن الحادى والعشرين "الكارثة والأمل" أن نمط التعليم والتربية العربية أدى دوراً مدمراً فى الحياة العربية فى القرز العشرين ضد التحضر والتنوير ، ومن ذلك تكريس العزلة الحضارية وقهر العقلانية وإبعادها عن ساحة التعامل مع مشاكل الحياة ومع النفس ، وكذلك تقليص قيمة الإنسان العربى [٨٠] .

أمـــا عن مجال التكنولوجيا المتقدمة ففى مجال تقويم مدى استيعاب الأقطار العربـــية للتكنولوجيا المتقدمة والمعقدة ، والتى تتطلب باستمرار تطوراً فى مجالات التخصص الدقيق نظراً لأهمية التكنولوجيا من الناحية الاقتصادية ، إذ تـــتعلق بترشـــيد استخدام تكنولوجيا بالقدرة على استيعابها ، ومن حيث التوزيع المهنى للقوة العربية العاملة ، نلاحظ أنه يعانى من اختلال واضح ، إذ تـــبلغ نســـبة العمـــال اليدويين كمتوسط ما لا يقل عن ٧٠% من مجموع القوى العربية العاملة ، ولا تزيد نسبة الفنيين والاختصاصيين عن ٩% فقط ، بيـــنما تشـــكل هذه النسبة فى إسرائيل أكثر من ٣٥% ، وتصل النسبة فى الـــدول المـــتقدمة إلى ما بين ٢٠ – ٣٥ % ولا تزال العمالة غير الماهرة تشكل نسبة مرتفعة فى الأقطار العربية ، إذ لا تقل عن ٤٠% من قوة العمل العربـــية ، بيـــنما لا تتجاوز العمالة الماهرة ١٩% ، ولا تزيد نسبة العمالة المهنـــية عـــن ١٦% ، بيـــنما لا تقل الأخيرة فى إسرائيل عن ٣٠% ، وقد أصبحت إسرائيل من دول عصر الفضاء من خلال امتلاك الموارد البشرية الماهـــرة والهيئات المتخصصة فى هذا المجال ، وبالطبع استفادت إسرائيل من التحالف الاستراتيجى مع الولايات المتحدة فى ذلك ، ولكن ذلك لا ينفى أن إســـرائيل خططـــت لإنتاج قمر صناعى منذ أواخر الخمسينات وهذا ما يتضح من دراسة الهيئات الإسرائيلية المتخصصة ، وهى على النحو التالى:

* اللجـــنة القومية الإسرائيلية لأبحاث الفضاء التى تأسست عام ١٩٥٩ بعد عاميـــن فقـــط من إطلاق أول قمر فضائى سوفيتى وقامت فى عام ١٩٦١ بـــإطلاق صـــاروخ "شافت ١ وشافت ٢" بمعونة فرنسية ، وقد حمل معدات للرصـــد الجـــوى بارتفـــاع ٨٠ كم ، ورفضت إسرائيل الاستعانة بالأقمار الغربية الجاهزة بعد عام ١٩٦٧ لصالح إنتاج قمر صناعى إسرائيلى .

* الوكالة الفضائية لاستغلال الفضاء "سالا" تأسست عام ١٩٨٣ كهيئة تابعة لـــوزارة العلوم والتطوير وتكونت من خمس لجان (لجنة الملاحة والتعليم – لجـــنة الملاحـــة الفضائية – لجنة العلاقات الخارجية – لجنة البنى التحتية الفضـــائية – لجـــنة التطبيقات الصناعية) وكان الهدف هو تشييد بنية تحتية صناعية وعلمية لاستغلال الفضاء ليعود بالرخاء على الدولة وسكانها ، وفى ذلـــك أنشـــأت إســـرائيل محطة إطلاق وتجارب سرية فى السبعينيات على شـــواطئ الـــبحر المتوسط وتمكنت هذه الوكالة من إقامة علاقات عمل قوية

وتبادل أشكال التعاون العلمي والتقنى فى كل من : وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" – وكالة الفضاء الأوربية "آيا" – المركز القومى الفرنسى لأبحاث الفضاء – مركز الفضاء الألمانى الغربى – وكالة الفضاء اليابانية .

وتجلت مظاهر استفادة إسرائيل الهائلة من التعاون مع وكالة ناسا الأمريكية فى سماحها للوكالة الإسرائيلية بالاستفادة من المعلومات الواردة عبر التليسكوب الفضائى الأمريكى كما ساعدتها فى صناعة الصواريخ التى حملت القمر الصناعى "أوفك" وذلك بمدها لأجهزة التوجيه والمستشعرات والجيروسكوبات وغيرها ، وقد أطلقت إسرائيل أربعة أقمار هى : أوفك ١ -أوفك ٢ – أوفك ٣ – أوفك ٤ ، ويقوم الأخيران من خلال أجهزة تشغيل أنظمة الاستطلاع وجمع المعلومات والتجسس البصرية والتنصت المتطورة بهدف التجسس على مصر وإيران والعراق وسوريا والأردن ، والقمر الرابع خاصة يقوم ببث الإرسال التليفزيونى والمكالمات الهاتفية وعقد المؤتمرات على الهواء مباشرة ونقل المعلومات بين أجهزة الكمبيوتر ، ونقل الخرائط والمخططات المصورة (٨١).

ثانيا : البعد الاقتصادى :

أصبحت إسرائيل واحة غربية متقدمة اقتصادياً فى الشرق الأوسط والمنطقة المحيطة ، ويبدو ذلك عندما شكا بعض الساسة الإسرائيليين من أن ارتفاع مستوى المعيشة فى وقت ارتفع فيه الناتج المحلى الإجمالى للفرد بحوالى ١٧ ألف دولار سنوياً ، وانتشار النزعة الاستهلاكية الغربية ، قد أديا إلى تصاعد نزعة "السلام" بأى ثمن التى نتجت عنها "مهزلة أوسلو" – حسب زعمهم(٨٢).

وبدأ ارتفاع معامل توظيف القدرات البشرية فى الناتج الاقتصادى ، حيث يفوق الناتج المحلى الاجمالى للفرد فى إسرائيل نظيره فى البلدان العربية مجتمعة ، وتزداد الشقة بينهما عبر الزمن ، ويقدر أن الناتج المحلى الإجمالى للفرد "بأسعار ١٩٧٨" فى إسرائيل كان يزيد فى عام ١٩٧٠ عن ثلاثة أمثال القيمة المناظرة فى البلدان العربية . وبعد مرور ربع قرن ، فى منتصف التسعينيات قارب الفارق السبعة أمثال ويعنى ذلك أن الناتج الإجمالى الإسرائيلى يشكل نسبة سريعة التزايد من الناتج الكلى لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من أقل من ٥% حتى عام ١٩٨٠ ، إلى قرابة

٢٠% فـــى منتصـــف التسعينيات . ويعود جزء من هذا التزايد الأسرع إلى تناقص الناتج الإجمالى فى المنطقة باستبعاد إسرائيل بالطبع [٨٣] .

والأهم من حجم الناتج الكلى هو حجم التجارة الخارجية ، خاصة الصادرات حيـث زاد نصيب إسرائيل من صادرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى نحـو ٨% حـتى أواخر التسعينيات ، في وقت لا يزيد نصيب إسرائيل من سـكان المنطقة عن ٢% فقط . من جهة أخرى ، فعلى حين بلغت صادرات المواد الأولية وأساسها النفط ٩٠% من حجم صادرات المنطقة ، قلت نسبتها فـى حالـة إسـرائيل من حوالى ٣٠% فى عام ١٩٧٠ إلى أقل من ١٠% أواخـر التسعينيات . وعلى وجه الخصوص ، زادت صادرات إسرائيل من المنـتجات الإلكترونـية من حوالى بليون دولار فى عام ١٩٨٦ إلى قرابة الستة بليون دولار عام ١٩٩٧ [٨٤] .

وعـند مقارنة حالة التنمية بين إسرائيل وبعض الدول العربية نجد أن مصر تحتل المرتبة ١٢٤ من حيث قياس التنمية البشرية على مستوى العالم ، أى تصـنف مصـر ضـمن الدول منخفضة النمو أو الشريحة الدنيا من الدول متوسطة النمو ، ويبلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى فى مصـر ١٢٩٠ دولاراً ، وتحـتل المرتبة ١٢٧ على مستوى العالم ، وتحتل إسرائيل المرتبة ٣٦ فى مقياس التنمية البشرية فى حين تحتل الأردن المرتبة ١٠٠ ، وسـوريا المرتبة ٧٥ عالمياً . ويجب أن يلاحظ أن الأرقام الخاصة بـالدول العربـية تحسب بطريقة إحصائية مضللة ، أى بمجرد قسمة الناتج المحلـى الإجمالى على عدد السكان دون مراعاة التفاوت الهائل فى الدخول والثروات بين الأغنياء والفقراء ، أو الـ ٢٠بالمائة من السكان الأعلى دخلاً ، والـــ ٢٠ بالمائـة مـن السكان الأقل دخلاً ، هذا إلى جانب إغفال دور الاقتصـاد غير الرسمى أو الأسود أو الموازى الذى لا يدخل فى الحسابات القومـية ، مـثل العمـل الإضافى والدروس الخصوصية وأنشطة التهريب والأنشـطة الطفيلـية وأنشطة الخدمات المنزلية مما لا نبالغ معه إذا قلنا أن متوسط دخل الفرد فى مصر لا يزيد عن ٦٠٠ دولار سنوياً على أكثر تقدير [٨٥] .

ثالثاً : البعد العسكرى :-

نظــراً لفكــرة الأمن الإسرائيلية حول المنطقة ، تميزت السياسات الخاصة بمعظــم الــدول العربية وإسرائيل بالتركيز على التسلح المكثف فى تسابق فرضــته إسرائيل ذاتها ، محتملة اندلاع حرب واسعة النطاق متجاوزة لدول الطــوق إلــى تحــالف عسكرى واسع من كل الدول العربية ، بل واحتمال توسيع هذا التحالف بضم دول إسلامية كإيران وباكستان .

ولذلــك تصــر إسـرائيل علــى ضــمان تفوق جيشها على الجيش العربى والإســلامى معــاً ، بجانــب تجنب حدوث مفاجأة بمعنى أن تبادر إسرائيل بضرب من يخطط للهجوم عليها قبل أن يفعل ذلك .

وتجســد مســعى إســرائيل فى ظل حكومة حزب العمل "١٩٩٢ - ١٩٩٦" خــلال الخطة العشرية "١٩٩٢- ٢٠٠٢" فى تقليل حجم الجيش الذى يمثل عبء ضخماً على الاقتصاد الإسرائيلى وتحديث وتطوير القوات المسلحة فى ظــل الــنظرية الأمنــية مشــددة على ثلاثة أهداف : الحفاظ على الجيش الإســرائيل كــأقوى جــيش - وتحديث الردع النووى الإسرائيلى - إبطال مفعــول التهديد الصاروخى العربى عن طريق الصواريخ "حيتس" المضادة للصــواريخ . وقــد ازداد سلاح الجو الإسرائيلى حتى وصفه الإسرائيليون "بالجــيش الطائــر" ومن هنا أنفقت إسرائيل نحو عشرة مليارات دولار فى سنوات التسعينات من القرن العشرين على شراء طائرات القتال ، ومليارات أخــرى علــى الطائــرات المروحــية القتالية والخاصة وطائرات الشحن والتجسس .

وتجدر الإشارة أنه بينما تخصص إسرائيل غالبية ميزانيتها العسكرية لتعزيز الصــناعات العســكرية والأبحاث فى مجال تكنولوجيا السلاح ، فإن الدول العربية توجه معظم ميزانياتها العسكرية لعقد صفقات عسكرية جديدة (٨٦) .

واستمرت إسرائيل فى برنامج الفضاء الخاص بها الذى حقق نقلة نوعية فى إطــار التحالف الاستراتيجى مع الولايات المتحدة "حرب النجوم" ثم برنامج "الدفــاع الصاروخى" أو "الدفاع المضاد للصواريخ" الذى يمكن إسرائيل من الاستفادة القصوى من تكنولوجيا الفضاء للأغراض العسكرية والسلمية .

وأطلقــت إسرائيل القمر الصناعى الثالث "أوفك ٣" الذى يتمتع بقدرات تقنية مــتقدمة فــى ميدان التجسس العسكرى وأعمال المراقبة والكشف والتتبع ،

وأجريـت كذلـك تجـارب عديدة على الجيل الثانى من الصاروخ "أرو ٢" المضـاد للصـواريخ وتمتلك إسرائيل صاروخ "أرض / أرض" من طراز "أريحـا ١ ، أريحا ٢" الذى يصل مداه إلى ١٦٥٠ كم و"أريحا ٣ " الجارى إنتاجه والمنتظر أن يصل مداه إلى ٢٧٠٠ كم .
وعلـى الجانـب العربى فإن دول الطوق العربية حرمت من الاستفادة من التكنولوجـيا المتقدمة للغاية فى ميادين الصناعة العسكرية وصناعة وتطوير الصواريخ واستخدام الفضاء للأغراض العسكرية ، وذلك بفعل قيود أمريكية وغربية شديدة على نقل هـذه التكنولوجيا إلى الدول العربية (٨٧) .

سباق الإنفاق العسكرى :

تعد دول الشرق الأوسط بما فيها إسرائيل أكثر دول العالم إنفاقاً على السلاح وفيما يتعلق بنسبة الإنفاق العسكرى من الناتج المحلى الإجمالى ، توجه هذه الـدول نسباً من دخولها القومية تتجاوز المعدل العالمى السائد الذى لا يزيد علـى ٥,٥% ، لهذا الغرض ، ومن جانب آخر فإن المتوسط العام للإنفاق العسكرى كنسبة من الناتج المحلى الإجمالى لا تقل عن ٧,٤% لعام ٢٠٠٠ ، تعد إسرائيل والسعودية والكويت وقطر وعمان كبرى الدول من حيث هذه النسبة ، وعموماً تفوق نسبة الإنفاق العسكرى من الناتج المحلى الإجمالى فى معظم الدول العربية وإسرائيل معدل نمو الناتج المحلى الإجمالى نفسه (٨٨) .
وشـهد عام ٢٠٠٠ زيادة مجموع الإنفاق العسكرى لدول الشرق الأوسط ، ففـى حيـن بلغ ٥٦,٢ مليار دولار عام ١٩٩٩ قفز إلى ٦٠,٩ مليار دولار عـام ٢٠٠٠ ، وفـى عـام ٢٠٠٠ بلغت ميزانية الدفاع الرسمية لإسرائيل حوالى ٩ مليارات دولار بلغت فى مصر ٣ مليارات والأردن مليار وسوريا ٣ ملـيارات دولار ، ويمـثل الإنفاق العسكرى من الناتج المحلى الإجمالى بالنسـبة للدول العربية وإسرائيل ٨,١% عام ١٩٩٩ ، وبالنسبة لمصر ٢,٧ % وسوريا ٥,٦٥% والسعودية ١٣,٢% وعمان ١٠,١% والأردن ١٠% (٨٩) .

وتتفوق دول الشرق الأوسط على مناطق أخرى بالنسبة لمشتريات السلاح ، فقد بلغ المجموع لدول الشرق الأوسط عام ١٩٩٩ أكثر من ٣٠ مليار دولار ، ولـم تـزد مشـتريات السـلاح لأوربا الغربية عن ١٩,٤ مليار دولار ،

والـــبلدان الإفريقـــية ما عدا الدول العربية الداخلة فى الشرق الأوسط ٣,٢ مليار دولار فقط (٩٠) .

علـــى الجانب الآخر ، تحتل إسرائيل المركز الثانى عشر بين كبرى الدول المصدرة للسلاح خلال الفترة ١٩٩٦ – ٢٠٠٠ ووقعت إسرائيل مع الصين اتفاقاً لتزويد الأخيرة بأربعة نظم رادار إسرائيلية متطورة من طراز "فاللكون . أيـــه . آي – دبلـــيو" تركـــب علـــى المقاتلـــة الروسية "١١ – ٧٦ " وقد اعترضـــت الولايات المتحدة على هذه الصفقة وأوقفتها إسرائيل بالفعل فى يولـــيو عـــام ٢٠٠٠ ، ولكن إسرائيل طلبت مليار دولار معونة إضافية من الولايـــات المـــتحدة لـــتعويض الخسارة ، وترتبط إسرائيل باتفاقيات سرية وعالمية للتعاون التقنى فى مجال تكنولوجيا الفضاء مع الهند والصين (٩١) .

رابعا : البعد النووى للصراع :-

زاد فـــى الآونة الأخيرة انكشاف الدول العربية مجتمعة أمام السلاح النووى الإسرائيلى ، مما زاد الخلل فى موازين القوة بين العرب وإسرائيل ، فبفعل الدعـــم الفرنسى ثم الألمانى ثم الأمريكى ، صار العرب محرومين من تملك أسلحة الدمار الشامل وانتهزت الولايات المتحدة حرب الخليج الثانية لتفرض قيوداً شديدة على نقل التكنولوجيا العسكرية المتطورة إلى الدول العربية فى مـــبادرة جـــورج بوش رئيس أمريكا فى مايو ١٩٩١ ، وسارت على نهجها بريطانـــيا وفرنســـا للعمل على نزع السلاح الكيماوى والبيولوجى ، وحظر تصـــدير تكنولوجـــيا صناعة الصواريخ والتكنولوجيا النووية للدول العربية وتفـــرض الولايـــات المـــتحدة ضغوطاً شديدة على كل من الصين وروسيا وكوريا الشمالية ودول أخرى لعدم إمداد الدول العربية بالصواريخ المتطورة والمـــواد الـــنووية ونظم القيادة والسيطرة المتقدمة ، كذلك تعطيل مشروع تطويـــر الصاروخ "كندوز – ٢" بين مصر والعراق والأرجنتين وبل وتوقفه رســـميا ، إلـــى جانب تدمير منصات انطلاق الصواريخ البالستية العراقية ومنشـــئات إنتاج الصواريخ خلال حرب الخليج الثانية ، ثم استكمال عملية تدمـــير القـــدرات العســـكرية العراقية من جانب فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة .

أمـــا فـــى مصر فقد أخفقت للآن فى الحقل النووى ، فقد أقامت مصر "لجنة الطاقـــة الذرية فى عام ١٩٥٥" ، أى فى العام التالى لإنشاء إسرائيل مفاعل

"ريشـيون ليتسـيون" "أمريكى" وبعد ثلاث سنوات فقط من تأليف أول لجنة إسـرائيلية للطاقة النووية ، وتم تشغيل مصر لمفاعل الأبحاث بانشاص "من الاتحـاد السوفيتى" فى عام ١٩٦١ ، ولكن بعد أن كانت إسرائيل قد أضافت مفاعلين أضخم كثيراً ، فى عام ١٩٥٧ "ناحال سوريك" "أمريكى" و "ديمونة" "فرنسـى" . وتبعهما رابع المفاعلات الإسرائيلية "بنى روبين" "أمريكى" فى عـام ١٩٦٥ . وبالمقابل فإن محاولات مصر لإقامة محطة قوى نووية التى بـدأت فى عام ١٩٦٤ ، توقفت بسبب حرب ١٩٦٧ ، ثم تعثرت مرتين بعد ذلـك فـى منتصف السبعينيات وفى النصف الأول من الثمانينيات ، وأعلن رئـيس الجمهوريـة عـام ١٩٩٢ فـى الاحـتفال بالعيد الخمسين لجامعة الإسـكندرية : عدم نية مصر شراء أى مفاعلات للقوة النووية لتفادى إثقال كاهل الميزانية وزيادة أعباء الديون . علاوة على عدم توفر الفنيين والعمال اللازميـن لتشـغيل هـذه المفاعلات وصعوبة احتواء أى حوادث تنتج عن تشـغيلها : ثـم وقعـت مصر على معاهدة حظر الانتشار النووى "معاهدة تلاتيلولكو" (٩٢) .

القدرة النووية الإسرائيلية :

تـنكر إسـرائيل لـلآن من الناحية الرسمية امتلاكها السلاح النووى ويردد مسـئولوها أن إسـرائيل لن تكون البادئة بإدخال السلاح النووى للمنطقة ، متتبعة بذلك أسلوب الغموض المتعمد حول ترسانتها النووية "القنبلة فى القبو" ثـم رفضـت إسرائيل ولا تزال الانضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة الـنووية إلا بشروطها المدعومة من الولايات المتحدة وهى : أنها ترفض الـتفاهم والـتفاوض حـول إقامة المنطقة الخالية من هذه الأسلحة بحجـة أن التفاهم سيأتى بعد تحقيق السلام فى المنطقة ، والذى لا يشـترط فقـط التوقيع على معاهدات السلام مع كل الدول العربية وإيـران مـن ناحـية وإسرائيل من ناحية أخرى ، بل أيضاً إقامة تعاون واسع بينهما وبين جميع دول المنطقة "من خلال التطبيع" .

وقـد نشرت صحيفة "هارتس" الإسرائيلدة فى عددها الصادر فى ٨ أكتوبر ١٩٩٩ أن وثـيقة سـرية مـن وزارة الطاقة الأمريكية تضع إسرائيل فى المرتـبة السادسة ضمن مجموعة الدول الكبرى نوويا ، وتمتلك إسرائيل ما

بيـــن ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كجم من البلوتونيوم والصالح لصنع الأسلحة النووية ، مما يعنى أنها تستطيع إنتاج ٢٥٠ قنبلة نووية [٩٣] .

كمـــا كشف التقنى الإسرائيلى "مودخاى فعنونو" فى أكتوبر ١٩٨٦ لصحيفة بريطانية أنه كان يعمل بمفاعل ديمونة ، وقد هرب من إسرائيل وفى مركز النقب للبحوث النووية عشر وحدات إنتاجية تشكل فيها مفاعل ديمونة إحدى الوحـــدات ، وأن طائـــرة التجســـس الأمريكية "يو ٢" قامت بتصويره عام ١٩٦٠ وطلـــب الرئـــيس الأمريكى "كنيدى" وقتها إخضاع المفاعل للتفتيش المـــنظم من قبل خبراء أمريكيين ولكن ذلك لم يتم عملياً ، كما كشف فعنونو عـــن امتلاك إسرائيل حوالى ٢٠٠ قنبلة نووية من النوع الصغير ، وقامت المخابرات الإسرائيلية باختطافه وحكم عليه بالسجن ١٨ عاماً فى إسرائيل ، كمـــا كشـــفت نفس الجريدة عن أن إسرائيل خزنت كميات من البلوتنيوم بما يكفـــى لإنتاج عشر قنابل نووية فى حجم القنبلة التى ألقيت على هيروشيما ونجازاكى عام ١٩٤٥ ، وذكرت أن إسرائيل تعتبر القوة النووية السادسة فى الـــنادى النووى ، وتعتمد إسرائيل فى قدرتها النووية على استخدام كل من البلوتنـــيوم (بـــى . يـــو . ٢٣٥) واليورانيوم (يو ٢٣٥) ، وحققت إسرائيل تطوراً فى الإنتاج النووى يمكنها من تصنيع قنبلة نيوترونية ، وهى نوع من القـــنابل الهيدروجينـــية الموجودة لدى الدول النووية الخمس الكبرى ، وهذا الـــنوع يســـتخدم للأغـــراض القتالية وليست الدفاعية أو الردع . وتحتوى الترســـانة الـــنووية الإسرائيلية على أسلحة صغيرة يمكن أن تستخدم الألغام وقـــنابل المدافـــع ورؤوس الصـــواريخ وقـــنابل الطائرات وتتراوح قوتها الانفجارية بين ٠,٥ إلى ٢ ، ٢,٥ إلى ٥ أطنان ، وعشرة أطنان ، إلى جانب قـــدرات الإيصـــال والتركيب والنقل ، بما يجعل إسرائيل تقترب من قوتها الـــنووية من الصين بل وتتفوق على الهند ، وحددت إسرائيل ما لا يقل عن ثمانيـــن هدفـــاً لتوجيه ضربات نووية إليها ، كما تمتلك إسرائيل الصاروخ "شـــافيت" القـــادر على حمل رؤوس نووية ويجرى تطويره ليصل مداه إلى أكثر من ٥٠٠٠ كم حسب زعم هذه المصادر ، وتمتلك إسرائيل ٣٠٠ قنبلة ورأســـاً نوويـــة ، كمـــا تنتج إسرائيل فى مفاعل ديمونة حوالى ٤٠٠ كجم بلوتنيوم سنوياً تكفى لصناعة ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ قنبلة نووية ، كما تنتج

نحو ٢٢٠ كجم من الليثيوم (٦ – ديبو . تريد) بما يمكنها من إنتاج ما لا يقل عن ٣٥ قنبلة هيدروجينية [٩٤] .

وقـد حققت إسرائيل تقدماً نوعياً بحيث فرض صعوبات عديدة علـى إمكانـيات منظمات دولية مثل منظمة الطاقة الذرية على التفتـيش والرقابة ، وهناك الخطر المتمثل فيما تخططه إسرائيل لنفسها للتحول لقوة نووية عالمية ، تقدم خبراتها فى هذا المجال لـدول أخـرى ، مـثلما يحدث من تعاون نووى الآن بين الهند وإسـرائيل بعد التفجيرات الهندية والباكستانية التى تمت أواخر عـام ١٩٩٨ ، ويضـاعف ذلك من صعوبة الحديث عن إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية .

وفى الختام

تبقى آمال الوحدة العربية

تضـــم الأمـــة العربية ٢٢ وحدة سياسية ممتدة من المحيط إلى الخليج ، قابعة فى قلب عوالم عديدة ، واضحة المعالم والحدود مع جيرانها ، إلا أنها يعـــانى أعضـــاؤها من الفرقة والوحدة والتشرزم ، **حتى أصبحت تتوعدها ذوات الأطماع ولصوص الحضارة والتاريخ والثقافة والموارد والثروة والعقـــول أيضـــا ، ولا تبقى على صولتها المبحوحة والتى لا تجد من يدعمها ويحميها الآن** .ولكن تبقى الآمال التى تجعل من الأمة العربية وما لديهـــا من تراث عريق يفوق تراث الأمم كافة ، وقومية لا يعرف مثيلها أى بقعـــة فـــى العالم حتى الاتحاد الأوروبى أو الكيان الأمريكى ذاته ، وموارد طبيعية وبشرية جعلت العالم ينظر إليها بعين الطمع أحياناً والحسد والضغينة أحاييـــن أخرى وكل هذه الموارد العربية تجعلها خير الأمم كى تحتل مكانها الصحيح ، ولكى تتحقق هذه الآمال لابد من التغلب على العقبات الكأداء التى تواجه تلك الآمال .

أهم العقبات أمام الوحدة العربية :

قد كان العالم قبيل الآن ثنائى القطبية ، وانتقل إلى عالم ذو قطب واحد ، إلا أن العـــالم الآن مقبل بلا شك إلى نظام متعدد الأقطاب ، بجانب القطب الأمـــريكى (أى أمـــريكا والمكســـيك وكـــندا) ، والقطب الأوروبى (الاتحاد الأوروبـــى) ، والشـــرق الأقصى بزعامة اليابان والصين ، ثم تأتى روسيا الاتحاديـــة بعد أن تجتاز مرحلة الفوضى وعدم الاستقرار ، إلى جانب ذلك يمكن أن يكون هناك أقطاب إقليمية فى كل قارة غير التى ذكرناها ، كالهند وباكستان وإندونيسيا بآسيا ، والأرجنتين والبرازيل بأمريكا الجنوبية [٣٧].

وفى ظل هذه التغيرات العالمية والمحاولات والإمكانيات العالمية نجد أن الوطن العربي يعانى من تفكك وخصوصية تنادى بها كل دولة دون الاتحاد ، ويرجع ذلك للأسباب التالية :

أولا: سمة التذبذب فى العلاقات العربية بين تفاعلات صراعيةوأخرى تعاونية :

حيث يغلب على هذه العلاقات ما يسمى بالطبيعة البندولية ، أى الانتقال مـن صفة التعاون إلى الصراع العربى ، ويؤكد ذلك التاريخ . فقد تضامن العـرب عـام ١٩٤٨ لمنع قيام دولة إسرائيل ، ثم اختلفوا عام ١٩٥٠ حول ضـم الملـك عـبدالله للضفة الفلسطينية إلى المملكة الأردنية ، وأيضاً عام ١٩٥٥ حـول الارتباط بسياسة الأحلاف العربية ، ثم تضامنوا إبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ثم اختلفوا بعد ذلك وحتى أوائل الستينيات حـول قضايا كثيرة منها عودة مشاريع الارتباط الغربية ، ممثلة فى مشروع "ايـزانهاور ١٩٥٧" والخلاف داخل معسكر الثورة العربية بين الجمهورية العربية والعراق ، اعتباراً من ١٩٥٩ ، ثم بين عبدالناصر والبعث فى أوائل الستينيات ، والصدام المسلح بين قوة الثورة العربية والقوى المحافظة حول الثورة اليمنية التىانفجرت عام ١٩٦٢ ، وبين الجزائر والمغرب عام ١٩٦٣ ، ولكـن كل ذلك توقف مؤقتاً بدعوة عبدالناصر نهاية ١٩٦٣ إلى التضامن بوجـه التهديد الإسرائيلى لمياه نهر الأردن ، استمر فقط (١٩٦٤-١٩٦٥) ليعود الصراع من جديد بالذات بين الجزائر والمغرب العربيتين حتى حرب ١٩٦٧ ، ليبدأ التضامن العربى من جديد حتى بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بقليل . ويتلوها النزاع المصرى العربى حول سياسة التسوية مع إسرائيل (١٩٧٧-١٩٨٧) ومعـه تفـاقم الـنزاع السـورى - العراقى بسبب الحرب العراقـية الإيرانـية ، وتـأتى قمـة عمان ١٩٨٧ لتدشن محاولة لاستعادة التضامن لعربى ، وبالذات وضع حد للنزاع المصرى -العربى حول التسوية مـع إسرائيل ، وبعد ثلاث سنوات فقط وقعت ازمة الخليج ١٩٩٠ ، تخللت هذه الأسباب السابقة محاولات التفاعلات التعاونية أبرزها الوحدة المصرية - السـورية (١٩٥٨-١٩٦١) وكـان هدفها أن تكون بمثابة نواة تجمع حولها الـدول العربـية ، وكان الاخفاق فى إعادة بناء الوحدة من جديد بين مصر وسـوريا والعـراق على أسس فيدرالية عام ١٩٦٣ كان نذيرا بأن محاولة تعميق الرابطة العربية على أحسن الفروض محاولة سابقة لعصرها ، وليس مصادفة بطبيعة الحال ألا تقوم لوحدة اندماجية بين دولتين عربيتين مستقلتين بعد ذلك قائمة ، اللهم إلا الوحدة اليمنية التى قامت عام ١٩٩٠ ، والتى قد لا يكون من الممكن القياس عليها عربياً ؛ لأنهما شعب واحد وبيئة واحدة ،

واعتبـاراً مـن ١٩٨١ بدأ النظام العربى يعرف ظاهرة التجمعات الإقليمية بمجلس التعاون لدول الخليج العربى فى مايو ١٩٨١ بين السعودية والكويت والإمـارات وعمـان وقطر والبحرين ، وفى ١٩٨٩ شهد شهر فبراير فى يوميـن متتاليين نشأة تجمعين آخرين هما مجلس التعاون العربى بين مصر والعـراق واليمـن والأردن ، والآخـر هـو الاتحاد المغاربى بين المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا ، وهذه التجمعات كانت تواجه فى داخلها نفـس النوع من التناقضات الموجودة على الساحة العربية ككل ، ومن هنا انفجـر احدهما (مجلس التعاون العربى) أثناء أزمة الخليج ١٩٩٠ ، وجمد الثانى فضلاً عن إخفاقه فى حل مشكلاته الأمنية الرئيسية (مشكلة الصحراء الغربية) ، حيث أن الاتحاد المغاربى كان موجهاً لغرض هو أن كافة أعضاء هـذا الاتحـاد وجدت لزاماً عليها أن تقيم قدراً كبيراً من التنسيق ، لأن لها مصالح معنية مع القارة الأوروبية وزيادة قدرتها التفاوضية ، إذ أن الاتحاد الأوروبى يتحرك حركة جماعية واحدة منسقة ، ومن ثم تكون له قدرة أكبر فى التفاوض ، ولم يستطع (مجلس التعاون لدول الخليج العربى) أن يحـقق تقدمـاً يذكـر فى مجال التعاون الاقتصادى ، فضلاً عن استمرار عدد مـن الخلافات الحدودية والرؤى المتباينة لمعضلة الأمن بين دول المجلس [٣٨].

ويمكـن إضـافة مـع مـا سبق عرضه عدة معضلات تقف عقبة أمام العلاقات العربية - العربية منها الدرجة الدنيا من درجات التطور المؤسسى العربى ، الأمر الذى يجعل القرارات بيد الحاكم الفرد وليست بيد مؤسسات ناضـجة ، أيضـاً التبايـن الواضح السياسى والاقتصادي والاجتماعى بين الأقطـار العربـية الذى يضع العراقيل أمام التوحد ، وييسر الانزلاق على الصـراع فـى حالات معينة ، وأيضاً الخلل فى ميزان القوى بين الوحدات المكونـة للنظام العربى ، الأمر الذى يقيم العراقيل فى سبيل الوحدة ، نظراً لخـوف الصـغير والضعيف من القوى الكبير ، وأيضاً هناك معضلة العالم الخـارجى ، فـالقوة الخارجية بالنسبة للوطن العربى تفضل لأمور واقعية مصلحية أن تتعامل معه كوحدات مجزئة وليس كنظام إقليمى قوى ، ولذلك فهـى لا تـتحمس للوحـدة العربـية ولا تشجعها ، بل وتعمد إلى تعويقها وتخريبها إن اقتضى الأمر ، ولا بأس من إثارة الصراع وإذكائه بين الدول العربية [٣٩] .

ثانياً: ضعف الإرادة السياسية عن دعم التعاون فى المجال الاقتصادي والاجتماعي :

تكمن فى الضمير العربى النوايا الطيبة والكلام الكثير عن الحاجة لتكتل اقتصادي عربى ، إلا أن هناك ضعف فى السياسية العربية ، بل لم يتضمن هـذا الكلام الدعوة إلى عقد قمة اقتصادية عربية ، ولم يقترن بمعاونة الدول المنظمة لاتفاقية ١٩٦٤ والالتزام بها .

وحتى حين تجرى مفاوضات ثنائية لتطوير العلاقات الاقتصادية ، ويتم التطرق إلى تحرير التجارة ، يظل كثير من السلع مدرجة فى قوائم الاستثناء من هذا التحرير الذى يفقد قيمته لهذا السبب ، وكانت المفاوضات بين مصر والأردن لتحرير الجارة عام ١٩٩٦ مثلاً على ذلك ، ويتفاوت مستوى العلاقات الاقتصادية العربية البينية بين هزال شديد فى مجال التجارة والاستثمارات ، وبين تنامى محدود فى مجالات العمالة والسياحة والمساعدات الإنمائية ، مع وجود آثار سلبية لأسلوب إدارة هذه العلاقات .

فقد بلغ معدل التجارة البينية العربية إلى إجمالى التجارة الخارجية للدول العربية ٦و٦% عام ١٩٨٠ ، ثم زاد إلى ٩,٥% عام ١٩٩٠ ، ثم بلغ ٩,٦ % عام ١٩٩٧ ، وبالنسبة لهيكل التجارة العربية البينية (تصديراً واستيراداً) فإن النفط يشكل ٦٠% منها والسلع الصناعية ٢٩% والغذائية ١٢% ، ويعد المستوى الحقيقى للتجارة العربية البينية منخفض عن نسبة ٩,٦% ، لأن جانباً مهماً من التجارة العربية البينية يعد تجارة محولة ، أى ترانزيت لسلعة مصنوعة كلياً أو جزئياً خارج الدول لعربية [٤٠] .

كما يعد حجم الاستثمارات العربية البينية هزيلاً للغاية ، فلا يتعدى ١,٤ % من حجم الاستثمارات العربية فى الخارج ، كما تراجعت المساعدات الإنمائية العربية بشدة من أعلى ذروة لها فى عام ١٩٨٠ عندما سجلت نحو ٩,٥ مليار دولار ، إلى ١,٧ مليار دولار عام ١٩٨٩ ، قبل أن ترتفع بشكل استثنائى عامى ١٩٩٠،١٩٩١ على ضوء متطلبات التأييد للكويت والسعودية فى حرب الخليج الثانية ، حيث سجلت نحو ٦,٧،٦,٨ مليار دولار فى العامين المذكورين على التوالى ، لتعاود الانخفاض بعد ذلك حتى بلغت ١,٣ مليار دولار عام ١٩٩٥ . وقد لعبت المساعدات الإنمائية دورا مهماً فى تطوير العلاقات الاقتصادية العربية البينية ، خصوصاً عندما ارتبطت

بتمويل مشروعات عربية مشتركة ، ولكن الماخذ الرئيسى عليها هو أنها لم تتوزع بحسب احتياجات التنمية العربية ، وإنما فى ضوء مستوى العلاقات السياسية بين الدول المانحة والدول المستقبلة ، واستخدمت بالتالى كآلية للجذب أو الضغط من قبل الدول المانحة فى تعاملاتها مع الدول العربية المستقبلة للمساعدات ، وهو فى هذا لم تختلف عن المساعدات الدولية التى تتحكم العوامل السياسية فى توجيهها [٤١] .

وإذا انتقلنا إلى جانب العمالة العربية ، فنجد أن الشروط التى تحكم حركة العمالة بين الدول العربية ، وإمكانية فهم لماذا لم توفر هذه الحركة فى الجانب الرئيسى منها الترابط بين قوة العمل فى البلدان العربية المختلفة بقدر ما وفرت حالة من التنافس غير الودى فى كثير من الأحيان ، ويدخل فى هذا الإطار أسلوب تعامل دول الخليج العربية ، وخصوصاً السعودية المستوردة الرئيسية لخدمات قوة العمل ، مع العمالة الوافدة إليها ، وبالذات نظام الكفيل الذى يقترب فى الحقيقة من نظام القنانة والرق ، وهو نظام تمييزى يطبق على العمالة العربية والآسيوية ، ولا يطبق على العمالة الأوروبية والأمريكية الوافدة . رغم الاتفاقيات الجماعية العربية بخصوص تيسير التبادل البشرى بين الدول العربية . قد نصت اتفاقية الوحدة الاقتصادية التى صدرت عن المجلس الاقتصادي العربى سنة ١٩٥٧ على : "حرية تنقل الأفراد والإقامة والعمل" وقد أودعت ثلاث عشر دولة عربية فقط وثائق انضمامها لهذه الاتفاقية ، مما يحد من نطاقها . وقد ناقش مؤتمر وزراء العرب بندوتيه الأولى والثانية فى نوفمبر ١٩٦٧ مسألة تنقل الأيدى العاملة فى الوطن العربي ، ووافق هذا المؤتمر على الاتفاقية العربية لتنقل الأيدى العاملة رقم (٢) لعام ١٩٦٧ ، بحضور أربع عشر دولة عربية وتقرر (ضمان حرية تنقل الأيدى العاملة العربية ، وتجعله حافزاً للنشاط الاقتصادى وتحقيق العمالة الكاملة) وتتعهد الأطراف المتعاقدة (بتسهيل تنقل الأيدى العاملة فيما بينها ، والعمل على تيسير الإجراءات الرسمية الخاصة بذلك) وتحديد كل طرف من الأطراف المتعاقدة (سلطة متخصصة لديه بتنفيذ أحكام هذه الاتفاقية تتولى تنظيم تنقل الأيدى العاملة والإشراف عليه) ، كما تتعهد الأطراف بتبادل جميع البيانات والمعلومات اللازمة ، وإعطاء الأولوية فى التشغيل للعمال العرب و(تمتع العمال الذين ينتقلون للعمل وفقاً لأحكام

هـــذه الاتفاقـــية ، كمـــا أجازت الاتفاقية عقد اتفاقية ثنائية بين الأطراف المتعاقدة) (٤٢) .

إلا أنه لم يصدق على الاتفاقية هذه إلا ست دول عربية من الأربع عشرة دولـــة الـــتى وافقت عليها عام ١٩٦٧ ، وهى الأردن - السودان - سوريا - العـــراق - ليبيا - مصر . وبعد مرور ثمانى سنوات وفى مارس ١٩٧٥ بعد ان طرحـــت أوضاع اقتصادية واجتماعية استلزمت إعادة النظر فى الاتفاقية القائمـــة لتنقل الأيدى العاملة . ومن المؤسف أن إعادة النظر تمخضت عن تـــراجع مـــنطلقات تحقـــيق الوحـــدة الشاملة واعتبار الوطن العربي وحدة اجتماعـــية اقتصادية متكاملة ، وضمان حرية تنقل الأيدى العاملة فى الوطن العربـــي ، كما هو الحال فى الاتفاقية رقم (٢) وتتضمن نصوص الاتفاقية . بالمقارنـــة بنصوص اتفاقية ١٩٦٧ ، ما يمكن اعتباره (ردة قطرية) بالنص علـــى : "الحفـــاظ على فرص العمل بالنسبة لعمال الدولة الأصليين" وتقنين أمور مثل الإجراءات الخاصة (بمنح تصاريح العمل والإقامة للعمال الوافدين بمـــا فى ذلك إجراءات تجديد أو عدم تجديد أو سحب تلك التصاريح) وحتى (شروط ابعاد الوافدين من الدول المستقبلة) (٤٣) .

ويدعـــوا إلى الاستغراب أن كثير من البلدان العربية المصدرة للعمالة لم تصدق على الاتفاقية المعدلة بل أن بعضها الذى صدق على الاتفاقية الأولى لـــم يصـــدق على الاتفاقية المعدلة ، وهما سوريا والسودان وربما كان ذلك تسـليماً بعـــدم جـــدوى الاتفاقـــية . ومن المؤسف أنه لم يصدق على كلتا الاتفاقيتيـــن إلا ثلاثة بلدان عربية فقط هى : الأردن ومصر والعراق ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن الواقع الفعلى لتنقل القوى العاملة العربية يشـــهد ممارسات لا ترقى حتى إلى مستوى الحد الأدنى المقنن في الاتفاقية المعدلـــة لعـــام ١٩٧٥ ويبـــتعد بعضها عن هذا الحد الأدنى كثيراً ، لدرجة تتنافى أحياناً مع بعض المواثيق الدولية ، مثل الترحيل الفورى للعامل الوافد إليها دون حق التظلم أو منحه مهلة لتسوية أموره الشخصية أو العائلية ، بل أحـــياناً يكون ذلك مصير العامل العربى الوافد الذى يحال إلى المعاش ، أو مصير عائلته عند وفاته فجأة (٤٤) .

ثالثاً: المتغيرات فى الأحداث الجارية المؤثرة سلبياً فى التآلف العربى :

قد شهدت العلاقات العربية مع بداية التسعينيات من القرن العشرين واقعة عربية غير مسبوقة ، وهى الضم المسلح للكويت من قبل العراق ، صحيح أن النظام العربى قد شهد قبل ذلك مصادمات إقليمية من أقطار عربية فى مواجهة أقطار عربية أخرى ، كما فى الحالة المغربية تجاه موريتانيا لم تترجم إلى فعل عسكرى ، كما أن التفاعلات العربية - العربية قد شهدت عدداً من الصدامات المسلحة كما فى الصدام المغربى - الجزائرى أكثر من مرة اعتباراً من ١٩٦٣ ، والصدام بين شطرى اليمن قبل الوحدة والصدام المصرى الليبى فى ١٩٧٧ .. إلخ . إلا أن أياً من هذه الصدامات لم يتحول إلى حرب شاملة بين طرفيه ، وهكذا كان الضم العراقى للكويت يمثل الحالة الأولى من نوعها فى سجل التفاعلات العربية - العربية المعاصرة (٤٥) .

وقد ترتب على ما سبق تقويض فادح لمفهوم الأمن القومى على الأقل من المنظور الخليجى ، فلا أمن مشترك ما لم تتوحد مصادر التهديد ، وقد أصبح بمقدور الكويت وغيرها من دول مجلس التعاون الخليجى أن تقول أن مصادر الخطر الرئيسى على أمنها أصبح عربياً ، وطلبت الكويت والسعودية الاستعانة بقوات أجنبية ، وانتهت معادلة الأمن بالخليج إلى أن تصبح أمريكية ، فضلاً عما تتطلبه من تكلفة ، وباءت كل محاولات ضخ الدواء فى شرايين إعلان دمشق بالإخفاق حتى الآن طالما أنها تصادف ممانعة أمريكية وإيرانية فى آن واحد ، بالإضافة إلى التحفظات الخليجية إزاء مسألة وجود قوات عسكرية عربية مقيمة على أراضيها (٤٦) .

وظلت الدول العربية فى معظمها عازفة عن الدعوة أو قبول الدعوة فى عقد مؤتمر قمة عربى لنفس الأسباب التى جمدت انعقاد هذه القمة على مدى عشر سنوات سابقة باستثناء القمة الطارئة عام ١٩٩٦ دون مشاركة العراق (٤٧) .

بدأت الانتفاضة الفلسطينية مع بداية الألفية الثالثة بالصدامات بين المحتجين الفلسطينيين والشرطة الإسرائيلية بعد صلاة الجمعة فى يوم التاسع والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠ ، وذلك احتجاجاً على قيام شارون فى اليوم السابق بدخول ساحة المسجد الأقصى تحت حماية عدة آلاف من القوات الإسرائيلية ، وفى اليوم الثلاثين من الشهر نفسه ، كانت المظاهرات

العارمـــة تجـــتاح مدناً وعواصم عربية عدة وكان الخطباء يدعون للجهاد ، الأمـــر الـــذى لـــم يكن من الممكن له ان يحدث بهذه السرعة لولا "القنوات الفضـــائية" الـــتى لعبـــت دوراً أساسياً فى نقل الحدث فور وقوعه لملايين المشاهدين العرب فى كافة أنحاء الوطن العربي .

مثلـــت الانتفاضة الفلسطينية تحدياً للنظام الإقليمى العربى لما أدت إلـــيه من زيادة المطالبة الشعبية بتقديم دعم عربى فعال للشعب الفلسطينى ، فى وقت لم تعد فيه الدول العربية قادرة على تقديم المستوى من الدعم الذى تعتـــبره الشعوب العربية "فعالاً ومرضياً" ، فبعد سنوات طويلة تراكمت فيها البيانات والإعلانات السياسية العربية التى لا تساهم سوى بشكل محدود فى تغيـــير الحقائق الموجودة على الأرض ، باتت هذه الوسيلة مستهلكة وغير مفيدة ، كما طورت الحكومات العربية أسلوباً غالباً ما ينجح فى التعامل مع الصـــراع فـــى لحظـــات انفجـــاره ، فكل ما عليها هو التعامل مع الصراع بالأساليب التقليدية المعتمدة أساساً على دعوة المجتمع الدولى للتدخل لتجنب انتشـــار العـــنف وعدم الاستقرار إلى الدول المجاورة ، سواء كان ذلك فى شـــكل الـــتوتر وعـــدم الاستقرار الناتج عن غضب الجماهير المتعاطفة مع الشـــعب الفلســـطينى ، والســـاخطة على تواطؤ المجتمع الدولى وعدم قدرة الحكومـــات العربية على التدخل الفعال . غير أن تصاعد القمع الإسرائيلى العنـــيف والمستمر وضعت "النظام العربى" فى مأزق عجزت الأساليب التى اعـــتاد عليها فى التعامل مع هذا الصراع ، الأمر الذى أطلق موجة عارمة مـــن الغضب الشعبى ، وقد اتجه جانب كبير من هذا الغضب نحو الولايات المتحدة كحليف لإسرائيل والعديد من الدول العربية ، الأمر الذى وضع هذه الدول العربية فى حرج ، حيث تعرضت لضغوط تطالبها بالحد من علاقاتها بالولايات المتحدة المرتبطة بالأمن والدفاع والاقتصاد .

فقـــد عقـــدت قمة عربية **طارئة** فى ٢١/١٠/٢٠٠٠ بالقاهرة ، كاستجابة ســـريعة للضـــغوط والمطالـــب المترتبة على الانتفاضة وكان عليها القيام بمهمتيـــن : الأولى . هى دعم الانتفاضة . والثانية . هى استعادة المصداقية والثقة لمؤسسات النظام العربى . وقد نجحت تلك القمة فقط بشكل جزئى فى تقديـــم دعـــم محدود للشعب الفلسطينى ، فبالإضافة لبيانات التأييد والإدانة التقلـــيدية ، فإن القمة العربية ناقشت قضية المقاطعة لإسرائيل التى أثارتها

بعض الدول العربية لا سيما سوريا ولبنان واليمن وحظيت بمساندة محدودة من الدول العربية الأخرى ، كما ناقشت نفس القمة قضية الدعم المالى العربى بفلسطين بقيمة مليار دولار الذى اقترحته السعودية وتضامنت معها دول خليجية أخرى فحصلت على موافقة عربية جماعية وللآن لم يتم استكمال تنفيذ هذا البند .. كما أثارت هذه القمة قدراً من الأمل فى أداء مؤسسات النظام العربى الذى سوف يتحسن تدريجياً مع تعديل نظام انعقاد القمة ، وكأن الدول العربية كانت تسعى لتخفيف الضغط الواقع عليها من قبل شعوبها عن طريق الوعد بأداء أفضل فى المستقبل (٤٨) .

عقد فى عمان فى الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ مارس عام ٢٠٠١ القمة العربية الدورية الأولى ، وقد حظيت باهتمام بالغ لكونها القمة الدورية الأولى التى يشهدها العمل العربى المشترك . وقد استحوذت قضية الصراع العربى – الإسرائيلى والقضية العراقية على كل الاهتمام فى القمة ، وبشأن القضية الفلسطينية وافق القادة العرب على تقديم ٢٤٠ مليون دولار مساعدات عاجلة لدعم ميزانية السلطة الفلسطينية ، كما أكدوا على استمرار الدعم المالى والسياسى لنضال الشعب الفلسطينى وانتفاضته ، ومواصلة التحرك فى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة لتوفير الحماية الدولية للفلسطينيين ، كما أعلنوا عن مساندتهم لاستعادة لبنان سيادته على أراضيه المحررة ، واستكمال تحرير أراضيه التى تحتلها إسرائيل ، كما التزمت القمة بنفس القرارات التى اعتادت القمم العربية اتخاذها إيذاء الصراع العربى الإسرائيلى منذ مدة طويلة .

وكادت القمة تشهد إنجازات كبيرة تتمثل فى التقدم بالعلاقات السورية – الفلسطينية ، خاصة من جانب الرئيس السورى بشار الأسد ، غير أنه للآن لم تشهد الساحة أي تقدم فى هذا المجال ، بل أن إخفاق الطرفين فى إتمام زيارة الرئيس عرفات لدمشق عدة مرات قد بين عدم حدوث تقدم جدى .. أما فى الشأن العراقى (الحالة العراقية - الكويتية) فكادت تشهد نجاحاً حيث استجابت الكويت والسعودية لأهم مطالب العراق والمتمثلة فى احترام استقلال العراق وسيادته ووحدة أراضيه ووقف كل ما يتعرض له من أعمال وإجراءات تمس سيادته وتهدد سلامته وخاصة تلك التى تتم خارج إطار قرارات مجلس الأمن ، واتجه العمل لتضمين ذلك فى قرار يصدر عن القمة

، إلا أن رفـض العـراق مطالـبة الكويت باحترام أمن وسلامة أراضيه ، وتعاون العراق بشأن الأسرى الكويتيين والمفقودين ، أدى إلى فشل القمة فى إصـدار القـرار ، وقـد كان الموقف العراقى مخيباً للآمال ، خاصة وأن الكويـت أبدت مرونة عالية عندما أسقطت مطلبها التقليدى بضرورة اعتذار العـراق عـن غـزو الكويت ، وتخفيفاً لوطأة فشل القمة فى هذا المجال تم تكلـيف الملـك عبد الله الثانى عاهل الأردن بمتابعة ملف الحالة العراقية - الكويتـية ، وهـو التكليف الذى اعترضت عليه الكويت ، رداً على الموقف العـراقى المتشـدد وتمت الموافقة خلال مؤتمر القمة بعقد مؤتمر اقتصادى عربى بالقاهرة فى نوفمبر ٢٠٠١ وكان من المفترض أن يستهدف رفع قدرة الاقتصـادات العربية وتعريف مجتمع رجال الأعمال على المستوى الدولى بالفرص المتاحة فى المنطقة ، كما أكد القادة العرب على ضرورة استمرار العمـل فـى إقامـة منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى ، ومن ثم قرروا الإزالـة الفوريـة للقـيود الجمركية . . وقد انتهى العام دون عقد المؤتمر الاقتصـادي الـذى جرى الاتفاق عليه ، كما أن قرارات القمة بشأن تسريع إنشـاء مـنطقة الـتجارة العربية الحرة لم تنعكس على معدلات التقدم فى هذاالمجـال ، الأمر الذى ينطبق أيضاً على القرارات الأخرى التى اتخذتها القمة فى المجالات الأخرى (٤٩) .

وجـاء موعـد إنعقـاد القمة العربية السنوية فى بيروت يومى ٢٧، ٢٨ مـارس ٢٠٠٢ وسط متغيرات عضال فوق طاقة الأمة العربية . فرغم أن العـالم الإسلامى والعربى قد تمثل فى صورة العدو للعالم الغربى على مر الـتاريخ ، إلا أنه منذ هجمات ١١ سبتمبر على المركز التجارى الأمريكى دخلت العلاقة بين الإسلام والغرب طوراً جديداً من العداء والخوف والتوتر ، وظهـرت الأحكام السطحية المتعجلة فى تصريحات الساسة وهم يتحدثون عما يسمونه "الإرهاب الإسلامى" أو "الجهاد الإسلامى ضد الولايات المتحدة" أو عـن "حتمية الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية" وجاء استخدام "بـوش" الرئـيس الأمريكى بتعبير "صليبية" والذى وصف به بلاده ضد ما يعتـبره الإرهـاب الدولـى ، أسـاس المواجهـة ضد الإسلام كدين وضد المجـتمعات الإسـلامية ككل ، وزاد من وحدة الموقف تصريحات كثير من المسئولين الأمريكيين والأوروبيين البارزين التى انطوت بدورها على ما هو

أكـــثر من مجرد اتهامات عابرة للإسلام والمسلمين .. فقد جاءت تصريحات رئـيس الــوزراء الإيطالى بيرلسكونى ممزوجة بمزيد من القسوة والتعالى والجهــل معاً ، مشيراً إلى أنه "يجب أن نعى تفوق حضارتنا التى تتألف من نظـــام قيم منح الشعوب الازدهار فى البلدان التى اعتنقته ، وضمن احترام الإنسان وحقوقه السياسية والدينية . هذا الاحترام لا يوجد بالتأكيد فى البلدان الإســلامية ، وبالــتالى فمن الضرورى (حسب قول بيرلسكونى) أن نمد يد العــون إلــى هؤلاء المسلمين الذين تخلفوا ١٤٠٠ سنة لإيصال المنافع التى يتمــتع بهــا الغــرب إليهم .. "فالإسلام غير قادر على أن يكون جزءاً من العصــر الحديــث" وجاء على لسان مارجريت تاتشر : "أن الغرب معرض لخطر الإرهاب الإسلامى ، وأن هذا الخطر هو البولشوفية الجديدة ، وعلى الغرب أن يجمع أمره على محاربة الإرهاب الإسلامى فى كل مكان" .

ولــم تخل الوسائل الإعلامية الإلكترونية الأمريكية والغربية والإسرائيلية عبر الشبكة الدولية للمعلومات من رسائل كتبها عاديون ، جنباً إلى جنب مع كتاب وباحثين محترفين ، حملت نفس المعانى الهجومية والعدائية حثت على "قــتل المسلمين والعرب الإرهابيين" ، ووصل الأمر إلى حد مطالبة البعض بإبــادة المســلمين ، وظهــرت إحدى هذه الرسائل تطالب الولايات المتحدة بضرب الكعبة المشرفة فى حالة وقوع ما أسمته هجوماً إرهابياً للمرة الثانية علــى أهداف أمريكية ، وبدا الأمر مباحاً تماماً للغرب وإسرائيل ودون أى محظــورات عرفــية أو قانونية ، طالما أنه يمس الإسلام والمسلمين ويعمل على تشويههم .

وقــد سارع "جورج بوش" الرئيس الأمريكى فى أعقاب الاعتداءات إلى الدعــوة بعدم الزج بالإسلام فى الموضوع ، ولكن جاءت معظم الممارسات والسياســات التى اقرتها الإدارة الأمريكية لتغذى الخوف والشك الكامن من الإسلام فاللائحة الأمريكية التى أعيد نشرها فى ٥ أكتوبر ٢٠٠١ ، تضمنت ٢٥ مــنظمة ، مــنها ١٨ مــنظمة إما عربية أو إسلامية ، وبموجب الأمر الرئيســى الصادر فى ٥ نوفمبر ٢٠٠١ تم تجميد أموال ٦٢ منظمة وفرداً ، مــن بيــنهم منظمات خيرية وإنسانية وإغاثية ومالية إسلامية ، بحجة أنهم جمــيعاً ارتــبطوا بشــبكتين للإرهاب للاستثمار ونقل الأموال وهما البركة والتقوى ، إضافة لتجميد أرصدة "مؤسسة الأرض المقدسة" ، أكبر الجمعيات

الخيرية الداعمة للفلسطينيين ، وكان كل من تم إعتقالهم ، والذين وصلوا إلى ١١٠٠ فـرد وفـق تقديـرات نشرت في ٢٩ نوفمبر ٢٠٠١ ، وعلى خلفية هجمات سبتمبر من العرب والمسلمين ، أو من ذوى أصول شرق أوسطية ، دون أن يسـمح لهم بالاتصال بجهات دفاعية قانونية ، ووفقاً للإحصاء الذى نشـره "مجلـس العلاقات الإسلامية الأمريكية" ، يتضح أن هجمات التمييز التىتعرض لها المسلمون فى الفترة ما بين ١١ سبتمبر وحتى نهاية نوفمبر ، أى ما يقرب من شهرين ونصف فقط ، قد زادت من ٧٨٥ حالة إلى ١٤٥٢ حالـة ، تراوحـت بين التهديد بالقتل والتحرش اللفظي والاعتداء الجسدى والإضـرار بالممتلكات والمضايقة على أيدى الشرطة أو موظفى الهجرة أو محققى مكتب التحقيقات الفيدرالي ، وغير ذلك من أشكال التمييز الأخرى .

وانـتهزت وسائل الإعلام الغربية هجمات ١١ سبتمبر ، فبمجرد أن وقع الهجـوم على الولايات المتحدة ، وحتى بدا الإعلام الأمريكى بكل ما يملك مـن وسائل علمية ، بدت منهجيه ومنظمة لتشويه صورة العرب والإسلام ، فظهـرت التحقـيقات والمقـالات التى تصور مدى خطورة ما أسمته المد الإسـلامى الأصـولى ، وتصويره خطراً موجهاً صوب الحضارات الغربية وأنـه قـادم من الشرق ، كما دعا الإعلام الإسرائيلى إلى البدء بما اعتبره حملـة واجبة وشاملة ضد الإرهاب والإسلام والمسلمين ، وأن الهجوم على الولايـات المـتحدة قـد أثبت صحة الادعاءات الإسرائيلية من أن الإسلام السياسى الأصولى يقود حرباً ضد العالم الحر (٥٠) .

أدى غـياب مفهـوم محـدد لماهـية الإرهاب والتوجه الأحادى للإدارة الأمريكـية ، إلى ظهور تحد كبير وهو عدم التمييز بين الإرهاب والمقاومة المشـروعة للاحـتلال الإسرائيلى للأرض العربية ، حيث بدأت الانتفاضة الفلسـطينية الثانية قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر بقرابة العام ،إلا أن الولايـات المـتحدة مارسـت ضـغوطاً شديدة على كل الأطراف الدولية والإقليمـية دون اسـتثناء . اعتمدت "الحرب ضد الإرهاب" على التعريف الأمريكى والذى تبلور فى صورة قوائم وتقارير خاصة بالتنظيمات الإرهابية والدول التى وصفت بالراعية للإرهاب كالعراق وسوريا ولبنان ، الأمر الذى عكـس المصـالح الأمريكـية بالدرجـة الأولى من جهة ، وسطوة النفوذ

الأمـــريكى علــى السياســات الدولــية من جهة أخرى ، وإن لم ينف ذلك اعتراض كثير من القوى الدولية على هذه المواقف الأمريكية.

تدّرعت الولايات المتحدة فى تلك الآونة لضرب العراق بمشاركة المملكة المـــتحدة واتجه نائب الرئيس الأمريكى لأخذ موافقة الدول العربية بضرب العـــراق دون جـــدوى ، وعقدت القمة العربية الدورية الثانية ، وقد خرجت بعدة نتائج أهمها : الموافقة على مبادرة السلام العربية مع إسرائيل الخاصة بالانســحاب الإســرائيلى من الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ فى مقابل تحقيق الأمن لإسرائيل بجانب التطبيع بينها وبين الدول العربية ، إلى جانب عدم السماح بضرب العراق تحت أى ظرف من الظروف ، إلى جانب مســاندة الشــعب الفلسطينى فى انتفاضته أمام الاعتداء الإسرائيلى حتى يتم تحرير الأراضى الفلسطينية وبعد سويعات من انقضاء القمة .

اجتاحــت القــوات الإســرائيلية الضفة الغربية وحاصرت مقر الرئيس الفلســطينى عــرفات ، بــناء على ضوء أخضر من الإدارة الأمريكية التى عجــزت فى تحقيق التأييد العربى بضرب العراق ، وهكذا تجتاح إسرائيل فلسطين متجاهلة بقرارات مجلس الأمن والأعراف والقوانين الدولية بمساندة تامة أمريكية وتجاهل دولى وضعف عربى .

ويحــس كل عربى الآن بضعف وضآلة وهوان وإحساس بالخطر ، فقد دخــل العـــرب حرباً حقيقية فرضت عليهم فرضاً وسط تحديات عديدة ليس للعرب فيها أية أسلحة بل عراة الصدور أمام أسلحة جياشة يمتاز بها الضد . وتمـــر الأمة العربية الآن بمنعطف خطير فإما أن تكون وحدة لا سواها أو ينفرط عقدها الذى تشكل مع أحقاب التاريخ إلى اجل غير مسمى .

المراجع التى استخدمت فى الكتاب

أولاً : مراجع الفصل الأول :

١- محمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشرى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨١ ، ص ٢١٥ .

٢- سليمان حزين ، العرب وانتشار الإسلام (أثر العوامل الطبيعية و البشرية فى حركة الانتشار) ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد (٢٣) ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٢٣

٣- محمد السيد غلاب ، المرجع السابق ، ص ٢٢٠

٤- صلاح السيد على الشامى ، الوطن العربى . دراسة جغرافية ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ . ص ٣٨

٥- سليمان حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤.

٦- S .A. Huzzayyin : "spread of the arabs and of Islam : relation to climatic changes and other factors "bulletin de la societe de geographiye d'egypte ,vols .LI and LII.1978 .79 ,pp.8.15

٧- جمال حمدان ،دراسات فى العالم العربى ،القاهرة ،١٩٥٨ ، ص٥١

٨- محمد السيد غلاب ،مرجع سابق ذكره، ص٢٢٨ .

٩- يتميز سكان أحراج هضبة الدكن بالهند ،بالقامة القصيرة والبشرة الداكنة والرأس الطويل والأنف الأفطس .

١٠- محمد السيد غلاب ، مرجع سبق ذكره ، صفحات عديدة .

١١- نفس المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

١٢- سليمان حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .

١٣- سليمان حزين ، رحلة الجامعة العربية إلى اليمن وحضرموت ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

١٤- عبد الحليم محمود ، القرآن والنبى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ٥٠ ، نقلاً عن ابن قتيبة كتاب المعارف .

١٥- سورة "الأحزاب" آية ١٩ .

١٦- سورة "المنافقون" آية ٤ .

١٧- عبد الحليم محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٢ .

١٨- مصطفى عبد الرازق ، تمهيد فى تاريخ الفلسفة الإسلامية : نقلاً عن عبد الحليم محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤ .

١٩-مصطفى عبد الرازق ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠ .

٢٠- سليمان حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩ .

٢١- محمـد عـبد الغنى سعودى ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، ١٩٧٦ ، + محمد عبد الغنى سعودى ، قضايا إفريقية ، الكويت عالم المعرفة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٦ .

٢٢- East G., prescatt, T.R. "Our fragmented world, An introduction to political geography, Macmllan, London; 1975 , p. 32 ."

٢٣- Hodder , W., "Africa today" London , 1977 , P .44

٢٤- محمد السيد غلاب ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .

٢٥- أنظـر : احمـد شلبى ،التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، القاهرة + أنور الرفاعى ، الإسلام وحضارته ونظمه ، القاهرة ، صفحات مختلفة .

٢٦- أنظـر : عـبد العزيـز كامل ، قيام الإسلام . دراسة فى الجغرافيا التاريخية ، المحاضرات العامة للأزهر ، ١٩٦١ .

٢٧- سليمان حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩ .

٢٨- نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .

٢٩- نفس المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٣٠- نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .

٣١- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

٣٢- محمـد عبد الغنى سعودى ، طرق القوافل وأثرها فى انتشار الإسلام فى إفريقية ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد الثالث والعشرون ، ١٩٩١ ، القاهرة . ص ٤١ - ٤٦ .

٣٣- أنظـر : عزة النص ، الوطن العربى . الاتجاه السياسى والملامح الاقتصادية ، دمشق ، ١٩٥٩ .

ثانياً : مراجع الفصل الثانى :

١- محمـد عـبد الغـنى سعودى ، الوطن العربى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٤ .

٢- نفس المرجع السابق ، ص ٣ .

٣- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .
٤- عباس عمار ، المدخل الشرقى لمصر : أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص٥ .
٥- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ . نقلاً عن : pounds, N. : political geography, Mc Grow – hill, 1963, P. 63
٦- محمد رفعت ، التيارات السياسية فى حوض البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٧٣ .
٧- حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، معهد الدراسات العربية العليا ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٤٥ .
٨- زغلول راغب النجار ، قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر ، كتاب الأمة ، القاهرة ، مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٨٨ ، ص٢٤ .
٩- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٥ .
١٠- إبراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، ١٩٥٩ ، ص ١١٩ .
١١- كلمة (داو) جمعها داوات . هى ألفاظ سواحيلية أكثر منها عربية ، وتستعمل على طول ساحل شرق أفريقيا ، وهى عبارة عن المراكب الخشبية التى كانوا يستعملونها فى الملاحة معتمدين على الشراع والمجداف .
١٢- Mc. Master .D.N."the Ocean going Trade to East Africa" east Africa geog Review . no 4 . April, 1966 , P . 15 .
١٣- محمد عبد الغنى سعودى ، قضايا إفريقية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٩ .
١٤- Trimingham , S. , "Islam in East Africa" Oxford u.p. ,1964, P . 24
١٥- Bear . G. Slavery in Egypt in the ninteenth century Journal of African History . vol . vII. 3. 1967 , PP . 4 – 22 .
١٦- Ne umark, D. "Foreign trade and economic Development in africa" Stanford , 1964 . P . 54 .
١٧- محمد عبد الغنى سعودى ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٣٩١ . وما بعدها .
١٨- Crowe, sybile . E .: the Berlin west African comference (1884 -1885) london . 1942 . pp . 11 – 12 .

١٩- A . Drysdale and G . H .Blake , "The Middle East and North Africa" Oxford Univ , Press , New York , 1985 .

٢٠- Long , Chaille , "My Life in four Continents" London , 1912 , Vol . I . P .67 .

٢١- Cary . M . , Warmington , E . H, The Ancient Explorers , Pelican, 1963, P . 21 .

٢٢- محمد عبد الغنى سعودى ، الوطن العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠ .

٢٣- نفس المرجع السابق ، ص ص ٢٦-٢٨ .

٢٤- Hozayyil , S . A . : Arabia and Far East , op. cit , p. 23 .

٢٥- محمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣٦-٢٣٧ .

٢٦- نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

٢٧- محمد السيد غلاب ، الوضع العربى والاتصالات العالمية ، المؤتمر الجغرافى العربى الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، صفحات مختلفة .

٢٨- محمد السيد غلاب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٠ .

٢٩- محمد صبيح ، القدس ومعاركنا الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ص ٣٤٥-٣٥٨ .

٣٠- نفس المرجع السابق ، ص ٤٤٥ .

٣١- عبد الملك عودة ، السياسة والحكم فى أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٦٠ .

٣٢- شوقى عطا الله الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٣٢-١٣٣ .

٣٣- Lewis , A . : World Political Patterns , Chicago , 1964 , P .359 .

٣٤- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٤ .

٣٥- محمد الرميحى ، البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى ، بحث مقدم للندوة العلمية العالمية الرابعة لمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ، ٢٩ - ٣١ مارس ، ١٩٨١ ، ص ١٧ .

٣٦- Lenczowski , G . : The Middle East in World Affairs . P.54.

٣٧- ضم الحلف أقطاراً صديقة للغرب مثل : تركيا وإيران وباكستان والعراق وبريطانيا .

خامساً : مراجع الفصل الخامس :

١- محمد عبد الغنى سعودى ، الوطن العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، صفحات متعددة.

٢- جودة حسنين جودة ، مرجع سبق ذكره ، ص٦٩ .

٣- محمد عبد الغنى سعودى، مرجع سبق ذكره ، ص٥٦ .

٤- نفس المرجع السابق ، ص ص٥٦-٦٠ .

٥- جودة حسنين جودة ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٥ .

٦- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات متعددة .

٧- جودة حسنين جودة ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٤ .

٨- نفس المرجع السابق ، ص ص٦٠-٦٢ .

٩- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٠ . نقلاً عن :Glenn Trewartha , au Introduction to climate , introduction student editon Tokyo . P . 241 + Ireland . A. W climate of The Sudan , in Agriculture in the Sudan . London , 1952 . P . 71

١٠- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات متعددة .

١١- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات متعددة .

١٢- فيليب حتى ، لبنان فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص٤٢ .

١٣- جاسم الخلف ، جغرافية العراق ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٢٥ .

١٤- صلاح الدين التلاوى ، تونس الجديدة ، مشاكل ونظيات ، تونس ، ١٩٥٩ ، ص١٢٤ .

١٥- جودة حسنين جودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٨٧-٩٣ .

١٦- هرست .هـ ، موجز حوض النيل ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص٢٥ .

١٧- نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

سادساً : مراجع الفصل السادس :

١- الصندوق العربى للإنماء الاقتصادي والاجتماعى ، صندوق النقد العربى ، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول : التقرير الاقتصادي العربى الموحد ، ١٩٩٣ ، ص١٥٤ .

٥٣- نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .
٥٤- فاروق كامل عز الدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٧١٦-٧١٩.
٥٥- النظام الإعلامى : تطوير ضرورى لسياساته وأدواته ، مجموعة من الباحثين ، التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٩ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٣٣٨-٣٣٩ .
٥٦- عبد المنعم سعيد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .
٥٧- الحركة الإسلامية وهجمات ١١ سبتمبر ، مجموعة من الباحثين ، التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٣١ .
٥٨- عبد المنعم سعيد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .
٥٩- نفس المرجع السابق ، ص٢٣ .

رابعاً : مراجع الفصل الرابع :

١- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢-٤٣ .
٢- جودة حسنين جودة ، جغرافية آسيا الإقليمية ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٥ ، ص١٧ .
٣- نفس المرجع السابق ، ص ص ٥٧٤-٥٨٠ .
٤- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٤ .
٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ٥٦٦-٥٧٠ .
٦- محمد عبد الغنى سعودى ، إفريقيا دراسة فى شخصية القارة وشخصية الإقليم ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، صفحات عديدة .
٧- نفس المرجع السابق ، ص ص ٥٦٦-٥٧٠ .
٨- للاستزادة :
القارة وشخصية الإقليم ، مرجع سبق ذكره .
- محمد خميس الزوكة ، فى جغرافية الوطن العربى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .
- جودة حسنين جودة ،جغرافية آسيا الإقليمية ، مرجع سبق ذكره .
- صلاح الدين على الشامى ، الوطن العربي ، دراسة جغرافية ، مرجع سبق ذكره.
٩- للاستزادة والرجوع ، نفس المراجع السابقة .
١٠- نفس المراجع والمصادر السابقة والصفحات .
١١- نفس المراجع والمصادر السابقة والصفحات .

٢٩- إليكسى جورافسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧١-٧٦.

٣٠- Ph. K. hitti , Islam and the West , A historical Survey . London , 1962 , P . 51 .

٣١- G . Zananiri ., L' Eglise et Islam , Paris ,1969 . PP . 242-243 .

٣٢- A . Maldezzi , L . Islamismo e la cultura Europea , florence . 1965 , P . 230 .

٣٣- Ibid , P . 235 .

٣٤- N . Danial , Islam – EuroPe And Empire , Edin Lour . 1980 , P P . 467-468 .

٣٥- محمد جبريل ، تشويه العرب فى الميديا الغربية ، مجلة تحديات ثقافية ، الإسكندرية ، العدد الرابع ، ٢٠٠١ ، ص ص ٨٤-٩٠ .

٣٦- نفس المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٣٧- نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

٣٨- فاروق كامل عز الدين ،النقل أسس وتطبيقات ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٨.

٣٩- نفس المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

٤٠- فليب رفلة ، الجغرافيا الاقتصادية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ص٥٢٥-٥٣٧ .

٤١- فاروق كامل عز الدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٨٨-٥٩٣.

٤٣- مصطفى الحفناوى ، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ، جـ٤ ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٧٨ .

٤٤-فاروق كامل عز الدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٨٨-٥٣٩.

٤٦- سلمان داود سلمان ، المواصلات البحرية فى الوطن العربي ، بيروت ،١٩٨٩ ، ص ص ٢٢٥-٢٢٧ .

٤٨- فاروق كامل عز الدين ، مرجع سبق ذكره ، صفحات متعددة .

٤٩- نفس المرجع السابق ، ص ص ٦٩٣-٦٩٥ .

٥٠- نفس المرجع السابق ، ص ص ٦٩٥-٦٩٧ .

٥١- عبد المنعم سعيد ، ثورة المعلومات والإعلام العربى ، مجلة الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٥٠ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٢ .

٥٢- نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .

١٢- سـليمان احمد حزين ، بين الجغرافيا والتاريخ فى أرض العراق وما جاورها ، المجلـة الجغرافـية العربية ، الجمعية الجغرافية المصرية ، العدد ٣٥ ، ١٩٩٣ ، ص ١ .

١٣- صلاح الدين على الشامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦١ .

١٤- سليمان أحمد حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣-٤ .

١٥- نفس المرجع السابق ، ص ١٠ .

١٦- للاستزادة فى هذا الأمر : سليمان حزين ، حضارة مصر أرض الكنانة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، مكتبة الأسرة .

١٧- سـليمان حزيـن ، العـروبة ومصـر . المجلـة الجغرافية العربية ، الجمعية الجغرافية المصرية ، العدد ٣٤ ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٤-١٦.

١٨- نفس المرجع السابق ، ص ٤ .

١٩- محمد صبيح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٦ . نقلاً عن : Jacques Pirenne . The Tides Of History .

٢٠- سليمان حزين ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١-١٧ .

٢١- نفس المرجع السابق ، والصفحات .

٢٢- أنظـر : عـبد الرحمـن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت . صفحات مختلفة .

٢٣- محمـد كـرد علـى ، الإسـلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، الطبعة الثالثة ، ص ١٧٣ .

٢٤- أنظـر فـى ذلك : محمد كرد على ، مرجع سبق ذكره ، + Gustavele Bon : Lavia des Verites + محمـد كرد على ، خطط الشام ، الجزء الرابع ، ص٢٠ ومـا بعدها + Montet : Del'etat Present et de L'auenir de L'islam .

٢٥- نفس المراجع السابقة ، ونفس الصفحات .

٢٦- أليكس جورافسكى ، الإسلام والمسيحية ، ترجمة /خلف محمد الجراد ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٩٦ ،ص٦٩ .

٢٧- نفس المرجع السابق ، ص٧٠ .

٢٨- S . Jargy , Islam et chréticnté : Lcs fils d'Abraham entre la confrontation Ex dialogue "Geneva" 1981 . P . 106 .

٨٢- جمـال عـبد الجواد ، بروتوكول مشاكوس "مصر والسودان" ، جريدة الأهرام المصرية ، ١٩ أغسطس ٢٠٠٢ ، ص ٢٨ .
٨٣- نفس المرجع السابق ، ص ٢٨ .
٨٤- نفس المرجع السابق ، ص ٢٨ .
٨٥- أيمـن عـبد الوهاب ، المصالح المائية لمصر ، جريدة الأهرام المصرية ، ١٩ أغسطس ٢٠٠٢ ، ص ٢٨ .

ثالثاً : مراجع الفصل الثالث :

١- محمد صبيح ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩-٢٩ .
٢- الكنعانـيون هـم عـرب هاجـروا من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها ، واختلطـت بهـم هجرات متعاقبة من كل مكان حولهم من السومريين والأشوريين والفينيقيين والمصريين والحيثيين والآراميين ، ثم جاءتهم غزوات من جزر البحر المتوسـط ولا سـيما قـبرص وكريت لتنشئ على الساحل منطقة الفلسطينيين ، وتسـمى أقـوام بأسماء لصقت بهم مثل اليبوسيين فى منطقة أورشليم .. والمقطع الأول مـن اسـم أورشـليم وارد من بلاد الرافدين "أور" هى مسقط راس إبراهيم علـيه السـلام . أما "شليم" فاسم لواحد من عشرات الآلهة الوثنية التى كانت تعبد فـى المـنطقة ، ولا علاقة لهذا الاسم بكلمة "شالوم" العبرية التى تعنى السلام كما زعمت اليهود .
٣- أبـو اليمـن مجـير الدين الحنبلى ، تاريخ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، صفحات متعددة ، نقلاً عن : محمد صبيح ، مرجع سبق ذكره.
٤- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير .
٥- محمد صبيح ، مرجع سبق ذكره ، صفحات متعددة .
٦- برسـتيد ، تـاريخ مصـر ، تـرجمة /حسـين كمـال ، بـدون سـنة نشر . ص ص ٢٣٤-٢٤٤ .
٧- ديورانت ، موسوعة قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، المجلد الأول ، ص ٩٨ .
٨- محمد صبيح ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٦٧-٢٧١ .
٩- تفسير القرطبى ، ١٦/ ٦ .
١٠-محمد على الصابونى،صفوة التفاسير،تفسير صورة الزخرف(٣١).
١١- حديث صحيح . رواه مسلم فى صحيحه .

٦١- مـــرثا دوكارس ، أزمة الكويت : العلاقات الكويتية العراقية ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ص ٢-٥٠ .
٦٢- نفس المرجع السابق ، ص ٦٨ .
٦٣- عبد الرزاق سليمان أبو داود ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٦ .
٦٤- نفس المرجع السابق ، ص٣٥٨ .
٦٥- Brow Nlie , T. , African Boundaries : Alegal And Diplomatic Encyclopedia , London , 1979, P . 82 .
٦٦- محمـــد محمـــود الديـــب ، الجغرافـــيا السياسية من منظور معاصر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٨ ، ص ٥٨٤ .
٦٧- Europa , Op . Cit . P . 712 .
٦٨- Petran , T. , Syria : Amodern History , Ernest Benn Ltd , London , 1972 . P . 353 .
٦٩- عبد الرازق سليمان داود ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣٥٠-٣٥١ .
٧٠- محمد عبد الغنى سعودى ، الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص١٣١ .
٧١- Bron Nlie . I. . Op. Cit . P . 827 .
٧٢- محمد محمود الديب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨٧ .
٧٣- محمد عبد الغنى سعودى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .
٧٤- الـــبخارى عـــبد الله الجعلـــى ، نزاع الحدود بين السودان وأثيوبيا ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٠ .
٧٥- Brownlie , I. , Op . Cit , P . 886 .
٧٧- Blake . G . H. , & Schofield , R . N., Bound Aries And State Territory in The Middle East And North Africa , Middle East And North Africa Studies Press , 1987 , Combridgshire . P . 33 .
٧٨- عبد الرزاق سليمان داوود ، مرجع سبق ذكره ،ص ٣٥٤ .
٧٩- Brownlie . . I., Op . Cit ,P . 125 .
٨٠- شوقى عطا الله الجمل ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٦٤٢-٦٤٣.
٨١- نفس المرجع السابق ، ص ٢٠ .

٤٨- جابـــر إبراهـــيم الـــراوى ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الإيرانية . دراســة قانونية وثائقية ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ص ٩١-١٢٠. + Europa . The Middle East And North Africa , Europa Publication , London . 1991 , P . 111 .

٤٩- Segal , G . , The World Affairs Companion , Siman And Nally And Co ., Chicago . 1986 . P . 260 .

٥٠- حســين معلوم ، الصراع التركى الإيرانى وتداعياته على على المنطقة العربية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١١٤ ، أكتوبر ١٩٩٣ ، ص ٢١٨ .

٥١- هــانى بــدر الدين ، تغيرات هامة فى السياسة الأمريكية نحو إيران ، قرارات اســتراتيجية ، مركــز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، السنة الرابعة ، فبراير ١٩٩٩ ، ص ص ٢٨-٢٩ ، نقــلاً عــن : "Yonghong. Y., : U . S - Iran : Policy Dematic Changes . International Studies, 1998 "

٥٢- رانــيا ســعد توفيق ، السياسة الأمريكية العراقية : كيف انتهى الأمر إلى ذلك ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

٥٣- عــبد الـــرازق ســليمان أبو داود ، قضايا الحدود السياسية فى العالم العربى ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد٣٥، ١٩٩٣، ص٣٣٣.

٥٤- نفس المرجع السابق،ص٣٦٦.

٥٥--نفس المرجع السابق،ص٣٦٧.

٥٦- فــاروق أباظـــة ، دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربيـــن العالميتيـــن ، دار المعـــرفة الجامعـــية، الإســـكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ص٤٥-٤٦ .

٥٧- فتحـــية النبراوى ومحمد نصر مهنا ، الخليج العربى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ص٣٥٧.

٥٨- عــبد الله الأشــعل ،قضية الحدود فى الخليج العربى ،مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ،القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٣٨.

٥٩- محمـــود طه أبو العلا ، حدود الكويت السياسية بين عبقرية السكان وبين عبقرية المكـــان وأوجاعـــه ، المجلـــة الجغرافية العربية ، القاهرة ، العدد ٣٥ ، ١٩٩٣ ، ص ٢٦ .

٦٠- Segal . Op . Cit . . P . 264 .

٣٨- American Assembly , Columbia University : The U . S. And The Middle East , P . 153 .

٣٩- صـــلاح العقاد ، الخليج العربى ونظرية الفراغ ، مجلة السياسة الدولية ، أكتوبر ١٩٧٣ ، ص ١١٥ .

٤٠- تأسـس حلـف شـمال الأطلـنطى المعروف باسم "NATO" North Atlantic Treaty Organization فـى ٢٤ أبريل ١٩٤٩ ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لـيواجه نفـوذ الاتحــاد الســوفيتي ومنظومته الاشتراكية ثم منظومته الدفاعية العسـكرية "حلـف وارسو" وقد وقع على تأسيس الحلف ١١ دولة أوروبية وكندا والولايــات المــتحدة الأمريكـية ، وأصبحت العضوية الآن تشمل ١٩ دولة هى "الولايات المتحدة - كندا - بلجيكا - لوكسمبرج - الدانمارك - فرنسا - أيسلندا - إيطالــيا - هولندا - النرويج - البرتغال - أسبانيا - بريطانيا - تركيا - اليونان - ألمانــيا - بولــندا - المجــر - التشـيك" بينما هناك دول أخرى فى طابور طلب الانضمام . وتضم أجهزة الحلف (مجلس الحلف وهو السلاطة العليا - هيئة الناتو الدولــية . وهو جهاز دائم يرأسه السكرتير العام للحلف - اللجنة العسكرية العليا . وتضم رؤساء أركان دول الحلف باستثناء دولة أيسلندا) .

٤١- عـبد الرحمن رشدى الهوارى ، المهام المحتملة لحلف الناتو فى الشرق الأوسط ، مجلة السياسة الدولية ، يوليو ١٩٩٩ ، القاهرة ، ص ص ٢٧٩-٢٨٣ .

٤٢- جمــال ذكــريا قاسم ، الخليج العربى فى تاريخه المعاصر "١٩٤٥ - ١٩٧١" ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٧ .

٤٣- محمــود مبارك ، تطور العلاقات المصرية الروسية خلال خمسة عقود ، مجلة السياسة الدولية ، أكتوبر ١٩٩٣ ، العدد ١١٤ ، ص ١٨٨.

٤٤- رأفــت غنــيمى الشيخ ، العرب . دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٤٧٣.

٤٥- صــبحى عســيلة ، تركيا وإسرائيل : توازن جديد للقوى فى الشرق الأوسط ، دراســات اســتراتيجية ، مركــز الدراســات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٩٩ ، ص ٢٣ .

٤٦- نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٤٧- محمــد السعيد إدريس ، جزر الإمارات وإشكالية التوازن الإقليمى فى الخليج ، ملف الأهرام الاستراتيجى ، السنة الخامسة ، العدد ٥٥ ، يوليو ١٩٩٩، ص ٦١.

٢- خـــير الديــن حســـيب وآخرون ، مستقبل الأمة العربية والتحديات والخيارات ، الــتقرير الــنهائى لمشـــروع استشراف مستقبل الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، أكتوبر ، ١٩٩٨، ص٢٤٨.
٣- المــنظمة العربية للتنمية الزراعية ، استعمال المياه لأغراض الزراعة ومؤشراتها المســتقبلية وترشيد استخدام الموارد المائية فى الوطن العربي ، العلم والتكنولوجيا ، مجلــة معهد الإنماء العربى ، بيروت ، العدد ١٧/١٨ يوليو ١٩٨٩ ، ص ص ٣٣-٣٦ .
٤- كمـــال فـــريد ســـعد وممدوح شاهين ، تقسيم الموارد المائية فى الوطن العربي ، المركـــز العـــربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى القاحلة ، مكتب اليونسكو الإقلـــيمى للعلـــوم والتكنولوجيا للدول العربية ، المعهد الدولى لهندسة الهيدروليكا والبيئة ، باريس دلفست ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ص ١٢٧-١٣١ .
٥- محمـــود فيصـــل الرفاعى ، أهمية استثمار الماء فى نهضة الوطن العربي ، العلم التكنولوجـــيا ، مجلة معهد الإنماء العربى ، بيروت ، العدد١٧/١٨ يوليو ١٩٨٩ ، ص ص ١٤-١٩..
٦- Walid A . Salch : Development Project on The Euphrates . in Abdel Majid Farid and Hussein Sirriyeh : Israil & Arab Water : Arab Research Center By Thaca press . 1985 . PP . 69-74 .
٧- محمد فيصل الرفاعى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص١٧-١٨ .
٨- عـــز الدين الخير ، الأطماع الصهيونية فى مياه الأردن والليطانى ، معهد البحوث والدراســات العربـــية ، الدراســـات الخاصـــة ، رقـــم ٣ ، القاهـــرة ، ١٩٧٧ ، ص ص ٢٩-٣٢ .
٩- ســـعد الديـــن مدلل ، الثروة المائية فى لبنان ، العلم والتكنولوجيا ، العدد ١٧/١٨ يوليو ١٩٨٩ ، بيروت ، ص ص٣٨-٣٠٩ .
١٠- كمال فريد سعد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤ .
١١- ســـامر مخيمر وخالد حجازى ، أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد ٢٠٩ ، ١٩٩٦ ، ص ص ٤٤-٤٥ .
١٢- حسن منص ، مصدر المياه فى المملكة العربية السعودية ، العلم والتكنولوجيا ، العدد ١٧/١٨ يوليو ١٩٨٩ ، ص ص١٤٢-١٤٥ .
١٣- البنك الدولى للإنماء والتعمير ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣٠٨-٣٠٩ .

١٤- نفس المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .
١٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٢٢-٣٢٣ .
١٦- الأفلاج : مياه آتية من شق مائل يحدثه الإنسان فى الأرض حتى يستطيع أن يصل إلى المياه الجوفية .
١٧- لمى صادق ، الثروة المائية فى دولة الإمارات العربية المتحدة ، العلم والتكنولوجيا ، العدد ١٨/١٧ يوليو ١٩٨٩ ، ص ص١٢٧-١٢٨.
١٨- نجلاء حلبى ، الثروة المائية فى العراق واستخدماتها ، العلم والتكنولوجيا ، العدد ١٨/١٧ يوليو ١٩٨٩ ، ص ص١٤٢-١٤٥ .
١٩- لمى صادق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٤٢-١٤٥ .
٢٠- كمال فريد سعد وممدوح شاهين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٢١٧-٢١٨ .
٢١- سعد الدين مدلل ، الثروة المائية فى لبنان ، العلم والتكنولوجيا ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٢ .
٢٢- United Nation Documentation A / 64 / 293 .
راجع . أيمن الرابى ، مصادر المياه فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، الوضع الهيدرولوجي السياسي والقانونى ، ندوة المشكلات المائية فى الوطن العربي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٩٧ .
٢٣- يوسف أبو مايله ، جيوبولتيكية المشاريع المائية الإسرائيلية مع التركيز على مشروع قناة البحرين "المتوسط-الميت والأحمر-الميت"
المجلة الجغرافية العربية،العدد الثامن والعشرون،١٩٩٦،ص ص٣٧٩-٣٨٠ .
٢٤- حسن ملص ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٣٩-١٤١ .
٢٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ١٨٨-١٩٠ .
٢٦- لمى الصادق ، الثروة المائية فى تونس ، مرجع سبق ذكر ص ص١٣١-١٣٢ .
٢٧- نفس المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
٢٨- نجلاء الحلبى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٢٠٢-٢٠٨ .
٢٩- محمد سالم إبراهيم مقلد ، التكامل العربى ، دراسة فى إمكانية حل المشكلة السكانية ، ملتقى الجغرافيين العرب ، الثانى عام ٢٠٠٠ ، الجمعية الجغرافية المصرية ، ص ١٢ .
٣٠- سامر مخيمر وخالد حجازى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص١٤٥-١٤٧ .

٣١- نفس المرجع السابق ، ص ٩١ .
٣٢- خـــير الديـــن حســـيب ، مستقبل الأمة العربية ، التحديات والخيارات ، التقرير الـــنهائى لمشـــروع استشـــراف معـــتقبل الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، أكتوبر ١٩٨٨ ، ص ١٧٠ .
٣٣- Sandra Posstel : (The politics of water) world watch , July / August , 1993 , P . 14 .
٣٤-سامر مخيمر وخالد حجازى ، مرجع سبق ذكره،ص ص٩٤-٩٥.
٣٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ٩٦-٩٨ .
٣٦- رشـــدى سعيد وآخرون ، أزمة مياه النيل إلى أين ؟ ، مركز البحوث العربية ، ١٩٨٨ ، ص ٧٢ .
٣٧- محمـــود أبـــو زيـــد . وزير الأشغال المائية ، صحيفة الأهرام المصرية ، ١٨ مارس ١٩٩٩ ، ص ١٢ .
٣٨-طـــارق المجدوب،الـــتعامل العـــربى الـــتركى فى مشاريع البنية التحتية والمياه والطاقة الكهربائية،المستقبل العربى ،أكتوبر ١٩٩٤ ، ص ٩٥ .
٣٩- فيليـــب روبـــنس ، تركـــيا والشـــرق الأوسط ، ترجمة/ ميخائيل نجم خورى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص١٠٩ .
٤٠- احمـــد عباس عبد البديع ، أزمة المياه من النيل إلى الفرات ، السياسة الدولية ، العدد ١٠٤ إبريل ١٩٩١ ، ص ١٤٧ .
٤١- عـــرفان نظام الدين ، تركيا والعرب - خليط الماء والزيت والتاريخ والجغرافيا والعداوات والمصالح الدائمة ، الباحث العربى ، العدد ٢٧ ، يوليو/سبتمبر ١٩٩١ ، ص ص١٥-١٦ .
٤٢- فيليب روبنس ، مرجع سبق ذكره ، ص ص١٩٠-١١٠ .
٤٣- نجـــاتى أوتكان ، كلمة الوفد التركى - المذكرة التفصيلية عن عملية بدء تجميع المياه خزان أتاتورك ، الباحث العربى ، العدد ٢٣ إبريل /يونيو١٩٩٠ ، ص١٢.
٤٤- زهـــير فرح أبو داود ، كلمة الوفد السورى ، الباحث العربى ، العدد ٢٣ إبريل/ يونيو ١٩٩٠ ، ص ص١٨-١٩ .
٤٥- صلاح عبد البديع شلبى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦ .
٤٦- حمـــد ســـعيد الموعد ، حرب المياه فى الشرق الأوسط ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ١٩٩٠ ، ص ص ٢٨-٣٢ .

٤٧- عطـا الله يوسـف ، إسـرائيل والمشـاريع المائية فى فلسطين المحتلة ، العلم والتكنولوجيا ، العدد ١٨/١٧ يوليو ١٩٨٩ ، ص١٥٤ .
٤٨- نفس المرجع السابق ، ص ١٥٥ .
٤٩- نفس المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
٥٠- نفس المرجع السابق ، ص ص ١٥٩-١٦٠ .
٥١-سامر مخيمر-خالد حجازى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص١٢٢-١٢٤.
٥٢- نفس المرجع السابق ، ص ص ١٣٠- ١٣١ .
٥٣- نفس المرجع السابق ، ص ص١٣٦-١٣٧ .
٥٤- نفس المرجع السابق ، ص٩٣ .
٥٥-إبراهـيم شـحاتة ، البـنك الدولـى والعـالم العربى - تحديات وآفاق الاقتصاد المصرى ، دار الهلال ، القاهرة ، مارس ١٩٩٠ ،ص ص ٣٩-٤٠ .
٥٦- محمـد حسـنين هـيكل ، ملفـات السويس ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ط ١ ، ص ٣٨٢ .
٥٧- Ministry of Irrigation & Hydro – electric Power (Sudan) The Nile Water's Question . Khartoum . October . 1955 , P. 4 .
٥٨- محمد حسنين هيكل ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٧٧٧-٧٧٨ .
٥٩- كـامل زهيرى ، النيل فى خطر ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ملحق الوثائق والخرائط ، ص ص ٣-٤ .
٦٠- نفس المرجع السابق ، ص ص١٠٧-١١١ .
٦١- نفس المرجع السابق ، ص ٩٤ .
٦٢-سامر مخيمر وخالد حجازى ، مرجع سبق ذكره،ص ص١٠١-١٠٥.

سابعاً : مراجع الفصل السابع :

١- الاقتصـاد العـربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، التقرير السنوى للأمين العـام ، الاتحـاد العـام لغـرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية لعام ١٩٩٩ ، حزيران (يونيو ٢٠٠٠) .
٢- فـتحى محمـد أبو عـيانة ، جغرافـية السكان ، أسس وتطبيقات ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ص ٤١٣-٤١٥ .
٣- نفس المرجع السابق ، ص ص ٤١٦-٤٢٠ .

٥- التقرير الاقتصاد العربى الموحد ، ١٩٨٧ ، صفحات متعددة .

٦- احمد السيد النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٢٢٧-٢٣٠ .

٧- البنك الدولى،تقرير عن التنمية فى العالم،١٩٩٧ ،جدول رقم (١٢).

٨- الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٧٤٠ ، مرجع سبق ذكره ، ص٨٦ .

٩- FAO Production Year Book , 1995 Vol 49 table 15 .

١٠- الكتاب السنوى للإحصاءات الزراعية العربية ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، جامعة الدول العربية ، مجلد ١٦ ، ديسمبر ١٩٩٦ ، الخرطوم ، ص ١٣ .

١١- محمد السيد عبد السلام ، الأمن الغذائى للوطن العربى ، ١٩٩٨ ، العدد ٢٣٠ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ص ص ٥١-٥٣ .

١٢- محمد خميس الزوكة ، فى جغرافية الوطن العربى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧٦ .

١٣- محمد السيد عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥١-٥٢ .

١٤- جمعة البيانات وحسبت من :. FAO Production Year Book Vol 49

١٥- Ibid , table , 49.

١٦- Ibid, table , 94 .

١٧- محمد السيد عبد لسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٣-٥٥ +
محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣١٢-٣١٤ .

١٨- FAO Production Year Book , 1995 , Vol 49 , table 67 .

١٩- Ibid, table , 68 .

٢٠- محمد السيد عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٤-٥٥ .

٢١- نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ .

٢٢- الكتاب السنوى للإحصاءات الزراعية العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١ .

٢٣- التقرير الاقتصادي العربى الموحد ١٩٩٦ ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون ، سبتمبر ١٩٩٦ ، ص٢٥٧ .

٢٤- الكتاب السنوى للإحصاءات العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٩٣-١٠١ .

٢٥- محمد السيد عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٦-٥٧ .

٢٦- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣٣٩-٣٤٠.

٢٧- FAO Production Year Book . 1997 . table . 49 .

٤- محمد صبحى عبد الحكيم ، مقدمة كتاب/ عالم يفيض بسكانه ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٦ ، العدد ٢١٣ ، ص٢٩ .
٥- الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
٦- فتحى محمد أبوعيانه ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٢٤ .
٧- الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
٨- محمد صبحى عبد الحكيم ، مرجع سبق ذكره، ص ص٣٠-٣٥ .
٩- الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
١٠- محمد صبحى عبد الحكيم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
١١- محمد سالم إبراهيم مقلد ، التكامل العربى : دراسة فى إمكانية حل المشكلة السكانية ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
١٢- الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
١٣- محمد صبحى عبد الحكيم ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٦ .
١٤- محمد سالم إبراهيم مقلد ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
١٥- نفس المرجع السابق ، صفحات مختلفة .
١٦- نفس المرجع السابق ، صفحات مختلفة .
١٧- نفس المرجع السابق ، صفحات مختلفة .
١٨- نفس المرجع السابق ، صفحات مختلفة .

ثامناً : مراجع الفصل الثامن :

١- الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤٠ - ٢٠٠٢/٥/١٣ ، ص٨٦ + الاقتصاد العربى، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره .
٢- نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحات .
٣- نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحات .
٤- احمد السيد النجار ، الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٢٥-٢٢٧ .

٢٨- FAO Production Year Book , 1996 , table . 42 .

٢٩- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٥١ .

٣٠- نفس المرجع السابق ، ص٣٥٩ .

٣١- نفس المرجع السابق ، ص ٣٦٢ + FAO Production Year Book , 1996 .

٣٢- FAO Production Year Book , 1996 , table 48 .

٣٣- FAO Production Year Book , 1996 , Table , 39

٣٤- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢٨-٣٣٦ + FAO Production Year Book , 1996 , table , 49 .

٣٥- Ministere Du Plan , Ive plan de developpment economique et social , mauritania , Decembere , 1981 , P . 199 .

٣٦- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٤١٠-٤١١.

٣٧- FAO Production Year Book , 1998 , table , 49 .

٣٨- Ibid , table , 49 .

٣٩- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤١٤-٤٢٤ + Ibid , table , 94 .

٤٠- FAO Production Year Book , 1997 , table , 92 .

٤١- Ibid , table , 92 .

٤٢- Ibid , table , 92 .

٤٣- الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

٤٤-الأهرام الاقتصادي،العدد ٢٠٠٢،١٤٧٠،مرجع سبق ذكره ص٨٦.

٤٥- الكتاب السنوى للإحصاءات الزراعية العربية / مرجع سبق ذكره، ص ص ١٣٣-١٣٥ .

٤٦- صبحى القاسم ، الأمن الغذائى فى الوطن العربي "قضايا وبدائل" ، عالم الفكر ، المجلد ١٨ ، سبتمبر ١٩٨٧ ، الكويت ، ص ١١١ .

٤٧- أجناس ساكس ، "السكان / والتنمية / والعمل" ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، سبتمبر ١٩٩٤ ، العدد ١٤١ ، ص٥٦.

٤٨- السياسات العامة لاستخدام موارد المياه فى الزراعة العربية ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، جامعة الدول العربية ، الخرطوم ، مايو ١٩٩٤ ، ص ٢٤ .

٤٩- نفس المرجع السابق ، ص ٥١ .
٥٠- نفس المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
٥١- احمد السيد النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٣ .
٥٢- السياسات الزراعية في عقد الثمانينيات ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، جامعة الدول العربية ، الخرطوم ، ١٩٩٤ ، ص ٦٩ .
٥٣- احمد السيد النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٦٥ .
٥٤-البنك المركزى المصرى ، المجلة الاقتصادية ، المجلد ٣٧ ، العدد السادس ١٩٩٧/٩٦ ، ص ١٦٦ .
٥٥- محمود عبد الفضيل ، التحولات الاقتصادية والاجتاعية فى الريف المصرى ، "١٩٥٢-١٩٧٠" الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٨ ، ص١٦٩ .
٥٦- بيترورسلى ، العوالم الثلاثة – الثقافة والتنمية العالمية ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشئون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٧ ، الجزء الأول ، ص ١٣٩ .
٥٧- احمد السيد النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٢٦٧-٢٦٨ .
٥٨- نفس المرجع السابق ، ص ص٢٦٦-٢٦٨ .
٥٩- جريدة الحياة اللندنية ، أعداد مختلفة : نقلاً عن المراجع السابقة ، ص٢٦٩ .
٦٠- نفس المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .
٦١- الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤٠ ، مرجع سبق ذكره ، ص٨٦.

تاسعاً : مراجع الفصل التاسع :

١- محمد فتحى عوض الله ، الإنسان والثروات المعدنية ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٨٣-١٨٧ .
٢- محمد محمود الديب ، الجغرافيا الاقتصادية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٥٦٠ .
٣- نفس المرجع السابق ، ص٥٦١ .
٤- نفس المرجع السابق ، ص ص ٥٦١-٥٦٣ .
٥- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٥٥٥-٥٥٦ .

٦- Beatumont , P . The Middle East – Ageographical study . London . 1976 , PP . 396-400 . + Statistical Year Book . 1998 .

٧- محمد محمود الديب ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .

٨- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، + Statistical Year Book . 1998 .

٩- نفس المراجع السابقة والصفحات .

١٠- نفس المراجع السابقة والصفحات .

١١- نفس المراجع السابقة والصفحات .

١٢- محمد محمود الديب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨٩ .

١٣- محمد صبحى عبد الحكيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

١٤- محمد محمود الديب ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٨٠٥-٨٠٨.

١٥- نفس المرجع السابق ، ص٧٩٢ .

١٦- نفس المرجع السابق ، ص ص ٧٩٢-٧٩٣ .

١٧- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦٤ .

١٨- نفس المرجع السابق ، ص ٣٦٤ .

١٩- عدنان شهاب الدين ، منظمة الأوبك ، الطاقة والتعاون العربى السابع ، مصر ١١-١٤ مايو ٢٠٠٢ ، نقلاً عن : الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤١ ، حوارات ومتابعة / محمد ابراهيم ، ص٤١ .

٢٠- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٦٤ .

٢١- نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

٢٢- Oil and Gas Journal . 28 December . 1998 .

٢٣- علـى النعيمى وزير البترول السعودى ، مؤتمر الطاقة العربى السابع ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .

٢٤- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، + Oil and Gas Journal .op . cit . 20 .

٢٥- جامعة الدول العربية ، إدارة شئون البترول ، البترول فى البلاد العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٩ .

٢٦- حمدى النبنبى ، البترول بين النظرية والتطبيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ص ٩٠-٩١ .

٢٧- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٤٩٥-٤٩٦.

٢٨- منظمة الأقطار العربية للبترول ، التقرير الإحصائى السنوى الرابع ، ٧٥/ ١٩٧٦ ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ١٦ .
٢٩- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦٤ .
٣٠- محمد محمود الديب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨١ .
٣١- نفس المرجع السابق ، ص ٧٨٣ .
٣٢- محمد خميس الزوكة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٥ .
٣٣- عبد الله بن حمد العطية "وزير النفط القطرى " فى حواره مع الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤١ ، ص ٤٢ .
٣٤- روبرت مايرو ، مؤتمر الطاقة العربى السابع ، مرجع سبق ذكره ،ص ٤١ .
٣٥- جريدة الحياة اللندنية ، سوق الغاز مقبل على تخمة تهدد المشاريع ، عدد ٢/٤/ ١٩٩٧ .
٣٦- نفس المرجع السابق ، والصفحة .
٣٧- عمرو كمال حمودة ، الاقتصاد العربى ، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٥ .
٣٨- جريدة الحياة اللندنية ، العدد ١٩٩٤/٩/١٢ .
٣٩- عمرو كمال حمودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٠ .
٤٠- نعمان الزياتى ، الغرب الرابح الأول من الخطر النفطى ، الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤١ يوم ٢٠٠٢/٥/٢٠ ، ص ٤٤ .
٤١- عمرو كمال حمودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٣ .
٤٢- Mohammed Al Gacem , A new World Order Far Oil , 1993 , Middle East policy , Vol , No. 1 .
٤٣- منى مصطفى البرادعى ، النفط والتنمية العربية فى عقد التسعينيات ، معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،١٩٩٣ ، ص٢٧.
٤٤- صناعة التكرير العربية وتحديات القرن القادم مجلة الأموال ، العدد الثانى ، يناير / مارس ، ١٩٩٧ ، ص ٩٣ .
٤٥- عولجت هذه النقطة من خلال مقالة: عمرو كمال حمودة ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .
٤٦- نفس المرجع السابق ، ص ٣١١ .
٤٧- P . L . W . Vol 30 . no . 23 .PD 10/6/1991 .

٤٨- عمرو كمال جودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٥ .

عاشراً : مراجع الفصل العاشر :

١- محمد عبد الغنى سعودى وآخرون ، جغرافية الوطن العربي ، ١٩٩٩ / ٢٠٠٠ ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ، ص ٧٥ .

٢- نفس المرجع السابق ، ص ٧٦ .

٣- تمت معالجة هذه الجزئية من خلال : التقرير السنوى للأمين العام ، الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية للعام ١٩٩٩ ، يونيو ٢٠٠٠ .

٤- أنطوان زحلان ، العولمة والتطور التقانى ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية ، مركز دراسات الوحدة العربية "ندوة العرب والعولمة" ، تحرير أسامة الخولى ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٨١ .

٥- الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية للعام ١٩٩٩ ، مرجع سبق ذكره ، صفحات مختلفة .

٦- نفس المرجع السابق ، والصفحات .

٧- حسبت الأرقام بواسطة الباحث : اعتماداً على نفس المرجع السابق.

٨- Jereny Rifkin . Technology . Jobs and your future : The end Of Work : Decline Of The Globle . Laber Force and The Dowen Of The Post Market Ere (New York) G. P. Putman`s sons . 1995 .

٩- World Bank , World development Report , 1995 : Works In an Integrating World , Washington , Dc , Oxford University Press , 1995 .

١٠- صبحى القاسم ، نظام التعليم العالى فى الدول العربية ، القاهرة ، اليونسكو ، ١٩٩٨ ، عدة صفحات .

١١- أنطوان زحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٧ .

١٢- جريدة القبس الكويتية ، ١٩٩٧/١/٢٠ .

١٣- أنطوان زحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٩ .

١٤- World Bank , Arab Republic Of Egypt : Cotton And Textile Sector Study . Washington . Dc . 1991 .

١٥- Sanjaya Lall . Egypt's Industrial Technology System . science (10) and Public policy . vol . 23 . No. 6 (1996) . PP . 330-342 .

١٦- أنطوان زحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٦ .
١٧- نفس المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
١٨- نفس المرجع السابق ، ص ١٠١ .

حادى عشر : مراجع الفصل الحادى عشر :

١- تم معالجة هذه النقطة من خلال : التقرير السنوى للأمين العام ، الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية للعام ١٩٩٩،الاقتصاد العربى . التطورات والاتجاهات والمرامى، يونيو ٢٠٠٠.
٢- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، الأهرام ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ص٣٩٢-٣٩٤ .
٣- نفس المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .
٤- الاقتصاد العربى . التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٢-٩٣ .
٥- نفس المرجع السابق ، ص ٩٣ .
٦- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ،مرجع سبق ذكره ، ص٣٩٢.
٧- الاقتصاد العربى . التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ .
٨- نفس المرجع السابق ، ص ٩٤ .
٩- نفس المرجع السابق ، ص ٩٥ .
١٠- نفس المرجع السابق ، ص ٩٦ .
١١- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣٩٦-٣٩٧ . وللأساتذة : مصطفى عبد الله أبو القاسم ، التنسيق والتعاون العربى تجاه الشراكة الأوروبية – المتوسطية . دراسة تحليلية مقارنة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٨ ، القاهرة ، إبريل ٢٠٠٢ ، المجلد ٣٧ .
١٢- الاقتصاد العربى وتفاعلاته المستجدة،الاقتصاد العربى، التطورات والاتجاهات والمرامى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٩٧-٩٨ .
١٣- نفس المرجع السابق ، ص ٩٨ .
١٤- محاولات لإقامة تكتل اقتصادى عربى مشكوك فى جديتها،التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٧،القاهرة،١٩٩٨،ص ص١١٣-١١٤.

١٥- نفس المرجع السابق ، ص ١١٤ .
١٦- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، ص ص٣٩٤-٣٩٦ .
١٧- نفس المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .
١٨- نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٩٨-٣٩٩ .
١٩- نفس المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .
٢٠- نفس المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .
٢١- التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٩ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ص٩٤- ٩٥ .
٢٢- نفس المرجع السابق ، ص ٩٥ .
٢٣- نفس المرجع السابق ، ص ٩٧ .
٢٤- احمد احمد جويلى ، التكامل الاقتصادي العربى ، جريدة الأهرام المصرية ، ١٥ يوليو ٢٠٠٢ ، ص ١٦ .
٢٥- نفس المرجع السابق ، ص ١٦ .
٢٦- التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٩ ، ص ص ١٠٠-١٠١ .
٢٧- طارق مهدى ، المديونية الخارجية العربية زادت سبع مرات خلال عشرين عاما ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٧٤٨ ، يونيو ٢٠٠٢ ، ص ١٤ .
٢٨- جامعة الدول العربية ، التقرير الأول : حول التنمية الإنسانية العربية للعام المالى ٢٠٠٢ ، الأهرام الاقتصادي ، العدد ١٧٤٨ ، يوليو ٢٠٠٢ ، ص ١٤ .
٢٩- تقرير منظمة اليونسكو "العلم فى العالم" الصادر عام ١٩٩٨ ، صفحات مختلفة .
٣٠- نفس المرجع السابق ، والصفحات .
٣١- أنطوان زحلان ، العرب وتحديات العالم والثقافة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ ، صفحات مختلفة .
٣٢- التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٩ ، ص ص ١١٠-١١١ .
٣٣- نفس المرجع السابق ، ص ص ١١٢-١١٥ .
٣٤- نفس المرجع السابق ، ص ص ١١٢-١١٣ .
٣٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ١١٥-١١٦ .

٣٦- جامعـــة الـــدول العربـــية ، التقرير الأول : حول التنمية الإنسانية العربية للعام المالى ٢٠٠٢ ، مرجع سبق ذكره .

مراجع الفصل الثانى عشر :

١- ديـــرموند ستيورت ، تاريخ الشرق الأوسط الحديث ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٠ .

٢- State of Israel , Government Year Book , Jerusalem , 1952 , P . 240 .

٣- Ibid , P . 241 .

٤- Steinberg , M. Apartion Guide to the Jews problem , New Jersey . B'Nai Brith Hillel Foundation , 1945 , P . 20-21 .

٥- Belloc , H. The Jews , London Constable and Company Limited , 1922 , P. 3 .

٦- فـــيفلد - برث ، الجيوبولوتيكا ، الجزء الثانى ، القاهرة ، الكرنك ، الألف كتاب ، كتاب ، بدون سنة نشر ، ص ١١٩ .

٧- نـــافع ناصـــر قصـــاب ، القضـــية الفلسطينية فى مرآة علم الجيوبولتيك ، جامعة الرياض ، مجلة كلية الآداب ، ١٩٧٠ .

٨- محمـــود توفيق محمود ، الجغرافيا السياسية لإسرائيل ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الدراسات الخاصة ، ١٣ ، ص ص : ٢٨-٣٢ .

٩- Catten , H. Palestine : The Arabs And Israel , The search for Justic , London , Longman , 1969 , P . 13 .

١٠- موشـــيه ديـــان ، خـــريطة جديدة وعلاقات جديدة ، القاهرة ، ترجمة / القوات المسلحة ، ص ١٥ . نقلاً عن ، محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤ .

١١- إيجـــال آلـــون ، ستار من الرمال : إسرائيل والعرب بين الحرب والسلام ، تل أبيـــب ، الكبوتس الموحد ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣٦ "الأصل العبرى" ، نقلا عن : محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥ .

١٢- Sitton , S: Israel Immigration et Croisance , Paris : Centre National de la Recherche Scientifikue , 1945 , P. 37 .

١٣- Orni , E. and Efrat , E. Geography of Israel Jersualim : Israel university press , 1973 , P. 258 .

١٤- ألـيكس بييـن ، الاسـتيطان الصهيوني من هرتزل إلى وقتنا الحاضر ، رامان جـان ، مساداه ، ١٩٧٠ ، ص ١٥١ ، نقلاً عن محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٤ .

١٥- المرجع السابق ، ص ص ٤٥-٤٧ .

١٦- إيجال آلون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٨ .

١٧- محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٧ - ٦٣ .

١٨- Orni . Eand E Frat . E . op cit . P. 287 .

١٩- The Esco Foundation for Palestine a study of Jewish . Arab and British Policies – Vol . I – New Haven : Yale university press . 1949 . P. 842 .

٢٠- Ibid . P. 862 .

٢١- أنـيس صـايغ ، فلسطين والقومية العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٤٦ .

٢٢- عـوده بطـرس عـوده ، الجامعة العربية والقضية الفلسطينية ، المجلة العربية للعلـوم السياسية ، عدد خاص عن جامعة الدول العربية بمناسبة مرور ٢٥ عاما على إنشائها ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ص ١٤١ .

٢٣- Lorch . N . The Edge of the Sword – M. Y: Putman . 1961 . P. 17 .

٢٤- Safran . N . from war to war : The Arab – Israel Confrontation 1942 – 1967 . New York . Pegsus . 1969 . P. 22 .

٢٥- Lorch . N op – cit . P. 14 .

٢٦- Bagot . J. A. Soldier : with the Arabs . London . 1957 . P. 231 .

٢٧- محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٠-٨٨ .

٢٨- نفس المرجع السابق ، ص ص ٨٧ – ٨٨ .

٢٩- محمـد نصر الدين مهني ، مشكلة فلسطين والصراع الدولي ، ١٩٤٥ – ١٩٦٧ ، معهـد الـبحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، الدراسات الخاصة ، ص ٥٣ .

٣٠- Glub . John : A Soldier with the Arab . London . 1951 . P. 81.

٣١- إبراهــيم أبــو لغــد ، تهويد فلسطين ، ترجمة / أسعد رزق ، منظمة التحرير الفلســطينية ، مركــز الأبحــاث ، ١٩٧٣ ، ص ص ٧٨-٨٥ ، نقلا عن محمد نصر الدين مهنى ، مرجع سبق ذكره ص ٥٦ .

٣٢- نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ .

٣٣- نفس المرجع السابق ص ٦١ .

٣٤- نفس المرجع السابق ص ٦٣ .

٣٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ٦٠-٦١ .

٣٦- Ben – Gurion David , Looks Back in tables with Moshe Pearlman , N. Y, Simon and Schuster . 1965 , P. 125 .

٣٧- محمد نصر الدين مهنى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ .

٣٨- Aleum , Jean Pierre , Juifs et Arabs , 3000 ans d'historie , Paris , 1971 , P. 351 .

٣٩- جــلال يحــي ، مشــكلة فلســطين والاتجاهــات الدولية ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢٤٨ – ٢٥٠ .

٤٠- محمد نصر الدين مهنى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٥ .

٤١- بطــرس غــالى ، الحرب بين مصر وإسرائيل ، مجلة السياسة الدولية ، أكتوبر ١٩٦٧ .

٤٢- صــلاح العقــاد ، قضية فلسطين "المرحلة الحرجة ١٩٤٨-١٩٥٦" ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٥ .

٤٣- لاكحــور ، والــتر : الاتحــاد السوفيتى والشرق الأوسط ، ترجمة / لجنة من الأســاتذة الجامعيين ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، أغسطس ، ١٩٥٩ ، ص ٢٦٠ .

٤٤- محمد نصر الدين مهنى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١١٨ – ١١٩ .

٤٥- خطــب عــبد الناصر "الجزء الأول" ، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٤ .

٤٦- جمــال على زهران ، توازن القوى بين العرب وإسرائيل بين حربى ١٩٦٧ – ١٩٧٣ ، القاهرة . مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٧ .

٤٧- محمــد فوزى ، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٤ ، صفحات مختلفة .

٤٨- نفس المرجع السابق ؛ نفس الصفحات .
٤٩- جمـال علـى زهران ، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠ - ١٩٨١ ، القاهرة ، دار مدبولى ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٣ .
٥٠- عـبد الكـريم درويـش وليلى تكلا ، حرب الساعات الست ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢١١ - ٢٤٥ .
٥١- سـعد شـعبان وآخرون ، مصر بعد العبور ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ص ١١٠ - ١٣٢ .
٥٢- جمـال الغيطانى ، الجيوش العربية فى حرب أكتوبر ، الهلال ، القاهرة /أكتوبر ١٩٧٧ ، ص ص ١٨٠- ١٩١ .
٥٣- Anthony . H. Cordsman , "The Arab – Israel Balance " Armed Forces Journal . October . 1977 . P. 35.
٥٤- جمال على زهران ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣١١- ٣١٢ .
٥٥- The Strategic Survey 1974-1974 . Iiss . London . 1974. P. 26 .
٥٦- إبراهـيم عزت ، تقرير لجنة روز اليوسف ، أسرار تذاع لأول مرة من تقارير المخابرات الأمريكية عن حرب أكتوبر ، ١٩٧٥/١٠/٦ ، ص ص ٦-٨ .
٥٧- نفـس المرجع السابق ، نقلا عن جمال على زهران ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٠٠- ٣١٤ .
٥٨- حـامد ربـيع ، مـن يحكم فى تل أبيب ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ ، صفحات عدة .
٥٩- Herzog . Chaim : The War of Atonement . London . 1975 . P. 54 .
٦٠- محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٣١- ١٣٣ .
٦١- المرجع السابق ، ص ص ١٣٥- ١٣٦ .
٦٢- Comay . J. Introduction Israel – London : Methuen . 1969 . P. 113 .
٦٣- محمود توفيق محمود ، مرجع سبق ، ص ص ١٣٩ - ١٤٠ .
٦٤- عـبده مباشر ، السلام والمتغيرات فى الوضع العسكرى الإسرائيلى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ص ١١-١٢ .
٦٥- نفس المرجع السابق ، ص ص ٧٧-٨٣ .
٦٦- نفس المرجع السابق ، ص ص ٨٣-٨٧ .

٦٧- إيــان جيليمور - مقال - جريدة الجارديان الإنجليزية ، نقلا عن جريدة الأهرام المصرية ١٩٨٣/٧/٣ .
٦٨- عبده مباشر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٤ .
٦٩- نفس المرجع السابق ، ص ٩٧ .
٧٠- نفس المرجع السابق ، ص ٩٧ .
٧١- عبده مباشر ، جريدة النور - أسبوعية دينية ، القاهرة ، ٧ يوليو ١٩٨٢ .
٧٢- عبده مباشر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٨ .
٧٣- جريدة الإيكونوميست ، ٦ يونيو ، ١٩٩٨ .
٧٤- نــادر فــرجانى ، العــرب فى مواجهة إسرائيل : القدرات البشرية والتقانية ، مركز المشكاة للبحث ، مصر .
Http://www.almishkat.org/arbdoc99/ar-arabist/ar-arbisroi.htm
٧٥- نفس المرجع السابق ، ص ٦ .
٧٦- نفس المرجع السابق ، ص ٦ .
٧٧- الإيكونوميست ، ١٨ أبريل ، ١٩٩٨ .
٧٨- برنامج الأمم المتحدة للإنماء ، ١٩٩٧ ، صفحات مختلفة .
٧٩- برنامج الأمم المتحدة للإنماء ، ١٩٩٩ ، صفحات مختلفة .
٨٠- تقريــر تعلــيم الأمــة العربــية فى القرن الحادى والعشرين "الكارثة والأمل" ، منتدى الفكر العربى ، عمان ، ١٩٩١ .
٨١- أحمــد ثابــت ، العــرب وإسرائيل . . نصف قرن من الصراع ، ٢٠٠٢/٥/١ الأربعاء ، مكة المكرمة ، شبكة الإنترنت ، الساعة ٧:٣٧ بتوقيت جرينتش .
٨٢- زيــف بيجين ، جريدة نيوزويك ، ٢٠ أبريل ١٩٩٨ ، نقلاً عن ، نادر فرجانى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧ .
٨٣- برنامج الأمم المتحدة للإنماء ، ١٩٩٨ .
٨٤- البنك الدولى ، تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٨ ، صفحات مختلفة .
٨٥- أحمد ثابت ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦ .
٨٦- نفس المرجع السابق ، ص ٧ .
٨٧- نفس المرجع السابق ، ص ٨ .
٨٩- Source : The international institute for strategic studies . the military balance . 1999 – 2000 . London . Oxford University press . P. P 300-301 .

٩٠- Ibid . P . 301 .

٩١- Source : Stock Holm International Peace research institute "S.I.P.R.I" SIPRI year Book 1999 : Armaments disarmament and international security . Oxford university press . P.P 428-429 .

٩٢- نادر فرجانى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧-٨ .

٩٣- صحيفة الحياة اللندنية ، ١٩٩٩/١٠/٩ .

٩٤- الصنداى البريطانية ، أكتوبر ١٩٨٦ ، نقلاً عن ، أحمد ثابت ، ص ص ٩-١٠ .

٩٥- نفس المرجع السابق ، ص ١٠ .

مراجع الخاتمة :

٣٧- أسامة الباز ، موقع الوطن العربي على خريطة القرن الحادى والعشرين ، أعمال المؤتمر السنوى الأول للمركز العربى للدراسات الاستراتيجية ، القاهرة ، ٢-٣ إبريل ، ١٩٩٦ ، ص ٢٨٧ .

٣٨- نفس المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

٣٩- احمد يوسف احمد ، مستقبل العلاقات العربية - العربية "أفكار أولية"،أعمال المؤتمر السنوى الأول، مرجع سبق ذكره،ص ص٩٠-٩١.

٤٠- الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، ١٩٩٨ ، صفحات مختلفة .

٤١-التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٧،مرجع سبق ذكره ، ص١١٦.

٤٢- منظمة العمل العربية ، مكتب العمل العربى ، الاتفاقية العربية لتنقل الأيدى العاملة ، رقم (٢) لعام ١٩٧٦ ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، صفحات مختلفة .

٤٣- نفس المرجع السابق ، ص ٤٢ .

٤٤- احمد يوسف احمد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩١ .

٤٥- نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

٤٦-التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٩،مرجع سبق ذكره، ص ١٤٨.

٤٧- نفس المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

٤٨- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٤٤-٣٤٦ .

٤٩- نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٤٦-٣٤٨ .

٥٠- الإســلام والمســلمون فــي الإعــلام والفكر الغربى ، مجموعة من الباحثين ، التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، ص ص ١٢٩-١٣٢.

٥١- الولايــات المتحدة الأمريكية وبناء تحالف ضد الإرهاب ، مجموعة من الباحثين ، التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠١ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣ .

رقم الإيداع
١٨٨٩٩ / ٢٠٠٢

